

في فهرست الجزء الرابع وهو الراسع الرابع من كتاب احياء علوم الدين لجة الاسلام الفزاري

صفحة	صفحة
٥٨	٢ كتاب التوبة وهو الاول من ربيع
٥٨	المختصات من كتب احياء علوم الدين
الى معان الصبر	وتشتمل على أربعة أركان
٥٩	١ (الركن الاول) في نفس التوبة
بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف	٢ بيان حقيقة التوبة وحدها
القوة والضعف	٣ بيان وجوب التوبة وفضلها
٦٠	٤ بيان أن وجوب التوبة على الفور
بيان مظان الحاجة الى الصبر وأن العبد	٥ بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص
لا يستغنى عنه في حال من الأحوال	والأحوال فلا يفتك عنه أحد البتة
٦٥	١٢ بيان أن التوبة إذا استجمعت
بيان دوام الصبر وما يستعان به عليه	شرائطها فهي مقبولة لأحالة
(الشرط الثاني) من الكتاب في الشكر	١٣ (الركن الثاني) في معان التوبة
وله ثلاثة أركان	وهي الذنوب صغائر وكاثرها
٧٠	١٤ بيان أقسام الذنوب بالإضافة الى
(الركن الاول) في نفس الشكر	صفات العبد
٧٠	٢٠ بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات
بيان فضيلة الشكر	في الآخرة على الحسنات والسيئات
٧١	في الدنيا
بيان حذا الشكر وحقيقته	٢٨ بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب
٧٤	٢٩ (الركن الثالث) في تمام التوبة
بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر	وشروطها ودوامها الى آخر العبر
في حق الله تعالى	٣٨ بيان أقسام العباد في دوام التوبة
٧٩	٤١ بيان ما ينبغي أن يسار إليه التائب
بيان تميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه	أن جرى عليه ذنب ما عمن قصد وشهوة
(الركن الثاني) من أركان الشكر	غالبه أروع المأم بحكم الاتفاق
ما عليه الشكر وهو النعمة الخ	٤٣ (الركن الرابع) في دوام التوبة وطريق
٨٧	العلاج لحل عقدة الإصرار
بيان حقيقة النعمة وأقسامها	٥٣ كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني
٩٦	من ربيع المختصات من كتب احياء
بيان وجه الامتزاج في كثرة نعم الله تعالى	علوم الدين (وهو منقسم الى شطرين)
وتسلسلها وخرجها عن الحصر	٥٣ (الشرط الاول) في الصبر وفيه بيان
والاحصاء	فضيلة الصبر الخ
١٠٩	٥٣ بيان فضيلة الصبر
بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر	٥٤ بيان حقيقة الصبر ومعناه
(الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر	
فما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط	
أحدهما بالآخر	
١١٢	
بيان وجه اجتماع الصبر والشكر	
على شئ واحد	
١١٨	
بيان فضل النعمة على البلاد	
١١٩	
بيان الافضل من الصبر والشكر	
١٢٤	
كتاب الخوف والرجاء وهو الكتاب	
الثالث من ربيع المختصات من كتب	
احياء علوم الدين وتشتمل على شطرين	
(أما الشرط الاول) فينبش على بيان	
١٢٥	

صحيحة	صحيحة
بيان حقيقة الرجاء	بيان حقيقة الرجاء
بيان فضيلة الرجاء والترقيب فيه	بيان فضيلة الرجاء والترقيب فيه
بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وغلب	بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وغلب
(الشرط الثاني) من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف الخ	(الشرط الثاني) من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف الخ
بيان حقيقة الخوف	بيان حقيقة الخوف
بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف	بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف
بيان أقسام الخوف بالإضافة الى ما يخاف منه	بيان أقسام الخوف بالإضافة الى ما يخاف منه
بيان فضيلة الخوف والترقيب فيه	بيان فضيلة الخوف والترقيب فيه
بيان ان الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدلهما	بيان ان الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدلهما
بيان الدماء الذي يستجلب حال الخوف	بيان الدماء الذي يستجلب حال الخوف
بيان معنى سوء الخاتمة	بيان معنى سوء الخاتمة
بيان أحوال الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف	بيان أحوال الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف
بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف	بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف
كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربيع المخيمات من كتب احبائه علوم الدين (ويشتمل على شطرين)	كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربيع المخيمات من كتب احبائه علوم الدين (ويشتمل على شطرين)
(الشرط الاول) من الكتاب في الفقر وفيه بيان حقيقة الفقر الخ	(الشرط الاول) من الكتاب في الفقر وفيه بيان حقيقة الفقر الخ
بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسأمة	بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسأمة
بيان فضيلة الفقر مطلقا	بيان فضيلة الفقر مطلقا
بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين	بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين
بيان فضيلة الفقر على الغنى	بيان فضيلة الفقر على الغنى
بيان آداب الفقير في فقره	بيان آداب الفقير في فقره
بيان آداب الفقير في قبول العطاء	بيان آداب الفقير في قبول العطاء
بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه	بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه
بيان مقدار الغنى المحرم السؤال	بيان مقدار الغنى المحرم السؤال
بيان أحوال السائلين	بيان أحوال السائلين
(الشرط الثاني) من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد الخ	(الشرط الثاني) من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد الخ
بيان حقيقة الزهد	بيان حقيقة الزهد
بيان فضيلة الزهد	بيان فضيلة الزهد
بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة الى نفسه وإلى المرقوب عنه وإلى المرقوب فيه	بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة الى نفسه وإلى المرقوب عنه وإلى المرقوب فيه
بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة	بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
بيان علامات الزهد	بيان علامات الزهد
كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربيع المخيمات من كتب احبائه علوم الدين (ويشتمل على شطرين)	كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربيع المخيمات من كتب احبائه علوم الدين (ويشتمل على شطرين)
بيان فضيلة التوكل	بيان فضيلة التوكل
بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل (وهو الشرط الاول من الكتاب)	بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل (وهو الشرط الاول من الكتاب)
(الشرط الثاني) من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل الخ	(الشرط الثاني) من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل الخ
بيان حال التوكل	بيان حال التوكل
بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل	بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل
بيان أعمال المتوكلين	بيان أعمال المتوكلين
بيان توكل المعلن	بيان توكل المعلن
بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال	بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال
بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم	بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم
بيان أن ترك التداوى قد يحمي في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم	بيان أن ترك التداوى قد يحمي في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

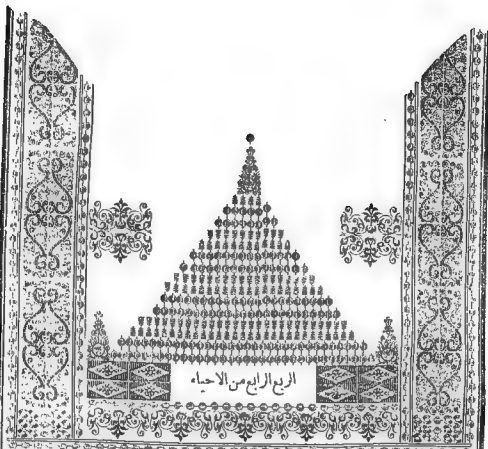
صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٢٤٧	بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل	٢٤٧	بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل
٢٤٩	بيان أحوال المتوكلين في إظهار المرض	٢٤٩	بيان أحوال المتوكلين في إظهار المرض
٢٥٠	كتاب المحبة والشوق والانس والرضى	٢٥٠	كتاب المحبة والشوق والانس والرضى
٢٥١	وهو الكتاب السادس من ربيع الخفيات	٢٥١	وهو الكتاب السادس من ربيع الخفيات
٢٥٢	من كتب أحياء علوم الدين	٢٥٢	من كتب أحياء علوم الدين
٢٥٣	بيان شواهد الشرع في حب العبد	٢٥٣	بيان شواهد الشرع في حب العبد
٢٥٤	لله تعالى	٢٥٤	لله تعالى
٢٥٥	بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى	٢٥٥	بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى
٢٥٦	محبة العبد لله تعالى	٢٥٦	محبة العبد لله تعالى
٢٥٧	بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده	٢٥٧	بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده
٢٥٨	بيان أن أجل اللذات وأعلامها معرفة	٢٥٨	بيان أن أجل اللذات وأعلامها معرفة
٢٥٩	الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه	٢٥٩	الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه
٢٦٠	لا يتصور أن يؤثر عليه اللذة أخرى	٢٦٠	لا يتصور أن يؤثر عليه اللذة أخرى
٢٦١	الأمن حرم هذه اللذة	٢٦١	الأمن حرم هذه اللذة
٢٦٢	بيان السبب في زيادة النظر في الآخرة	٢٦٢	بيان السبب في زيادة النظر في الآخرة
٢٦٣	على المعرفة في الدنيا	٢٦٣	على المعرفة في الدنيا
٢٦٤	بيان الأسباب المتقوية لحب الله تعالى	٢٦٤	بيان الأسباب المتقوية لحب الله تعالى
٢٦٥	بيان السبب في تفاوت الناس في الحب	٢٦٥	بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
٢٦٦	بيان السبب في قصور أفعالهم الخلق	٢٦٦	بيان السبب في قصور أفعالهم الخلق
٢٦٧	عن معرفة الله سبحانه وتعالى	٢٦٧	عن معرفة الله سبحانه وتعالى
٢٦٨	بيان معنى الشوق إلى الله تعالى	٢٦٨	بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٢٦٩	بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها	٢٦٩	بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها
٢٧٠	القول في علامات محبة العبد لله تعالى	٢٧٠	القول في علامات محبة العبد لله تعالى
٢٧١	بيان معنى الانس بالله تعالى	٢٧١	بيان معنى الانس بالله تعالى
٢٧٢	بيان معنى الانس بالله تعالى	٢٧٢	بيان معنى الانس بالله تعالى
٢٧٣	تقره غلبة الانس	٢٧٣	تقره غلبة الانس
٢٧٤	القول في معنى الرضى بقضاء الله	٢٧٤	القول في معنى الرضى بقضاء الله
٢٧٥	وحقيقته وما ورد في فضيلته	٢٧٥	وحقيقته وما ورد في فضيلته
٢٧٦	بيان فضيلة الرضى	٢٧٦	بيان فضيلة الرضى
٢٧٧	بيان حقيقة الرضى وتصوره فيما	٢٧٧	بيان حقيقة الرضى وتصوره فيما
٢٧٨	يخالف الهوى	٢٧٨	يخالف الهوى
٢٧٩	بيان أن الدعاء غير منافي للرضى	٢٧٩	بيان أن الدعاء غير منافي للرضى
٢٨٠	بيان أن الفرار من البلاد التي	٢٨٠	بيان أن الفرار من البلاد التي
٢٨١	هي مظان المعاصي ومذمتها	٢٨١	هي مظان المعاصي ومذمتها
٢٨٢	لا يقدح في الرضى	٢٨٢	لا يقدح في الرضى
٢٨٣	بيان جملة من حكايات المحبين	٢٨٣	بيان جملة من حكايات المحبين
٢٨٤	وأقوالهم ومكاشفاتهم	٢٨٤	وأقوالهم ومكاشفاتهم
٢٨٥	خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة	٢٨٥	خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة
٢٨٦	تتعلق بالمحبة ينتفع بها	٢٨٦	تتعلق بالمحبة ينتفع بها
٢٨٧	كتاب التيقن بالإخلاص والصدق وهو	٢٨٧	كتاب التيقن بالإخلاص والصدق وهو
٢٨٨	الكتاب السابع من ربيع الخفيات من	٢٨٨	الكتاب السابع من ربيع الخفيات من
٢٨٩	كتب أحياء علوم الدين (وفيه ثلاثة	٢٨٩	كتب أحياء علوم الدين (وفيه ثلاثة
٢٩٠	أبواب)	٢٩٠	أبواب)
٢٩١	(الباب الأول في التيقن وفيه بيان	٢٩١	(الباب الأول في التيقن وفيه بيان
٢٩٢	فضيلة التيقن الخ	٢٩٢	فضيلة التيقن الخ
٢٩٣	بيان فضيلة التيقن	٢٩٣	بيان فضيلة التيقن
٢٩٤	بيان حقيقة التيقن	٢٩٤	بيان حقيقة التيقن
٢٩٥	بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم	٢٩٥	بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم
٢٩٦	نية المؤمن خير من عمله	٢٩٦	نية المؤمن خير من عمله
٢٩٧	بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية	٢٩٧	بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية
٢٩٨	بيان أن التيقن غير داخل تحت الاختيار	٢٩٨	بيان أن التيقن غير داخل تحت الاختيار
٢٩٩	(الباب الثاني في الإخلاص	٢٩٩	(الباب الثاني في الإخلاص
٣٠٠	وفصيلته وحقيقته ودرجانه	٣٠٠	وفصيلته وحقيقته ودرجانه
٣٠١	فضيلة الإخلاص	٣٠١	فضيلة الإخلاص
٣٠٢	بيان حقيقة الإخلاص	٣٠٢	بيان حقيقة الإخلاص
٣٠٣	بيان أقوال الشيوخ في الإخلاص	٣٠٣	بيان أقوال الشيوخ في الإخلاص
٣٠٤	بيان درجات الشوائب والآفات	٣٠٤	بيان درجات الشوائب والآفات
٣٠٥	المستدرة للإخلاص	٣٠٥	المستدرة للإخلاص
٣٠٦	بيان حكم العمل المشوب واستحقاق	٣٠٦	بيان حكم العمل المشوب واستحقاق
٣٠٧	الثواب به	٣٠٧	الثواب به
٣٠٨	(الباب الثالث في الصدق	٣٠٨	(الباب الثالث في الصدق
٣٠٩	وفصيلته وحقيقته	٣٠٩	وفصيلته وحقيقته
٣١٠	فضيلة الصدق	٣١٠	فضيلة الصدق
٣١١	بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه	٣١١	بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه
٣١٢	كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب	٣١٢	كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب
٣١٣	الثامن من ربيع الخفيات من كتب	٣١٣	الثامن من ربيع الخفيات من كتب
٣١٤	أحياء علوم الدين (وفيه مقامات)	٣١٤	أحياء علوم الدين (وفيه مقامات)

صفحة	المقام الأول من المراقبة المشارطة	صفحة
٣٣٨	(المراقبة الثانية) المراقبة	٣٤١
٣٤٢	بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها	٣٤٣
٣٤٧	(المراقبة الثالثة) بحاسبة النفس بعد العمل وتنضم فضيلة الحاسبة وحقيقتها	٣٤٧
٣٤٧	اما الفضيلة	٣٤٨
٣٤٨	بيان حقيقة الحاسبة بعد العمل	٣٤٩
٣٤٩	(المراقبة الرابعة) في معاينة النفس على تقصيرها	٣٥١
٣٥١	(المراقبة الخامسة) المجاهدة	٣٥٩
٣٥٩	(المراقبة السادسة) في توبخ النفس ومعاتبتها	٣٦٥
٣٦٥	كتاب التفكير وهو الكتاب التاسع من ربيع النجيات من كتب احياء علوم الدين	٣٦٦
٣٦٦	فضيلة التفكير	٣٦٧
٣٦٧	بيان حقيقة التفكير ومغريته	٣٦٩
٣٦٩	بيان مجارى الفكر	٣٧٦
٣٧٦	بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى	٣٨٨
٣٨٨	كتاب ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربيع النجيات وبه اختتام كتاب احياء علوم الدين (ويشتمل على شطرين)	٣٨٩
٣٨٩	الشرط الاول في مقدمته وتوابعه الى نفحة الصور وفيه ثمانية أبواب	٣٨٩
٣٨٩	(الباب الاول) في ذكر الموت والترغيب في الاكثار من ذكره	٣٨٩
٣٩٠	بيان فضل ذكر الموت كيفما كان	٣٩٠
٣٩٠	بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب	٣٩١
٣٩١	(الباب الثاني) في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طول وكيفية معالجته	٣٩١
٣٩١	فضيلة قصر الامل	٣٩٥
٣٩٥	بيان السبب في طول الامل وعلاجه	٣٩٦
٣٩٦	بيان مراتب الناس في طول	
	الامل وقصره	
٣٩٧	بيان المباداة الى العمل وحذر آفة التأخير	٣٩٨
٣٩٨	(الباب الثالث) في سكرات الموت وشدة وما يستحب من الاحوال عنده	٤٠٢
٤٠٢	بيان ما يستحب من احوال المختصر عند الموت	٤٠٣
٤٠٣	بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها	٤٠٥
٤٠٥	(الباب الرابع) في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده	٤٠٥
٤٠٥	وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٤١٠
٤١٠	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه	٤١١
٤١١	وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه	٤١٢
٤١٢	وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه	٤١٣
٤١٣	وفاة علي كرم الله وجهه	٤١٣
٤١٣	(الباب الخامس) في كلام المختصرين من الخلفاء والامراء والصالحين	٤١٥
٤١٥	بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضي الله عنهم أجمعين	٤١٧
٤١٧	(الباب السادس) في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور	٤١٨
٤١٨	بيان حال القبور وأقاويلهم عند القبور	٤٢١
٤٢١	بيان أقاويلهم عند موت الولد	٤٢٢
٤٢٢	بيان زيارة القبور والدعاء لليت وما يتعلق به	٤٢٥
٤٢٥	(الباب السابع) في حقيقة الموت وما يليق به في القبر الى نفحة الصور	٤٢٥
٤٢٥	بيان حقيقة الموت	٤٢٩
٤٢٩	بيان كلام القبر لليت وكلام الموتى اما بلسان المقال أو بلسان الحال	٤٢٩
٤٢٩	بيان عذاب القبر وسؤال منكرو ونكير	

صفحة	محتوى	صفحة
٤٣٣	بيان سؤال منكرو وكبير وصورتهما	٤٤٨
٤٣٣	وضيعة القبر وضيعة القول في عذاب القبر	٤٤٨
٤٣٣	(الباب الثامن) فيما عرف من أحوال الموتي بالمكاشفة في المنام	٤٥١
٤٣٦	بيان منامات تكشف عن أحوال الموتي والأعمال النافعة في الآخرة	٤٥٣
٤٣٧	بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم	٤٥٥
٤٤٠	الشرط الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأحوال والخطار	٤٥٦
٤٤٠	صفحة نفخة الصور	٤٦٠
٤٤٢	صفحة أرض المحشر وأهل الجنة وورثتها	٤٦٢
٤٤٢	صفحة العرق	٤٦٣
٤٤٣	صفحة طول يوم القيامة	٤٦٣
٤٤٤	صفحة يوم القيامة ودرجته وأسمائه	٤٦٤
٤٤٥	صفحة المساءلة	٤٦٤
	صفحة المزان	٤٦٤
	صفحة الخصماء وورث النظام	٤٦٦
	صفحة الصراط	٤٦٦
	صفحة الشفاعة	٤٦٦
	صفحة الخوض	٤٦٦
	القول في صفة جهنم وأهلها وأنكلماتها	٤٦٦
	القول في صفة الجنة وأهلها وأشجارها	٤٦٦
	صفحة لباس أهل الجنة وفرشهم وسرورهم وأرائكهم وخيامهم	٤٦٦
	صفحة طعام أهل الجنة	٤٦٦
	صفحة الحور العين والولدان	٤٦٦
	بيان جبل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وورثتها	٤٦٦
	صفحة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى	٤٦٦
	نظم الكتاب بسبب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك	٤٦٦

الربع الرابع من كتاب احياء علوم الدين
تأليف الامام العالم العلامة المحقق
المدقق حجة الاسلام أبي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه ونور
ضريحه
آمين

تتمت الطبعة الرابعة من النسخة
كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر
والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس
والرضا وكتاب التوبة والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة
والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر الموت



الربع الرابع من الاحياء

كتاب التوب وهو الاول من ربع المتحيات من كتب احياء علوم الدين
 (بسم الله الرحمن الرحيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب * ويدكره صدر كل خطاب * ويحمده يتنعم أهل النعيم
 في دار الثواب * وباسمه يتسلى الاشقياء وان أُرخذو منهم المحاب * وضرب بينهم وبين السعداء بسور
 له باب * باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * وتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب
 ومسبب الاسباب * ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب * ونخرج الخوف برحمتنا
 ضريح من لا يرتاب * انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * ونصلي على نبيه محمد
 صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تقذنا من هول المظلم يوم العرض والحساب * وقد هدانا
 عند الله زلي وحسن مآب * (أما بعد) فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام
 الغيوب * مبدأ طريق السالكين * ورأس مال الفائزين * وأول أقدام المريدين * ومفتاح
 استقامة المائتين * ومطلع الاصطفاء والاجتباء للقرتين * ولا ينال آدم عليه الصلاة والسلام
 وعلى سائر الانبياء أجمعين * وما احذر بالاولاد * الاقتداء بالآباء والاجداد * فلا غرو ان ذنب
 الأدي * واجترم * ففي شنة يعرفها من أجرم * ومن أشبه أباه فإظلم * ولكن الاب اذا جبر بعد
 ما كسر وعبر بعد ان هدم * فليكن النزوع اليه في كل طرفي النقي والاثبات والوجود والعدم *
 ولقد قرع آدم سن الندم * وتندم على ما سبق منه وتقدم * فن اتخذ قدوة في الذنب دون التوبة
 فغذرت به القدم * بل العبر للخص الخبير بأب الملازمة المقرتين * والعبر للشر دون التلافي
 سحبة الشياطين * والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الأديمين * فالعبر للخير ملك
 مقرَّب عند الملك الديان * والعبر للشر شيطان * والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير با حقيقة
 انسان * فقد ازدوج في طينة الانسان شائنتان * واصطبغ فيه سحيتان * وكل عبد مصلح نفسه
 اما الى الملك أو الى آدم أو الى الشيطان * فالتائب قد أقام البرهان * على صحة نسبته الى آدم بلا زمة

حقاً الانسان * والمصر على الطغيان * مسجل على نفسه بسبب الشيطان * فأما تصحيح النسب
بالخير فالحض الخبير الى الملائكة فخرج عن حيز الامكان * فان الشر مجنون مع الخير في طينة آدم
مخبراً على ان يخلصه الاحدى النارين نار الندم * وانار جهنم * فالاحراق بالنار ضرورى في تخليص
جوهر الانسان من خبائث الشيطان واليك الآن اختباراً هون النارين * والمبادرة الى أخف
الشرين * قبل أن يطوى بساط الاختيار * ويساق الى دار الاضطراب * أما الى الجنة وأما الى النار
وإذا كانت التوبة موقعها من الذين هذا الموقع يجب تقديمها في صدر ربيع النجاة بشرح
حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها ونعمتها والأوقات المانعة منها والادوية الميسرة لها ونضج
ذلك ذكر أربعة أركان (الركن الأول) في نفس التوبة وبيان حذوها وحقيقتها وأنها واجبة على
الغور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال ولها إذا أصبحت مقبولة (الركن الثاني) فيما
عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صفات وكثير وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى
وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم
الصغائر (الركن الثالث) في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم
وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة (الركن الرابع) في السبب الباعث
على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة
إن شاء الله عز وجل (الركن الأول) في نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم وملتزم من ثلاثة أمور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم الأول
والحال الثاني والفعل الثالث والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ليحيا انقضاء اطراد
سنة الله في الملك والملكوت * أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين
كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة بحقيقة يقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم القلب بسبب
قوات المحبوب فان القلب مهما شعر بقوات محبوبة تألم فان كان قوائمه بفعله ناسف على الفعل
المفوت فبسي تألمه بسبب فعله المفوت لحبو به ندماً فاذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث
من هذا الألم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصد الى فعل له تعلق بالحال وبالماضى وبلا استقبال
أما تعلقه بالحال فالتذكر للذنوب الذي كان ملاسماً وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنوب المفوت
للمحبيب الى آخر العزم وأما بالماضى فبالتألم بما فات بالخير والقضاء ان كان قابلاً للخير فالعلم هو
الاول وهو مطلع هذه الخيرات وأعني هذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق
بأن الذنوب سبب مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتقام الشك عنه واستيلائه
على القلب فيتميز نور هذا الايمان مهما أشرف على القلب نار الندم فتألم به القلب حيث يبصر
بأشراق نور الايمان انه صار محبواً بعن محبوبة كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع
النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوبة وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران
الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بارادته لانهاض للتنازع للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك
في الحال والاستقبال والتلافي للماضى ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها
وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة
والتابع المتأخر وهذا الاعتبار قال عليه السلام الندم توبة اذا لا يتخلو الندم عن علم وأوجه وأثمره وعن
عزم يتبعه وينتله فيكون الندم محمواً بطريقه اعني ثمرته ومثمره وهذا الاعتبار قيل في حقا التوبة
انه ذوبان الحشا لماسبق من الخطا فان هذا يعرض ليجرد الألم ولذلك قيل هواناً في القلب تلتهب

وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة أنه خلع لباس الجفام ونشر لسان
الرفاق وقال سهل بن عبد الله تسترى التوبة تبدل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولانتم ذلك
الابا تلخرو والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار الى المعنى الثالث من التوبة والا فاول بل في حدود
التوبة لا تنصرف واذ فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتبطها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها
قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بتحقيق الامور أهم من طلب الالتفات المجردة

بيان وجوب التوبة وفصلها

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته
وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على أن يسمى بنوره الذي بين يديه في طلبات الجهل مستغنيا
عن قائد يقوده في كل خطوة قال سالنا اما أي لا يستغنى عن القائد في خطوه واما بصير يهدي الى أول
الطريق ثم يهدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فن قاصر لا يقدر
على مجاوزة التقليد في خطوه فنفقتر الى أن نسمع في كل قدم نصام كتاب الله أو سنة رسوله وربما
يعوزه ذلك فيقيم تفسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعي شرح الله
صدره الاسلام فهو على نور من ربه فينتبه بآدني اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة
وشرقي قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجترى بآدني بيان فكأنه يكاد يشه
بضيء ولو لم تمسه نار فاذا امسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج الى نص
منقول في كل واقعة فن هنا حاله اذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولاً بنور البصيرة
الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في توبته لها
وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى السعادة لا بدوا النجاة من هلاك الابد
فانه لو اعلن السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا بمعنى وقول القائل
صار واجبا لا ليجاب حدث محض فان ما اغرض لنا آجلا وجلا في فعله وتركه فلامعنى
لا شغلنا به أو وجه علينا غيرنا أو لم يوجه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد
وعلم أن السعادة في دار البقاء الا في لقاء الله تعالى وأن كل محبوب عنه يشقى لا محالة تحول منه وبين
ما يشقى محترق بنار القراق ونار الحزم وعلم انه لا مبعث عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا
العالم الغاني والا كباب على حب ما لا بد من فراقه قطعاً وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة
القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره والمحببة له بمعرفة
جلاله وجهه على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لحاج الشياطين
أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوباً بمبعث عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف
عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتبع الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم
أن الذنوب أسباب البعد من المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع
فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول الى
المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع
ذروه عن حدوده أكثر الخلق في التقليد والاتباع له بحال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك
فلا حظ فيه قول الله قول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
أيه المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله توبة
نصوحاً لا بدو معنى النصوح الخالص لله تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذاً من النصوح ويدل على

فصل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال عليه السلام التائب
حبیب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة
العبد المؤمن من رجل تزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها عامه وشرابه فوضع رأسه فنام
نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله قال
أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنا م حتى أموت فوضع رأسه على ساعده لموت فاستيقظ فاذا
راحلته عنده عليها زاده وشرابه فله تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته وفي بعض
اللفاظ قال من شدة فرحه اذا أراد شكر الله أن يركب وأنت عدي وروى عن الحسن قال لما تاب
الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأه الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام
فقال يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة
سؤال فأين مقامى فأوحى الله اليه يا آدم ورئت ذنبتك التعب والنصب وورئتهم التوبة فمن
دعاني منهم لبيتكم كلبيتكم ومن سألني المغفرة لم أنجل عليه لاني قريب بحبب يا آدم وأخسر التائبين
من القبور مستبشرين ضاحكين وعاشوهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع
منعقد من الامة على وجوب الذم والعناء العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومعدت من الله تعالى
وهذا داخل في وجوب الايمان ولو لم يكن قد تدهش الغفلة عنه فعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة
والاخلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في المستقبل وتدارك
ما سبق من التصبر في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه وأما التندم على ما سبق والتعز
عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع لا يحصل لامحالة
عقيب حقيقة المعرفة بما فات من الجور وضاع في مخط الله فان قلت تألم القلب أمر ضروري
لا يدخل تحت الاختيار فكيف بوصف بالوجوب فاعلم أن سببه تحقيق العلم بقوات المحبوب وله
سبيل الى تحصيل سببه ومثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم بخلق الله
ويحدته في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق
التوبة فله والله خلقكم وما علمون هذا هو الحق عند ذوى الأبصار وما سوى هذا ضلال فان قلت
أفليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا ينقض قولنا ان الكل من خلق الله تعالى بل
الاختيار أيضا من خلق الله العبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحية وخلق
الطعام والاذى وخلق الشهوة للطعام في المعدة خلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة
وخلق الخواطر المتعارضة في أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله
مانع تعذره تناوله أم لا ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تضرع الارادة
الباعثة على التناول فالتجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة ويعد وقوع الشهوة للطعام يسمى
اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه فاذا حصل التجزام الارادة بخلق الله تعالى اياها تحركت
اليده الصحية الى جهة الطعام لامحالة بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا
فحصل الحركة فتسكن الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة والتجزام الارادة وهما أيضا من
خلق الله والتجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما أيضا من خلق الله تعالى
ولكن بعض هذا المخلوقات يترب على البعض ترتيا جرت به سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد
لسنة الله تبدلا فلا يخفى الله الحركة اليدوية المنظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة والمخلوق
فبالحياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميل الى النفس

ولا نبعث هذا الميل اسعانا تاما ما لم يخلق علما بأنه موافق للنفس اما في الحال أو في المال ولا يخلق العلم أيضا الا باسباب أخر ترجع الى حركة وإرادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي أبدا يستتبع الإرادة الجازمة والقدرة والإرادة أبدا تستدرف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا تخلق الإرادة الا بعد العلم والعلم الا بعد الحياة ولا تخلق الحياة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لأن الحياة تنولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لأن العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الإرادة لأن العلم يولد الإرادة ولكن لا يقبل الا اداة الاجسام حتى عالم ولا يدخل في الوجود الا يمكن والامكان ترتب لا يقبل التغيير لان تغيير محال فهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة لازلية عند حصول الاستعداد ولما كان الاستعداد بسبب الشرط ترتيب كان حصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتب والعبد يجري هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كل البصر ترتيبا كايلا بالتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقته بقدر روع القضاء الكلي الا في العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كل بالبصروا ما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة بعد خلق ميل قوي حازم في نفسه يسمى التصدد بعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم بعد مسخرت تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملوكوت ولوا يا أيها الرجل قد تجر كنت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجاب الغيب وسراقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن قاتلوهم بعدهم الله بأيديكهم وعند هذا تخير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط ما تلى الى انه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملوكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجهه وأن القصور شامل لجميع فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحيط عليه بجوانبه وعام علمه نال باشراف التوهم كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أعبدا الا من ارتضى من رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباطها من سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علمائنا أن لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت قد قصيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب انه صادق من وجهه وهو مع صدقه قاصر وهذا ناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن اتصال ذلك الى الانهزام بمثل فاعلم أن جماعة من العباد قد سمعوا انه حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لسوه فوقه ببعض العباد على رجليه ووقع به بعضهم على ناله ووقع به بعضهم على آذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم قبة العباد ما خلقت أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ابن الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأمس لاختبونة فيه وليس في غلط الاسطوانة أصلا بل هو

مثل عمود وقال الذي ليس الاذن لعمري هولين وفيه خشونة قصدي أحدهما فيه ولكن قال ماهو
مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عرض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من
وجهه اذ أخبر بكل واحد عما أصابه من معرفة القليل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف القليل ولكلهم
يجهلهم قصور عن الاحاطة بكنه صورة القليل فاستقص هذا المثال واعتبر به فانه مثال اكثر
ما اختلفت الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكشقة ويحرك أمواجها وليس ذلك من
غرضنا فلترجع الى ما كنا بصده وهو بيان أن التوبة واجبة لجميع أجزائها الثلاثة العلم والتقدم
والترك وأن التدم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته
وقدره المتخللة بينها وهذا وصفه فاسم الوجوب شمله

بيان أن وجوب التوبة على القور

أما وجوبها على القور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو
واجب على القور والمتنص عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك الفعل فان هذه المعرفة
ليست من علوم المكشقات التي لا تنطق بعلم بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على
عمل فلا يقع التنص عن عهده ما لم يصير باعثا عليه فالعلم بضر الذنوب انما أراد ليكون باعثا على
تركها فان لم يتركها هو فادخلها الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يرضى الزاني حين
يزني وهو مؤمن وما أراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكشقة كالعلم بالله ووحدايته
وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزني والمعاصي وانما أراد به نفي الايمان لكون الزني
مبعدا عن الله تعالى موجبا للقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو
غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير
مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان
وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة
الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون
موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها اماطة الاذى عن البشرية بأن يكون مقصودا الشارب
مقنوم الاطراف نفي البشرية عن البحث حتى يتميز الهائم الرسالة الملوثة بأروائها المستكرهة الصور
بطول مخالها وأطرافها هذا مثال مطابق فالإيمان هكذا الانسان وقد شهادة التوحيد بوجوب
الاطلاق بالكلية كقصد الروح والذي ليس له الشهادة التوحيد والرسالة هو كائن مقطوع
الاطراف مفقود العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا اصل للروح وكذا أن من هذا حاله
قرب من أن يموت فترا به الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقوّمها
فتكذلك من ليس له الاصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من أن تقطع شجرة ايمانه اذا
صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت
في اليقين أصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهورنا صبيعا ملك
الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الاماني في الطاعات على توالي الايام والساعات حتى وسخ وتبت
وقول العاصي للطمع اني مؤمن كأنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت
شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر اذا قالت ستعرفين اعترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح
الطريف فتند ذلك تنقطع أصوكت وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع
الغلبة عن أسباب ثبوت الاشجار وسوف ترى اذا انجلي القبار أفرس تحتك أحجار وهذا أمر

يظهر عند الخاتمة وإنما انقطع نياط العارفين بخوفهم من دواعي الموت ومقدماته الهائلة التي لا شبت
عليها إلا القلوب فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح التمسك
في الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وان الموت غالباً لا يقع إلا فيقال له الصحيح
يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء
والعياد بالقتل يجب الخلود في النار فالعاصي للإيمان كلاً كولات المضرة للبدان فلا تزال تجتمع
في الباطن مغيرة مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيعرض دفعة ثم يموت دفعة
فكذلك المعاصي فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم
وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى القور فالتخاف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك
وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيا ويرجع عن تناوله بإبطاله وإحراجه عن المعدة على
سبيل القور والمبادرة فلا فيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه الأذهاء الدنيا القانية فتناول
سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام بقي للتدارك
مهلة وهو العرفان الخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم القيم والمكث العظيم
وفي فوائها تار الخيم والعذاب القيم الذي تستمر أعمار الدنيا دون عشر عشرين سنة أذ ليس
لمدته آخر البتة فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملياً يجاوز
الامر فيه الأطباء واختيارهم ولا يقع بعده الاحتماء فلا ينفع بعد ذلك نصيح الناصحين ووعظ
الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من المالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى أنا جعلنا في أعناقهم
أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدوا ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم
لا يبصرون وسواء علمهم أم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يفر تلك لفظ الإيمان فتقول المراد
بالآية الضكافرا الذين أن الإيمان بضع وسبعون باباً وان الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن
فانحجب من الإيمان الذي هو شعب وفروع سمع في الجماعة عن الإيمان الذي هو أصل كإن
الشخص الفاد بلبع الأطراف التي هي حروف وفروع سبب إلى الموت المعدم للروح التي هي
أصل فلا يشاء الأصل دون الفرع ولا وجود الفرع دون الأصل ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في
شيء واحد وهو أن وجود الفرع بقاءه جميعاً يستدعي وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعي
وجود الفرع بقاءه الأصل بالفرع وجود الفرع بالأصل فعلم المكشفة وعلوم المعاملة متلازمة
كأنهما الفرع والأصل فلا يستغنى أحدهما عن الآخر وان كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر
في رتبة التابع وعلوم المعاملة إذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خيراً من وجودها فان هي لم تعمل
عالمها الذي تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها ولذلك يزداد عذاب العالم الفاجر على عذاب
الجاهل الفاجر كما وردنا من الاخبار في كتاب العلم

بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والاحوال فلا يترك عنه أحد البتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا ان قال تعالى وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون
فهم الخطاب ونور البصيرة أيضاً يرشده إلى معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعدين الله القرب
إلى الشيطان ولا يتصور ذلك إلا من عاقل ولا يكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة
والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى اغواء الإنسان إذ كمال العقل
انما يكون عنده مقارنة الأربعين وأصله انما يمتع عندهم اهتة البلوغ ويأديه يظهر بعد سبع سنين
والشهوة جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بانصروا

اذ لا يثبت أحد ههما الآخر لانهما ضدان فالنطاردينهما كالنطاردين الليل والنهار والنور
والظلمة ومهما غلب أحد ههما أزعج الآخر بالضرورة وإذا كانت الشهوات تكمل في الصبا والشباب
قبل كمال العقل قد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع القلب به انس وألف بالجماعة
مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ومصر عليه التزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو
حزب الله وجنده ومنقذاً وليانه من أيدي أعدائه شيئاً فشيئاً على التدرج فان لم يقو ولم يكمل
سلط على ملكة القلب للشيطان وأخبر العين موعوده حيث قال لا تحتسكن ذرئته الا قليلاً وان كمل
العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بعكس الشهوات ومفارقة العادات ورذ الطبع
على سبيل القهر الى الصادات ولا معنى للتوبة الا اذا هو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيه
الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوه سابقة على عقله وغريزة التي هي
عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع مما سبق اليه لمساعدة
الشهوات ضروري فاني حق كل انسان نبياً كان أو غيباً فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم
عليه السلام وقد قيل

فلا تحسبن هذا لها القدر وحدها * سعية نفس كل غانية هند

بل هو حكم أني مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تنبذل السنة الالهية التي
لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ كافراً جاحداً فعليه التوبة من جهله وكفره فاذا بلغ مسلماً على الأوبة
غافلاً عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة من عقلته بتفهيم معنى الاسلام فانه لا يفي عنه اسلام أبويه
شيئاً ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والله الاسترسال وراء الشهوات من
غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق والتفكك والاسترسال وهو من أشق
أبواب التوبة وفيه هلك الاكثرون إذ يغفروا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل أن التوبة فرض عين
في حق كل شخص لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كما يستغنى آدم بقلعة الولد لا تسع لم
يتسع له خلقه والوالد أصلاً وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر لا يتخلص من
معصية يجوارحه اذ لم يخل عنه الاتباء كما ورد في القرآن والاخبار من خطايا الاتباء موتهم وبكائهم
على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يتخلص من المهة بالذنوب بالقلب فان
خلا في بعض الاحوال عن المهة فلا يتخلص وسواس الشيطان ياراد الخواطر المتفرقة المذهلة من
ذكر الله فان خلا عنه فلا يتخلص وعقبة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص وله
أسباب وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع
ولا يتصور الخلوف في حق آدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه
ولهذا قال عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة الحديث
ولذلك اكرمه الله تعالى بأن قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وإذا كان هذا حاله فكيف
حال غيره فان قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من المسموم والخواطر تقص وأن الكمال في الخلط
عنه وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما زادت المعرفة زاد الكمال وأن الانتقال
الى الكمال من أسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فراض وقد أطلقت
القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست بواجبة اذ ادراك الكمال غير واجب
في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم أنه قد سبق أن الانسان لا يتخلص من مبداء
خلقته من اتباع الشهوات أصلاً وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى

وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع عن نفس الانسان ظلمة الى وجه المرأة الصالحة فان تراكت ظلمة الشهوات صار ريناً كما يصير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه خبثاً كما قال تعالى كالأبل ران على فلوبهم ما كانوا يكتسبون فاذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرأة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالطبع من الخبث ولا يمكن في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الاريان التي انطبعت في القلب كما لا يمكن في ظهور الصور في المرأة قطع الانفاس والخارات المسدودة لوجهها في المستقبل ما لم يستعمل بمحو ما انطبعت فيها من الاريان وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتتجمعي ظلمة المعصية بتور الطاعة واليه الاشارة بقوله عليه السلام أتبع السيئة الحسنة تمحى فاذا لا يستغنى العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل أولاً وصفاؤه وجلالؤه ثم أظلم بأسباب عارضة فأما التصقل الأول فبقية بطول الصقل اذ ليس شغل الصقل في إزالة الصدأ عن المرأة كشغله في عمل أصل المرأة فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلاً وكل ذلك يرجع الى التوبة فأما قولك ان هذا لا يسمى واجباً بل هو فضل وطلب كمال فاعلم أن الواجب له مضيان أحد هما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة المخلوق وهو التقدير الذي لو اشتغل به كافة المخلوق لم يجزب العالم فلو كلف الناس كما هم أن يقولوا الله حق فقامه تركوا المعاش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤذى ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعاش لم يفرغ أحد للتقوى بل شغل الحياة وكالحرائث والخيز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أي لمن يريد ما فانه لا يتوصل اليها الا بما فاما من رضى بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والادنى واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد أن يكون انساناً كاملاً ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلى في الدنيا فأما من قنع بأصل الحياة ورضي أن يكون كظم على وضوء وكسرة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى أصل النجاة وأصل النجاة كإصل الحياة وما وراء أصل النجاة من السعادات التي هانتها الحياة تجري الحياة بجمري الأعضاء والآلات التي هانتها الحياة فبقية سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثال فالمثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولا جله كان رفضهم للملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام الى أن توسد جراحاً من مآثمه بقيه اليه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا الآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسد لهذا المجرتم في الدنيا فلم لا تضع رأسك على الارض فرمى عيسى عليه السلام بالجر ووضع رأسه على الارض وكان رمية الحجر توبة عن ذلك التتم افعرى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الارض لا يسمى واجباً في فتاوى العامة افعرى أن نبينا محمد أصلي الله عليه وسلم لما شغلها التوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى زعمه وشغله شرارك نعله الذي جرده حتى أعاد الشرارك المخلوق لم يعلم أن ذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكافة عبادته فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لأنه رأى مؤثر في قلبه أن تراعيه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به افعرى

أن الصديق رضى الله عنه بعد أن شرب اللبن وعلم انه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه لفرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه إخراجهم فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب امكانه بتخية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله بمكر الله ومكرهم من الغرور بالله وإياك مرة واحدة أن تغترك الحياة الدنيا وإياك ثم إياك ألف مرة أن يغترك بالله الغرور بهذه أسرار من استنشق مبادئ روايتها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفسه ولو عمر عمر فوج وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق أبو سليمان المذارني حيث قال لو لم يسلك العاقل فيما بيني من عمره الا على تقوى ما مضى منه في غير الطاعة لكان خلقا أن يحجزه ذلك الى المات فكيف من يستقبل ما بيني من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهره نفسه وضاعت منه بغير فائدة بكي عليها لانه انما وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاءه منها أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهره نفسه لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لأن توصلك الى سعادة الأبد وتتقذك من شقاوة الأبد وأي جوهر أنفس من هذا فاذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبنيا وان صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تسكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا اتهموا بغفلة ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقدر رفع الناس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت عليه السلام اذا ظهر للعبد أعلمه انه قد بقي من عمره ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين فبيدولعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا مجدافيه خارج معاه الى أن يضم الى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعقب فيها ويتدارك تغربه فلا يجد اليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأعبدك واكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها فيقول الا أجل القرب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء للعبد بملك الموت أخرني يوما أعذرفيه الى ربي واتوب واترودصالحا لنفسى فيقول فذبت الايام فلا يوم فيقول فأخرني ساعة فيقول فذبت الساعات فلا ساعة فيقول عليه باب التوبة فيتفرغ ربه وتتردد أنفاسه في شرايقه وتجزع غصنة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على قضيع العمر فيضطرب أصل ايمانه في صدمات تلك الاحوال فاذا ذاهقت نفسه فان كان سمقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعباد بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولئلا هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن وقوله انما التوبة على الله الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه من قرب عهد بالخطيئة بأن يتقدم عليها ويحجوا أثرها بحسنة يردفها تأسل أن يترك الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحوها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسوف كان بين خطرين عظيمين

أحدهما أن تراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير بنا وطبعاً فلا يقبل الخو الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالخو ولذلك ورد في الخبر أن اكفر نصباح أهل النار من النسوف فاهلك من هلك الأبالسة فيكون تسويده القلب قد أوجلاؤاً بالطاعة نسبته إلى أن يحتفظه الموت فبأن الله قلب غير سليم ولا ينبغي إلا من أتى الله بقلب سليم فالقلب أمانة الله تعالى عنده بعدو العرا أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يستدارك خيانتته فأمره مخطر قال بعض العارفين إن الله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام أحدهما إذا أخرج من بطن أمه بقوله له عدى قد أخرجتك إلى الدنيا طاهر انظيها واستودعتك محرمة وانتمت عليه فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عدى ماذا صنعت في أماني عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالتاك على الوفاء أو أضيعتها فالتاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى أو فوا بعهدي أو فبعهكم وبقوله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

﴿بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة﴾

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظر في نور البصائر المستقون من أنوار القرآن علواً أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومنعم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى وعلواً أن القلب خلق سليماً في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وأما فطرته السلامة بكدورة ترق وجهه من غيرة الذنوب وطلبها وعلواً أن نار الندم تحرق تلك الغيرة وأن نوراً الحسنه يجمع وجه القلب ظلمة السيئة وأنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة للسكدة الوسخ مع بياض الصابون وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقه بالنار ينظفه ويظهره بزيه وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فاعمل عليك التزكية والنظهير وأما القبول فيقول فيقول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلا حاق قوله قد أفعل مع زكاهوا ولم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثراً متضاداً يستعار لاجدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ الثور كما يستعار للعلم وأن بين النور والظلمة تضاداً ضرورياً لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين الاقشورة ولم يعلق به إلا اسماءه وقلبه في عطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل واعني به قلبه إذ قلبه يعرف غيره قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ الطول تراكمه في تجاويف الثوب وخله فلا يقوى الصابون على قلعه فقال ذلك أن تراكم الذنوب حتى يصير طعاً وريناعلى القلب فثل هذا القلب لا يرجع ولا ثوب نعم قد يقول بالسان تب فيكون ذلك قول القصار بلسانه قد غسل الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلاً ما لم يضر صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع أصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا العرضيين عن الله بالكلمة فهذا

البان كاف عند ذوى البصائر في قبول التوبة ولكنا نعصد جناحه بحمل الآيات والاخبار والآثار
فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويهفون عن السيئات وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات وقال
صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة أحدكم الخديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول
وزيادة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يسطر يده بالتوبة لئلا يمسى الليل الى النهار ولمسنى
المنهار الى الليل حتى قطع الشمس من مغربها وبسط السدكيلة عن طلب التوبة والطالب وراء
القبال قرب قابل ليس يطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لوعلمت الخطايا
حتى تبلغ السماء ثم قدمت لتاب الله عليكم وقال أيضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل
كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عنه تابا منه فاراحتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه
وسلم كرامة الذنب التدامة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له وروى ان
حبيشا قال يا رسول الله انى كنت أعمل القواحيش فهل لى من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال
يا رسول الله ان كان يرانى وأنا أعلمها قال نعم فصاح الحبشى صمعة خرجت فيها روحه وروى ان الله
عز وجل لما لعن ابليس سبأ له النظرة فأناظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن
آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى وعزنى وجلالى لا حبيت عنه التوبة مادام فيه الروح وقال
صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا المتخصى
(وأما الآثار) فقد قال سعد بن المسبب انزل قوله تعالى انه كان للأقواب غفورا في الرجل يذنب ثم
يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى يشر المذنبين بأنهم ان تابوا قبلتهم منهم وحذر
الصديقين انى ان وضعت عليهم عدلى عذبهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله أعظم من أن يقوم
بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من ذكرك خطيئة
أثم تاب فوجل منها قلبه عصبت عنه في أم الكتاب وروى أن نبيا من أنبياء بني اسرائيل أذنب فأوحى
الله تعالى اليه وعزنى لمن عدت لأعذبك فقال يا رب أنت أنت وأنا أنا وعزتك ان لم تعصمى
لأعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة
فيقول ابليس ليتنى لم أوقع في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر
بالذنب فيقول أما انى قد كنت مشققا منه قال فيغفر له وروى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب
ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تدرقان فقال له ان الجنة
ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلن الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به ليقطع فاعلم ولا تبأس وقال
عبد الرحمن بن أبي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينهوا عن كفرهم
ما قد سلف فقال انى لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالا ولقد بلغنى أن توبة المسلم كاسلام
بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا أحد نكح الا عن نبي مرسل أو كتاب منزل ان العبد اذا فعل ذنبا
ثم ندم عليه طرفه عن سقط عنه أسرع من طرفه عين وقال عمر رضى الله عنه اجلسوا الى التوابين
فانهم أرق أثمة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لى قبل ومتى قال اذ تاب على وقال آخر أنا من أن
أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المعصية أى المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا بحالة وروى انه كان
فى بنى اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم تفرق المرأة فرأى الشيب
فى لحته فساء ذلك فقال الهى أطلعك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك
انقبلى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأحببتنا وكرهتنا فكرهتنا وعصيتنا فأمننا

وان رجعت التائبين اليك وقال نزلت من المصيرى رحمه الله ان الله عباد انصبوا انما ارجع الخطايا انصب
روايت القلوب وسقوها بما التوبة فاجرت ندموا وخرنا بغيرنا من غير جنون وتلذذوا من غير عى
ولا يك وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفين بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فوثرنا الصبر على طول
البلاء ثم قوت قلوبهم في الملكوت وحالت أذكارتهم بين سرايا حب الجبروت واستطلوا تحت رواق
الندم وقرروا بحقيقة الخطايا فآوثرنا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علق الزهد بلم الورع فاستعذبوا
مرارة الترتك للدنيا واستلوا خشونة المنهج حتى ظفروا بحبل النجاة وعرروا السلافة وسرحت
أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم ونخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا
جسور الهوى حتى زلوا بغناء العلم واستقوا من غير الحكمة وركبوا سفينة القنطرة وأقلعوا ربح النجاة
في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن
كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة فان قلت أقول ما قاله المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله
فأقول لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الاما يريد القائل بقوله ان الثوب
اذا غسل بالعابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش وانه اذا منع
الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريد المعتزلة
بالايجاب على الله تعالى بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للفسية والحسنة ماحية للسيئة كما
خلق الماء مزيل للعطش والقدرة منسفة بخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى
ولكن ما سبقت به ارادته الا زلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فامن تأتيا الا وهو شاك في قبول
توبته والشارب للماء لا شك في زوال عطشه فلم يشك فيه فأقول شك في قبول كسكته في وجود
شرايط الصحة فان التوبة أركانها وشروطها دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذى
يشك في دواء شربه للأسهال في أنه هل سهل وذلك لشك في حصول شروط الاسهال في الدواء
باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبعه وجود عقاقير وادوية فهذا أو أمثاله موجب
لشك بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها ان شاء الله تعالى

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائر هاو كثر هاو

اعلم أن التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذ كانت التوبة واجبة كان
ما لا يتوصل اليها الا به واجبا ففرقة الذنوب اذا واجبة والذنوب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله
تعالى في ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من أولها الى آخرها وليس ذلك من
غرضنا ولكن انشيرا الى مجامعها وروابط أقسامها والله الموفق للصواب برحمته

بيان أقسام الذنوب بالإضافة الى صفات العبد

اعلم أن الانسان أو صفا أو خلافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن
تصغر مشارات الذنوب في أربع صفات ربوية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات
سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من أخلاط مختلفة فاقضى لكل واحد من الاخلاط في
المجون منه أنما من الآثار كما يقتضى السكر والخل والزعفران في السكبين آثارا مختلفة فاما
ما يقتضى النزوع الى الصفات الربوية قتل السكر والفخر والجبرية حب المدح والثناء والعز والغنى
وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا
يتشعب منه جملة من كثر الذنوب عقل عنها الخلق ولم يقدروا هذونا وهي المهلكات العظيمة التي هي
كلا مهات لا كثر العاصي كما استقصينا في ربيع المهلكات الثانية هي الصفات الشيطانية التي

منها تشعب الحسد والبغى والخيلة والخذاع والامر بالفساد والنكر وفيه يدخل الفس و النفاق
 والدعوة الى البدع والفساد الثالثة الصفة الهيمية ومنها تشعب الشر والكذب والحرص على
 قضاء شهوة البطن والفرج ومنه تشعب الزنا والواطو السرقة وكل مال الا يتم وجع الحطام
 لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها تشعب الغضب والحقد والتهميم على الناس بالضرب
 والسم والقتل واستهلاك الاموال وينتفع عنها حمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في القطرة
 فالصفة الهيمية هي التي قلب اولاً ثم تلاها الصفة السبعية ثانياً ثم اذا اجتمعا استعلا العقل في
 الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة قلب الصفات الربوبية وهي الغرور والعز
 والعلق وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه اتمها الذنوب ومنها ثم تنفجر
 الذنوب من هذه المنابع على الجوارح بعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار
 السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على
 البدن والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح (قسيمة ثانية)
 اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين الصدو وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحق العباد فيلتحق بالبعد
 خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحق العباد كترك الكا وقسلة
 النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس أو طرف أو مال
 أو عرض أو دين أو جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتبيح
 اسباب الجراة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجا على جانب الخوف وما يتعلق
 بالعباد فالأمر فيه أعظم وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم يكن شركا فالعقوبة أرحم وأقرب وقد جاء
 في الخبر المداوين ثلاثة ديوان يغفرو ديوان لا يغفرو ديوان لا يترك فالديوان الذي يغفرو ذنوب العباد
 بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر للشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك فظالم
 العباد أى لا بدوان بطلب باحى حتى يفي عنها (قسيمة ثالثة) اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغار وكبار
 وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لاصغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا
 ضعيف اذ قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال
 تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اثم و قال صلى الله عليه وسلم الصلوات الحس والجمعة
 الى الجمعة تكفرون ما بينهن ان اجتنب الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكبائر وقد قال
 صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشر بالله وعقوق الوالدين وقتل
 النفس واليدين الغموس واختلاف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى
 احدى عشرة فافق ذلك فقال ابن مسعود بن أربع وقال ابن عمر بن سبع وقال عبد الله بن عمرو بن
 تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هن الى سبعين أقرب منها الى سبع وقال
 مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض
 السلف كل ما أوجب عليه الخلد في الدنيا فهو كبيرة وقبل انها مهمة لا يعرف عددها ككلة القدر
 وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من أول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها
 عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى هنا فهو كبيرة وقال
 أبو طالب السكي الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن
 مسعود وابن عمرو وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته
 والأمن من مكره وأربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحسن واليدين الغموس وهي التي يحق

بها باطلا أو يظن بها حقاً وقيل هي التي يقطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سوا كما من أراك
وسميت غموساً لأنها تنفس صاحبها في النار والسرور وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن
موضوعات الخلقة وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شرب وأكل مال اليتيم ظلماً
وأكل الربا وهو يعلم واثنان في الفرج وهما الزنا والموط واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة
وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين وواحدة في
جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وحيلة عقوقهما أن يسمعا عليه في حق فلا يبرئ قسمهما وإن
سألاه حاجة فلا يعطيهما وإن يسأله فيضرهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب
ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل أكل الربا ومال
اليتيم من الكبائر وهي جنابة على الأموال ولم يذكر في كثير النفوس الا القتل فأما في العين وقطع
اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه
وقطع أطرافه أشك في أنه أكبر من أكل ماله فكيف وفي الخبر من الكبائر السببان بالسبسة ومن
الكبائر استنابة الرجل في عرض أخيه المسلم وهذا إذا نذر على قذف المحصن وقال أبو سعيد الخدري
وعمره من الصحابة أنكم تعلمون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشرع كانت عليها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عذبة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف
الغطاء من هذا أن نظراً لناظر في السرقة هي كبيرة أم لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها
كقول القائل السرقة حرام أم لا لا مطع في تعريفه لا بعد تقرير معنى الحرام أو لا ثم البحث عن
وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك
لان الكبيرة والصغير من المضافات وما من ذنب الا هو كبير بالاضافة الى مادونه وصغير بالاضافة
الى ما فوقه فالضام جمع الأجنبية كبيرة بالاضافة الى النظرة صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد
المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان أن يطلق على ما يوجب النار
على فعله خاصة اسم الكبيرة وتعني بوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على
ما أوجب الحد عليه مصير الى أن ما جعل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيمة وله أن يطلق على ما ورد
في نص الكتاب النبي عنه فيقول تخصيصه بالذكري القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيمًا وكبيرة
لا بحالة بالاضافة آدمصوصات القراء أيضاً تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها
وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا بعد تفر بلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم
من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى ان تحببوا بكبر ما تهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهما الا الكبائر فان هذا اثبات حكم الكبائر
والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع الى ما يعلم استغفامه اياها والى ما يعلم انها معدودة
في الصغار والى ما يشك فيه فلا يدري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصراً وعدد جامع مانع طلب لما
لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماح من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول اني أردت بالكبائر
عشرًا أو خمسا أو بضعا فان لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من
الكبائر ثم ورد أن السبب بالسبسة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه
لم يقصده العدد بما يحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يعدد الشرع وور بما قصد الشرع ايهامه ليكون
العائد منه على وجه كما هم الجهة القدر لعظم جده الناس في طلبها نعم لتأسيس كل شيء يمكن أن تعرف
به أجناس الكبائر وأنواعها بالتعقبي وأما ما عابها فنعرها بالنظر والتقريب ونعرف أيضاً أكبر

الكثير فاما أصغر الصغار فلا سبيل الى معرفته وبأنه أنا نعلم بشواهد الشريعة وأتوار البصائر جميعا
أن مقصود الشرائع كلها سبابة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادته لقائه وأنه لا وصول لهم الى ذلك
الاعرف الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسوله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون أي ليكونوا عبيداً ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بار بوسية ونفسه
بالعبودية ولا يبدآن يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى بعبثه الانبياء ولكن لا يتم هذا
الاقي الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا ضرة الاخرة فصار حفظ الدنيا أيضاً
مقصوداً تابعاً للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيان النفوس والاموال فكل
ما يستدباب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبار وبالله ما يستدباب حياة النفوس وبالله ما يستدباب
المعاش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فقط المعرفة على القلوب والحياة على الابدان
والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف
فيها الملل فلا يجوز أن الله تعالى يبعث نبياً يرسله اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما
يمنعهم من معرفته ومعرفة رسوله أو يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا
أن الكبار على ثلاث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وهو الكفر فلا
كبيرة فوق الكفر اذا انحجب بين الله وبين العبد هو الجهل والوسيلة المقربة اليه هو العلم والمعرفة
وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلوا الجهل الذي يسمى قفراً الأمن من مكر الله والفتن من
رحمته فان هذا اضعاف الجمل فن عرف الله لم يتصور أن يكون آمناً ولا أن يكون آسئوا يتلو هذه
الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته واقواله وبعضها أشد من بعض وتفاوتها على حسب
تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقات انبات الله سبحانه واقواله وشرائعه وأوامره ونواهيه
ومراتب ذلك لا تنص وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخل تحت ذكر الكبار المذكور في القرآن وإلى
ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع الرتبة
الثانية النفوس انفسها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لاحتالة من الكبار
وان كان دون السكوت لان ذلك يهدم عين المقصود وهذا يهدم وسيلة المقصود اذ حاجة الدنيا لا تزداد
الا للآخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يقضي الى
الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو اجتمع
الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قرب من قطع الوجود
وأما الزنا فانه لا يفتق أصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من
الامور التي لا ينظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينظم أمور الهائم عالم تجر
الفعل منها بابان يختص بهما عن سائر القبول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع
قصده اصلاح وبنفي أن يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس بقوت دوام الوجود ولا يمنع
أصله ولكنه بقوت تميز الانساب ويحرك من الأسباب ما يكاد يقضي الى القتال وبنفي أن يكون
أشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويغضب أثر الضرر بكثرته في الرتبة
الثالثة الاموال فانها معاش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاؤوا حتى بالاستيلاء
والسرقة وغيرهما بل ينبغي أن تحفظ لتبقى بقائها النفوس الا أن الاموال اذا أخذت أمكن
استردادها وان أكلت أمكن نفعها فليس يغضب الاصرها ثم اذا جرى تناولها بطريق بصير التدارك
له فينبغي أن يكون ذلك من الكبار وذلك باربع طرق أحدها الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطاع

عليه غالباً كيف يتدارك الثاني أكل مال اليتيم وهذا أيضاً من الخفية واعني به في حق الولي والقيم
فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظم الاسر فيه واجب بخلاف
الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيه ينصف لنفسه الثالث
تقويتها بشهادة الزور الرابع أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طريق لا يمكن فيها
التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلاً وبعضها أشد من بعض وكلها دون الزينة
الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جذرية بأن تكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع
الحديث بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها وأما أكل الربا فليس فيه
الاكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله
واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا
اكل رضى المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم الشرع الربا بان جرعته قد عظم أيضاً العظم
بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصر الى أن اكل دائق بالخيانة والغصب من الكبائر فيه نظر وذلك
واقف في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن تنخص الكبيرة
بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضرورياً في الدين فيبقى معاذ كره أو طالب المكس القذف
والشرب والسمر والقرار من الزحف وعقوق الوالدين أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن
يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضاً لان العقل يحفظ كما أن
النفس محفوفة بل لا خسر في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في
قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب ما فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء
نجس والقطرة وحدها في محل الشك واليجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فبعد ذلك من
الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فان ثبت إجماع في أنه كبيرة
وجب الاتباع والاقتواء فيه بحال وأما القذف فليس فيه الاتناول الأعراض والأعراض دون
الاموال في الزينة ولتناولها امرأتها وأعظمها تناول القذف بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم
الشرع أمره وأطن ظنا غالباً أن العقوبة كانتوا يعتدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو هذا الاعتبار
لا تكفره الصلوات المحس وهو الذي زيده بالكبيرة الآن ولكن من حيث أنه يجوز أن تختلف فيه
الشرائع فالقياس بجرحه لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد
اذا رأى انساناً زنى فله أن يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم تقبل شهادته هذه ليس
ضرورياً باقي مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواضحة في رتبة الحاجات فاذا هذا
أيضاً يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أن له أن يشهد وحده أو ظن أنه
يساعده على الشهادة فغيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر وأما السمر فان كان فيه كفر
فكبيرة والا فغفلة بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره وأما القرار من
الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضاً ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع
بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضرهم والظلم لهم فغصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم
وبلادهم وإجلاهم من أوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر
ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضاً غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسمية كبيرة فليحسب بالكبائر
فاذا رجع خاصل الامر إلى أن انعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك ما
انقسم الى ما علم انه لا تكفره قطعاً والى ما ينبغي أن تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه

مغنون للثني والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب أو سنة أو اذ لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم أن كل ما يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق اليه الا بهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكيفية على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كثيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا أمر يتعلق بالآخرة والاهام ألق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يجترئون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر تكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان يجتنبوا كبر ما تهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبا مع القدرة والارادة كمن يتمكن من أمرأة ومن موافقتها فكيف نفسه عن الوقوع فيقتصر على نظراً وليس فان مجاهدة نفسه بالكف من الوقوع اشتدتا ثم يراق تور قلبه من اقدامه على النظر في اطلامه فهذا معنى تكفره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للجزأ وكان قادراً ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا الا يصح للتكفير اصل وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيع له لم يشربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والوانار نعم من يشتهي الخمر وسماع الانوار فيمك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فيجأه عنه النفس بالكفر رجاء نحو من قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه أحكام أخرى ويجوز أن يبي بعضها في محل الشك وتكون من المنشآت فلا يعرف فصلها الا بالنص ولم يرد النص بعينه ولا حتماً بل ورد باللفاظ مختلفات فقد روي ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشرك بالله وترك السنة ونكث الصفة قبل ما ترك السنة قيل الخروج عن الجماعة ونكث الصفة أن يبيع رجلاً ثم يخرجه عليه بالسيف يقاظه فهذا أو أمثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حتماً فينبغي للحالة منها فان قلت الشهادة لا تقبل الا من يجنب الكاثر والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا فاعلم أنا لا نخصص رد الشهادة بالكاثر فلا خلاف في أن من سمع الملاهي ولبس الديباج ويقيم بجنات الذهب ويشرب في أوافي الذهب والقضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحدنا في هذه الامور من الكاثر وقال الشافعي رضي الله عنه اذا شرب الخمر الحنفي التبيذ حد منه ولم أر دشهانه فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم ير دبه الشهادة فدل على أن الشهادة نفاً واثباتاً لا تدور على الصغائر والكاثر بل ككل الذنوب تندح في العدالة الا ما لا يتخلو الانسان عنه غالباً بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل الشبهات وسب الولد والاعلام وضررهما بحكم الغضب زائد على حد المصلحة واکرام السلاطين الظلمة ومصادرة الفجار والاكسال عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور أن ينك الشاهد عن قلبها او كثيرها الا بأن يعتزل الناس ويخبر دلاً موراً آخره ويجأه نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولم يقبل الا قول مثله لغرض وجوده وطلبت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالترد وبجالسة أهل الشرب في وقت الشرب والخلو بالاحنيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالي مثل هذا النهاج فينبغي أن يتطرق في قبول الشهادة وردها الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة

بها لو اطلب عليها الاثر في رد الشهادة كن اتخذ الغيبة وتلب الناس عادة وكذلك بحالة القبحار ومصادقهم والصغيرة تكبر بالمواطبة كما أن المباح يصغر بصغيرة بالمواطبة كاللاعب بالشطرنج والترغيب بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم أن الدين من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت وأعني بالدين حالته قبل الموت وبالأخرة حالته بعد الموت فدينك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب المادي منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما يسكون في البقعة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الأمثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما يسكون في بقعة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كثرة الامثال وأعني بكثرة الامثال ما تعرفه من علم التعبير وبكيفية منه ان كنت فطنا ثلاثة أمثلة قد جاء رجل الى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنني أصيب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها أمك سببت في صغرك لان الزيتون أصل الزيت فهو يرذالى الأصل فنظر فاذا جاريته كانت أمه وقد سببت في صغره وقال له آخر رأيت كأنني أفلد الدر في أعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله الى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما تعني بالمثل أداء المعنى في صورة ان تطراى معناه وجده صادقا وان تطراى صورته وجده كاذبا فالمؤذن ان تطراى صورة الخاتم والخنم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان تطراى معناه وجده صادقا اذ صعد منه روح الختم ومعناه وهو الخنم الذي يراى انختم له وليس للاشياء أن يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كفوا أن يتكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والنائم لا يتكشف له عن شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن وهو من المثل الذي لا يعقله الا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهرا المثل لجهله بالترسيخ الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فثبتت لله تعالى يدا وأصبعها تعالى التي تسمع قوله علوا كبيرا وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فثبتت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرأ الى غير ذلك من الصفات والقول فيه بطول وكذلك قد روي في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها المحدث مجود نظره على ظاهر المثل وتتأقسه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أبيض فيذبح فيثور المحدث الاحمق ويكذب ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الاحمال ولكن الله تعالى عزله هؤلاء الحق في معرفة أسرارهم فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين أن من قال رأيت في منامي أنه جى بكبش وقبل هذا هو الباء الذي في البلد ونحوه فقال العبر صدقت والامر

كأرباب وهذا يدل على أن هذا الوفاء ينقطع ولا يعود قط لأن المذبح وقع اليأس منه فاذن المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك إلى أن الملك الموكل بالرب وأمره الذي يطلع الأرواح عند التورع على ما في اللوح المحفوظ عرّفه بما في اللوح المحفوظ بمثل ضرب به له لأن النائم انما يحتمل الشال فكان مثله صادقاً وكان معناه صحيحاً فالرسول أيضاً انما يكون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفاً بعباده وتيسيراً لأدراك ما بهزون عن أدراكه دون ضرب المثل فقولته يؤتى بالموت في صورة كبش المثل مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت وقد جعلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعصرى الله عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن عن سرعة القلب وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الآن إلى الفرض فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثل فلتفهّم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الآخرة ينقسمون أصنافاً وتفاوت درجاتهم ودركاتهم في السعادة والشقاوة فتفاوتها لا يدخل تحت الحصر كما فتفاوت في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى أصلاً ألبنة فإن مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن إرادته لا زلية مطردة لا تبديل لها إلا أنا انما نجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة اقسام هالكيين ومعذبين وناجين وفائزين ومثالي في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويحلى بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يقتل الا باحداً الاستحقاق الملك معانداً له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخفى الا معترفاً له بربته الملك لكنهم لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليجعل عليه ولا يتخلع الا على من أبى عهده في الخدمة والنصرة ثم ينبغي أن تكون خلق الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكيين انما تحقيقاً بجزاوة وتنكيلاً بالثألة بحسب درجاتهم في المعادة وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تتحصى ولا تنصرف كذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون في هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحمل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يحملون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلاً وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلذلك كيفية توزعها عليها (الرتبة الاولى) وهي رتبة الهالكيين ونعني بالهالكيين الآيسين من رحمة الله تعالى اذ الذي قتله الملك في المثل الذي ضربناه آيس من رضا الملك وكرامته فلا تغفل عن معاني المثل وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين المجترئين للدنيا السكّدين بالله ورسوله وكتبه فان السعادة الآخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يعبر عنها بالإيمان والتصدق والجاهدون هم المنكرون والمنكرون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبداً لا يادوهم الذين يكذبون رب العالمين ومثاليته

المرسلين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محبوب عن محبوه به فمحول بينه وبين ما يشتهي
لا محالة فهو لا محالة يكون محترقا مع نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من
نار جهنم ولا حراؤها من الحور العين وانما مطلب اللقاء ومهر بنان من الحجاب فقط وقالوا من بعد الله
بعوض فهو لئيم كان بعده لطلب جنته أو تخوف ناره بل العارف بعده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط
فاما الحور العين والفراكة فقد لا يشتهها واما النار فقد لا يتقها اذا النار الفراق اذا استوتلت
ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الانفوسة ونار جهنم
لا شغل لها الا مع الاجسام واما الاجسام يستحرق على الفؤاد ولذلك قيل
وفي فؤاد المحب نار جوى * احترق نار المحب ابردها

ولانني ان تذكر هذا في عالم الآخرة اذ له تطير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤى من غلب عليه الوجد فغدا
على النار وعلى اصول القصب الجارية للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه ورى النضبان
يستولى عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار واخترق الفؤاد اشتد من احترق الاجساد
والاشتد يطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الامن حيث أنه يفرق
بين جزين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين
محبوبه الذي يرتبط به برابطة تأليف اشتد احكاما من تأليف الاجسام فهو اشتد ابلا ما ان كنت من
أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ويستحرقه بالاضافة
الى ألم الجسم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان عن الصلوات وبين ألم الحرمان عن رتبة
السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك لما وقال العذوق المبدان مع
الصلوات أحب الي من ألف سرير السلطان مع الجلوس عليه بل من تغلب شهوة البطن لو خير بين
المهيسة والخلوة وبين فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصداقاء لأثر المهيسة والخلوة وهذا
كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك
لن استرقته صفات الهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا يناسها ولا يلدّها الا القرب
من رب العالمين ولا يؤلفها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الأذان
فلا تكون هذه الصفة الا في القلب فن لا قلب له ليس له هذا الحس كن لا سمع له ولا بصير ليس له لذة
الاحسان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك
لذكري لمن كان له قلب فخل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست أعني بالقلب هذا الذي
تكتنفه عظام الصدر بل أعني به السر الذي هو من عالم الامر وهو المعنى الذي هو من عالم الخلق عرشه
والصدر ركسبه وسائر الأعضاء عائله وعملكنه والله الخلق والأمر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال
الله تعالى فيه قل الروح من أمر ربي هو الامير والملك لان بين عالم الامر وعالم الخلق تربية وعالم الامر
أمر يعرج عالم الخلق وهو اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن
عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادئ روائع المعنى المطوى تحت قوله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ونظر بعين الرحمة الى الحاميين له على ظاهر لفظه والى
المتعسفين في طريق تأويله وان كانت رحمته للعاملين على القنط أكثر من رحمته للمتعسفين
في التأويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة اخرمان من
حقبة الامر فالحقيقة فصل الله نؤيته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكيمه يختص بهامان

يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد أرينا الطول وطولنا النفس في أمر هو أعلى من علوم المعاملات التي نقصد هاهنا هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلال ليس الالهلال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم يورده **«الرتبة الثانية»** رتبة العذابين وهذه رتبة من تحب بأهل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان رأس الايمان هو التوحيد وهو أن لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الله هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهو أن تذر بالكلمة غير الله ومعنى قوله تعالى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكل التوحيد الا بالاستقامة عليه أدق من الشعور وأحدث من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينك بشر عن ميل من الاستقامة ولو في أمر يسير اذ لا يتخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قاذح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لامحالة نقصاناً في درجات القرب ومع كل نقصان ناراً نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذاباً مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب أمرين أحدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يتخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم نفي الذين اتقوا وندرا انما لما فيهما اجتناباً ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا انما نقتنا أنا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وانه ينادي يا اخنا يا ممان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم أن في الاخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في المدة بين العظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين العظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة لانهاية الاعلاء وادناه التعذيب بال مناقشة في الحساب كما أن الملك قد يعذب بعض القصرين في الاعمال بال مناقشة في الحساب ثم يعفون وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بنوع آخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحرم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والاف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها أما شدة العذاب فبشدة فح السيئات وكثرتها وأما كثرة فبكثرته وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا الأمر باب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعنى بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك يعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح اذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لذه أجر اعظمها فاذ هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة

فأما التفصيل فلا يعرف الاظننا ومستندة ظواهر الاخبار ونوع حدس يستعمل من أنوار الاستبصار
 بعين الاعتبار فنقول لكل من أحكم أصل الايمان واجتنب جميع الكيثر وأحسن جميع الفراغ
 أعني الأركان الخمسة ولم يكن منه الاصغائر متفرقة لم يصير علمه في نفسه أن يكون عذابه المناقشة
 في الحساب فقط فإنه اذا حوسب رجت حسناته على سيئاته اذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس
 والجمعة وصوم رمضان كفارات لما ينهين وكذلك اجتناب الكيثر يحكم نص القرآن مكره للصغائر
 وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب أن لم يدفع الحساب وكل من هذا العلة فقد تقلت موازينه
 فينبغي أن يكون بعد ظهور الراجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عبثه راضية نعم النجاة
 بأصحاب البمين أو بالمقرئين وزوله في جنات عدن أو في الفردوس الاعلى فكذلك ينسج أصناف
 الايمان لأن الايمان ايمانان تقليدي كايان العوام يصدقون بما يستمعون ويستترون عليه
 وايمان كشيء يحصل بانسراح الصدور بنور الله حتى يتكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فينبض
 أن الشكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وصفاته وأفعاله فهذا العصف
 هم المقرئون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملائكة وهم أيضا على
 أصناف فهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات
 العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر اذا احاطة بكنهه جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له
 ساحل وحقي وانما يفرض فيه الغواصون بقدر قواهم بقدر ماسبق لهم من الله تعالى في الازل
 فالطريق الى الله تعالى لانهاية لما زله فالسالكون سبيل الله لانهاية لدراجتهم وأما المؤمن ايمانا
 تقليد بافهوم أصحاب البمين ودرجته دون درجة المقرئين وهم أيضا على درجات فالاعلى من
 درجات أصحاب البمين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقرئين هذا حال من اجتنب كل
 الكيثر واذى الفراغ كلها أعني الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة
 والزكاة والصوم والحج فأما من ارتكب كبيرة أو كثر أو أهمل بعض أركان الاسلام فان تاب
 توبة نصوحا قبل الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والذوب
 المغسول كالذي لم يتوضأ أصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخاطر عند الموت اذ ربما يكون
 موته على الاصر ارسيا لترزله ايمانه فيضن له بسوء الخاتمة لاسيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد
 وان كان جزما فهو قابل للاختلال بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء
 الخاتمة وكلاهما ان ما على الايمان عذابان الا أن يغفر الله عذابه اريد على عذاب المناقشة
 في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة
 بحسب فيج الكيثر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أحناف السيئات وعند انقضاء
 مدة العذاب ينزل البله المقلدون في درجات أصحاب البمين والعارفون المستبصرون في أعلى عليين
 ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف فلاقطع أن المراد به
 تقديره بالساحة لا طراف الاجسام كان يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين فان هذا جعل
 بطريق ضرب الامثال بل هنا كقول القائل اخذته جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل
 يساوي عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا تكون
 مائة دينار ولو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخرى عشرة عشره بل هو موازنة معاني
 الاجسام وأرواحها دون أشخاصها واهيا كلها فان الجمل لا يقصد ثقله وطوله وعرضه ومساحته
 بل لما فيه من روحه المالمقوج جسمه والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة

الجسمانية وهذا صادق عندهم يعرف روح المالة من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهره وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيت عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهريون فان روح الجوهرية لا تدرك بحجـد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرية الا جوهره مثقال وزون الجبل ألف مثقال فقد كذب في قوله اني أعطيت عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان يفطن به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن فهم المقادير القاصـر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول صلى الله عليه وسلم الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يجزى البالغ عن فهم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهم البدوي وكأن الجوهرى مرحوم اذا جلى بالبدوي والقروي في تفهم تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذا جلى بالبلد الا باله في تفهم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالمين الجهال وعنى قوم افتقروا عن رفوف ذل والانبيا مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الا زلى وهو المعنى بقوله عليه السلام البلاء موكل بالانبيا ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فلا تظن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فال بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم اذ جلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك لما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله أخى موسى لقد أوزى باكثر من هذا فصبر فاذا انخلوا الانبياء عن الابتلاء بالجاهدين ولا تخلوا الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك فلما انخلت الاولياء عن ضروب من الايذاء وأنواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين كما يجب أن يكون المتعاض عن الجمل الكبير جوهره صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله عليه السلام انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياها أن تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا رجلي لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس وانما أنت مفارق للعمار بسبب الهى تعرض على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنه واشفق منه فاذا راك ما يخرج من عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذى فارقت به الحواس سائر الهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله واهمله وقع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذى أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف الا المذكر بالحواس فقد نسى الله اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله أنساه الله لاجالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم وترك الترقى الى الاقنى الاعلى وخان في الامانة التي أودعها الله تعالى واتم عليه كافر الأ نعمة ومعتز ضاقت منه الا انه اسوأ حالا من الهجمة فان الهجمة تتخلص بالموت وأما هذا فعنده أمانة يسترجع لاجالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصدرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفانى وغربت فيه واستطاع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود الى بارئها وخالقها امام ظلة منكسفة وأما زاهرة مشرقها والزاهرة المشرق فتغير بحجوبة عن حضرة الرؤسبة والمنظلة أيضا راجعة الى الحضرة

اذ الرجوع والمصير للسلك اليه الا انها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين الى جهة أسفل سافلين ولذلك
 قال تعالى ولوليزي اذا المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فيبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون قد
 انقلب وجوههم الى اقبيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن
 حرمة توفيقه ولم يمهده طريقه فنعودنا الله من الضلال والنزول الى منازل الجهال فهنا حكم انقسام
 من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار الا ما وحدولست أعنى
 بالتوحيد أن يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والنسادة فلا ينفع الا في عالم الملك
 في دفع السيف من رقبته وأيدي الغافلين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة حيث لا تبقى رقبة
 ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد وكل التوحيد أن لا يرى الامور كماها
 الا من الله وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجري عليه الا يرى الوسائط وانما يرى
 مسبب الاسباب كإسباني تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد
 مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار من ايمان فهو
 أول من يخرج من النار وفي الخبر يقال أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من ايمان وآخر من
 يخرج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين
 طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كذا كرنا في الموازنة
 بين أعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديون العباد هو
 الديون الذي لا يتركها ما بقية السيئات فيسارع العفو والتكفير اليها في الاثران العبد ليوقف
 بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب
 النظام فيكون قد سبب عرض هذا وأخذ ما ضرب هذا فيقضي من حسناته حتى لا تبقى له
 حسنة فتقول الملائكة يا ربنا هذا قد فنيت حسناته وبقي طابون كثير فيقول الله تعالى ألقوا من
 سيئاتهم على سيئاتهم وصكوا له صكاً الى النار وكما هلك هو سيئته بغيره بطريق القصاص فكذلك
 يغفر المظلم بحسنة النظام اتسقت اليه عوضاً عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء أن بعض اخوانه
 اعتابه ثم أرسل اليه يستخذه فقال لا أفعل ليس في صحبتي حسنة أفضل منها فكيف أجعلها وقال
 هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد أن ازين بها صحبتي فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف
 العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهراً باب بضاهي حكم الطبيب على
 مريض بأنه يموت لامحالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه حين فان
 ذلك ظن يصيب في أكثر الاحوال ولكن قد تنوق الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر
 الطبيب وقد يساق الى الذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله
 تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغرض الاسباب التي رتبها مسبباً لاسباب بقدر معلوم اذ ليس
 في قوة البشر الوقوف على كمها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر
 الاطلاع عليها بغير ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو والرضا وما يفضي الى الهلاك
 بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر الشبهة الالهية الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فذلك يجب علينا
 أن نتوكل العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضبة على المطيع وان كثرت طاعاته
 الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو أغض من أن يطلع عليه صاحبها فكيف
 غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو
 ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزءاً على الاعمال

والاوصاف ولولم يكن جزام لم يكن عدلا ولولم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد
ولا قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الاماسي وسعيه هو الذي
يرى وكل نفس بما كسبت رهنته فلو لا زاغوا ازاع الله قلوبهم ولما غيروا مابا نفوسهم غير الله ما بهم تحفيقا
لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابا نفوسهم وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب
انكشافا أوضح من المشاهدة بالبصائر يمكن الغلط فيه ان قد يرى البعد قريبا والكبير صغيرا
ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشأن في انتفاع بصيرة القلب والاخارى بها بعد الانفتاح
فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى (الرتبة الثالثة) رتبة
الناجين وأغنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يتقدموا ففعل عليهم ولم يقصروا
فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعنويين والذين لم تبلغهم
الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البهو وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جهود ولا طاعة
ولا معصية فلا وسيلة تقرهم ولا جناية تعذبهم فاهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل يتزلون
في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرح عنه بالأعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم
بقينما من الآيات والاخبار ومن أنوار الاعتبار فما الحكم على العين كالحكم مشلأبأب الصبيان
منهم فهذا منطوق وليس بمستيقن والاطلاع عليه بتحقيق في عالم النبوة وبعد أن ترتقي اليه رتبة
الاولياء والعلماء الاخبار في حق الصبيان أيضا متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عنها للمامات
بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
وما يدريك فاذا الاشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام (الرتبة الرابعة) رتبة القاترين وهم
العارفون دون المقلدين وهم المقرَّبون السابقون فان المقلدون ان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة
فهو من أصحاب الجيمين وهؤلاء هم المقرَّبون وما ياتي هؤلاء بما جاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره
ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التمييز عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله
قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولاذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور
أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم (وأما الحور والقصور والفاكهة واللين والعسل والنحر والحي
والاساور فانهم لا يصرون عليها ولو أعطوها لم يفتنوا بها ولا يطلعون الالذة النظر الى وجه الله تعالى
المكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل رابعة العدوية رحمة الله عليها كيف رغبك
في الجنة فقالت الجارم الدار فهو لا قوم شغلهم حب رب الدارين الداروز ينهابل من كل شيء سواء
حتى عن انفسهم ومثالم مثل العاشق المستهتر بمشوقه المستوفى همه بالنظر الى وجهه والفكر
فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويصبر عن هذه الحالة بأنه فني
عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوه ولم يبق فيه متبوع
لغير محبوه حتى بلغت اليه نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين
لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر كالا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب
الاصم والا كانه الآن يرفع الحجاب عن سمعه ويصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا أنه لم يتصور أن
تخطر به اليه قبل ذلك صورته فالدناحجاب على التحقيق ورفعه يكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق
الحياة الطيبة وان الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات
على الحسنات والله الموفق بطرفه

بيان ما تعظم به الصغار من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبر واحدة تنصرم ولا يشعها مثلها الوصو ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواطىء العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على قول قنور فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال أدومها وإن قل والأشياء تسببان بأضدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب ونظيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في اخلاص القلب إلا أن الكبيرة كلما تصور الهجوم عليها بفتنة من غير سابق ولواحق من حيلة الصغار فقلنا يرى الزاني بفتنة من غير مودة ومقدمات وقلنا يقتل بفتنة من غير مشاحة سابقة ومعادة فكل كبيرة تكسبها صغار سابقة ولا حيلة ولو تصورت كبيرة وحدها بفتنة لم يتفق اليها عود ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة وواطىء الانسان عليها حمرة ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استغفمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استغفامه يصدر عن نفور القلب عنه وكرهيته له وذلك الغفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمخزور تسويد بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجرى عليه في الغفلة فإن القلب لا يتأثر بما يجرى في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كما الجلس فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يفر قول العبد ليت كل ذنب حمله مثل هذا أو انما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعله يحلل الله فإذا انظر الى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصالحين رضي الله عنهم لتابعين انكم لتعملون أعمالا هي في أعينكم أدق من الشعر كما تعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات إذ كانت معرفة الصالحية يحلل الله فكانت الصغار عندهم بالاضافة الى جلال الله تعالى من الكثرة وهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ونحو ما رجع العاني في أمور لا يتجاوز في أمثاله ما عن العارف لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعند اذ التمكن من ذلك نعمة والعقلة عن كونه سبب الشقاوة فكما ما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى أن من المذنبين من يمتدح بدينه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارنته اياه كما يقول أمارأيتني كيف حرقت عريضه ويقول المناظر في مناظرته أمارأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة أمارأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غشيت في ماله وكيف استخففته فهذا أمثاله تكبر به الصغار فإن الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحيل عليها فبئس أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وسبب بعده من الله تعالى فالمرضى الذي يفرح بأن يسكر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجي شفاؤه ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحله عنه وامها له اياه ولا يدري انه انما جعل مقتلا ليزدب الالهال انما فطن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكام من الترهل بالله تعالى كما قال تعالى ويقولون

في انفسهم لولا عذبتنا الله بما نقول حسهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها أن يأتي الذنب ويظهره
 بأن يذكره بعد انائه أو يأتيه في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذي سده عليه وتحريك
 رغبة الشر فحين أسعده ذنبه أو أشده فعليه ما جناحتان أفضتا إلى جنايته فغلظت به فان اضاف
 الى ذلك الترغيب للترقية والجل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاخش الامر
 وفي الخبر لكل الناس معاني الا المجاهر من بيت أحد هم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف
 ستر الله ويعتد بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجليل وستر القبيح ولا يهتك السر
 فالأظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه قد ذنب ذنبن
 ولذلك قال تعالى المناقرون والمنافقات بعضهم من بعض يأمررون بالمنكر وينهون عن المعروف
 وقال بعض السلف ما انتهك المرء من أخيه حرمه أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهتأ عليه
 ومنها أن يكون المذنب عالما بقتدي به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الأبرسم
 وركوبه مراكب الذهب وأخذ مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده
 عليهم ومساعدته أيهم ترك الأتكار عليهم والطلاق اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة
 وقصده الاستتفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه كعلم الجدول والمناظرة فهذه ذنوب
 يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطير في العالم أماد امتطاوله فطوبى لمن اذامات مانت
 ذنوبه معه وفي الخبر من سن سنة سيئة فطليموزر هار ووزر من عمل بها ينقص من أوزارهم شيئا قال
 تعالى ونسكب ما قدموا وأثأرهم والآثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن
 عباس ويل للعالم من الانبعاث يرز زلة فيرجع عنها ويحتملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم
 مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويفرق أهلها وفي الأسر أيتليات ان عالما كان بفصل
 الناس بالبدعة ثم أدر كسبته توبة ففعل في الاصلاح دهرافا وحى الله تعالى الى نبيهم قبله ان ذنك
 لو كان فيما بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن اتبعت من عبادي فأدخلتهم النار فهذا ينفع
 أن امر العلماء بخير فعليهم ونظية ثمان احدا هما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تنصاعف وأوزارهم
 على الذنوب فكذلك يتصاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذ ترك النجس والميل الى الدنيا وقع
 منها باليسر ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام
 فيكون له مثل ثوابهم وان مال الى التبع لمالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدر على
 التبع الا بتجذبه السلاطين وجمع الخطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فخرات
 العلماء في طوري الزيادة والنقصان تنصاعف آثارها ما بالمرح وما بالانحران وهذا القدر كاف في
 تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم بورث عز ما قصد او ذلك الندم أو رثما العلم بكون المعاصي حائلا
 بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتعام ولتأملها علامة ولدوامها شروط
 فلا بد من بيانها (أما العلم) فالتنظير في سبب التوبة وسيأتي (وأما الندم) فهو توجع
 القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامة طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء
 والفكر في استشهاده بقوته نازلة بولده أو بعض أعزته طال عليه مصيبتة وبكواه رأى عزرا عز
 عليه من نفسه ورأى عقوبة أشد من النار ورأى شئ أدل على زوال العقوبة من المعاصي ورأى تخبر
 أصدق من الله ورسوله ولو حدثته انسان واحد يسمى طبيا أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه

سبحوت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله
ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى
والعز من به التنازل فإلم الندم كما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرحى فعلاحة صحة الندم رقة
القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فأنهم أرق أقدرة ومن علامته أن تتسكن مرارة تلك
الذنوب في قلبه يدلا عن حلاوته فما يستبدل بالليل كراهية وبالغربة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله
سبحانه وتعالى قال لبعض انبيائه وقد سأله يقول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم يقبل
توبته فقال وعزني وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب
الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فأقول من
تناول عسلا كان فيهم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتآثر شعره وفلجت
أعضاؤه فإذا أقدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للعلاوة قبل تنفرت نفسه
عن ذلك العسل أم لا فان قلت لا فهو مجد للشهادة والضرورة بل ربما تنفرت عن العسل الذي ليس فيه
سم أيضا الشبهة فوجد ان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه
ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا
الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الامراض عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرع اعلمها هذا
شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم الى الموت وينبغي أن يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن
قد ارتكبها من قبل كما يجد تناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم
اذ لم يكن ضرره من العسل بل محافيه ولم يكن ضررا للتائب من سرقة وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل
من حيث انه مخالفة أمر الله وذلك جازي في كل ذنب * (وأما المقصد الذي ينبعث منه) وهو ارادة
التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك كل محذور وهو ملائس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه
في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط والمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية
الى الموت * وشرط صحته فيما يتعلق بالماضي أن يرد فكره الى أول يوم بلغ فيه بالسن أو الاحلام
ويقتش عما مضى من عمره سنة وشهرا او يوما يوما ونفسا ونفسا ونظرا الى الطاعات ما الذي
قصر فيه منها والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس
أو صلاها في غير صحبة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فان شك في عدد ما فاتة منها حسب
من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه أذاه ويقضي الباقي وله أن يأخذ فيه بفال الظن
ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد أو ما للصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو افطر
عدا أو نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف بمجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويستعمل بقضائه وأما
الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة في مال
الصبي فتؤدى ما علم بفال الظن انه في ذمته فان أذاه لا على وجهه بوافق مذهبه بأن لم يصرف الى
الاصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقضي جميع ذلك فان
ذلك لا يجزئه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك بطول ويحتاج فيه الى تأمل شاف ولزمه أن
يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء أو ما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له
الخروج أو أن قد فلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الاقل فعليه أن يكتسب من الحلال قدر
الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف اليه من الزكاة أو الصدقات
ما يجزئه فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا

وان شاء نصرانيا والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحرج فهذا طريق تهيتسه عن الطاعات
وتقدير كها وأما المعاصي فيبأن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده
ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه
حتى يطالع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها ما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث
لا يتعلق بمظلة العباد كتنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة وممسح بمسحوق وضوء
واعتماد بدعة وشرب خمر وسماع ملاء وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالنسبة
والعسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها
حسنة تناسها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله
حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر
سماع الملاهي بسماع القرآن وبجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه مع
الاشتغال بالعبادة ويكفر لمس المصحف بعد نأيا كرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة قبله
وبأن يكتب بمصحف ويجعله وقفاً ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشرب حلال هو أطيب منه وأحب
اليه وعند جميع المعاصي غير ممكن وإنما المقصود سلوك الطريق المضادة فان المرض يعالج بضده
فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بعصية فلا يحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمضادات هي
المتناسبات فلذلك ينبغي أن تحي كل سيئة بحسنة من جنسها السكن تضادها فان اليأس يزال
بالسود لا بالحرارة والبرودة وهذا التدرج والتحقق من التلطف في طريق المحو فالرحمة اصدق
والتقبة أكثر من أن يواطى على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك أيضاً مؤثراً في المحو فهذا
حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وائر
اتباع الدنيا في القلب السرور بها والخين اليها فلا جرم كان كل أدى يصيب المسلم بنور سببه قلبه
عن الدنيا يكون كفارة اذ القلب يتعاقب بالهموم والغوم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم
من الذنوب ذنوب لا يحكفها الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهممة بطلب المعيشة وفي حديث عائشة
رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم
فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهمم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو طيلة الذنوب والهمم
بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المظلم فان قلت هم الانسان غالباً بما هو ولده وجاهه وهو
خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولومنع به لمت
الخطيئة فقد روي أن جرير بن عبد السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف
تركك الشيخ الكتيب فقال قد حزن عليك حزن مائة تكلى قال قاله عند الله قال أجزمائه شهيد
فان الهموم أيضاً مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى وأما مظالم العباد فبها
أيضاً معصية فوجبة على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضاً فان يتعلق منه بحق
الله تعالى تداركه بالنسبة والصبر وترك مثله في المستقبل والاتباع بالحسنات التي هي أضرادها
فيقابل ايداء الناس بالاحسان اليهم ويكفر غضب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويجب كسر
تناول أعراضهم بالغبية والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من
أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس بأعناق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود
لسيده والاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على أكثر منه فيقابل الاعداء بالإيجاد وهذا تعرف أن
ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باغتاق

رفية ثم اذا فعل ذلك كله لم ينه ولم يكتف به ما يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس
أو الاموال أو الاعراض أو القلوب اعني به الايذاء المحض أما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ
قتولته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق امانته أو من عاقبته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول
وان كان عهدها موجبا لقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولى الدم
ويحكمه في روحه فان شاء عقاقنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدة الايهذا ولا يجوز له الاخفاء
وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فانه
لا يلزمه في التوبة أن يفضع نفسه ويترك ستره ويلتمس من الوالى استيفاء حق الله تعالى بل عليه
أن يستر بسيرة الله تعالى ويقم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق
الله تعالى قريب من التائبين النادمين فان رفع أمر هذه الى الوالى حتى اقام عليه الحد وقمع وقعه
وتسكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روى أن ما عزم مالك أن يرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد ظلمت نفسى وزنت وانى أريد أن تطهرنى فردّه فلما كان من الغد
أتاه فقال يا رسول الله انى قد زنت فردّه الثانية فلما كان فى الثالثة أمر به فغفر له حفرة ثم أمر به
فجرم فكان الناس فيه فريقين فقال يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول ماتوبة
أهدى من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتم وجاءت
الغامدية فقالت يا رسول الله انى قد زنت فطهرنى فردّها فلما كان من الغد قالت يا رسول الله
لم تردنى لعلى تريد أن تردنى كما أردت ما عزم الله انى لحلى فقال صلى الله عليه وسلم أما الآن فذهبي
حتى تضعي فلما ولدت أنت بالصبي في خرة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تظميه
فلما تظمته أنت بالصبي وفى يده كسرة خبز فقالت يا نبي الله قد تظمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي
الى رجل من المسلمين ثم أمرها فغفر لها الى صدرها وأمر الناس فرجوها فأقبل خالد بن الوليد
بجحر فرمى رأسها فتضخخ الدم على وجهه فسما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه باها فقال
مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمرها فصلى عليها
ودفنت (وأما القصاص) وحد القذف فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه وان كان المتناول مالا
تناوله فغصب أو خيانة أو غبن في معاملته بنوع تلبس كزوج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص
أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفنش عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فان
ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولى قد قصر فيه فان لم يفعل كان
ظالمًا لما للاباء اذ يستوى في الحقوق المالية الصبي والبالغ ويحاسب نفسه على الخبايا والدوائق
من أول يوم حياته الى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقدش قبل أن يناقدش فنل يحاسب
نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بنظر غالب ونوع من الاجتهاد ممكن
فليكتبه وليكتب اسمى أصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم
أوليؤذ حقوهم وهذه التوبة تشق على الطلبة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب الغاملين كلهم
ولا على طلب ورثتهم ولكن على ككل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له
طريق الا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين
أرباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيئات
أرباب المظالم فلهك بسببها غيره فهذا طريق كل نائب في رد المظالم وهذا واجب الاستغراق العمر
في الحسنات لو طال العمر محسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل

قريباً فينبغي أن يكون تشبيرة الحسنات والوقت ضيق أشد من تشبيرة الذي كان في المعاصي في
متسع الأوقات هذا حكم النظام النابتة في ذمته أماموا له الحاضرة فليزد إلى المالك ما يعرف له
مالك كما عينا وما لا يعرف له مال كفعليه أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام عليه أن يعرف
قدر الحرام بالاجتهاد وصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام (وأما الجنبانية)
على القلوب بمشاهدة الناس بما سوء هم أو يصيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه
أو أذى قلبه بفعل من أفعاله والمستحل واحداً واحداً منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا
يتدارك إلا بشئ الحسنة لتؤخذ منه عوضاً في القيامة أو أمان وجده وأجله بطيب قلب منه
فذلك كفارة عليه أن يعرفه قدر جنابته وتعرضه له فلا يستحل المهم لا يكتفي وربما لو عرف ذلك
وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وأذخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله
من سيئاته فإن كان في جملة جنابته على الغرم ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجارية أو أهله
أو نسبته باللسان إلى عيب من خفا يعبر به ينظم إذا همما شرفه به فقد انسذ عليه طريق
الاستعجال فليس له إلا أن يستحل منها ثم ينسحب له مظلة فليغيرها بالحسنة كما يحجب مظلة الميت
والغائب (وأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستعجال منها ومهم ما ذكر جنابته وعرفه
أخفى عليه فلم تسمع نفسه بالاستعجال بقيت المظلة عليه فإن هذا حق فعله أن يتلطف به ويسعى
في مهماته وأعراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فإن الإنسان عبد الاحسان
وكل من نفر بسببه مال بحسنة فإذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فإن أبي
الإصرار فيكون تلطفه به واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنابته
وليكن قدر سعيه في فرجه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في آذاه حتى إذا قوام أحدهما
الأخر أو زاد عليه أخذ ذلك منه عوضاً في القيامة يحكم الله به عليه كمن أنلف في الدنيا ما لا يخاف بمثله
فامتنع من له المال من القبول وعن الإبراء فإن الحاكم يحكم عليه بالقض منه شيء أم أي فكذلك
يحكم في صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين من أبي
سعيد الخدري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين
نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رهاب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من
توبة قال لا تقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة
نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة أطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا
يعبدون الله عز وجل فأعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فاطلق حتى إذا انصف
الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء
تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي
فجعلوه حكايهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإني أنهما كان أدنى فهو له قيساً فوسفوا وحدوه أدنى إلى
الأرض التي أراد فقضت ملائكة الرحمة وفي رواية فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها لبشر ففعل
من أهلها وفي رواية فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما
فوجدوه إلى هذه أقرب بشراً فغفر له فهذا تعرف أنه لا خلاص إلا برحمتين ميزان الحسنات
ولو بمقتل ذرة فلا بد لتائب من تكثر الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي (وأما الغرم
المرتبط بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقداً كذا وباعهده بعهد وثيق أن لا يعود إلى تلك
الذنوب وإلى أمثالها كالذي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلاً فيعزم عما جزم أنه لا يتناول

الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وان كان يتصور أن تغلب الشهوة في ثنائي الحال ولكن لا يكون تأنيبا ما لم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب في أول أمره إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وحرار قوت حلال فان كان له مال موروث حلال أكره أن له حرفة يتكسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان رأس المعاصي أكل الحرام فكيف يكون تأنيبا مع الاصرار عليه ولا يتكفي بالحلال وترك الشهوات من لا يقدر على ترك الشهوات في الماء كولات والمبوسات وقد قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبدا ومن مهتمات التائب اذا لم يكن عالما أن يعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يؤخر العزلة لم تنت له الاستقامة المطلقة لأن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنى والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام فجعل بل يقول لمن قال لا تصح ان عنت به ان ترك بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كعدمه في أعظم خطا فانا تعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلها سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل الى العادة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل الصاغة الفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولنا تنكلم في خفايا أسرار عفو الله فان قال من ذهب الى انها لا تصح اني أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وانما ندم على السرفة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرفة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنى ان كان توجهه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجه على قتل ولده بالسيف يتوجه على قتله بالسكين لان توجهه بفوات محبوه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجه العبد بفوات محبوه سواء كان بالمعصية سواء غشى بالسرفة أو الزنى فكيف يتوجه على البعض دون البعض فالندم حالة يوجب العلم بكون المعصية معقوبة للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا الجواز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر ان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمر واحد وانما الذناب ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذما معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعده التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال إلا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المخالفات فهو كالمالك المرتب على الإيجاب والقبول فانه اذا لم يتم الإيجاب والقبول نقول ان العقد لا يصح أي لم ترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا أن ثمرة مجرّد الترتيب لا تقطع عنه عقاب ماله وثمرته الندم تكفير ما سبق فترك السرفة لا تكفر السرفة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك يدع جميع المعاصي وهو كلام مفهوم واقع يستلزم النصف بتفصيله ينكشف الظاهر فتقول التوبة عن بعض الذنوب لا تغفل عما ان تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فامر ممكن لانه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسطها الله ومقته والصغائر أقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستعمل أن يتوب عن الأعظم ويندم عليه كالذي يمتني على أهل الملك وحرمة ويحني على دابته فيكون خائفا من الجناية على أهل مستحقرا الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التأثيرون في الاعصار الخالية ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة للصحة والطبيب قد يحذر المرض العسل تحذر اشعيدها ويحذر السكر تحذرها أخف منه

على وجه يشعر معه انه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلاً فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر
فهذا غير محال وجوده وإن كانهما جميعاً يحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر * الثاني أن
يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضاً ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله
كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعله أن ديوان العباد لا يترك وما منه وبين الله
تسامح العقوبية فهذا أيضاً ممكن كما في تفاوت الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضاً متفاوتة
في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن
شرب الخمر دون الزنى مثلاً أذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله انصب جميع
المعاصي وهو لا يدري فحسب ترجيح شرب الخمر عنده بنبعث منه خوف بوجوب ذلك تركا في المستقبل
وندماً على الماضي * الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة نالها كبيرة كالذي
يتوب عن القبية أو عن النظراتي غير المحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضاً ممكن
ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله عندما مضى عفيفاً وما قويا
ولكن تكون لذته نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف
الخوف من الجهل والغفلة وأسباب توجب قوة الشهوة فتكون الندم موجوداً ولكن لا يكون
ملياً بترك العزم ولا قويا عليه فإن سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ما هو أضعف قهر
الخوف الشهوة وعليها وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تستدضره الفاسق بالخمر فلا يقدر على
الصبر عنه وتكون له ضرراً ما بالقبية وثلب الناس والنظر إلى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ
مبلغاً يقع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف ابتغات العزم للترك بل يقول
هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أخلع
العذار وأرخي العنان بالكلية بل أجاهد في بعض المعاصي فسأني أغلبه فيكون قهرى له
في البعض كقارة لبعض ذنوبي ولولم يتصور هذا المصور من الفاسق أن يصلي ويصوم ولقيل له
ان كانت صلاتك لغبر الله فلا تصح وان كانت لله فأترك الفسق لله فان أمر الله فيه واحد فلا يتصور
أن تقصد بصلاتك التقرب إلى الله تعالى ما لم تقرب بترك الفسق وهذا محال بأن يقول الله تعالى
على أمر ان ولي على مخالفة فيها عقوبتان وأنا ملى في أحدهما بههر الشيطان عاجز عنه في الآخر
فأنا أقهره فيما أقدر عليه وأرجو مجاهدتي فيه أن يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي
فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم إذا لمسل إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب
له الا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجودها والخوف إذا كان
من فعل ماض أورت الدم والندم يورث العزم وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط
الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه
المعاني تبين سقوط قول القائل ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها مماثلة في حق الشهوة
وفي حق التعرض إلى سطوة الله تعالى نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون التبييض لتفاوتهما في
اقتضاء المخطئ ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيراً في كثرة العقوبة فيساعد
الشهوة بالقدر الذي يهزئ به ويترك بعض شهوة لله تعالى كالمرض الذي حذر الطبيب الفاكهة
فانه قد تناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء
ولا يتوب عن مثله بل لا يتوان أن يكون ما تاب عنه مخالفاً لما بقي عليه أما في شدة المعصية وأما في غلبة
الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فينبور

اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووافؤه بعزمه على الترك بلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد أطاع الله في جميع الامور والنواهي فان قلت هل تصح توبة العنين من الرئي الذي فارقه قبل طريان العنة فاقول لا لأن التوبة صارة عن ندم بيعت العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الرئي الذي فارقه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقوع به باقية لكانت حرفة الندم تقيم تلك الشهوة وتعلمها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا للذنب وما حيا عنه ستمه اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقب التوبة كان من التائبين وان لم يطرأ عليه حالته توجب فيها الشهوة وتتمسك اسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا واجب صرف قصده عن الرئي لو ظهر قصده فاذا لا يستعمل ان تبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا أنه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادر على تركه باذني خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه ففساه يقبله منه بل الطاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا كله ترجع الى ان نظرية المعصية تنسحب عن القلب بشيئين أحدهما حرفة الندم والاخر شهوة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالاً ان يقوى الندم بحيث يقوى على نحو هادون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يبعث التائب بعد التوبة بمدة مجاهدة نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً فان قلت اذا فوضنا تائبين أحدهما لمسكت نفسه عن التزوع الى الذنب والاخر بقي في نفسه تزوع اليه وهو يجاهد هاهنا عنهما نأيهما أفضل فاعلم ان هذاهما اختلف العلماء فيه فقال ابي حنيفة وأبي الخطاب أبي سليمان الداراني ان المجاهد أفضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لانه لو فتر في توبته كان أقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن تصور من كمال الحقيقة والخوف فيه أن الذي انقطع تزوع نفسه له حالته ان احدهما ان يكون انقطاع تزوعه اليه بفتور في نفس الشهوة فقط فالجاهد أفضل من هذا اذ ترك المجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو اذيل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبث بإشارة اليقين وتقيم الشهوة المنعشة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعاً وقول القائل ان هذا أسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو قول القائل العنين أفضل من النعل لانه في أمن من خطر الشهوة والصبي أفضل من البالغ لانه أسلم والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يطلب مرءة وان غلب مرأت وهذا كلام رجل سلم القلب فأصر النظر على الطواهر غير عالم بأن الغري الاخطار وأن العاقلة شرطه انعام الاغرار بل هو قول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعته الاصطيداً على رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من أن يجمع به فرسه فنسكسر أعضاؤه عند السقوط على الارض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قوا عالمين بطريق تأديهما على رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد

(الحالة الثانية) ان يكون بطلان التزوع بسبب قوة اليقين وصديق المجاهدة السابقة اذ باع مبلغاً قهيجاً من الشهوة حتى تأذت بأدب الشرع فلا ينجح الا بالاشارة من الدين وقد كنت بسبب استيلاء الدين عليها هذا أعلى رتبة من المجاهد للمفاسي لمجان الشهوة وقول القائل

ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لغيره بل المقصود قطع ضراوة العذر حتى لا يستعيرك الى شهواته وان عجز عن استعبارك فلا يصدك من سلوك طريق الدين فاذا تهرته وحصلت المقصود فقد نظرت وما مدت في المجاهدة فأتت بعد في طلب الطفر ومثاله كمال من قهر العذر واسترقة بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله اضا من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما انما ثمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجاح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد ولقد زل في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب الخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون ان قبح الشهوات واماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فجهر عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربح المهلكات فان قلت فاقولك في تأبين أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكير فيه والآخر جعله نصب عنه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فأيهما أفضل فاعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنسب ذنبك بين عينيك وقال آخرون حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى الحالين وكلام المتصوفة ابدأ يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم ان يجزع عن حال نفسه فقط ولا همه حال غيره ففضل الاجوبة لا اختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا همه امر غيره اذ طرق الى الله نفسه ومنازله احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم فالطريق الى الله تعالى كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم بمن هو اهدى سبيلهم الا شريك في أصل الهداية فأقول تصور الذنب وذكره والتفكير عليه كال في حق المبتدئ لانه اذا انسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى ارادته وانبعثه لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو السكال بل لوعا المسافر عن الطريق الى بلده من البلاد نهرا حار طال تعب المسافر في عبوره مدة من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا فتعذر السلوك او كان على طريقه انهار وهو يخاف على نفسه ان يمر بها فيلطم بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بتدبير تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصود العائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربح المهلكات بل تقول شرط دوام التوبة ان يكون كثر الفصير في التعمق في الآخرة لتدبيره وغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغي ان يطيل فكره في كل ماله نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربحا يجرى رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالاجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة التعالي وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمتبدي ايضا قد يستصر به فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصعدك

عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكي لك من بكاء داود ونباحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قديزون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات الالفة بآبائهم فانهم ما يشعرون الا لراشدهم فعلهم التلبس بما تنفعهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فلو كان في الشيخ من لا يشير على مر يده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها بقراعه من المجاهدة وتاديب النفس تسهلا للاصر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم امانى لا انسى ولكنى انسى لا شتر وفي لفظ انما سهو لاسن ولا تجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشى في كنف الرعاة اما زى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم الحسن كح ك لما أخذ عمره من عمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه العرة فانها حرام ولكنك لما علم انه لا يفهم منطقته ترك الفصاحة ونزل الى كنفه بل الذي يعلم شاة أو طائر ان يصوت به رغاء أو صفيرا تشبهها بالبهجة والطائر تطفأ في تعليمه فاياك ان تغفل عن أمثال هذه الدقائق فانها خزانة أقدام العارفين فضلا عن الغافلين نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان أقسام العباد في دوام التوبة

اعلم ان طبقات التائبين في التوبة على أربع طبقات * الطبقة الاولى أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينكأ البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة التوبة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسليئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهو لا هم المذن الهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المشتهرون بذكر الله تعالى وضع المذكر عنهم وأوزارهم فوردوا القيامة خفا فافان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت أوزار ورضعها المذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فن نائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتقر زاعها ولم يشغله من السلوك حرامها والى من لا ينكأ عن منازعة النفس ولكنه ملئ بمجاهدتها وردها ثم يتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن يختطف يموت قريبا من توبته فيبطل على ذلك اسلامه وموته قبل الفترة ومن مهمل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلى وأفضل اذ كل سيئة فانما تحو لها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشترط هذا بعيد وان كان لا ينكأ عظم أثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتغصر الأسباب حتى يتمكن ثم يطعم في الانكشاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على العصية وينقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابها بالمسيرة له حتى يستطيقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء في الطبقة الثانية نائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كثير الفواحش كلها الا انه ليس ينكأ عن ذنوبه تقربه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يتلى بها في مجارى أحواله من غير أن يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشبه بالإحترار من أسبابها التي تعرض لها وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس الواثمة اذ تلوم

صاحبا على ما تشهد له من الاحوال الذميمة لانه تصمم عزم وتحمين رأى وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي قلبا ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى ينقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكليّة كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهو لا لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يحبون كثير الاسماء والقواش اللهم ان ربك واسع المغفرة فمكّل المام بقبح بصغيرة لانه توطئ نفسه عليه فهو جدير بان يكون من المسم المعفو عنه قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذنوب فمكّلهم فأتى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولو همهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبيد بن كرم الله وجهه خياركم كل مفتن ثواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة في أحيانا أو ميل أحيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفسنة بعد الفسنة أي الحين بعد الحين فمكّل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يطيح صاحبا بدرجة المصيرين ومن يؤس مثل هذا من درجة التائبين كالطبيب الذي يؤس الصحيح من دوام الصحة بما يتناول من القواكه والاطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤس المتفقه من نبيل درجة الفقهاء بقتوره عن التكرار والتعلق في أوقات نادرة غير متناول ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤس الخلق من درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المتخطفات قال النبي صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التواؤن المستغفرون وقال أيضا المؤمن واه رافع غيرهم من مات على رقعة أي واه بالذنوب رافع بالتوبة والتندم وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وواو يدرون بالحسنة السيئة فلو صبرهم بعدم السيئة أصلا (الطبعة الثالثة) أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم يقبل الشهوة في بعض الذنوب فيقدم عليها من صدق وقصد شهوة الجبره عن قهر الشهوة الا انه من ذلك مواظب على الطاعات وتارك حيلة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوات وهو يذلوأ أندر الله تعالى على قهرها وكفاه شرها هذا أمنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعل ما سأؤوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لئلا تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس السوءة وصاحبا من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا حلا وحارا آخر شيئا فامرهم من حيث مواظبته على الطاعات وكرهته لما تعاطاهم من جو نفسي الله أن يتوب عليه وواقبه بخطرة من حيث تسوفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة فان تداركه الله بفضلله وجبر كسروا ومن عليه بالتوبة الحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهمل عذر على المتفقه مثلا الاحتراز من شواغل التعلل لم تعذره على انه سبق له في الازل أن يكون من الجاهلين بضعف الرجاء في حقه واذا سهرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل أن يكون من الجاهلين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية وارتباط حصول قسه النفس الذي به تسحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكلا لا يصلح المنصب الراسية والقضاء والتقدم بالعلم النفس صارت قفيه بطول التفقيه فلا يصلح الملك الآخرة ونعيمها

ولا تقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهر ابطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل
يتدبر رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها اذا الهمها تجورها وقواها قد افلح من زكاها
وقد خاب من دساها فهم ما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسبة فكان هذا من
علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول
الناس انه من أهلها ولا يتيقن منه وبين الجنة الاشبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار
فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو حاتمة ما قبله اذ يمكن أن يكون الموت
متصلا به فليراقب الانفاس والواقع في المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التمسير * (الطبعة
الرابعة) * أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير
أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهك اتهامك العاقل في اتباع شهواته
فهذا من حيلة المصير وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفكرة من الخير ويخاف على هذا
سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسن حتى
مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستعمل أن يشمله عموم العفو
بسبب خفي لا نطلع عليه كما لا يستعمل أن يدخل الانسان خرابا ليجد كترافيق أن يجده وأن يجلس
في البيت ليعمله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات
كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب الجار وطلبها بجمعة الرجاء مع خراب
الاممال كطلب الكسوف في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعلم الملائكة وليت من اجتهد تعلم
وليت من اجتبر استغنى وليت من صام وصلى غفر له فاناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون
كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم
وكأن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا زعم انه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كتر
يجده تحت الارض في بيته الخرب بعد عند ذوى البصائر من الحق والمغرورين وإن كان ما ينتظره غير
مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن
الطاعة مصر على الذنوب غير مالك سبيل المغفرة بعد عند آرباب القلوب من العتوهين والعجب من
عقل هذا العتوه وترويعه حماقة في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وحنه ليست تضيق على مثلي
ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب العار ويقيم الا عار في طلب الدينار واذا قيل له ان الله كريم
ودنانير خزائنه ليست تقصر عن قفرك وكسلك تترك التجارة ليس بضر لك فاجلس في بيتك فعساه
يرزقك من حيث لا تحسب فيستعقم قائل هذا الكلام ويستهنئ به ويقول ما هذا الهوس السماء
لا تمطر دها ولا فضة وانما نبال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سننه
ولا تبدل لسنة الله ولا يعلم المغرور أن رب الآخرة رب الدنيا واحد وأن سننه لا تبدل لها فيما
جميعا والله قد أخبر اذ قال وأن ليس للانسان الاماسي فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس
بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى العكرم القنوع كسب المال ومقتضاء القنوع عن
العمل للملك القم والنعم الدائم وان ذلك يحكم الكرم يعطيه من غير جهد في الآخرة وهذا عنعه مع
شدته الاجتهاد في غالب الأمر في الدنيا ينسى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فتعوز بالله
من العمى والضلال فما هذا الانتكاس على أم الراش وانفاس في طلبات الجهل وصاحب هذا جدير
بأن يكون داخل تحت قوله تعالى ولوترى اذا المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم رسا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا لعمل صالحا أي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وأن ليس للانسان الاماسي فارجعنا ناسي

وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فتعود بالله من دواعي الجهل والشك والانزباب
السائق بالضرورة الى سوء القلب والمآب

بيان ما ينبغي أن يسار إليه التائب ان جرى عليه ذنب

اما عن قصد وشهوة غالبية وعن المأم بحكم الاتفاق

اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طرقة
فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي أن
يترك الواجب الثاني وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليعمها فيكون من خلط عملا صالحا وآخر
سيئا فالحسنات المسكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل
السيئة وفيما يتعلق بأسبابها * فأما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال للمغفرة والغفر
ويتذلل لقلل العبد الابن ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد ذلك بقصان كبره فيما بينهم فالعبد
الابن المذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يصغر بقله الخيرات للسلين والعزم على الطاعات
وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاعف عني ذنوبي
وكذلك يصغر من ضرب الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والاذكار * وأما بالجوارح
فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب اذا أتبع ببنية أعمال
كان الغفر عنه مرحوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة وحسب الإقلاع عن
الذنب وتقوى العقاب عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهو أن تصلي عقيب
الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة
ثم تتصدق بصدقة ثم الصوم يوما وفي بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلي ركعتين وفي
بعض الاخبار تصلي أربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر
والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار
وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ما لجت امرأة فأصبت منها كل شئ
الا المسيس فأقضى عليّ بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أو ما صليت مغنا صلاة الفداة قال
بلى فقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على أن ما دون الزمان
معالجة النساء صغيرة ادخل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس
كفارات لما بينهن الا الكاثر فعلى الاحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته
ويجتهدي دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل * فقل قد اصراروني
الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول أستغفر الله من
قولي أستغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفار يحتاج الى
استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار
والدعوات حتى قرن الله الاستغفار بيقام الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب
أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا فان ذهب هلكا فنقول الاستغفار الذي هو
توبة الكذابين هو الاستغفار بجرم اللسان من غير أن يكون القلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم
العادة عن رأس الغفلة أستغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار فودى بالله منها من غير أن يتأثر بقله
وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا اتصاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى

وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص نية وورعية فهذه حسنة في نفسها فتصلح لأن تدفع
 بها السيئة وعلى هذا تجل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما أصر من
 استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب والتوبة والاستغفار بركات
 واراثتها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى آخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاة
 فأحسن احواله أن يرجع اليه في كل شيء فان عصي قال يا رب استر عني فإذا فرغ من العصية قال
 يا رب تب علي فإذا تاب قال يا رب ازرني العصية وإذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل أيضا عن
 الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال
 الجوارح والانابة أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاة بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره
 الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى
 الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السرور هو
 الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل
 صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حلة العرش وسئل أيضا عن قوله
 صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى
 التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود أن التوبة
 ثم تبتن احداهما تكفي السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا
 وللتكفير أيضا درجات فبعضه محلا لصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له وبغاوت ذلك تفاوت
 درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلاص حل عقدة الاصرار من أوائل
 الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل
 المشاهدة وارباب القلوب معرفة لأرب فيها أن قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق
 وانه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلعت الشعيرة الأولى عن اثر
 لكنت الثانية مثلها وان كان لا يرج الميزان بأعمال الذرات وذلك بالضرورة بحال بل ميزان
 الحسنات يرج بذرات الخير الى أن يتقل ترفع كفة السيئات فإياك أن تستصغروا الطاعات
 فلا تأتيا وذرات المعاصي فلا تنهيا كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل لعلها بانها لا تقدر في كل ساعة
 الاعلى خيط واحد وتقول أي غناء يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدرى المعنوية أن ثياب
 الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وأن اجسام العالم مع اتساع اقطارها اجتمعت ذرة ذرة فإذا انضرع
 والاستغفار بالقلب حسنة لا تضع عند الله أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة
 اللسان بها من قلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بقية مسلم أو فضول كلام بل هو خير من
 السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى عمل القلب
 ولذلك قال بعضهم لشبهة أبي عثمان المغربي "ان لسان في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي
 غافل فقال اشكر الله اذا استعمل جارحتك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر
 ولم يعوده الفضول وما ذكره حتى فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة
 من المعاصي فن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذا سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله
 ومن تعود الفضول سبق لسانه الى قول ما أحقك وما أقيج كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث
 بظهور مبادئ الشر من شرير قال يحصم سبق لسانه الى ما تعود باله وإذا تعود الفضول قال لعنه الله
 فبعض في إحدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اترعا لسانه الخير وهو من جملة معاني

قوله تعالى ان الله لا يضيع أجر المحسنين ومعاني قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجر عظيما فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع تلك العادة تنبذ العصيان بالغبية واللحن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لا في الطاعات وتضعيف الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون فباينك وان تلج في الطاعات بحجر دالات فتفتقر رغبته عن العبادات فان هذه مكيدة رزقها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم أنهم ارباب البصائر وأهل التفتن النفايا والسر الرئائي خبر في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلاثة أقسام نظام لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات * أما السابق فقال صدقت بامعون ولكن هي كلمة حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه * وأما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء القطنة لهذه المديقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تهوي باللسان بالذكر فاستعف الشيطان وتدل بجعل غروره فتمت بينهما المشاركة والمواقفة كما قبل واقف شقن طبقه واقفه فاعتقه * وأما المقتصد فلم يقدر على ارغامه بأشراك القلب في العمل وتغفل لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذي ذقت حيا كته فتركها وأصبح كالباطل الظالم المتفك كالذي ترك الحياكة أصلا وأصبح كلسا والمقتصد كالذي عجز عن الكاكة فقال لا أتكم مدمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب بالاضافة الى الكاس فاذبحرت عن الكاكة فلا ترك الحياكة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارا يحتاج الى استغفار كثير فلا تظن انها تترك حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تدم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكنت من الاستغفار باللسان أيضا احتاج الى استغفار من الى استغفار واحد فكذلك ينبغي أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمده والاجتهاد معنى ما قال القائل الصادق حسنة الاراسيات المقرين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي أن لا تستحق ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى خبنا ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تتحروا منها شيئا فعمل رضاه فيه وتعصيه في معاصيه فلا تتحروا منها شيئا فعمل غضبه فيه وخبا ولايته في عبادته فلا تتحروا منهم أحدا فعمله ولي الله تعالى وزاد وخبا اجابته في دعائه فلا تتحروا الداء فرما كانت الاجابة فيه

في الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار

اعلم أن الناس قسما من شاب له صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر * والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم ينقسمون الى مصرين والى تأمين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء لا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء المناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفع وابطاله ولا يسل الشيء البضد ولا سبب الاصرار الا للغفلة والشهوة والاضاد الغفلة الا للعلم والاضاد الشهوة الا للصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى وأولئك هم الغافلون لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء ان التوبة لا يجهون يجهن من حلاوة العلم وحرارة الصبر وكما يجمع السكينة بين حلاوة السكر وحوضه الخلل ويقصد

بكل واحد منهما عرض آخر في العلاج مجموعهما فيقع الاسباب المهيبة للصفراء فهكذا ينبغي أن
تفهم علاج القلب مما به من مرض الاصرار فاذن لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر
ولا بد من بينهما فان قلت أتتبع كل علم لحل الاصرار أم لا بد من علم مخصوص فاعلم أن العلوم
بجملتها ادوية لا مراض القلوب ولكن لكل مرض علم مخصوص كما أن علم الطب نافع في علاج الامراض
بالجمله ولكن يخص كل علم بخصوص فكذلك دواء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة
مرض الاندكان ليكون أقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بأمور * (الاول) أن
يصدق على الجملة بأن للرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبته مسبب الاسباب
وهذا هو الايمان بأصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه
مما نحن فيه الايمان بأصل الشرع وهو أن السعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو
العصية وهذا هو الايمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله اما من تحقق أو تقليد وكلاهما من
جملة الايمان في الثاني انه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حادق فيه صادق
فيما يصبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه بأصل الطب لا ينفعه بغيره دون هذا الايمان ووزانه
مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب
فيه ولا خلف في الثالث انه لا بد أن يصنى الى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه
والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فتكون شدة الخوف باعثا له
على الاحتماء ووزانه من الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار المستمدة على التعريب في التقوى
والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقي الى سمعه من ذلك من غير شك
واستراية حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر الذي هو الركن الاخر في العلاج (الرابع) أن يصنى
الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه أو لا تفصل ما يضره من
افعاله وأحواله وما كوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء
بل لكل علم خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل صيد فليس يتلى بكل شهوة
وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة
الى العلم بأنها ذنوب ثم الى العلم بأنها وقد ضررها ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى
العلم بكيفية تكفيرها مسبق منها فهذه علوم يختص بها اطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء
فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري أن ما يرتكبه
ذنب فعلى العالم ان يعرفه ذلك وذلك بأن يشكّل كل عالم بأقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد
فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم مما ينفعهم وما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر الى أن يسأل
عنه بل ينبغي أن يتصدى الدعوة الناس الى نفسه فأنهم ورثة الانبياء والانباء ماتر كوا الناس على
جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا
واحدا فيشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كمن الذي يظهر على وجهه برص ولا امرأة
معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا
في كل قرية وفي كل محلة فقهاء متدنيا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الاجمالا فلا بد من تبليغ
الدعوة اليهم في الاصل والفرع والنداء الى المرضى اذ ليس في بطن الارض الامت ولا على ظهرها
الاسقم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الابدان والعلاء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى
فكل مريض لم يقبل العلاج بمداد العالم وسلم الى السلطان ليكشف شره كما يسلم الطبيب المريض

الذي لا يمتحن أوالذي غلب عليه الجنون إلى القمم ليقبده بالسلاسل والاعلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس وانما صار مرض القلوب أكثر من مرض الابدان لثلاث علل * احداها أن المريض به لا يدري انه مريض * والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلت النفر عن الذنوب وان عملها مرتكبا فلذلك تراه تكل على فضل الله في مرض القلب ويجهل في علاج مرض البدن من غير انكسار * والثالثة وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا ينظر نقصانهم فاضطروا إلى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم فبالكم تأمرون بالعالج وتسيئون انفسكم فهذا السبب مع على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقدا لاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم ينفعوا اذ لم يغشوا واذ لم يصلحوا لم يقصدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواضعهم الا ما يرب العوام ويسمى قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك الا بالارزاء وتغليب أسباب الرزاء وذلك لان ذلك في الاسماع وأخف على الطباع فتصرف الخلق عن محاسن الوعظ وقد استفادوا من بدجراة على المعاصي ومن بدثة بغض الله ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائفا هلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرزاء والخوف دوا آن ولكن لشخصين متضادى العلة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرته في الخوف بذكر أسباب الرزاء ليعود إلى الاعتدال وكذلك المصير على الذنوب المشتبه بالقنوة الممتنع عنها بحكم القنوط والبأس استغنى ما للذنوبه التي سقت بها مج أيضا بأسباب الرزاء حتى يطعم في قبول التوبة فتوب فأما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر أسباب الرزاء فضاهاى معالجة المخور باللعسل طلبا للشفاة وذلك من دأب الجهال والاضياء فاذا افساد الاطباء هي العضلة الزباء التي لا تقبل الدواء أصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق فاعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير إلى الانواع النافعة في حل عقدة الاصرار وحل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع * الأول أن تذكر ما في القرآن من الايات المخوفة للذنبين والمعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع غره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكنا نجا وبان بأربعة أصوات يقول أحد هما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا يقول الآخر يا ليتهم ادخلوا علما لاذ اخلقوا فيقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لاذ اخلقوا حملوا بما حملوا وفي بعض الروايات ليتهم تجالسوا فذاكروا ما عملوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعملوا بما عملوا اتوا بما عملوا وقال بعض السلف اذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصى الاستأذان مكانه من الأرض أن يتصف به واستأذن سقته من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسماء كفعا عن عبدي وأمهله فأنكس لم تخلفاه ولو خلقتهما رحمتاه ولعله يتوب إلى فأعقر له ولعله يستبدل صالحا فابدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمكس السموات والارض أن تزولا ولئن زلن ان أميكهما من أخذ

من بعده وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستخلت المحارم أرسل الله الطابع قطيع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القاب مثل الكف المفتوحة كما أذن البعد ذبا انقصت أصبح حتى تنقبض الاصابع كلها ينسد على القلب فذلك هو الطبع وقال الحسن ان بين العبد وبين الله حدام المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفق بعد هذا خير والاعذار والآثاري في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي أن يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ما خلف دينار ولا درهم انما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه * (النوع الثاني) * حكايات الانبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روى انه لما اكل من الشجرة قطارت الحلل عن جسده وبنت عورته فاستسى التاج والاكليل من وجهه أن يرتفع عنه فناء جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن رأسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اه طامس جواري فإنه لا يجاورني من عصائي قال فالتفت آدم الى حواء باكية وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذي عدى في داره أربعين يوما وقبل ان المرأة سألته أن يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقبل بل أحب قلبه أن يكون الحكم لابيها على خصمه لكانها منه فسلب ملكه أربعين يوما فذهب ثأما على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطعم فاذا قال أطعوني فاني سليمان ابن داود شج وطرد وضرب وحكي انه استنظم من بيت لامرأته فطردته وبصقت في وجهه وفي رواية أخرجه مجوز جرة فها بول فضبته على رأسه الى أن اخرج الله له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين أيام العقوبة قال فجاءت الطيور فحككت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذروا اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا الوهم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم في عذركم الآن ان هذا أمر كان من السماء ولا بد منه وروى في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليصلها اليه فراودته نفسه وطأ ابنتها فبغها هدها واستعصم قال فنبأ الله بركة فقواه فكان شياقي بني اسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام انه قال انخضر عليه السلام بم أطلعك الله على علم الغيب قال بركي المعاصي لاجل الله تعالى وروى ان الريح كانت تسير يسليمان عليه السلام فتظن اني قصه نظرة وكان جديدا فكانه أعجبه قال فوضعه الريح فقال لم فعلت هذا ولم أمرك قالت انما نظيتك اذا أطعت الله وروى ان الله تعالى أوحى الى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لعلك لا خوتة أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم ترجي ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تظن لي حفيظي لم تدري لم ردته عليك قال لا قال لانك رجوتني وقلت عسى الله أن يأتيني بهم جميعا وبما قلت اذهبوا فاحسبوا من يوسف وأخيه ولا تأسوا وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك اذ كرني عند ربك قال الله تعالى فأتى نساء الشيطان ذكر به قلبه في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تحصر ولم يرد بها القرآن والاعذار وورد الاسمار بل الفرض بها الاعتبار والاستدصار لعلم أن الانبياء عليهم السلام لم ينجوا زعمهم في الذنوب الصغار فكيف ينجوا زعم غيرهم في الذنوب الكبار نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا الى الآخرة والاشقياء يعملون ليزدادوا انما ولأن عذاب الآخرة أشدوا كبر فهذا أيضا ما ينبغي أن يكثر حسنه على اسماع

المصير فانه نافع في تحريك دواعي التوبة * (النوع الثالث) * أن يقر رعبهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنايته قرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر ليرط جبهه فينبغي أن يخوف به فان الذنوب كلها يتجمل في الدنيا ثم مها في غالب الامر كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى انه قد يضيئ على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعرم الرزق بالذنوب يصيبه وقال ابن مسعود اني لا احسب أن العبد ينسى العلم بالذنوب يصيبه وهو معني قوله عليه السلام من قارف ذنبا فارق عقل لا يعود اليه أبدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه وتقصا في المال انما اللعنة أن لا يخرج من ذنب الا وقت في مثله أو شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذالم يوفق للغرير يسره الشر فقد ابعدها حرمان من رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب آخر ويتضاعف فيعزم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء النكيرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يحقته الله تعالى لبقته الصالحون وحكي عن بعض العارفين انه كان عشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو عشي في وسط الوحل ويسكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويحاجها حتى يقع في ذنب وذنوب فعندها يخوض في الذنوب خوضا وهو اشارة الى أن الذنب تنجل عقوبته بالانجرار الى ذنب آخر وذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورتك ذلك وقال بعضهم اني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلقي حماري وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فأر بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فترني ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحان الله تعجب من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغير يدي وقال تبعث عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة وقال أبو سليمان المداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يموت أحد أصلا جماعة لا يذب بذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فما غيرتم من أعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى ان أدنى ما أصنع بالعبد اذا أمره شؤنه على طاعتي أن احرمه لذته منا جاني وحكي من أبي عمرو بن علقمان في قصة يطل ذكرها قال فيها كنت قائما ذات يوم أصلي فقام قلبي هوى طواوته فبكرتني حتى تولد منه شهوة الرجال فوقع في الارض واسود جسد كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت اطعم غسله في الحمام بالصاوبن فلا يرداد الاسود احتى انكشفت بعد ثلاث فقلت لجندي وكان قد وجه الى فأشخصني من الرقة فلما اتته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك بركة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فقلوا لاني دعوت الله لا وتبت اليه عنك القبت الله بذلك المون قال فحييت كيف علم بذلك وهو سيداد وأنا بالرقه واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا أظهر السواد على ظاهره ليتجزوا ان كان شقيا أخفى عنه حتى يشمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شرم الذنوب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفة فان ابلى شيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه وان أصابته نعمة كانت استدرأه و يحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه وأما المطيع في بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة للذنوب وزيادة في درجاته * (النوع الرابع) ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد

الذنوب كالتغرير والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره
مع غير أهله وضع الواو في غير موضعه بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الخافق فيستدل أولاً
بالنبض والسحنة وجوه الحركات على العلل الباطنة ويستعمل بعلاجها فيستدل بقرائن الأحوال
على خفايا الصفات ويتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له
واحد أوصني يا رسول الله ولا تكثر علي قال لا تنضب وقال له آخر أوصني يا رسول الله فقال عليه
السلام عليك بالأس بمافي أيدي الناس فإن ذلك هو الغنى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل
صلاة مودع وإياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون ملكاً
في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فإني كنته صلى الله عليه وسلم توسم
في السائل الأول غايل الغضب فيها عنه وفي السائل الآخر غايل الطمع في الناس وطول الأمل
وتقبل لمحمد بن واسع في السائل غايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ أوصني فقال كن رحيماً
أكن لك بالجنة زعيماً فكانه تفرس فيه آثار الفظاظ والغلظة وقال رجل لأبراهيم بن ادهم أوصني
فقال يا ابن الناس وعليك بالناس ولا يذم الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس
ذهب الناس وبقي التنسّس وما أراههم بالناس بل غسوا في ماء اليباس فكانه تفرس فيه آثار
المخالطة وأخبرها كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب أذاه بالناس والكلام على قدر
حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله
عنها أن اكتبني لى كتاباً توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما
بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله
مؤنة الناس ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس والسلام عليك فانظر إلى فقهها
كيف تعرضت للأفة التي تكون الولاة بصدها وهي مراعاة الناس وطلب رضاهم وكتبت اليه
مرة أخرى أما بعد فاني لله فانك اذا اتقت الله كفاه الله الناس واذا اتقت الناس لم يغفوا عنك من الله
شيئاً والسلام فادع على كل ناصر أن تكون غنيته مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية وتوسم
الأحوال الآتية ليكون اشتغاله بهمهم فان حكاية جميع مواضع الشرع مع كل واحد غير ممكنة
والاشتغال بوضعه بما هو مستغن عن التوقف فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواظ يتكلم
في جمع أو سأل من لا يدري باطن حاله أن يعظه فكيف يفعل فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظه بما
يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه أما على العموم وأما على الأكثر فان في علوم الشرع أغذية وأدوية
فالأغذية لكافة والأدوية لأرباب العلل ومثاله ما روي أن رجلاً قال لابي سعيد الخدري أوصني
قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الاسلام وعليك
بالقرآن فإنه نورك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء وعليك بالصمت الامن خير فانك بذلك
تقلب الشيطان وقال رجل للحسن أوصني فقال أعزأمر الله بعزك الله وقال لقمان لابنه يا بني
زاحم العلماء بركبتك ولا تجادلهم فتمقتولك وخدم من الدنيا بلاغتك وأنفق فضولك كسك لا تخرتك
ولا ترض الدنيا كل الرض فتكون عبداً وعلى أعناق الرجال كلاً وصم صوماً يكسر شهوتك
ولا تصم صوماً يضرب فصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفهاء ولا تخاطب ذا الوجهين
وقال أيضاً لابنه يا بني لا تتكلم من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عما لا يعينك ولا تضع
مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني ان من يرحم يرحم ومن
يصمت يسلم ومن يقل الخير يفتن ومن يقل الشر يأتى ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم

أوصني فقال كل ما لو حاكم الموت عليه فربأته غنية فالزمه وكل ما لو حاكم الموت عليه فربأته مصيبة
فاجتنبه وقال موسى الخضير عليهما السلام أوصني فقال كن يساموا ولا تكن غضابا وكن نقاعا
ولا تكن ضراوا وانزع عن اللعاجة ولا تنمش في غير حاجة ولا تتخلك من غير عجب ولا تعير الخطأين
بخطأياهم واثق على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضى
خالقك بقدر ما يتجهدى في رضى نفسك وقال رجل لحامد الغفاف أوصني فقال اجعل لديك غلافا
كغلاف المحصف أن تدينه الألفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه وترك
كثرة الكلام إلا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس إلا فيما لا بد منه وكتب الحسن إلى عمر بن عبد
العزيز رحمهم الله تعالى أما بعد فصف ما خوفك الله واحذر مما حذر الله وخذ مما في يديك لما بين
يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه
فكتب إليه أما بعد فإن الهول الأعظم والأمر المفزع أن أملك ولا بد لك من مشاهدة ذلك أما
بالخبرة وأما بالطب وأعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظروا العواقب نجح
ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غم ومن خاف أمن ومن آمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر
فهم ومن فهم علم فإذا زلت فأرجع وإذا تدمت فأقطع وإذا جهلت فاسأل وإذا غصبت فأمسك
* وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فإن الدنيا دار عاقبة
ولها جميع من لا عقل له وبها فقر من لا علم عنده فكُن فيها يا أمير المؤمنين كالمدبر جرحه بصبر
على شدة الدواء لما يجف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدي بن
إربطة أما بعد فإن الدنيا عذوة أولياء الله وعذوة أعداء الله فأما أولياءه ففهم وأما أعداؤه
فغترهم وكتب أيضا إلى بعض عماله أما بعد فقد امتكك القدرة من ظلم العباد فإذا ذهبت
بظلم أحد فادك كقدرة الله عليك واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم فأب
عليك واعلم أن الله عز وجل أخذ الظلم من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي أن يكون وعظ
العامة وعظ من لا يدري خصوص واقعة هذه المواظ على الاعتدال التي بشرتك بالكفاة
في الانتفاع بها ولاجل قدم مثل هؤلاء الوعاظ انضم باب الاتعاط وغابت المعاصي واستبش
الفساد وبلى الخلق بوعاظ يزعمون أسماءا وينشدون أبياتا وشككوا في ذكرا ليس في سعة علمهم
ونشهنو بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب
ليصل إلى القلب بل القائل متكلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف فإذا
كان طلب الطبيب أول علاج المرضى وطلب العلماء أول علاج العاصين فهما أحد أركان
العلاج وأصوله (الأصل الثاني الصبر) ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لتناوله
ما يضره وإنما تناوله ذلك ما انفقلته عن مضرتة وأما الشدة غلبة شهوته فله سببان فإذا كان ه
علاج الغلبة فينبغي علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله أن
المريض إذا اشتد ضراره لمأ كثر مضرة فطره أن يستشعر عظم ضرره ثم يصب ذلك عن عينه
فلا يجبره ثم يتلى عنه بما قرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي
يناله في تركه فلا يتعل كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في العاصي كالشاب مثلا
إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه وأحفظ جوارحه في السعي وراء شهوته
فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى الخوفات التي جاءت فيه من كلب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج

هو حضور المشتهي والتطير اليه وعلاجه الحرب والعزلة ومن داخل تناول لذاتنا الطعمة وعلاجه
الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم
ولا يعلم الا عن بصيرة واقتكاراً وعن سماع وتقليد فأول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع
من قلب بجزء من سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكير فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه
لا محالة خوفه واذا قوى الخوف تيسر بمعونه الصبر وانبعث الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله
وتيسره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فأتى وانتظر الثواب
وصدق بالحسن فيسيره الله تعالى للسري وأما من يخل واستغنى وكذب بالحسن فيسيره الله
للعسري فلا يقا به ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وماعلى الانبياء الا شرح طرق
المهدي وانما الله الآخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن
الا بالصبر منه والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يكون الا بالعلم والعلم لا يحصل
الا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان
فكان من أصح صلي الذنب لم يصبر عليه الا لانه غير مؤمن فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الايمان
بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب المصيبة من الله تعالى وسبب
العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور * أحدها أن العقاب الموعود غيب ليس
بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود وضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر
* الثاني أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالتحنن وقد قوى ذلك
واستولى عليها بسبب الاعتبار والالف والعادة طبيعة خامسة والتزوع عن العاجل يخوف الآجل
شديد على النفس ولذلك قال تعالى كلاب تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال عز وجل بل
تؤخرون الحياة الدنيا وقد صبر عن شهوة الآخر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة
بالمسكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق النار فقال الجبريل
عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا اسمع بها أحد قيد دخلها فخرجها بالشهوات
ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبق أحد ادخلها وخلق الجنة
فقال الجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لا اسمع بها أحد الادخلها فخرجها
بالمسكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد فاذا كون
الشهوة مرهقة في الحال ويكون العقاب متأخراً الى المال سببان ظاهران في الاسترسال مع
حصول أصل الايمان فليس كل من شرب في مرضه ماء النبل لشدة عطشه مكذباً بأصل الطب
ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فهو عليه الأمل المنتظر
* الثالث انه ما من مذهب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتسكف السمات بالحسنات
وقد وعد بان ذلك يجره الا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير في
حيث رجأوه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان * الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو
معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة ايحاً بالايمن العقوبة فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكلاً
على فضل الله تعالى فهذه اسباب أربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء أصل الايمان نعم قد
يقدم الذنب بسبب خامس قدح في أصل ايمانه وهو كونه شاك في صدق الرسل وهذا هو الكفر
كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما رضر في المرض فان كان المخدوم لا يعتقد فيه انه عالم بالطب
فيكذب به أو شك فيه فلا يبالى به فهذا هو الكفر فان قلت فاعلاج الاسباب الخمسة فأقول هو

الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آتٍ وأن غدا
للتأخير من قرب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شركائه فليدبره لعل الساعة قريب والمتأخر
إذا وقع صار ناجزاً ويذكر نفسه أنه إله في دينه يعذب في الحال لخوف أمر في الاستقبال اذ يركب
الجار ويقاسى الاسفار لاجل الرج الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره
طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره وسقوه إلى الموت وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده
تركه مع أن الموت ألد لحظة أذ لم يخف ما بعده ومقارنته للدنيا لا يطمعها فكأن نسبة وجوده في الدنيا
إلى عدمه ازلاً وأبداً فليست كيف يبادر إلى ترك ملاذته بقول دعي لم نعلم مجهزة على طبعه فيقول كيف
يلين بعقل أن يصكون قول الانبياء المؤيدين بالمجزات عندي دون قول نصراني. يدعي الطب
لنفسه بلامجهزة على طبعه ولا يشهد له الاعوام الخلق وكيف يكون عذاب النار عندى أخف من
عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهذا التفكير بعينه يعلم
الذلة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها بقول اذ كنت لا اقدر على ترك لذاتي أيام العروهي أيام
قلائل فكيف اقدر على ذلك أبدأ بالأبد واذا كنت لا تطيق ألم الصبر فكيف تطيق ألم النار واذا
كنت لا اصبر من زخارف الدنيا مع كدورها وتقصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر
عن نعم الآخرة وأما تسويق التوبة فيعالجها بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويق
لان المسوف بنى الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فاعلمه لا يبقى وان بقي فلا يقدّر على الترك غدا كما
لا يقدّر عليه اليوم فقلت شعري هل عجز في الحال الاغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقة بقابل
تنضاف أدت كدلاً باعتبار فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن
هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتأملين ولا يظنون أن الايام متشابهة في أن ترك
الشهوات فيها أبدأ شاق ومما شال المسوف الامثال من احتياج الى قطع شجرة فراهها قوية لا تتقطع
الابمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود اليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو
كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حكمة في الدنيا أعظم من حماقة اذ يجزم قوته من مقاومة ضعيف
فأخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف وأما المعنى الرابع وهو انتظار عفو
الله تعالى فعلاجه ما سبق وهو كمن يتفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظر من فضل
الله تعالى أن يرزقه العثور على كثرة في أرض خربة فان امكان الطوع المذنب مثل هذا الامكان وهو
مثل من يتوقع النهب من الطلبة في بلده وترك ذخائر أمواله في محن داره وقدر على دفنها واخفائها
فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غلة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يغترغ
الى داري وأذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغلة ممكنة وقد حكي
في الاسمار أن مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله مثله فتتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية
الحماقة والجهل اذ قد لا يمكن ولا يكون وأما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب
التي تعرفه صدق الرسل وذلك بطول ولكن يمكن أن يعالج يعلم قريب بل يقبضه فيقال له ما قاله
الانبياء المؤيدين بالمجزات هل صدقه ممكن أو يقول أعلم انه محال كما أعلم استحالة كون
شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال أعلم استحالة فهو أحرق مقنوعه وكأنه لا وجود
لمثل هذا في العقلاء وان قال أنا شاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد بجهول عند ترك طعامك
في البيت لحظة انه ولغت فيه حبة أو لقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وان كان
ألد الأطعمة فيقول أتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يقوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان

شديد فهو قريب وإن صدق فتقوتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما طهرهم من المحزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوى الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرض فيما يقول فليس في العقلاء الأمن صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا في كيفية فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب ينقي أبد الأباد وإن كذبوا فلا يفتونك إلا بعض شهوات هذه الدنيا القانية المكذرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذا لا نسبة للذة العرلى أبد الأباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل ألف الف سنة حبة واحدة منها لفتيت الذرة ولم ينقص أبد الأباد شيئا فكيف يقرر رأى العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الأباد ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي المعري

قال النعيم والطبيب كلاهما * لا تبعث الاموات قلت اليكما

ان صح قولك كما قلت بخاسر * أوصح قولي فان خسار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكاً كان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعاً وان فقد تخلصت وهلك أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال فان قلت هذه الأمور مرجلية ولكنما ليست تنال إلا بالفكر فبالألباب القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلته وما علاج القلوب رزها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله فاعلم أن المانع من الفكر أمران أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وهو لها وشداها وحسرات العاصين في الحرمان من النعيم المقيم وهذا فكر لذائغ مؤلم القلب فينفر القلب عنه وتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثاني أن الفكر مشغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات ومامن انسان الا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقتة فصار عقله مضطرباً في الشهوة فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فمما وفي مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك وما علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقابه ما اشتغبتونك في الاختراز من الفكر في الموت وما بعده تألم بكذره مع استحقاق ألم موقعته فكيف نصبر على مقاساة آذوقه وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به وأما الثاني وهو كون الفكر مغفولاً لذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فاتها لا آخر لها ولا كدورتها ولذات الدنيا سارة الدنور وهي مشوبة بالمكذرات فافهم اللذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن الغاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمرقته وطاعته وطول الأنس به ولو لم يكن للطبع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً فكيف بما يتضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصير عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديناً كما كان الشر ديناً فالنفس قابلة لما عودتها تتعود والخير عادة والشر لحاجة فاذن هذه الأفكار هي المهيبة للشوف المهيج لقوة الصبر عن الذات ومهيج هذه الأفكار وعظ الوراط وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تنفق لا تتدخل في المحصر فصر الفكر موارفاً للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق اذا التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل انه قام عمار بن ياسر فقال لعلي

ابن أبي طالب كرم الله وجهه يأمر المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما ذابني فقال على رضى الله عنه
بنى على أربع دعايم على الجفاء والعبي والغفلة والشك في جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت
العلماء ومن نسي الله كبر ومن غفل حاد عن الرشد ومن شك غرته الأمانى فأخذته الحسرة
والندامة وبدلها من الله ما لم يكن يحسب فإذا كراهه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكير وهذا
القدر في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره
في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى

(كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربيع الخيرات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الحدود الثناء المتفرّد إذا الكبرياء المتوحد صفات المجد والعلاء * المؤيد صفوة
الاولياء * بقوة الصبر على السراء والضراء * والشكر على البلاء والنعماء * والصلاة على محمد سيد
الانبياء * وعسى أن يحياه سادة الاصفياء * وعلى آله قادة البررة الانقياء * صلاة تحمّو رسة بالدوام عن
الفناء * ومصونة بالتعاقب عن التصرّم والانقضاء (أما بعد) فان الايمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر وكوردت به الأثار وشهدت له الاخبار وهما أيضا نصفان من أوصاف الله تعالى
واسمان من أسمائه الحسنى اذنى نفسه صبوراً وشكوراً فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جعل
بكل شطرى الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب
من الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة مابه الايمان ومن به
الايمان والتقاعدين معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك مابه
الايمان فما أوجز كذا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد
لا ريب أن أحدهما بالآخر ان شاء الله تعالى

(الشطر الأول) في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حله وحقيقته وبيان كونه نصف
الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة
والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول
تشتمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف ذكر الصبر في القرآن في ثيف وسبعين موضعاً وأضاف
أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا
لما صبروا وقال تعالى وتمت لكم ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزي
الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا
وقال تعالى انما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب فإمن قربة الاواجرها بتقدير وحساب الا الصبر
ولا جل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لى وأنا اجزي به فاضافه الى
نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين
وعاق النصر على الصبر فقال تعالى لى ان تصبروا وتنتصروا بأنكم من فورهم هذا عمد ربكم بخسة
آلاف من الملائكة مسوقين وجمع الصابرين بين أمور لم يجتمعها غيرهم فقال تعالى أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون هالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين
واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول *(وأما الاخبار) فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر

نصف الايمان على ماسيأتي وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى خطه منها ليمال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن نصبروا على ما انتقم عليه أحب الي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف أن تغيب عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم تغدو وما عند الله باق وليعبرن الذين صبروا وأجرهم الايدى وروى جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماعة وقال ايضاً الصبر كثر من كثر الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال ايضاً صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى وإن من أخلاقى انى أنا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قالوا انشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً والله يحب الصابرين والخابر فى هذا الاخصى * (وأما الآثار) فقد وجد فى رسالته عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الاشعرى عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر فى المصائب حسن وأفضل منه الصبر محارم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الايمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر وقال على كرم الله وجهه بنى الايمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضاً الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلوة للصابرين يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلوة الهدى والعلوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به الى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وكان حبيب بن أبى حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب بكى وقال واعجابه أعطى وأنتى أى هو المعطى للصبر وهو المشى وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث الثقل وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلذلك حقيقة ومعناه وبالله التوفيق

(بيان حقيقة الصبر ومعناه)

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومترل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال فالمعارف هى الاصول وهى ثورث الاحوال والاحوال ثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاعنسان والاعمال كالثمار وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة تطلق على الكل كما ذكرناه فى اختلاف اسم الايمان والاسلام فى كتاب قواعد العقائد كذلك الصبر لانه لا يمتنع الا بمعرفة سابقة وبجالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانسان والبهائم فان الصبر خاصية الانسان ولا يتصور ذلك فى البهائم والملائكة أما فى البهائم فلتنقصاتها وأما فى الملائكة فلنقصاتها وسيات أن البهائم سلطت

عليها الشهوات وصارت مسخرة لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة
تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسي ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبراً واما
الملائكة عليهم السلام فانهم جرد والشوق الى حضرة الربوبية والابتناء بدرجة القرب منها ولم تسلب
عليهم شهوة صارفة صاعدة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال فيجند آخر يطلب
الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبا اقساماً مثل الهيمة لم يخلق فيسه الا الشهوة الغذاء
الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة
الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتصادم مقتضياتهما
ومطالهما وليس في الصبي الاجند الهوى كافي الهائم ولكن الله تعالى بفضل وسعة جوده اكرم
بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة الهائم فوكل به عند كل شخص بمقاربة البلوغ ملكين احدهما
يهديه والاخر يوقظه فخير بمعونة الملكين عن الهائم واخص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى
ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية
والتعريف فالهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهواتها في الحال
فقط فلذلك لا تطلب الا الاذند واما الدواء النافع مع كونه مضر في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار
الانسان خور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغيبات مكرهه في العاقبة ولكن لم تكن هذه
الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكمن من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل
به مثلاً ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في شغرها الشهوات فيجدها هناك
القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكاً آخر يستدده ويؤيده وقوته يجنود
لم تزوها واما هذا الجند يقال جند الشهوة قساره يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب
امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق باختلاف الانصاف فليس هذه
لصفة التي يهاقها في الانسان الهائم في قبح الشهوات وقهرها باعتمادها ونسب مطالعة الشهوات
بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين و باعث الهوى والحرب بينهما
سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحرب الله تعالى
ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين
في مقابلة باعث الشهوة فان شئت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق
بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين فاذا ترك
الأفعال المشتهة عمل بشيء حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة
وثبات باعث الدين حال ثمرها المعرفة بعداوة الشهوات وهضادتها بالاسباب السعادات في الدنيا
والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التي تسمى ايماناً وهو اليقين بكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق
الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تقتضيه الشهوة فلا يتم
ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لم باعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقيع مغبة الشهوات
وسوء عاقبتها وهذا الملكان هما التمكنان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتأييده اياهما
وهما من الكرام الكائنين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت ان رتبة
الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك ان جانب اليقين الذي هو اعرف الجانبين
من جيتى المستدعي ان يكون مسلماً له فهو اذ صاحب اليقين والاخر صاحب الشك والجهل
طوراً وان الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالانفلة معرض عن صاحب اليقين ومضى

اليه فيكتب اعراضه سيئتمو بالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله له
 حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء اليه
 فيثبت عليه سيئة وبالجهادة مستخدم جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات
 والسيئات بانثائهما فلذلك سميا كراما كاتبين أما الكرام فلان شفاع العبد بكمهم والاولى الملائكة
 كاهم كرام بررة وأما المكتوبين فلانثائهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية
 في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانه ما كتبتهما وخطهما
 وصحافتهما وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لامن عالم الشهادة وكل شيء من عالم
 الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة
 الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قل صلى الله عليه وسلم
 من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعند ما يقال ولقد جئتمونا فرادى
 كما خلقناكم اولا مرة وفيها يقال كفى بتعسك اليوم عليك حسيدا أما في القيامة الكبرى الجامعة
 لسكرة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملائمت الخلق ونهايا سباق المتقون الى الجنة
 والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا والاول هو هول القيامة الصغرى وجميع أهوال القيامة
 الكبرى تظهر في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت
 فانك تعلم أن الزلزلة اذا زلزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة
 بها بل لو زلزلت مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يضرب عند زلزلة جميع
 الارض زلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك
 ارضي مخلوق من التراب وخطك الخاص من التراب بدتك فقط فاما بدنك غيرك فليس بخطك
 والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من زلزلة أن تزلزل
 بدتك بسببه والافاقهواء ابدما تزلزل وانت لا تتشاه اذ ليس تزلزل بدتك بخطك من زلزلة الارض
 كما هازلزلت بدتك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء
 أرضك وقلبك شمس أرضك وسمعتك وبصرك وسائر حواسك نجوم سماءك ومفيض العرق من
 بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك اشجار أرضك وهكذا الى جميع أجزائك فاذا
 انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزلا فاذا انفصلت العظام من العروق فقد حملت
 الارض والجبال فدكادكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند
 الموت فقد كورت الشمس دكورا فاذا ابطل سمعتك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت العيون
 انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقا فاذا انفق من هول الموت عرق جبينك
 فقد غمرت العار تغيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالآخرى وهما مطمئنان فقد عطفت العشار
 تعطلا فاذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الارض فقلت حتى ألتفت ما فيها وتخلت ولست أطول
 بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكني أقول بحجر الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى
 ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل مما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك
 ماذا ينفعك وقد انشترت حواسك التي هانتشع بالنظر الى الكواكب والأهمل يستوى عنده الليل
 والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانها قد كسفت في حقك دفعة واحدة وهو حصته منها
 فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماءه اذ السماء عبارة عما يلي جهة
 الرأس فن لا رأس له لاسماء له فن ابن ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف

بعد أسفل والهول بعدهم وخر ذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارفع لخصوص وبطلت السموات
والارض ونسفت الجبال ونجت الاهوال واعلم أن هذه الصغرى وان طوّر لنا في وصفها فانما لم تذكر
عشر عشر اوصافها وهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى
فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو في الرحم
في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل وأطوار من نقطة وعقطة ومضغة وغيرها
الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة
الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد
بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة
بالأولى فما خلقكم ولا يشكم الاكنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الأولى
بل أعداد النشأت ليست محصورة في اثنتين واليه الاشارة بقوله تعالى ونشئكم فيما لا تعلمون
فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والمليكوت والمقر بالقيامة الصغرى
دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالأعور
المجال فما اعظم قفلتك يا مسكين وكنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لاتؤمن
بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكتفيك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد
الانبياء كفي بالموت واعظاً أو ما سمعت بكرة عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم
اللهم هون على محمد سكرات الموت أو ما تسقي من استبطائك هيوم الموت اقتداء برعاف الغافلين
الذين لا يتظنون الا حصة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم
يرجعون فيأتيهم المرض تنير من الموت فلا يفرجون ويأتيهم الشيب رسولاً منه فيأتيهم
فيا حيرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فينظنون انهم في الدنيا خاللون
ألم يروا أنهم هلكوا قبلهم من القرون أنهم الهم لا يرجعون أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم
فهم معدومون كلان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا
عنها معرضين وذلك لاننا جعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولترجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى أمور
هي اعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات الدين في مقاومة ما عاث
الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكائنين ولا يكسان شيئاً على
الصبيان والمجانين اذ قد كرنا أن الحسنة في الاقبال على الاستفادة منها والسيدة في الاعراض
عنها وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يتكبان
الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض والهوى انه قد ظهر مبادئ اشراق نور
الهداية عند سنن التميز وتموع على التدريج الى سنن البلوغ كلبس ونور الصبح الى أن يطعم قرص
الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك
الصلوات ناجز او لا يعاقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل
على القيم العدل والولي البر الشقيق ان كان من الأبرار وكان على سميت الكرام الكائنين البررة
الاخبار ان يكتب على الصبي سيئته وحسنه على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه
بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة
واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كاتالته الملائكة فيكون مع النبيين

والمقربين والصديقين والبه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة
وأشار الى أصحابه الكريمين صلى الله عليه وسلم

(بيان كون الصبر نصف الايمان)

اعلم أن الايمان نارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين ونارة يختص بالاعمال الصالحة
الصادرة منها ونارة يطلق عليها جميعا والمعارف أبواب والاعمال أبواب ولاشتمال لفظ الايمان على
جميعها كان الايمان نفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من
ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين (أحدهما) أن
يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون الايمان ركنا أحدهما اليقين والاخر الصبر والمراد
باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل
بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة
على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف
الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أفلى ما أو تيمم اليقين
وعزيمة الصبر الحديث الى آخره *(الاعتبار الثاني)* أن يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال
لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والاخرة أو يضره فيها
وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر والاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد
شطري الايمان بهذا الاعتبار كأن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن
مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد رفع أيضا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى ثبات باعث الدين وكان باعث الهوى
قسيما باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة طلب اللذيذ والغضب للهرب
من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى
الغضب قال صلى الله عليه وسلم هذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي
الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي أن نفهم
تفديرات الشرع بمجود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أنه ان تعرف كثرة
أبواب الايمان فان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

(بيان الأسامي التي تعبد للصبر بالاضافة الى ما عنده الصبر)

اعلم أن الصبر ضربان أحدهما ضرب بنفي كعمل الشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل
كتعاطي الأعمال الشاقة اما من العبادات أو من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد
والمرض العظيم والجراحات المائلة وذلك قد يكون مجودا اذا وافق الشرع ولكن المجود التام هو
الضرب الآخرو هو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان
صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان عن احتمال مكروه اختلفت أساميها عند الناس
باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وفضاده حالة
تسمى الجوع والمهل وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب
وغبرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وفضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب
ومقاتلة سمي شجاعة وفضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلا وفضاده التذمر
وان كان في تأبئ من نواب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر وفضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر

وان كان في اخفاء كلام سعى كتمان السر وسعى صاحبه كتمان ما وان كان عن فضول العيش سعى زهدا
 ويزاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الخطوط سعى قناعة ويزاده الشرف فأكثر
 أخلاق الايمان داخل في الصبر ولذلك سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه
 أكثر أعمالها وعزاها كما قال الحجة عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسعى الكل صبرا لقال تعالى
 والصابر في البأس أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي الحاربة وأولئك الذين صدقوا
 وأولئك هم المتقون فانهذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الأسامي
 يظن أن هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامي مختلفة والذي يسلك
 الطريق المستقيم وينظر نور الله بلفظ المعاني أو لا فيقطع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت
 دالة على المعاني فالعاني في الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد
 وأن يزول والى الفرقين الاشارة بقوله تعالى أفن يمشي مكيا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على
 صراط مستقيم فان الكفار لم يفلطروا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانكسارات نسأل الله حصن
 التوفيق بكرمه ولطفه

(بيان اقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)*

اعلم أن باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال (أحدها) أن يقهر داعي الهوى فلا
 تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفروا والواصلون الى هذه
 الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهو لا لازموا
 الطريق المستقيم واستوعوا الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وياهم
 ينادي الشاكر يا أيها النفس الطمئة ارجعي الى ربك راضية مرضية (الحالة الثانية) أن تطب
 دواعي الهوى وتسقط بالكسبية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد
 لبأسه من الجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استترتهم شهواتهم وغلبت
 عليهم شغفتهم فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأسر من أمور الله
 والهمم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم
 من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ففسدت صفتهم وقيل لمن
 قصدا رشادهم فأعرض عن توبتي عن ذكرنا ولم يرد الا الحيرة الدنيا ذلك ملفهم من العلم وهذه الحالة
 علامتها البأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من
 دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من أتبع نفسه هواها وغنى على الله وصاحب هذه الحالة
 اذا وعظ قال أنا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فليست اطعم فيها أولم يكن مشتاقا الى
 التوبة ولكن قال ان الله عقور رحيم كريم فلا حاجة به الي توبتي وهذا المسكين قد صارع عقله رقيقا
 لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الخيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار
 عقله في بدشهواته كسمل أسير في أيدي الكفار فهم يستصغرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخوارج وحماها
 ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلدا ويسله الى الكفار ويجعله أسير اضدهم لانه فداحش
 جنايته يشبه انه سخر ما كان حقه أن لا يستخسر وسلط مباحقه أن يتسلط عليه وانما استحق المسلم
 أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعث الله الدين وانما استحق الكافر أن يكون مسلطا
 عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهما
 سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة المعنى الخسيس الذي هو من حزب

الشياطين المعدن عن الله تعالى كان كمن أرق مسل الكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ
اعز أولاده وسله إلى اغض أعدائه فأنظر كيف يكون كفراته لنعمته واستغيا به لنعمته لأن الهوى
اغض العبد في الأرض عند الله تعالى والعقل اعزم موجود خلق على وجه الأرض (الحالة الثالثة) أن
يكون الحرب سجالات بين الجندين فتارة اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد مثله لا من
الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا بعمل الصالحا وأخرسيتا عسى الله أن يتوب عليهم هذا
باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر منه فانه إما أن يظلب
جميع الشهوات أو لا يظلب شيئا منها أو يظلب بعضها دون بعض وتزبل قوله تعالى خلطوا عملا
صالحا وأخرسيتا عسى من يجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتارك يكون للعبادة مع
الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل سبيلا إذ الهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها
تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو التارك قص حقا المديربينا ولذلك قيل
* ولم أرق صوب الناس عيبا * كقص القادرين على التمام * ويتقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر
والعسر إلى ما نشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بمجهود وعصب شديد ويسمى ذلك تصبرا
والتي ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تخامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وادنا
دامت القوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تسمى الصبر ولذلك قال تعالى فأما من
أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان
الرجل القوى يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة اعياء
ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديدا لا يتعب وضريه جهد
وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وبعث الهوى فانه على التحقيق ضراع بين
جنود الملايكة وجنود الشياطين ومهما أدعت الشهوات وانقبت وتسلطت باعث الدين واستولى
وتيسر الصبر بطول المواظبة وأورث ذلك مقام الرضاء كما سياتي في كتاب الرضاء فالرضاء أعلى من الصبر
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أعبد الله على الرضاء فان لم تستطع ففي الصبر على ما نكره خير كثير
وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات * أولها ترك الشهوة وهذه درجة الثائبين
* والثانية الرضاء بالقدر وهذه درجة الزاهدين * والثالثة المحبة لما يصنع به مولا وهذه درجة
الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضاء كما أن مقام الرضاء أعلى من
مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا * واعلم أن
الصبر أيضا يتقسم باعتبار حكمة إلى فرض ونقل ومكروه ومحترم * فالصبر عن المخطورات فرض
وعلى المكروه نقل والصبر على الأذى المخطور ومخطور كن تقطع يده أو يدولده وهو يصبر عليه ساكا
وكن يقصد حرمة شهوة مخطورة فتخرج غيره فيصبر عن اظهار الفرية ويسكت على ما يجري على أهله
فهذا الصبر محترم والصبر المكروه هو الصبر على أذى به لوجه مكروهة في الشرع فلكن الشرع
محل الصبر فيكون الصبر نصف الاعيان لا ينبغي أن يتجمل اليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع
من الصبر مخصوصة

(بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه في حال من الأحوال)

اعلم أن جميع ما يأتي العبد في هذا الحياة لا يتخلون نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والآخر
هو الذي لا يوافق بكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يتخلون
أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذا لا يستغنى قطع عن الصبر *(النوع الأول)* ما يوافق

المهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشرة واتساع الاسباب ومكثرة الاتباع
والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما أوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن
الاسترسال والاركون بها والاهمال في ملاذها الباحية منها أخرجته ذلك الى البطر والظن فان
الانسان لطيفي أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلا يصبر عليه المؤمن والعوفى
لا يصبر عليها الا مبتدئ وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب
الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بقننة الضراء فصبرنا وابتلينا بقننة السراء فلم نصبر
ولذلك حذر الله عباده من قننة المال والزوج والولد فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتلوا لكم أموالكم
ولا أولادكم عن ذكر الله وقال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال
صلى الله عليه وسلم الولد مخيلة مجنة مجنة ولما نظر عليه السلام الى ولده الحسن رضى الله عنه يتعثر
في قصبة تزل من التبرع واحتضنه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم قننة انى لما رأيت ابني يتعثر
لم امك نفسي أن اخذته في ذلك عرة لاولى ابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى
الصبر عليها لا يركن اليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن
لا يرسل نفسه في الفرج بها ولا يهمل في التمتع واللذة والهوى واللعب وأن يرعى حقوق الله في ماله
بالانفاق وفي بدنه سذل المعونة للخلق وفي لسانه سذل الصدق وكذلك في سائر ما انعم الله به عليه وهذا
الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سأتى وانما كان الصبر على السراء أشد لانه
مقرون بالقدره ومن العصمة أن لا تقدروا الصبر على الحماة والقصد ان لا تغفرك أسير من الصبر
على فصدك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه اذا حضرته
الاطعمة الطيبة اللذيذة وقد رعلها فلها عظمت قننة السراء (النوع الثاني) ما لا يوافق المهوى
والطبع وذلك لا يخلو اما أن يرتبط باختيار العبد كك الطاعات والمعاصي أو لا يرتبط باختياره
كالصائب والثواب أو لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشقي من المؤذي بالانقيام
منه فهذه ثلاثة أنواع (القسم الاول) ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها
طاعة أو معصية وهما ضربان (الضرب الاول) الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على
الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتبهى الربوبية ولذلك قال بعض العارفين
ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا
وقبولا فأظهره اذا استخف قومه فأطاعوه وما من أحد الا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه
وابتاعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان متنعما من اظهاره فان استشاطته وغطته عند تقصيرهم
في خدمته واستعباده ذلك ليس بصدرا الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رد ما الكبرياء فاذا
العبودية شاقة على النفس مطلقا فمن العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره
بسبب الضل كالزكاة ومنها ما يكره بسبب مجامع كالنجس والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على
الشدة اذ يحتاج الطبع الى الصبر على طاعته في ثلاث احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح
النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء
وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكابدة النفس وقد
نهى عليه صلوات الله عليه اذ قال انما الاهمال بالنيات وانما الكل امرئ ما نوى وقال تعالى وما أمروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولما تقدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا
وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق

آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا الى صبروا الى تمام العمل * الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين الجبوع وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالحق والادنى فن لم يصبر بعد الصدقة عن الحق والادنى فقد ابطال عمله * والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليه جميعا وقد جمعها الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وابتداء ذي القربى هو المروءة ووصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثاني) المعاصي فاما احوال العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى انواع المعاصي في قوله تعالى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقنعة باعث الهوى واشد انواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والنساء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المرح المؤذي لقلوب وضروب الكلمات التي يقصدها الازراء والاستقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه شتم على النفس فلنفس فيه شهوات احداها نفي الغيبة والاخرى اثبات نفسه وبها تم له الربوبية التي هي في طبعه وهي ضئيلة ما اهر به من العبودية ولا اجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يصبر عنها وهي اكبر المورقات حتى يطل استنكارها واستقبالها من القلوب لكثرة تكررها وحموم الانس مما تقرى الانسان بليس حررا ام سلا فستبعد غاية الاستبعاد ويطبق لسانه طول النهار في اعراض الناس ولا يستذكر ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنى ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر على ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهُون من الصبر على السكوت مع مخالطة وتختلف شدة الصبر في احوال المعاصي باختلاف دواعي تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يقلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كن اصبغ وهوومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصرف وتفرق الوسواس عنه * (القسم الثاني) ما لا يرتبط بهجومه باختباره وله اختيار في دفعه كالأذى بفعل أو قول وحنى عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك ترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كان في ايمان الرجل ايمانا ناذر الصبر على الادنى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذمتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ما لا تقال بعض الاعراب من المسلمين هذه فسمه ما اريد ما واجه الله فآخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع اذهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرة اجملا وقال تعالى ولقد علم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال تعالى ولتسبحن من الذين أوتوا الكتاب من قبلك ومن الذين أشركوا اذى كثيرا وان تصبروا

وتيقوا ان ذلك من عزم الامور أي تصبروا عن المكافاة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك وأعط من حرملك وأعف عن ظلمك ورأيت في الأنجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان السق بالسق والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لا تقاموا الشر بالشر بل من ضرب خذك الايمن فقول اليه اخذ الايسر ومن أخذ رداك فأعطه اذارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسير معه ميايل وكل ذلك أمر بالصبر على الاذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لانه يتعارف فيه باعث الدين و باعث الشهوة والغضب جميعا * (القسم الثالث) * ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الإعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وحى العين وفساد الاعضاء بالجلة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضى الله عنهما الصبر في القرءان على ثلاثة أوجه صبر على أذى دافئه الرضا لله تعالى فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما افضل هذه الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من القرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اسألكم من اليقين ما تهوون على به مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال أبو سليمان والله ما نصبر على ما يحب فكيف نصبر على ما نكره وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استخيت منه يوم القيامة ان نصب له ميزانا أو انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انظار الفرج بالصبر صادة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى ان الله واننا اليه راجعون اللهم أعزني في مصيبتى وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاه من سلت كرمته قال سبحانه لا علم لنا الا ما علمنا قال تعالى جزاؤه الخلود في داري والتطري الى جهنم وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدي بيلا فصبر ولم يشك الى عواده ابديته لما خيرا من لجه ودماء خيرا من دمه فاذا أبرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يارب ماجزاء الحزن الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا ترعه منه أبدا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته ما انعم الله على عبد لعله فانتزعها منه وعرضه منها الصبر الا كان ما عرض به منها افضل مما انتزع منه وقرأ انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضاء بقضاء الله وقيل وكيف ذلك قال الراضي لا يبتغي فوق منزلته وقيل حبس الشئبي رحمه الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا أجبوا لك جاءوك زائرين فأخبرهمهم بالجارية فأخذوا مهربون فقال لو كنتم اجدوا لي صبرتم على بلاءي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصر لحكم ربك فانك يا عيننا وقال ان امرأة فتع الموصلي عثرت فانقطع ظفرها ففحصت فقيل لها ما تجدين الوجع فقالت ان لذوقه أزالته عن قلبي مرارة وجعه وقال دود سليمان عليها السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم يزل وحسن الرضاء فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نينا صلى الله عليه وسلم من اجل الله ومعرفة حقه ان لا تسكروا وجهك ولا تنكسر

مصيبتك وروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كه صرة فافتقد ها فاذا هي قد أخذت من كه فقال بارك الله فيها الله أحوج اليها مني وروى عن بعضهم انه قال حررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتل وبه رمق فقلت له أسقمك ماء فقال جرني قليلا الى العدو وأجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبره سالكى طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا تال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فان كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في اللبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخل تحت اختياره فينبغي أن يمتنع جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد أن ذلك كان ودعة فاسترجعت كالأروى من المصاء أم سلم رحمها الله انها قالت توفي ابن لي وزوجي أبوطلة غائب فقلت فحيته في ناحية البيت فقدم أبوطلة فقلت فحيات له انظاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال يحمده الله ومنه فانه لم يكن منذ اشكى بأسكن منه الليلة ثم تصنعت له أحسن ما كنت اتصنع له قبل ذلك حتى أصاب منى حاجته ثم قلت لا تذهب من جراتنا قال ما لم قلت أصبر وأعاريه فلما طلبت منهم واسترجعت جزءا فقال بئس ما صنعتوا فقلت هذا البت كان عارية من الله تعالى وان الله قد قضى له فيه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوى فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بأبا المصاء امرأة أبي طلحة وقد قيل الصبر الجليل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرج عن حد الصابرين توسع القلب ولا فقصان العين بالدفع ان يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ولأن الكآبة توسع القلب على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا غارق الانسان الى الموت ولذلك لم يمت ابراهيم وولد النبي صلى الله عليه وسلم فأضحت عيناه فقيل له أمان يتناعن هذا فقال ان هذه رحمة وانما رحم الله من عباده الرحمة بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الحجابة والقصد راض به وهو متأم بسببه لا بحالة وقد تفيض ميناها اذا عظم ألمه وسبأ في ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى وكب ابن أبي نجيج يعزى بعض الخلفاء ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما آتاهه واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المآجور فيك واعلم ان أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعاقبون منه فاذا ما دفع الكراهة بالتفكير في نعمة الله تعالى عليه بالثواب تال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة فقد ظهر لك هذه التيسيمات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة ولا انفرادا ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنافا فان اختلاصا لخواطر لا يسكن وأكثر جلالا لخواطر انما يكون في فائت لا تداركه له أو في مستقبل لا بد وأن يحصل منه ما هو متدبر فهو كيفما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر مستقبله انسا الله تعالى أو عن فكرك مستقبله معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة بحبة الله تعالى فهو مغبون هذا ان كان فكره ووساوسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الخيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال يتنازع كل

من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينازع موته يخالف أمره أو غرضه بظهور
أمارته له منه بل بقدر المخالفة من أخلص الناس في حبه حتى في أهله ولده وتوهم مخالفتهم له ثم
يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجواهرهم مما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم
فالشيطان جندان جند نظير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة
عن حركة جنده السيار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالغفار
والغفار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور أن
مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته
ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال خلقتني
من نار وخلقته من طين فإذا حيث لم يسجد الملعون لا ينأ آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن
يطعم في سجود ولا ولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده
وإذناؤه وانقياده بالانصات لسجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الأرض قاله
وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح ولوجعل وضع الجبهة على الأرض علامة استغفاف بالاصطلاح
لتصور ذلك كأن الانبطاح بين يدي العظيم المحترم يرى استغفا بالعادة فلا ينبغي أن يدهش
صدف الجواهر من الجوهر وقال الروح عن الروح وقشر القلب من القلب فتكون من قبده عالم
الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن
الوسواس إلى يوم الدين الآن تصيح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجرد الملعون
بجأليك فتند لك تكون من عباد الله المخلصين المداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا العرين
ولا تظن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سبال يجري من ابن آدم يجري الدم وسيلانه مثل الهواء
في القدر فانك أن أردت أن يتخلو القدر عن الهواء من غير أن تشغله بالهواء وغيره فقد طمعت في غير
مطمع بل بقدر ما يتخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا يحذفك ذلك القلب المشغول بمكرهم في الدين
يتخلو عن جولان الشيطان والافق عقل عن الله تعالى ولوقى لحظة فليس له في تلك اللحظة قرن
إلا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن عيش عن ذكر الرحمن تنقيض له شيطانا فهو له قرين وقال
صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يغض الشاب الفارغ وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل
باطنه بباح يستعين به على دينه كان بظاهرة فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعيش فيه الشيطان ويبض
وبفرخ ثم تزوج أفرأخه أبضا وتبض مرة أخرى وتفرخ وهكذا ينوال الدنسل الشيطان توالدا
أسرع من توالد الأسرار الحوانات لأن طبعه من النار وإذا وجد الحلقاء اليابسة كثر تولده فلا يزال
تتوالد النار من النار ولا تقطع البتة بل تسرى شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب
الشيطان كالحلقاء اليابسة للنار ولا تبقى النار إلا بقى لها قوت وهو الخطب فلا يبقى للشيطان
مجال إذا لم تكن شهوة فإذا إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك
قال الحبيب بن منصور والحلاج حين كان يهلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك
إن لم تشغلها شغلتك فإذا حقيقة الصبر وكأله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن أولى بالصبر
عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

اعلم أن الذي أزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وإن كان شاقا واجتماعه قصصه ممكن معجون
العلم والعمل فالعلم هما الاخلط التي منها تترك الادوية لأراض القلوب كلها ولكن

يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكذا ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام اللعل المانعة منه مختلفة
واذا اختلفت اللعل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقها واستثناء ذلك عما يطول
ولكن تعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوفاق مثلاً وقد غلبت
عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه
ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحته بمقتضيات الشهوات وبصرفه ذلك عن المراقبة على
الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع
باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن قلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من أردنا
أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلما هنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة
فأما باعث الشهوة فيبذل تضعيفه ثلاثة أمور أحدها أن تنظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة
الحركة الشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند
الانقطاع على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيجتز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة الثانية
قطع أسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب
والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهية
والقرار بها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظره سهم مسموم من سهام ابليس
وهو سهم يستده اللون ولا ترس منه الا تقيض الاجفان أو الحرب من صوب رمية فانه انما
يرى هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه الثالث تسليية
النفس بالمباح من الجنس الذي تشبهه وذلك بالكساح فان كل ما يشبهه الطبع في المباحات
من جنسه ما يضي عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الاثني في حق الاكثر ان قطع الغذاء يضعف
عن سائر الاعمال ثم قد لا يقع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالياه
فن لم يستطع فعله بالصوم فان الصوم له وجهان فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام
بضاهي قطع العلف من الهجمة الجوع وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني بضاهي
تضييب الجسم عن الكلب وتضييب الشعر عن الهجمة حتى لا تنصرف بواطنها بسبب مشاهدتها
والثالث تضاهي تسليتها بشئ قليل مما يميل اليه مطبها حتى يقي معها من القوة ما تصبر به على
التأديب وأما تقوية باعث الدين فانه تكون بطريقين * أحدهما الطماعة في فوائد المجاهدة
وغيرها في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر فكره في الاخبار التي أوردها في فضل الصبر وفي حسن
عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وأنه يسبب ذلك مغبوط
بالمصيبة اذ قاته ما لا يبقى معه الامدة الحياه وحصل له ما يبقى بعد مموته أبد الدهر ومن أسلم خيسا
في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لقوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان
فتارة تضعف وتارة تقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجته تهيجها شديد وان ضعف ضعفه وانما
قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لغريزة الصبر وأقل ما أوتي الناس اليقين وغريزة الصبر
* والثاني أن يقول هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجاً قليلاً قليلاً حتى يدرك لذة النظر بها
فيسبقه على ما يقوى منه في مصارعتها فان الاعتناء بالممارسة للاعمال الشاقة تؤد كد القوى
التي تصد منها تلك الاعمال ولذلك ترى بقوة الحالمين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة بقوة الممارسين
للاعمال الشاقة ترى دعوى قوة الحياطين والطيارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد
بالممارسة فالعلاج الاول بضاهي اطعام المصارع بالخلة عند الغلبة ووعده بأنواع العكرامة

كما وعد فرعون سمعته عند اغرامه اياهم مجتمعي حيث قال وانكم اذ انتم المقتربين والثاني يضاهي
 تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به
 ويستحضر عليه وتقوى فيه منتهى تركه بالكلية المحاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى
 على الشهوة وان ضعف ومن عود نفسه تخالفة الهوى غلبا مهم اراد فهذا مناج العالج في جميع
 انواع الصبر لا يمكن استيفاءه وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يستند ذلك على
 من تفرغ له بان قمع الشهوات الطاهرة وآثر العزلة وجلس للراقبة والمذكر والفكر فان الوسواس
 لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا العلاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالقرار
 عن الاهل والولد والمال والجاه والرفاه والاصدقاء ثم الاعتزال الى زاوية بعد احرار قد رسي من
 القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصرم المعلوم هما واحد وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك
 على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض
 وعبائب صحن الله تعالى وسائر ابواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله
 بذلك بمجاذبة الشيطان ووساوسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاراد المتواصلة المرتبة
 في كل لحظة من القراءة والادكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان
 الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الادوار الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من
 الاوقات الا بعضها الا لا يتخلف في جميع اوقانه عن حوادث تعبد فشغله عن الفكر والذكر من مرض
 وخوف وايداء من انسان وطغيان من مخالطة اذا لا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب
 المعيشة فهذا احد الانواع الشاغلة * وأما النوع الثاني فهو ضروري اشتد ضرورة من الاول
 وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب العاش فان همة ذلك ايضا تنحرج الى شغل ان تولاه بنفسه
 وان تولاه غيره فلا يتخلص شغل قلب عن تولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات
 ان لم تهيم به مله او واقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر ويتكشف فيه من اسرار
 الله تعالى في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عمره في زمان طويل لو كان مشغول
 القلب بالعلائق والانتهاه الى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما
 مقادير ما يتكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد
 وهو بحسب الرزق فتدبيل الجهد ويحل الصيد وقد يطول الجهد وقبل الحظ والمؤمل وراء هذا
 الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توارى اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم
 اختيار العبد في ان يعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه حواذب الدنيا فان انحدرت الى اسفل
 ساقطت لا تنجذب الى اعلى عليين وكل مفهوم بالذنب فهو مغذب اليها فقطع العلائق المجاذبة هو المراد
 بقوله صلى الله عليه وسلم ان ربكم في ايام دهركم تفحات لا تقترع ضوالمها وذلك لان تلك التفحات
 والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع
 الرزق والامور السماوية غائصة غافلا لا تدري متى يسر الله تعالى اسباب الرزق فاعلمنا الا تفرغ
 المحل والانتظار لنزول الرحمة بلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض ويقيها من الحشيش ويث
 البذر فيها وكل ذلك لا يتفقه الا بمطرو لا يدري متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى
 ورحمته انه لا يخلى سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهرو يوم عن جذبة من الجذبات ونفحة
 من التفحات فنبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة
 والاخلاص وعرضه لهاب رياح الرحمة وكما تقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور

الغيم فتوى انتظار تلك النعشات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كافي يوم
عرفه ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب يحكم تقدير الله تعالى لاستدراجه رحمة
حتى تستدرجها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرا أمطار المكاشفات ولطائف
المعارف من خزائن المكتوت اشته مناسبة منها الاستدرا قطرات الماء واستجرا الرغوم من اقطار
الجبال والجاريل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلاتك
وشهواتك فصار ذلك حجاب بينك وبينها فلا تحتاج الا الى أن تسكر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق
انوار المعارف من باطن القلب واظهار ماء الارض بحفر القني اسهل واقرب من استرسال الماء اليها
من مكان بعيد مخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب ومنسببا بالسفل عنه سمي الله تعالى جميع
معارف الايمان تذكرا فقال تعالى اتاخذن زلنا الذكروا انه لما خلقن وقال تعالى وليتذكر اولوا
الالباب وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن لذكر فهل من مدكر فهذه هو علاج الصبر عن الوسواس
والشواغل وهو اخذ درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال
الجنيد رحمه الله السير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهيران الخلق في حب الحق شديد
والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل
القلب ثم شدة هيران الخلق وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان الذرة راسية
والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون اغلب
اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية والروبية محبوبة ومطلوبة بالطبع
والقلب لما فيه من المناسبة لامور الربوبية وضمه الصابرة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس
القلب مذموم ما عني حبه ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تفرير الشيطان العين المبعد
عن عالم الامر احسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو
يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الابقاء لافناء فيه وعزا لاذل فيه واما لا خوف فيه وعني لا فقر
فيه وكالا لافقاص فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل
عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا للخلعة ولكن
الملك ملكان ملك مشوب بأنواع الآلام ومطوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك
مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان محمولا راغب في العاجلة
لهما الشيطان وتوسل اليه بواسطة الهمة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل
اليه بواسطة الحق فوعده بالغروفي الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال صلى الله عليه
وسلم والاحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الا ما في فانتزع المخذول بغروره واشتغل بطلب
عز الدنيا ولم يسكنها على قدر مكانه ولم يتبدل الموقف بحسب غروره اذ علم مداخل مكره فأعرض عن
العاجلة فعبر عن المخذولين بقوله تعالى كلاب تحبون العاجلة وتقدرن الآخرة وقال تعالى ان هؤلاء
يجبون العاجلة ويذرون ورامهم يوما تفسلا وقال تعالى فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحية
الذي اذ لك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله الملائكة الى الرسل
وأوحوا اليهم ماتم على الخلق من اهلاك العدو واغواؤه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن
الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصفاء فادوا فيهم بأبي الذين آمنوا مالم ياتوا قبل
لكم انظر في سبيل الله اتاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فامتنع الحيوة الدنيا
في الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل

ما أنزل الالادعوة الخلق الى الملك الدائم الخلد والمراد منهم أن يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة
 أم ملك الدنيا فإن هديها والقناعة بالسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء
 ألقاها فيه وعزا لأذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشیطان
 يدعوه الى ملك الدنيا لعله بأن ملك الآخرة قوت به اذ الدنيا والآخرة ضربتان ولعله بأن الدنيا
 لا تسلم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان بحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يتخلص من المنازعات
 والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم هما تسلم وتم الاسباب
 ينقضى المرحى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت ووطن أهلها لهم قادرون عليها أماها أمرنا
 ليلا أو نهارا فجعلنا هاجسا كأن لم تنف بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى واضرب
 لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأنصبع هشيما تذروه الرياح
 والزهدي في الدنيا لما أن كان ملكا حاضر احسده الشيطان عليه قصده عنه ومعنى الزهد أن يملك
 العبد شهوته وغضبه فيتقدا ان لباعث الدين وإشارة الايمان وهذا ملك بالاستغفار آذبه بصير
 صاحبه خرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبد الفرجه ويطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرامثل
 الهجمة ملوكا يستعز به زمام الشهوة أخذنا بحقيقة الى حيث يريد ويهوى فاعظم اغترار الانسان
 اذ ظن انه نال الملك بأن يصير ملوكا ونال الربوبية بأن يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الامعكوسا
 في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف أطلب
 منك حاجة وملكي أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال
 أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك ويطنك وقد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبدي في هذا اذاهو الملك
 في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة فالجدعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة
 جبهوا والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى
 الملك والربوبية ومعنى التضرع والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تهيئة الشيطان وتلبسه
 يسهل عليك التزوع من الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصبر بتركه ملكا في الحال
 وزجوه بملك في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد أن ألف الجاه وانس به ورسخت فيه
 بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد أن يضيف اليه العمل
 وعمله في ثلاثة أمور * أحدها أن يهرب من موضع الجاه الى ان يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر
 مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة
 الله في نعمة الارض اذ قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها * الثاني أن يكلف نفسه
 في أعماله افعالا يتخلف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزى الحشمة بزي التواضع وكذلك كل
 هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي أن
 يبدلها بتواضعها حتى يرسخ باعتبار ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتبار ضده فلا معنى للجاهلية
 الا المضادة * الثالث أن يرعى في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف
 الاقصى من التبذل فان الطبع تقو ولا يمكن نقله من أخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسل
 نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى أن يقطع
 بالبقية ويهتك هذا فعل شيئا فشيئا الى أن يقطع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج
 الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه رفقا ولا تبغض الى نفسك عبادة الله
 فان المنبت لأرضها قطع ولا تظهر أبقى واليه الاشارة بقوله عليه السلام لا تشاؤوا هذا الدين فان

من يشاء فغلبه فإذا ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضعفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق الجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع المهلكات واتخذة دستورك لتعرف علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الأحاد بطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر وانه كما كان يشق عليه الصبر معه فتعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده مقبوتا وما كان مكروها عنده مشريا هنيا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالصبر والمذاق وله تطهير في العادات فان الصبي يحتمل على التعلم في الابتداء فمهرافيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصارت يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب وإلى هذا يشير ما حكى عن بعض العارفين انه سأل السبلي عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قال فأيش قال الصبر عن الله فصرخ السبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا واصبروا واورابطوا الصبر وفي الله وصابروا بالله وورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناه والصبر بالله بقاءه والصبر مع الله وفاءه والصبر عن الله جفاهه وقد قيل في معناه

والصبر عنك فقدم عواقبه * والصبر في سائر الاشياء محمود

وقيل أيضا

الصبر يجعل في المواطن كلها * الاعليك فانه لا يجمل

هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأساره

(النظر الثاني) من الكتاب في الشكر وله ثلاثة أركان (الأول) في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه (الثاني) في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة (الثالث) في بيان الأفضل من الشكر والصبر

(الركن الأول في خمس الشكر)

(بيان فضيلة الشكر)

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكر وفي اذكر كم واشكروا ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال عز وجل اخبر اعراب ليس الذين لا تعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعز رتبة الشكر طعن الذين في الخلق فقال ولا تتجدا أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقبيل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالزيد مع الشكور ولم يستثن قبيل فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم واستثنى في خمسة اشياء في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تعدعون اليه ان شاء وقال ويزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال وينوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور رحيم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وأخبر عواهم أن الحمد لله رب العالمين (وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت اخبرني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لي بكن حياء ناني لسلعة قد دخل معي في فراشي أو قالت في لحاف حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنه أبي بكر ذرني اتعبد لربي قالت قلت اني أحب قربك لكنني أؤثر

هو انك فاذنت له فقام الى قربته ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فيكي حتى سالت دموعه على صدره ثم خرج فيكي ثم جعد فيكي ثم رفع رأسه فيكي فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد عقر الله لك ما تقدم من ذنبك وماتاً غرقاً فلا يكون عبداً شكوراً ولم لا تفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء ينبغى أن لا يتقطع أبداً والى هذا السر يشير ما روى أنه من بعض الأنبياء يجبر صغير يخرج منه ماء كثير فتجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فأبأ بكي من خوفه فسأله أن يبيعه من النار فأجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالبحرارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعاً وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادي يوم القيامة ليقيم الحدادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل ومن الحدادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السرور والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الرحمن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام اني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضاً في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استريدهم وبالنظر الى أن زيدهم ولما نزل في الكثر ما نزل قال حمزة رضي الله عنه أي المال تحذف قال عليه السلام ليتخذ أحدكم لساناً ذا كراو قلباً شاكراً فمرا باقتناء القلب الشاكر بدلاً عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان

(بيان حلال الشكر وحقيقته)*

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيوزن الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من النعم والحال هو الفرح بالحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود النعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر فاصر عن الاحاطة بكمال معانيه (فالاصل الاول) العلم وهو علم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقها وبذات النعم ووجود صفاته التي هي ايتام الانعام وبصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم عليه تفصل اليه النعمة من النعم بقصد و ارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم الا بان يعرف أن النعم كلها من الله وهو النعم والوسائط مسحورون من جهته وهذه المعرفة ورأما التوحيد والتقديس اذ دخل التقديس والتوحيد في رتبة الاولى في معارف الايمان والتقديس ثم اذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل ومن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله في عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله في عشر حسنات ومن قال الحمد لله في ثلاثون حسنة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الله كماله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ولا تقطن أن هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول مغانها في القلب فسمان الله كلمة تدل على التقديس والاله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف

التي هي من أبواب الايمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تسيير ذلك وايصاله اليه فهو واثق به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فتوزع فرحه عليهم فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا يقض من توحيدده في حق الملك ويكافئ شكره أن يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيع الذي كتبه بقلمه وبالكفد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكافد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما د خلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل والناظر أن يضام مضطرا من جهة الملك في الايصال وانه لو رذ الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم اليه شيئا فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكافد فلا يورث ذلك شركا في توحيدده من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والغيوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو الملسط للدواعي عليها يفعل شامت أم ابت كالتنازع المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مملو في يده فكل من وصل اليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر انسلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خبره في الله نيا والآخر في أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولولم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولولم يعلم أن منفعة في منفعتك لما منعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعك عليك بل التحذك وسبيلا الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور وكذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكت موحدا وقد رت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمحمد هاشما كرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل علم أن كل ذلك منى فكانت معرفته شكرا فاذا لا تشكر الا بأن تعرف أن الكل منه فان خالجت ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا فرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهنا بيان هذا الاصل * (الاصل الثاني) الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا في نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة بشكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان حاويا لشرطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا ما يتعدرك عليك فمه فضر بلك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفرا فانه يفرس على انسان يتصور أن يفرح بالمنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه * أحدها أن يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يراعى غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجدته في صحراء فأخذ له لكان فرحه مثل ذلك الفرح * الوجه الثاني أن يفرح به لامن حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقة عليه واهتمامه به فبالمنعم حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغناءه عن الفرس أصلا أو استغفاره به لبالاضافة الى المطلوب به من نيل الخلق في قلب الملك * الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحبل مشقة السفر لينال بخدمته ورتبة القرب منه وورعاً ليرتقى

الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يفتن بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرسا ويعتني به
هذا القدر من العناية بل هو طالع لان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس
يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل يريد ما هدهد الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون
الوزارة وبين الوزارة دون القرب لا اختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى
الشكر أصلا لان نظرها صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالقرب لا بالمعنى وهذا حال كل من فرح
بنعمة من حيث انها لذية ومواقفة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر
من حيث انه فرح بالنعيم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحقه على الانعام
في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما
الشكر التام في الفرح الثالثة وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه بقدرها على
التوصل الى القرب منه تعالى والتزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا
وأما رتبة أن لا يفرض من الدنيا الا بما هو من رتبة الآخرة فيصير عليها ويحزن بكل نعمة تليه من ذكر الله
تعالى وتقصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذية كما لم يرد صاحب القرب الفرس لانه جواد
ومهمج بل من حيث انه يحمله في محبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال النبي
رحمه الله الشكر رتبة النعم لا رتبة النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المظم والمليس
والشرب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات
في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلع لذة القلب فان القلب لا يلتذ
في حال الصحة الا لذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما ياتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ
بعض الناس بأكل الطين وكما يستشبع بعض المرضى الاشياء المخلوطة ويستعمل الاشياء المرة كما قبل
ومن يك ذا فم مرضي يض * يجدمر اياه الماء الزلالا
فاذا هذ شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل فغيري فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما
الاولى فخارجة عن كل حساب فكيف من فرق بين من يريد الملك القرب ومن يريد القرب الملك
وكيف من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد ان يوصل الله اليه * (الاجل الثالث)
العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعم وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح
أما بالقلب فقصدنا الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاطهار الشكر لله تعالى بالتحميدات
الذاتية عليه وأما الجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوفى من الاستعانة بها على
معصيته حتى ان شكر العبد أن تستر كل عيب تراهم لم يشكروا الا الذين أن تستر كل عيب
تسمع فيه فبدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار
الرضا عن الله تعالى وهو ما ربه فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير
فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه
وسلم هذا الذي أردت منك وكان السلف يسيئون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون
الشكر مطعوا المستنطق له به مطعوا وما كان قصدهم الرياء لاظهار الشوق وكل عبد سئل عن
حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالتشكر طاعة والتشكي معصية فبيعة من أهل
الدين وكيف لا يتبع التشكي من ملك الملوك ويده كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ الاخرى
بالعبدان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأقصى به الضعف الى التشكي أن تكون شكواه
الى الله تعالى فهو السبيل والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لولا عزمه والتشكي الى غيره ذل وانظهار

المال للعباد مع كونه عبداً مثله ذل فيج قال الله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فان غوا عند الله الرزق واصدوه واشكروا لله وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي أن وقد أقدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب لي تكلم فقال عمر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسنة لكان في المسلمين من هو أسنى منك فقال تكلم فقال لسنا وفداً رغبة ولا وفداً رهبة أما الرغبة فقد أوصلها الميافض لك وأما الرهبة فقد آمنتنا منها عدك وانما نحن وفد الشكر جئتكم لنشكرك باللسان وتنصرف فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بجميع حقيقته فأما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة النعم على وجه الخضوع فهو نظري في فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال ان الشكر هو التناهى على المحسن بذكر احسانه فطري إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفلاً اشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة اشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهو لا مأقوا لم تعرب عن أحوالهم فلذلك يختلف أجوبتهم ولا تنفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لا هم لا يشكرون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بجماعهم عمالهم أو يشكرون بما يرونه لا يتفاحل السائل اقتصاراً على ذكر القدر الذي يحتاج إليه واغراضاً عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحتها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بما قل أصلاً إلا أن تعرض متنازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصوداً وبقية المعاني تكون من توابعه ولوازمه ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات المغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله الموفق رحمه

﴿ بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى ﴾

لعلك يحظر رسالتك أن الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حفظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالثول بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكبير لسوادهم وسبب زيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشئ من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين * أحدهما أن الله تعالى منزوع عن الخفوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والأعانة وعن تشريجه والخدمة بالثناء والطراء وعن تكثير سواد الخدم بالثول بين يديه ركما سجداً فشكرنا إياه بما لا حظ له فيه بفضاهي شكرنا الملك النعم علينا بأن تنام في بيوتنا أو تسجد أو ترك أو لاحظ ذلك فيك وهو غائب لا علم له ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها * الوجه الثاني أن كل ما يتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقد رتنا وأرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة نعمة ولو أعطانا الملك مراكباً فاختار مراكباً أو آخره وركبناه وأعطانا الملك مراكباً أو آخره يمكن الثاني شكر الأول مقابل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الأمرين جميعاً والشكر قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع فاهل أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام

وكذلك لا يوسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنبذة
 ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكركم لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر فكأن الله تعالى
 إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعمة مني رزقت منك بذلك شكرا
 فإن قلت فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم فاني أعلم استحالة الشكر
 لله تعالى فما يكون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فإن هذا العلم أيضا فاعلم منه فكيف صار
 شكرا وكان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلة الثانية من الملك شكر
 للخلة الأولى والفهم قاصر عن ذلك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم
 أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكن أنسبه منها إلى ملاحظ وقول ههنا
 نظران * نظريين التوحيد المحض وهذا النظر بعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه الشكور وأنه
 المحب وأنه المحبوب وهذا النظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن
 ذلك صدق في كل حال ألا وأبداً لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير
 لا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ الوجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له
 بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود بلية
 وإنما الوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بئى موجوداً فإن كان مع قيامه
 بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قويم ولا يقوم إلا واحداً لا يتصور أن يكون غيره ذلك فإذا ليس
 في الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد فإن نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه
 مصدوره وأنه مرجعه فهو الشاكر وهو الشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن
 أبي حبيب حيث قرأ أنا ووجدناه صابراً ثم العبد أنه أقرب فقال وأجابه أعطى واثني إشارة إلى أنه
 إذا أثنى على أعطائه فعلى نفسه اثني فهو المثني وهو المثني عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد المهنى
 حيث قرئ بين يديه بحجهم وبجونه فقال لعمرى بحجهم ودعه بحجهم فعن بحجهم لأنه إنما يحب نفسه
 أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة صالحة لا تفهمها إلا بمثل على حد عقلك فلا يخفى
 عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنيعه فقد أحب نفسه
 والوالد إذا أحب ولده من حيث أنه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى
 فهو تصنيف الله تعالى وصنيعه فإن أحبه فأحبه إلا نفسه وإذا لم يحب إلا نفسه فعن أحب
 ما أحب وهذا كله نظريين التوحيد وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه
 وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فنى وطول ظله أربع ذراع
 ولعله يأكل في كل يوم أرطالاً من الخبز فيصحك عليهم الجاهل لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة قول
 العارفين أن يكونوا ضحكة البهالين واليه الإشارة بقوله تعالى إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا
 يضحكون وإذا هم بغياض من وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا كاهين وإذا هم قائلوا إن هؤلاء
 لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين ثم بين أن ضحك العارفين عليهم غداً أعظم أذى قال تعالى فالويلم
 الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون
 عليه عند اشتغالهم بعمل السفينة فقال إن تسفروا منا فإنا نسفركم كما تسفرون فهذا أحد النظيرين
 * النظر الثالثي نظري من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يشبوا الأوجود أنفسهم
 وأنكروا أن يكون لهم رب بعد هؤلاء هم العبيان المنكوسون وعماهم في كلنا العبيان لأنهم نفوا
 ما هو الثابت تخفيقا وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم قائم به

ولم يقتصر واعلى هذا حتى اشتهوا أنفسهم ولوعرفوا علوا انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا الامن حيث وجدوا وافرقت بين الوجود وبين الموجد وليس في الوجود الا الموجود واحد وموجد الموجد حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجد قائم وقيام الوجود هالك وفان اذا كان كل من عليهما فان فلا يبقى الا وجه ربك ذوالجلال والاكرام * الفرق الثاني ليس بهم عي ولكن بهم عور لا تبصرون باحدى العينين وجود الموجد الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عما هالم تبصر بها فناء غير الموجد الحق فأثبت موجود الله تعالى وهذا مشرك تحقفا كما ان الذي قبله جاحد تحقفا فان جاوز حد العي الى المجد أدرك تعاونا بين الموجد من فأنبت صبا ورايا فهذا القدر من اثبات التفاوت والبعض من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم ان كل بصره مما يزيد في أنواره فيقل عشمه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما اثبتته سوى الله تعالى فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يقضي به النقصان الى الحق فيسمى عن رؤية ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصان وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبتهماد درجات لا تخصي فيها تفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على السنة رساله هي الكمال الذي يحصل أنوار الابصار والانياء هم الحكاؤون وقد جازوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه أن لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والمجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله فزني فكانوا داخلين في أوائل ابواب التوحيد دخول ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفخ بصيرته في بعض الاحوال فتخرج له حقائق التوحيد ولكن كالبريق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح لذلك وثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

لكل الى شأ والعلاركات * ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقبل له واسجد واقترب قال في سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب فغنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقرب ورق من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارامته اليه ومستعينا ومثبا فغنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم لا أحصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدته قوله أنت كما أثنيت على نفسك بيان انه المنى والمثني عليه وان الكل منه بداو اليه يعودوا أن كل شيء هالك الا وجهه فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لا يرى الا الله تعالى وأفعاله فيستعيز بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايتها اذ انتهت الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعد ايا الاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصان في سلوكه وتقصير في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة فكان ذلك تربيته الى سبعين

مقاما بعضا فوق البعض أولها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضي الله عنها ليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبد اشكروا معناه أفلا أكون طابا بالمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لن شكرتم لأزيدكم واذ تغفلنا في بحار المكاشفة فلتقبض الغنان ولترجع الى ما يلقى بعلوم المعاملة فتقول الاتباع عليهم السلام دعونا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فأقول يمكنك أن تفهم أن ملكا من الملوكة أرسل الى عبد قد بد منه مراكوبا وملبوسا ونقد الاجل زاده في الطريق حتى قطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان (احداهما) أن يكون قصده من وصول العبد الى حضرة أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته (والثانية) أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة فتنفي فيه غناه وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والازاد ان يحظى العبد بالقرب منه وبسال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وانفعاه فنزل العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكر في الحالة الاولى يجر دالركوب والوصول الى حضرة مالم يقم بخدمته التي ارادها الملك منه وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يصور أن يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه اليه مولا فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وفكره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطيه أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فهما ليس العبد الشوب وركب الفرس ولم ينفع الزاد الا في الطريق فقد شكر مولا اذا استعمل نعمته في محبة أي فيما أحبه لعبد له لان نفسه وان ركبها واستند برحمة وأخذ سعادته فقد كفر بنعمة أي استعملها فيما كرهه مولا له لعبد له لان نفسه وان جلس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا بنعمة اذا أهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرته يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرة وانما سعادتهم في القرب منه فأتوا عليهم من النعم ما يقدر على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم غير الله تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا والآية فاذا نعم الله تعالى آيات يترق العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعدوا العبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر ولو ائتمت عجة مولا وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لا قضاها ما بكره مولا ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده العصية وان عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق الله للعبد ليتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو قد وطأ طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعمالها في طريق العبد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالعصية والطاعة تستعملهما المشيئة ولكن لا تستعملهما المحبة والكره بل رب مراد محبوب ورب

مراد مكرهه ووراء بيان هذه الحقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد اخل بهذا الاشكال
 الأول وهو انه اذا لم يكن للشكور حظ فكيف يكون الشكر وهذا أيضا يخل الثاني فاننا لم نعلم
 بالشكر الا انصرف نعمة الله في جهة تحبه الله فاذا انصرف النعمة في جهة المحبة فعل الله فقد حصل
 المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد انتى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك فهو
 الذي أعطى وهو الذي انتى وصار أحد فعله سببا لانصرف فعله الثاني الى جهة تحبه فله الشكر
 على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك تحمل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك
 موجد له كأنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعلم وموجده ولكن بمعنى أنك تحمل
 له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بأنك شاكر اثبات شئنة لك وأنت شئ اذ جعلك خالق
 الاشياء شيئا وانما أنت لا شئ اذا كنت أنت ظنا لنفسك شيئا من ذاتك فاما بابه انظار الى
 الذي جعل الاشياء اشيئا فانت شئ اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شئ تحقيقا والى
 هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له يا رسول الله فقيم العمل
 اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فتبين أن الخلق يجارى قدرة الله تعالى ويحمل أفعاله وان كانوا
 هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله عمل البعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول
 صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعليهم فعل من أفعال الله
 تعالى والعلم سبب لاعتبات داعية جازمة الى الحركة والطاعة واعتبات الداعية أيضا من أفعال الله
 تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض
 أى الأول شرط لثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة
 شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أى
 هو شرط ومعنى كونه شرطاته لا يستعمل لقبول فعل الحياة الا جوهرو لا يستعمل لقبول العلم الا ذوقه
 ولا لقبول الارادة الا ذوقه علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله
 موجد لغيره بل ممد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق الرتبة الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان
 قلت فلم قال الله تعالى اعملوا الا فانت معاقبون مضمومون على العصيان وما الينائي فكيف ندع
 وانما السلك الى الله تعالى فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقادنا والاعتقاد سبب
 لهيئان الخوف وهيئان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول
 الى جوار الله والله تعالى مسبب الاسباب ومرتها في سبق له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب
 حتى يقوده بسلسلته الى الجنة ويعبر عن مثله بأن كلما ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى
 بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فان لم يسمع لم يعلم واذا
 لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان
 وان جهنم لم يعد لهم أجمعين فاذا عرفت هذا انصب من قوم يقادون الى الجنة بالسلال فمن أحد
 الا وهو مقود الى الجنة بسلال الاسباب وهو تسلط العلم والخوف عليه وامن من تغذول الا وهو
 مقود الى النار بالسلال وهو تسلط النقلة والامن والغرور عليه فالتقون يساقون الى الجنة قهرا
 والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قهرا الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف
 الغطاء عن أعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله
 الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين
 لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نداء ما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا يتفهم

الكشف فتعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعلم فانه أصل أسباب الهلاك

﴿بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه﴾

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الكفر تنقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكرهه ولتفريق ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان (أحدهما) السمع ومستنده الآيات والخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الأخير عسير وهو لا جل ذلك عزيز فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو أدرأه حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئاً في العالم الا وفيه حكمة وتحته الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جليلة وخفية أما الجليلة فكالعلم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً والليل لباساً لتنبيه الحركة عند البصائر والسكون عند الاستتار فهذا من حكمة حكم الشمس لا كل الحكمة فهاهنا بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في القيم وزوال الامطار وذلك لانشقاق الارض بأنواع النبات مطعماً للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجليلة التي خلقها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى انا صبينا الماء صبائهم شققنا الارض شققاً فأنبتنا فيها حبا وعنباً وآية وأما الحكمة في سائر الكواكب السائرة منها والنوابت فغفيرة لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة السماء لتستلذ العيون بالنظر اليها وأشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا زينة السكاك جميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورباحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته من حكم كثيرة من حكمه فاحدة الى عشرة الى ألف الى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمها كالعلم بأن العين لا تبصر الا للبطش والبسد للبطش وللشي والرجل للشي لا للشم فأما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف فيها الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدر ايسر ابا الاضافة الى ما في علم الله تعالى وما أوتيت من العلم الا قليلاً فاذا كل من استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة الله إذ خلقت له اليد لدفع بها عن نفسه ما يهلكه وبأخذ ما يتبعه لئلا يهلك بها غيره ومن نظراً الى وجهه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ البصائر يتم بها وانما خلقنا ليصير بها ما يتبعه في دينه ودينه وبقية ههنا ما يضرب فهم ما فقد استعمالها في غير ما أريد تأبه وهذا لأن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسسها بها أن يستعين الخلق بهما على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والنجاة عن غرور الدنيا ولا أنس الا بدوام الذكروا لمحبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام التفكير ولا يمكن الدوام على الذكروا الفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالغذاء ولا يتم الغذاء الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بتلقي السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهراً وباطناً فكل ذلك لا جل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق الآية فكل من استعمل شيئاً

في غرطاة الله فقد كفر بعملة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية * ولتذكر
مثلا واحدا الحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبرها وتعلم طريق الشكر والشكران
على النعم فتقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في
أعيانها ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان يحتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه
وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه من ملك ما يستغنى عنه كمن ملك الزعفران مثلاً وهو يحتاج الى
جمل يركبه ومن ملك الجبل ربما يستغنى عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في
مقدار العوض من تقدير لا يبذل صاحب الجبل جملة بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين
الزعفران والجبل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري داراً بشئ أو عبداً
بجف أو دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدري أن الجبل كم يسوى بالزعفران فتعذر
المعاملات جداً فافتقرت هذه الاعيان للتناثرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل
فيعرف من كل واحد رتبته ومنزله حتى اذا تقرررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي
من غير المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر
الاموال بهما فيقال هذا الجبل يسوى مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهمامن
حيث انهما مساويان بشئ واحد اذ هما مساويان وانما ممكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في
أعيانها ولو كان في أعيانها غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض
ترجيها ولم يقض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتداولهما لا يدي
ويكونا حاكين بين الاموال بالعدل والحكمة أخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عاززان
في أنفسهما ولا غرض في أعيانها ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فساكنه
ملك كل شئ لا كمن ملك ثوباً فإنه لم يملك الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يقب صاحب الطعام
في الثوب لان غرضه في دابة مثلاً فاحتج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كأنه
كل الاشياء والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذ لم تكن له صورة خاصة فيبدها بخصوصها
كالرأفة لولون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف
لا معنى له في نفسه ويظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم بطول ذكرهما فكل
من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر بعملة الله تعالى فيهما فاذا
من كثرهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن بمنع عليه الحكم
بسببه لانه اذا كثر فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد
خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للأحد في أعيانها فانهما حجران وانما خلقا لتداولهما لا يدي
فيكونا حاكين بين الناس وعلا مقصود معرفة التقدير بمقومة للتراتب فأخبر الله تعالى الذين يهزون من
قراءة الاسطرالية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي
لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله صلى الله عليه
وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجوز اعن ادراكه فقال تعالى والذين
يكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشربهم بغير أبىم وكل من اتخذ من الدراهم
والدنانير ثمة من ذهب أو فضة فقد كفر بالنعمة وكان أسوأ حالاً ممن كثر لآلئ مثال هذا مثال
من استخبر حاكم البلد في الحياة والكس والاعمال التي يقوم بها الخساء والناس والحبس أهون
منه وذلك أن الحرف والحديد والرصاص والنحاس شوب مناب الذهب والفضة في حفظ المنافع

عن أن يتبدد وأما الإلزام في حفظ المائعات ولا يكتفي بالخرف والحد في المقصود الذي أريد به التوقد
 في لم يكشف له هذا الكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما
 يجرح في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدرهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما
 خلقا لغيرهما لا لنفسهما إذ لا غرض في عينهما فإذا التجرف في عينهما فقد اتخذ ههما مقصودا على خلاف
 وضع الحكمة اطلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به
 طعاما ودابة أو زجرا لبيع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بتقدأخر ليحصل النقد
 فيتوصل به إلى مقصوده فانهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما وموقفيهما في الأموال كوقع
 الخرف من الكلام كما قال العنبريون أن الخرف هو الذي جاء المعنى في غيره وكوقع المرأة من الألوان
 فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبعه بالنقد فيتعذر التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقبدا عنده
 وينزل منزلة المكسور وتقييد الحاكم والعبد الموصل إلى الغير ظلم كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد
 بالنقد إلا اتقاء التقدم مقصود الأذخار وهو ظلم فإن قلت فلم جازييع أحد التقدين بالأحرم جازييع
 الدرهم بمثله فاعلم أن أحد التقدين بخالف الآخر في مقصود التوسل إذ قد تيسر التوصل بأحدهما
 من حيث كثره كالدرهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا في المنع منه ما يشوق المقصود انخاص به
 وهو تيسر التوصل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم مماثلته فإثر من حيث أن ذلك لا يرغب فيه عاقل
 مهما ناسا وبالا يشتغل به تاجر فإنه يشتغل بغيره ويحرم الدرهم على الأرض وأخذ به بعينه ونفس
 لا تخاف على العقلاء أن يهرقوا أو قاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذ به بعينه فلا تمنع مما
 لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا ينشور جريانه إذ صاحب
 الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينظم العقود أن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا
 جرم نعمة منه وتحكم بأن جيدها ورديئها سواء لأن الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر إليها فيما يقصد
 في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وأما الذي ظلم هو الذي
 ضرب النقد بمختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقق أن لا تقصود أو ما
 أذابا درهم بدرهم مثله نسيئة فانما لم يحجز ذلك لانه لا يقدم على هذا إلا ما سمح فأصله لا حسان
 في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقي صورة المسامحة فيكون له حرد وأجر والمعوضة لا حرد
 فيها ولا أجر فهو بالضال لأنه اضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة وكذلك
 الأطعمة خلقت لتغذي بها وتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها
 يوجب تقيدها في الأيدي ويؤخر عنها الكل الذي أريدت له فإخلاق الله الطعام اللؤلؤ كل والحاجة
 إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستحق عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستحق
 عنها إذ من معه طعام فلم لا يأكله أن كان محتاجا لم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه
 من يطلبه ببعض غير الطعام يكون محتاجا إليه فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستحق
 عنه ولهذا أورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب فلم
 يأتع البر بالقر معذرة إذ أحدهما لا يستمسك الآخر في الغرض ويأتع صاع من البر بصاع منه غير
 معدور ولكنه عايت فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة
 الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد أو ما يجبر ديتين فقد يقصد ولكن لما كانت
 الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة ويخالفه في وجوه التمتع اسقط
 الشرع غرض التمتع فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد

الاعراض من فن الفقه فخلق هذا فن الفقهيات فانه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافات
وهذا ينفع رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون المكسبات الاول دخل
الجسم فيه فكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الخلق لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم
المذاهب فيه لانخصه بالاقوات ولكن كل معنى رعاه الشرع فلا بد أن يضبط بمحدد وتحديد هذا
كان ممكناً بالقرينة وكان ممكناً بالمعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المعوم أخرى لكل ما هو ضرورة
البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن
التحديد يقع كذلك بالضرورة ولولم يحدد لتعريف الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال
والاشخاص فبين المعنى بكمال قوته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا
فلذلك قال الله تعالى ومن يعتد حدوا لله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها
الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يجتدع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الحرباء السكر
وقد جحد شرعنا بكونه من جنس السكر لأن قلبه يدعوا إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في
التعريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجللة الأصلية هذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقنين
فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها هذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا
يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة ومن يؤث الحكمة فقد أوفى خيرا كثيرا ولكن لاتصادف جواهر
الحكم في طلب هي مزايل الشهوات وملابح السباطين بل لا يتذكر إلا أولوالباب ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لولا أن السباطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء وإذا
عرفت هذا المثال ففسر عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر
واما كفر اذا لم تصور أن ينفعك عنها وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطح به عوام الناس
بالكراهة وبعضه بالخظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالخظر فأقول مثلا استجبت
بالبنى فقد كبرت نعمة البدين ادخل الله لك البدين وجعل احدهما أقوى من الأخرى فاستحق
الأقوى بجزيرته في الغالب التشریف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول من العدل والله
لا يأمر إلا بالعدل ثم أحسبك من اعطاك البدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها
خسيس كإزالة العباسة فاذا أخذت المصحف باليسار وأزلت العباسة باليمين فقد خصصت
الشريف بما هو خسيس ففضضت من حقها وطلتها وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلاً في
جهة القبلة واستقبلتها قضاء الحاجة فقد كبرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم
لانه خلق الجهات لتكون متمسك في حركاتك وقسم الجهات إلى ما لشرتها وما لشرها وان وضع
فيها بيتاً أضافه إلى نفسه اسمالة لتعليك اليه ليقبده قلبك فيقيد بسببه بدلت في تلك الجهة على هيئة
النبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي
خسيسة كفضاء الحاجة ورعى البصاق فاذا رمت بصاقت إلى جهة القبلة فقد طلبتها وكبرت نعمة
الله تعالى عليك بوضع القبلة التي يوضعها كالعبادت وكذلك اذا لبست خنك فابتدأت باليسرى
فقد طلبت لأن الخف وقاية للرجل فالرجل فيه حظ والبذاءة في الخطو ينبغي أن تكون بالانترف
فهو العدل والوفاء بالحكمة وتفضيه ظلم وكفران نعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وان
سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع أكرار من الخبطة وكان يصنع في هافسئل عن
سببه فقال ليست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً فأريد أن أكفره بالصداقة نعم
الفقيه لا يتدبر على تخيم الامر في هذه الامور لانه مسكين بل باصلاح العوام الذين تقرب درجاتهم من

درجة الانعام وهم مغسوسون في طلمات الحطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الطلمات بالاضافة إليها
فقيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدرح يساره فقد تعدى من وجهين أحدهما الشر والآخر
الأخذ بالسارور من باع خمر في وقت النداء يوم الجمعة فقيح أن يقال خان من وجهين أحدهما باع
الخمر والآخر البس في وقت النداء ومن قضى حاجته في حمراب المسجد مستدير القبة فقيح أن يذكر
تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث أنه لم يجعل القلفة عن عيئه فالعاصي كلها طلمات وبعضها فوق
بعض فينعمق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكنبه بغير إذنه ولكن
لو قتل بتلك السكنى أعز وألاده لم يبق لاستعمال السكنى بغير إذنه حكم ونسكابه في نفسه فكل ما راعاه
الانبياء والأولياء من الآداب ونسأ عفافه في الفقه مع العوام فسيببه هذه الضرورة والأفكل هذه
المكاره عدول من العدل وكفران النعمة ونقصان من الدرجة للبلغة للعباد إلى درجات القرب نعم
بعضها يؤثر في العبد نقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم
العبد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر قصان من شعرة عن غير حاجة ناجز مهمة ومن غير
عرض صحيح فقد كفر بعبادة الله تعالى في خلق الاشجار وخلق اليد ما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة
والاعمال المنعقدة على الطاعة وما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق
فيه قوة الاعتناء والنماء ليلج منه نشوة فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوة لا على وجه ينتفع
به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول من العدل فان كان له عرض صحيح فله ذلك إذ الشجر والحيوان
جعل لخدمة لا لغرض الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان فاغناه الاخس في بقاء الاشراف مذقنا
أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم مافي السموات
ومافي الارض جميعا منه نعم اذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وان كان محتاجا لان كل شجرة
بعبئها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحداهما من غير رحمان
واختصاص كان ظالما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق إليه الماء
وقام بالتحديق هو أولى به من غيره فخرج جانبه بذلك فان ثبت ذلك في موات الارض لا يسعي آدمي
اخص بغيره أو بغيره فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السابق إلى أخذه فللسابق خاصية
السبق فالعدل هو أن يكون أولى به وغير الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو يجازي بعض اذ لا ملك
الملك الملوك الذي له مافي السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس ملك
نفسه بل هو ملك غيره نعم اخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد أدن لهم في الاكل من مائدته بقدر
حاجتهم فالملك ينصب مائدة لبيده فمن أخذ لقمه بيمينه واحتوت عليها راحته فبها صيد آخر وأراد
انزاعها من يده لم يمكن منه لان اللقمة صارت ملكه بالاخذ باليد فان اليد صاحب البدن أيضا
ملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بيمينه لا تفي بحاجة كل العبد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب
من الترجيح والاختصاص والاخذ باختصاص بغيره العبد فمع من لا يدرك تلك الاختصاص عن
ضراحيته فهكذا ينبغي أن نفهم أمر الله في عباده ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من
حاجته وكثر ما أمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم وهو من الذين يكتزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا انما تنفذ
ضروراتهم وترفع حاجاتهم نعم لا يدخل هنا في حد فتاوى الفقه لان مقدار الحاجات خفية
والنفوس في استئثار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الامار غير معلومة فتكليف العوام ذلك
يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسمكوت عن كل كلام فيهم وهم يحكم بقصائهم

لا يطغونه فتركوا الاعتراض علمهم في اللعب والاهو وأباحنا ذلك أياهم لا يدل على أن الله هو اللعب
حق فكذلك أباحنا القوام حفظ الأموال والاقتصاد في الانفاق على قدر الزكاة لقصور ما جعلوا
عليه من الخبز لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه أقال تعالى ان يسأل الكواهي فيكم
تخطوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال
القدر لا قدر زاد الركب فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان الى حضرة الملك الديان فنأخذ زيادة
عليه ثم منعه عن ركب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج من مقصود الحكمة وكافر بغير
الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الركب
وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة
الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تفي الا بالقليل وانما أردنا هذا القدر ليعلم علنا الصدق
في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح بالمس لغيره الله قوله ولا تجد أكفركم شاكركم
فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخرى ذلك تنفي الأعمار دون
استقصاء عبادها فأما تفسير الآية ومعنى لفظها يعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق
بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجح حاصل هذا الكلام الى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل
بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من
تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف
ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال
باق وهو أن فعل العبد المنقسم الى ما بين الحكمة والى ما فيها هو أيضا من فعل الله تعالى فأي العبد
في البين حتى يكون شاكرا وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم
من علوم المكشفات وقدر خزانة فيما سبق الى تلويحات ببنادها ونحن الآن نغير عبارة وجيزة عن
آخرها وغايتها فهمها من عرف منطق الطير فنقول ان الله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر
الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمسها عين وأضع اللغة حتى يعبر بها بعبارة تدل
على كنه حلها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة تعلق شأنها ومحطاط رتبة واضعي
اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم الى مبادئ اشراقها فاحتضنت عن ذروتها أيضا هم كاتفتقض
أبصار الخفايش من نور الشمس لا لغرض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الخفايش
فأضطر الذين فقت أبصارهم للملاحظة جلالها الى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين
باللغات عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة تعاسرا بسبب
استعارتهم على النطق فقلنا الله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم
في الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص
صفاتها صفة أخرى استعير لها مثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها أن الجملة عند
المتناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على
كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة الى
ما ينساق الى المنهي الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة
المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي هي أتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته
عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقبل انهما جميعا دخلا في وصف

الشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوهي لفظ المحبة والكراهة من جملة أمور الجملة
عند طالب الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم أضامن خلقه واختارحه الى من
سبقته له المشيئة الازلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهراً في حقهم
بنتسب الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقته لهم في الازل أن يستعملهم لبسافة حكمته الى
غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعمله نسبة
المستعملين في انعام الحكمة عليهم عبارة الرضاء واستعمل الذين استوقفهم هم اسباب الحكمة دون غايتها
عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقت الحكمة به دون غايتها فاستعمله
الكفران وأردف ذلك بنقطة اللعن والمذمة زيادة في النكول وظهر على من الرضاء في الازل فعل
انصاف بسببه الحكمة الى غايتها فاستعمله عبارة الشكر وأردف بخله الثناء والاطراء زيادة
في الرضاء والقبول والاقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجبال ثم اتى وأعطي التكال ثم فوج
وأردى وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ من أساخه ثم يابسه من محاسن ثيابه فادامهم زينة
قال يا جميل ما جعلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجميل وهو اللئى على
الجمال فهو اللئى عليه بكل حال وكأنه يمشى من حيث اللئى الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من
حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في الازل وهكذا تتسلسل الاسباب والسبببات
بتقدير الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك من اتفاق وبحيث بل من ارادة وحكمة وحكم حق
وأمر جزم استعمله لفظ القضاء وقيل انه كبح البصر وهو أقرب فقضت بحار المقادير بحكم ذلك
القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعمله ترتيب آحاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر فكان
لفظ القضاء بآثار الامر الواحد الكلى ولفظ التقدير بآثار التفصيل المتبادى الى غيرهما وقيل ان
شيئاً من ذلك ليس خارجاً عن القضاء والقدر لخطر بعض العيا أن القسمة لماذا اقتضت هذا
التفصيل وكيف انظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطبق ملاحظة
كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فأجلواهم ليطبقوا خوض عمرته بلعام النعم وقيل لهم استكروا
فأخذوا لقم لا يسأل عما فعل وهم يسألون وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً فقبسنا من نور الله تعالى
في الهاموات والارض وكان زينهم أو لا صافيا كيد يضيء ولولم تحسبه نار فتته نار فاشتعل نور على نور
فأشرفت أقطار المنكوت بين أيديهم سوردها فادركوا الامور كلها كما هي عليه فقبل لهم تأذوا
بآداب الله تعالى واستكروا اذا ذكر القدر فأمسكوا فان العسلطان آذانا وحوه اليم خضعاء لا بصار
فسير وابسب اضعفكم ولا تكشفوا احجاب الشمس لا بصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم
فتلقوا بآداب خلق الله تعالى وانزلوا الى جهنم الدنيا من منتهى علوكم يا اسير بكم اضعفاء وبقبسا من
يقاها نواذك المشرق من وراء حجابكم كايقبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جح
الليل فيحيى به حياة يجعلها خصه وحاله وان كان لا يجيى به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكوكون
كن قيل فيهم شربنا شربا طيبا عند طيب * كذلك شرب الطيبين بطيب
شربنا وأهرقنا على الارض فضله * والارض من كأس الكرام نصيب
فهكذا كان أول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت أهله واذا كنت أهله ففقت العين
وأبصرت فلا تحتاج الى قائد يودك ولا هي يمكن أن يقاد ولكن الى حدة ما اذا ضاق الطريق وصار
أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يسير وراءه ما هي
وإذا دق الجبال وطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة

السباحة أن يعبر نفسه ورجام بقدر على أن يستعبر وراءه آخر هذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو محال جواهر الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض والسباحة يمكن أن تتعلم فأما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل بنال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن عيسى عليه السلام يقال أنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو أزداد يقيناً المشي على الهواء فهداه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم العامة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً إلى أفهام الخلق أذ عرف أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبيدين يجب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكن ويسف الآخرة واسمه إبليس وهو العين المنتظر إلى يوم الدين ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى قل زله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يأتي الروح من أمره على من يشاء من عباده وأحال الآخرة على إبليس فقال لمصلهم من سبيله والافواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبة إلى العبد الذي غضب عليه والإرشاد سببه لهما إلى الغاية فانظر كيف نسبة إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال للملك إذا كان محتاجاً إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحميه ويتطف فناء منزله عن القادورات وكان له عبيدان فلا يعين لهما الحياة والتنظيف إلا أفعهما وأخمسهما ولا يفوض حمل الشراب الطب إلا إلى أحسنهما وأكلهما وأحجمهما والهوا لا ينبغي أن تقول هذا فعلي ولم يكون فعله دوني فأنك أخطأت إذ أخضعت ذلك إلى نفسك بل هو الذي صرف داعتك لتفصيل الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب انما العدل فإن عدله تارة يتم بأمر ولا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فأنك أيضاً من أفعاله فذا عنتك وقدرتك ومهلك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذي رتبته بالعدل ترتيباً تصد رتبته الأفعال المعتدلة إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضعفه إلى نفسك وانما أنت مثل الصبي الذي نظير ليلي إلى لعب المشعة الذي يخرج صوراً من وراء حجاب رقص وترقص وتقوم وتقعده وهي مؤلفة من خرق لا تعزلها بنفسها وانما تخرجها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في بلد المشعة وهو محجب عن أبصار الصبيان فيقرحون ويتجبنون لظنهم أن تلك الخيوط رقص وتلعب وتقوم وتقعده وأما العقلاء فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بعزل ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كإعلاء المشعة الذي الأمر إليه والجدابة يبيده فكذلك صبيان أهل الدنيا وخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيعملون عليها والعلماء يعملون أنهم مجرد كون الأنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم لا يكتفون إلا العارفون والعلماء الراسخون فانهم أدرى وأجدة أبصارهم خيوط دقيقة عندك نسبة بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لاهلها هذه الأبصار الظاهرة ثم شاهد ورؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا تلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسماوات وشاهدوا أيضاً ملائكة السماوات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يعضوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن قيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السماوات لما ينزل إليهم من القدر والأمر

فقبل خلق سبع سموات ومن الارض مثلون ينزل الاشرار ينزل لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان
الله قد احاط بكل شيء علما وهذه امور لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وغيرهم عناس رضى
الله عنهم من اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها افعالهم الخلق حيث قرأ قوله تعالى ينزل الامر
ينزل فقال لو ذكرت ما عرفه من معنى هذه الآية لم جئتوني وفي لفظ آخر قلتم انه كافر ولتقتصر على
هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قضية الاختيار وامتنع بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى
مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعلا في انعام حكمة الله تعالى فاشكر
الصادق اجمع الى الله وافرهم اليه وافرهم الى الله الملائكة وطسم ايضا ترتيب وامانهم الاول مقام
معلوم واعلاهم في رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل عليه السلام واما علو درجته لانهم في انفسهم
كرام بررة وقد اصلى الله تعالى بهم الانبياء عليهم السلام وهم اشرف مخلوق على وجه الارض وبلى
درجته من درجة الانبياء فانهم في انفسهم اخبار وقد هدى الله لهم سائر الخلق ونعم بهم حكمة
واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اذا كل الله به الدين وخته به النبيين وبليهم العلماء
الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلى الله لهم سائر الخلق ودرجة كل واحد
منهم بقدر ما اصلى من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصل ودنا الخلق كما اصلى
العلماء بينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان افضل من
سائر الانبياء فانه كل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء فبلى
العلماء والسلاطين الصالحون الذين اصلو دينهم ووثق وسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم بل فهم ومن
عدا هؤلاء فمخرج رعايهم واعلم ان السلطان به قوام الدين فلا ينبغي ان يستعزوا وان ظالم فاسقا
قال عمرو بن العاص رحمه الله امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون
حكمكم امراء تعرفون منهم وتكرهون ويفسدون وما يصلح الله لهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم
الشكر وان اساءوا فلهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن
دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل ابي الناس خير فقال
السلطان فقبل كاذري ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان الله تعالى كل يوم نظرين نظرة الى
سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته فيفقره لجمع ذنبه وكان يقول
الخشب السود المعلقة على اوتابهم خير من سبعين قاصا يقصون في الركن الثاني من اركان
الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة فلندكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها
وبحماها فاما ينحصر ويتم فان احصاه نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان
اعتدوا نعمة الله لا تحصوها فقدم امورا كلية تجري القوانين في معرفة النعم ثم تستغل بل ذكر
الاحاد والله الموفق للصواب

في بيان حقيقة النعمة واقسامها

اعلم ان كل خير ولاة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة
الاخرية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تدوم
على الاخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة لشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على
السعادة الاخرية اصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الاخرة معين عليها اما بواسطة واحدة
او بواسطة فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لاجل انه يقضى الى النعمة الحقيقية والاسباب العينية
والذات المسماة نعمة تشرعها بتقسيمات في القسمة الاولى في ان الامور كلها بالاضافة الى انقسام
الى ما هو نافع في الدنيا والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيه جميعا كالجهل

وسوء الخلق والى ما يقع في الحال ويضرب في المال كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضرب في الحال ويؤلم
ولكن يبقى في المال كقمع الشهوات وغلبة النفس فالنافع في الحال والمال هو التمتع حقيقة كالعلم
وحسن الخلق والضار فيه ما هو البلا والتحقق وهو ضدهما والنافع في الحال الضّر في المال بلا محض
عند ذوى البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الخائض اذا وجد سلا فسهم فانه بعده نعمة ان كان
جاهلا واذ علم ان ذلك بلا مسبق اليه والضار في الحال النافع في المال نعمة عند ذوى الالباب
بلاه عندا لجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاستقام وجالب
للحبة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كاف شر به ظنه بلاه والعاقل بعده نعمة ويتقلا النعمة من مديته
اليه ويقر به منه ويبي له اسبابه فلذلك تمنع الالم ولداه من الجمامة والاب يدعو اليها فان الاب
لكمال عقله بل العاقبة والالم لقرط حبا وتصورها تخط الحال والصبي لجهله يتقلا منه من أمته
دون أبيه ويأسس اليها والى شفقتها ويقدّر الاب عدو الله ولوعقل لعلم أن الالم عدو باطنى صورة
صديق لان منعا اياها من الجمامة يسوقه الى أمراض وآلام أشد من الجمامة ولكن الصديق الجاهل
شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك فعل به ما لا يعمل
به العدو في قصة ثانية اعلم أن الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فانه لما يصفو
خيرها كاللؤلؤ والاهل والولد والاقراب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى مانعة أكثر من
ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ماضيه أكثر من نفعه في حق أكثر
الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكتفى ضرره ونفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص
فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر نفعه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا
التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل أيضا لا يزال مستضره شاكيا من ربه طالبا
للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاه في حقه في قصة ثالثة اعلم أن الخيرات باختيار
آخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره والى مؤثر لغيره والى مؤثر لذاته وبقية * فالأول ما يؤثر لذاته
لا لغيره كذلة النظراتى وجه الله تعالى وسعادة لقاءه وبالجملة سعادة الأخرى التى لا تنفصل طاعتها
لا تطلب ان يتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذتها * الثانية ما يقصد لغيره
ولا تعرض أصلها في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضى بها لنت كاهي والحسب
بمناجاة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريرة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في
نفسها حتى يجمعوها ويكثرها ويتصارفوا عليها بالرباء ونظنون أنهم امقصودة ومثال هؤلاء مثال من
يحب شخصا يحب سببه وسوله الذى يجمع بينه وبينه ثم ينسب في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض
عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتحمده الرسول وعمراته ونقده وهو غاية الجهل والضلال *
الثالث ما يقصد لانفع لغيره كالجمعة والسلامة فانه يقصد ليقدر ويسمى على الذكروا الفكر الموصلين
الى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها الى استيفاء لذات لذيها وتقصدها لذاتها فان الانسان وان استغنى
عن الشيء الذى تراد سلامة الرجل لاجله فريد أيضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر
لذته فقط هو الخير والتبعة تتحققا وما يؤثر لذاته لغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الأول فانه ما لا يؤثر
الا لغيره كالقدن فلا يوصفان في أنفسهم سامان حيث أنهم ما جوهرا ن بأن مانعة بل من حيث هما
وسبلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمر اليس يمكنه أن يتوصل اليه الا مهم فلو كان مقصده
والعلم والعبادة وبه الكفاية التى هي ضرورية حياته استوى عند الذهب والدرر فكان وجودهما
وعده هما عند بمثابة واحدة بل ربما شغل وجودهما عن الفكر والعبادة فيصكونان بلاه في حقه

ولا يكونان نعمة * (قسمة رابعة) * اعلم أن الخبرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع ولذيذ وجميل
فالذي هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي ينفذ في المال والجمل هو الذي يستحسن
في سائر الاحوال والشئ راءا ينقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضار بان مطلق
ومفيد * فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة * أما في الخبر فكالمعلم والحكمة فانهما
نافعتا جميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس
الجاهل بالجهل اذا عرف انه جاهل وذلك بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فندرك ألم النقص
فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيجاذبه
متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك
الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل الشخص لا يزال في عذاب دائم بالحالة * والضرب
الثاني المفيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتأكلة
والساعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالخفق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع قد قيل
استراح من لاعله فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترعج في الحال الى أن يحين وقت هلاكه ورب نافع من
وجه ضار من وجه كالتقاء المال في البصر عند خوف الفرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها
والنافع قسمان ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة واضعيهما العلم
والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكرتين مشغلي تسكين
الصفراء فانه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامه * (قسمة خامسة) * اعلم أن النعمة يصيرها عن
كل لذية والذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصها بها أو مشاركتها لغيره ثلاثة انواع
عقلية وبنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكلذة
المعلم والحكمة اذ ليس يستلذهما السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذهما
القلب لاختصاصه بصفة يصير عنها بالعقل وهذه أقل الذات وجودا وهي اشرفها أما قلبه فلان العلم
لا يستلذهما العلم والحكمة لا يستلذهما الاحكام وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسعين باسمهم
والمترسين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا في الدنيا ولا في الآخرة دائمة لا تمل فالطعام
يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستقل والعلم والحكمة فقط لا يتصور أن تمل وتستقل
ومن قدر على الشرف الباقي أبدا أبدا اذ ارضى بانخليس الفاني في اقرب الآماد فهو مصاب
في عقله بحر وانشاؤه وادبانه وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج الى أعوان وحفظة بخلاف
المال اذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق
والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه أي السراق بالاختلا ولا أيدي السلاطين بالعزل فيكون
صاحبه في روح الامن أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل
في كل حال أبدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى البقاء ولذلك قال الله تعالى المال
في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع وأما قصورا أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما
لعدم الذوق فمن لم يلق لم يعرف ولم يشق اذا شوق تسع الذوق واما الفساد اخر جهتهم ومرضى قلوبهم
بسبب اتباع الشهوات كالمرضى الذي لا يدرك حلاوة العسل وراهم اروا ما قصور فطنتهم اذ لم
تتقن لهم بعد الصفة التي بها يستلذه العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور والسمان
ولا يستلذ الا بالين وذلك لا يدل على انها ليست لذية ولا استطابته البين تدل على انه لذات الاشياء
فالفاصلون عن ذلك لذة العلم والحكمة ثلاثة امامين لم يحس باطنه كالطفل وامان مات بعد الحياة

بإتباع الشهوات وإمام من مرض بسبب إتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض إشارة إلى مرض العقول وقوله عز وجل "لنذر من كان حياً إشارة إلى من لم يحي حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتي وإن كان عند الجهال من الأحياء ولذلك كان الشهداء أحياء عند همهم رزقون فرحين وإن كانوا موتى بالبدان * الثانية لذة بشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلفة اليا ساقو الغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الأسد والتمر وبعض الحيوانات * الثالثة بما يشارك فيها سائر الحيوانات كلفة البطن والفرج وهذه أكثرها وجوداً وهي أخسها ولذلك اشتهرت فيها كل مآدب ودروج حتى المديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة وهي أشدها التصاقاً بالمتغافلين فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصارت أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب اليا سة من القلب وآخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب اليا ساقو أمائره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة اليا سة لا يقوى على كسرها إلا الصديقون فأما قبحها بالكلية حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال يشبه أن يكون خارجاً عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة اليا سة والقلبية ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتبره الفترات فتعود إليه الصفات البشرية فتشكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة والفكر فيه وقلب لا يدري مائدة المعرفة وما معنى الانس بالله وإنما لذته بالجاه واليا سة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله سبحانه والتلذذ بجمعه والفكر فيه ولكن قد يعتبر فيه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتبر فيه في بعض الأحوال التلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فإن كان كمكافي للوجود فهو في غاية العبدية أما الثاني فالمدى بالاطمئنان وأما الثالث والرابع فوجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون ذلك إلا نادراً شاذاً وهو مع الندور يتفاوت في القلقة والكثرة وإنما تكون كثرة في الأعصار القرية من أعمار الأنبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولاً وترداد مثل هذه القلوب قلّة إلى أن تقرب الساعق يقضى الله أمراً كان مفعولاً وإنما وجب أن يكون هذا نادراً لأنه مبادئ ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثر فكلما لا يكون الفائت في الملك والجمال إلا نادراً وأكثر الناس من دونهم فكذلك في ملك الآخرة فإن الدنيا ممر آخرة فأنما عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وزى صورتك في المرآة ولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانياً على سبيل المحاكاة فقلب التابع في الوجود متبوعاً في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدماً وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانعكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة يحاك عالم الغيب والملوكوت فن الناس من يسر له فطر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبدة وقد أمر الحق به فقال فاعبروا يا أولى الابصار ومنهم من عمت بصيرته فلم يعتبر فأحتبس في عالم الملك والشهادة وسنفتح إلى حبه أبواب جهنم وهذا الخبيس معلوم ناراً من شأنها أن تطلع على الاقنعة ألا آت يبينه وبين أدراك أهلها جاباً فإذا

رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا
 الجنة والنار مخلوقان ولكن الجحيم تدرك مرة بأدراك يسمى علم اليقين ومرة بأدراك آخر يسمى عين
 اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حفظهم
 من نور اليقين فلذلك قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم لآثر ونها عن
 اليقين أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن القلب الصالح ملك الآخرة لا يكون إلا عزيزاً كالنخس الصالح
 ملك الدنيا * (قصة السادسة) * حاوية لجامع النعم اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة
 لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الغاية فإنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة
 أمور بقاء لافناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وعتي لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعيش إلا عيش الآخرة وقال ذلك مرة في السنة تسليية
 للنفس وذلك في وقت خضرنا خندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعاً للنفس من الركون
 إلى السرور والدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال تمام النعمة دخول الجنة وأما
 الوسائل فتقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن
 وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ويحاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيعة بالبدن من المال
 والاهل والعشرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس
 كالنوتوق والهداية فهي إذا أربعة أنواع * (النوع الأول وهو الأخص) * الفضائل النفسية
 ويرجع حاصلها إلى انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة
 وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسوله وإلى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين
 ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه الطهارة والعدل في الكف عن مقتضى الشهوات
 والاقدام حتى لا تمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقداً معواجهامه بالميزان العدل الذي
 أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذا قال تعالى أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا
 الوزن بالقسط ولا تنصروا الميزان فمن خصى نفسه لنزول شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة
 والامن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والمذكروا فقد أخسر الميزان ومن
 اتهمك في شهوة البطن والفيرج فقد طغى في الميزان واتما العدل أن يتخلو وزنه وتقديره عن الطغيان
 وأن يخسر أن تعتدله كقنا الميزان فإذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربعة علم
 مكشافة وعلم معاملة وعفة وعدل ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل
 البدنية وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تنبأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع
 الثالث وهي النعم الخارجة المطيعة بالبدن وهي أربعة المال والاهل والجاه وكرم العشرة ولا ينفع
 بشئ من هذه الأسباب الخارجة البدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي يجمع بينها وبين
 ما تناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة هداية الله ورشده وتسيده وتأييده فيجموع
 هذه النعم ستة عشر أدق منها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملة
 يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة
 الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بها فليس
 للإنسان إلا ما سعى وليس لاحد في الآخرة إلا ما تركه من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية
 تكسب هذه العلوم وتهذيب الاخلاق إلى صحة البدن ضرورية وأما الحاجة النافعة على الجملة

فإن حاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجية مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما
تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلية فان قلت فواجه الحاجة لطريق الآخر إلى النعم الخارجية من
المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم أن هذه الأسباب جارية بحرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة
للقعود أما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع إلى الهيجا بغير سلاح وكإزى
بروم الصيبد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى
الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في
طلب الأوقات وفي نهية لباس المسكن وضرورات المعيشة ثم تعرض لأنواع من الاندب تشغله
عن الذكر والفحص ولا تدفع الإسلح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والذكاة والصدقات
وأفاجبة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال الغنى فاني رأيت الفقير لا يعيش له قيل
زدنا قال الأمن فاني رأيت الخائف لا يعيش له قيل زدنا قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له
قيل زدنا قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له وكان ما ذكره إشارة إلى نعم الدنيا ولكن من حيث
أنه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى في يده أمتأني سفره
عنده قوت يومه فكمما نحيزت له الدنيا بخذا فغيرها وأما الاهل والولد الصالح فلا ينبغي وجه الحاجة
إليه ما إذا قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال صلى الله عليه وسلم في الولد
إذا مات العبد انقطع عمله الأمن ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الاهل
والولد في كتاب النكاح * وأما الأقارب فهما أكثر أولاد الرجل وأقارب كانوا مثل الاعين والابدى
فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبه من
ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو أمانة * وأما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه
الذل والضم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينكح عن عقر يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعلمه وفراغه
ويشغل قلبه وتلبه رأس ماله وانما تدفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان
تروا ما ن قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجهاد املاك القلوب
كما لا معنى للغنى الاملاك الدرهم ومن ملك الدرهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه
فكما يحتاج الانسان إلى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكتب يدفع الذئب عن ماشيته
فهو حاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة
يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزانهم أو
الاستئثار والاستكثار في الدنيا بما يتبعهم ولا تنظن ان نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم
حيث نصره وأكل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه
كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الحرب والمهجرة فان قلت كرم
العشيرة وشرف الاهل هو من النعم أم لا فأقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة
من قريش ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام وقال
صلى الله عليه وسلم تحيروا النطفة لا اكفأ وقال صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن ققبل وما
خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الاتساب إلى
الظلة وأرباب المنابيل الاتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى
الصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فامعنى الفضائل البدنية فأقول لا يخاف بشدة
الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى وإنما يستقر من جملة أمر الجبال فقال بكفي أن يكون البدن سليماً من الأمراض الشاغلة من تحزني الخيرات ولعمري الجبال قليل الفناء ولكنه من الخيرات أيضاً أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطابع عنه نافر وحلجات الجليل إلى الأجابة أقرب وجاهه في الصدور واسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كمال الجاه أذهونوع قدرة إذ قد راجل الجبل الوجه على تميز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فعين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجبال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم اشراقه تأدى إلى البدن فالمنظر والمخبر كثيراً ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكرم النفس على هيات البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والنم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس وقيل مافي الأرض قبيح الأوجهه أحسن مافيه واستعرض المأمون حيثما تعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فإذا هو أكن نأسقط اسم من الديوان وقال الروح إذا أشرفت على الظاهر فصباحة أو على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند صباح الوجه وقال عمر رضي الله تعالى عنه إذا بعثت رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء إذا تساوت درجات المصلين فأحسنهم وجهاً وأولاهم بالامامة وقال تعالى متشابك وزاده بسطة في العلم والجسم ولسانعني بالجبال ما يجرك الشهوة فان ذلك أئونة وإنما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في العلم وتناسب الأعضاء وتتأصف خلقه الوجه بحيث لا يتبعو الطباع من النظر إليه * فان قلت فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولدي حزانهم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عز وجل انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال علي كرم الله وجهه في ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقبة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرينفسه لا بآيه فامعنى كونها نعمة مع كونها مدمومة شرعاً فاعلم أن من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والهومات المختصة كان الضلال عليه أغلب مالم ينتسب إلى الله تعالى إلى ادراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالنقصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جدها إلا أن فيها قتنا وتخاوف فمثال المال مثال الحية التي فهانترى في نافع وسمنافع فان أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان أصابها السوادى الغرقى عليه بلاء وهلاك وهو مثل الجر الذي تحته اصناف الجواهر والآثي في ظفر بالجر فان كان مالاً بالسباحة وطريق القوس وطريق الاحتراز من هلكة الجر فقد ظفر بنعمة وان خاض بها هلاك فقد هلك فذلك مدح الله تعالى المال وسماءه خيراً ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال وكذلك مدح الجاه والعزاد من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله وجببه في قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه ولكن المنقول في مدحها قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحديث الرأء فهو ذم الجاه اذ إلاء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وإنما كثر هذا وقل ذلك لانه الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الفوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه وهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانوا في أعينها مدمومين بالاضافة إلى كل أحد

لما صور أن يضاف إلى النبوة الملك كما كان لرسولنا عليه الصلاة والسلام ولا أن يضاف إليها
 الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالتناس كلهم صبيان والأموال حيات والانباء
 والعارفون معزومون فقد نصر الصبي ما لا نصر المعزوم نعم المعزوم لو كان له ولد يريدها وصلاحه
 وقد وجد حجة وعلم أنه لو أخذها لأجل تزياتها لا تتدى به ولده وأخذ الحجة أذارتها لم يلعب بها
 فهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه
 في حفظ الولد فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستغربه به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها
 الصبي ويظن ضرره هلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحجة أذارتها ويصبر على الصبي بالهرب
 ويقبح صورتها في عينه ويعرفه أن فيها سمًا فأن لا ينعمه أحد ولا يجذبه أصلا بما فيها من نفع
 الترياق فإن ذلك دجا يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك القواص إذا علم أنه لو غاص
 في البحر مرأى من ولده لا ينعمه وهلك فواجب عليه أن يجذر الصبي ساحل البحر والهرقان كان
 لا ينجر الصبي يجترأ من البحر مما رأى والده يجرم حول الساحل فواجب عليه أن يسعد من الساحل
 مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الأتقي جحر الانبياء عليهم السلام كالصبيان الأتقياء
 ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم مثل الوالد لولده وقال صلى الله عليه وسلم أنكم تنهاقون
 على النار هانت الفرائش وأنا أخذ بجرحكم وعظمهم الأوفى في حفظ أولادهم عن المهلكات فهم لم يعنوا
 إلا ذلك وليس لهم في المال حظ إلا قدر القوت فلا جرم أقصر وأعلى قدر القوت وما فضل فلم يسكوه
 بل أفتقوه فإن الاتفاق فيه الترياق وفي الامساك السم ولو فزع الناس باب كسب المال ورغبوا فيه
 لما إلى السم الامساك ورغبوا عن ترياق الاتفاق فلذلك فجع الأموال والعنى به تقبح مساكنها
 والحرص عليها الاستكثار منها والتوسع في تعيها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذا تأتى ما أخذها
 بقدر الكفاية وحرف الفضائل إلى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا قدر زاده
 في السفر إذ صم العزم على أن يخص بما يحمله فأما إذا سمعت نفسه باطعام الطعام وتوسع الزاد
 على الرضا فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه السلام ليكن بلاغ أحكم من الدنيا كذا الركب
 معنا لا تنقسم خاصة والاقتد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ ما ألف درهم
 في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يسلك منها حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 الأغنياء يدخلون الجنة بشقة استأذنه صيد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج من جميع
 ما يملكه فاذن له قتل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العارى ويقري
 الضيف الحديث فإذا التمس الدنيا مشوبة بدماء أو هذائها أو مرجوها أو نفعها بضرها
 فمن وثق بصبره وكال معرفته أنه أن يقرب منها متعبا داءه واستقر حاد داءه من لا يتق بها البعد
 البعد والفرار القرائع مظان الأخطار فلا تعدل بالسلامة شديدا في حق هؤلاء هم الخلق كلهم
 الأمن عيهم الله تعالى وهذه الطريقة فإن قلت فامعنى التمس التوفيق الرجعة إلى الهداية والرشد
 والتأيد والتسديد فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التلطف والتفريق بين إرادة
 البعد وبين قضاء الشوق وهو هذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة
 بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كأن الاتحاد عبارة عن
 المسيل بتخصيص بمن مال إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق
 ولذا قيل
 إذا لم يكن عون من الله للفتي * فأكثر ما يجني عليه اجتهد
 فأما الهداية فلا يسبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه

صلاح آخرته ولكن اذالم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحاً فمن أين يتقوه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الابعاد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكناكم من أحد ابداً ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة الا رحمة الله تعالى أي هدايته تقبل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا * ولله داية ثلاث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه التجدين وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى وأما عود فهديناهم فاستمعوا العي على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعي القلوب وان كانت تعي الابصار قال تعالى فانها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور ومن جهة المعينات الالف والعاد قوب استصحاب ما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة الاثمة وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى أبشروا منا واحداً نتبعه فلهذه المعينات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراه هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراه الثانية وهي التوراة التي شرقت في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة في هدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يجعل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وماعده حجاب له ومقدمات وهو الذي شرته الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الشكل من جهة تعالي فقال تعالى قل ان هدى الله فهو الهدى وهو السبي حياة في قوله تعالى أو من كان منينا فأعيننا وجعلنا له نورا فشيء في الناس والمعنى بقوله تعالى أفن شرع الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه * وأما الرشد فتعني به الضاية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتقرره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل ركبته ما لئلا يفتري فإلهة غيره فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة بحركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيراً يحفظ المال وطرق التجارة والاستقامة ولكنه مع ذلك يستر ولا يريد الاستقامة لا يسمى رشيداً لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه بضرة فقد أعطى الهداية وميزها عن الجاهل الذي لا يدري أنه بضرة ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكل من يجرّ الداهية الى وجهه الاعمال وهي نعمة عظيمة * وأما التسديد فهو توجيهه حركانه الى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليستد في صوب الصواب في أسرع وقت فان الهداية بغير هذا لا تنفي بل لا بد من هداية بحركة الداعية وهي الرشد والرشد لا يكتفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انتعشت الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد * وأما التأيد فكماله جامع لكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل اذا يدرك روح القدس وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يسبح في الباطن يقوي به الانسان على تحريك الخير وتجنب الشر حتى يصير كإنسان باطنه غير محسوس وآياه متى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى ربه انهم لكانوا بضرة فكماله جامع النعم ولن تثبت الا بما يحق له الله من التهم الصافي الثاقب

والسمع والوعي والقلب البصير المتواضع المراعي والعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه من سفاهة السفهاء وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسباباً وتستدعي تلك الأسباب أسباباً إلى أن تنتهي بالأخيرة إلى دليل المصيرين وملأ الفطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجاً ليعلم به معنى قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وباللغة التوفيق

بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخرجها عن الحصر والاحصاء يعلم أننا نعنا النعم في ستة عشر ضرراً وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التي هيأت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نعمة من جملة الأسباب التي هيأت نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو ألتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من ارادة الحركة ولا بد من علم بالمراد وأدراكه ولا بد لكل من مأكول ولا بد للأكل من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يحصله فلنذكر أسباب الادراك ثم أسباب الارادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لأعلى سبيل الاستقصاء في الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الادراك يعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكل وجوداً من الحجر والمعدن والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنفخ ولا تغذي فان النبات خلق فيه قوة يجذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض وهي له آلات فيها يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي ترأها في كل ورقة ثم تغلظ أصولها ثم تنشعب ولا تزال تستدق وتنشعب الى عروق شعيرة تنبسط في اجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا أن النبات مع هذا الكمال نافع فإنه اذا أعوزته غداة يساق اليه ويمس أصله حف ويسس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة للطلبوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فان نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك فأولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتى اذا مسمتك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يصحور حيوان الا ويكون له هذا الحس لانه ان لم يحس أصلاً فليس ينجو وانقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويمسه فان الاحساس بما يبعد منه احساس أتم لاحتالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرقت في البراة انقبضت للهروب لا كالنبات فان النباتات يقطع فلا ينقبض اذا لم يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصاً كاللدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يحس بذلك تحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما يبعد عنك فخلق لك الشم الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري أمتها جاءت من أي ناحية فحتاج الى أن تطوف كثيراً من الجوانب فرما تغتر على الغذاء الذي شمعت ربحه وربما تغتر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما يبعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا أنه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصاً الا لتدرك بهذا ما وراء الجدران والمحجب قبحه غداة ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عذراً الاحجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا يحسكشف الاحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الحرب

تخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لانك لا تدرك
 بالبصر الاشياء حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينظم من حروف وأصوات تدرك
 بحس السمع فاشتدت اليها حاجتك لتخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك
 ما كان يتفكر لولم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك أو يخالف فتأكله
 فتهلك كالشجره تصب في أصلها كل مائع ولا توق لها فغيبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل
 ذلك لا يكفيك لولم يخلق في مقدمة دماغك ادراك آخر يسمى حسامشركا تأذي اليه هذه المحسوسات
 الخمس وتجميع فيه ولولا لطال الامر عليك فانك اذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مررنا تخالفها
 لك فتركه فانارأته مرة أخرى فلا تعرف انه مرر مضر مائع ثم تدقه نائبا لولا الحس المشترك اذ العين
 تبصر الصفرة ولا تدرك الحرارة فكيف تتجنب عنه والذوق يدرك الحرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من
 حاكم يجمع هذه الصفرة والحرارة جميعا حتى اذا أدرك الصفرة حكم بأنه مرر فيتجنب عن تناوله نائبا
 وهذا كله تشارك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك الالهذا لكانت ناقصا فان
 الهمة يحتاج عليها فخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تخلص اذ اقتبست وقد تلقى
 نفسها في برور لا تدري أن ذلك لم يكن لها ولذلك قد تأكل الهمة ما تستلذه في الحال ويضربها في ناله
 الحال ففرض وغوت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فأما ادراك العواقب فلا فيك الله تعالى
 وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضررة الاطعمة ومنفعتها في الحال
 والمآل وبه تدرك كيفية طبع الاطعمة وتاثيرها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب
 صحتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة
 أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقل فتكون الحواس
 الخمس كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر
 تختص به فواحدة منها بأخبار الالوان والاخرى بأخبار الاصوات والاخرى بأخبار الروائح
 والاخرى بأخبار الطعام والاخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة والملاسه واللين والصلابة وغيرها
 وهذه البرد والجواسيس يقتضون الاخبار من أقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك
 والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع
 القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي محتومة ويسلمها اذ ليس له الا أخذها
 وجمعها وحفظها فاما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير
 والملك سلم الانها أت اليه محتومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام
 عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام بحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح بمحرك الخلد ودوي
 الاعضاء مرقة الطلب ومرة في الحرب ومرة في انعام التدبيرات التي تعين له هذه سبابة تهيئة الله
 عليك في الادراكات ولا تظن أننا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر
 واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركب العين من عشر طبقات مختلفة بعضها
 رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسيج العنكبوت وبعضها كالشبيهة وبعض تلك
 الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه الجلد ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة
 وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدرج وترتيب كسبوا خلقت طبقة واحدة من جملة العشر وأصغرها
 واحدة من صفات كل طبقة لا تلت البصر وعجزه عن الاطباء والحكاملون كلهم فهذا في حس واحد
 فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر

وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جلته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظلك بجميع البدن وسائر
أعضائه وعجائمه فهدر مراض إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات * (الطرف الثاني في أصناف النعم
في خلق الإرادات) * أعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع
وشوق إليه وشهوة له قد سقطت شهوته فلا يتناول فيبقى البصر والإدراك معطلا في حق فاضطررت
أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناول فيبقى البصر والإدراك معطلا في حق فاضطررت
إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة
وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك وكلها لك كالمقاضي الذي
يضطر لك إلى تناول حتى تتناول وتقتضي فيبقى بالغذاء وهذا مما يشارك فيه الحيوانات دون
النبات ثم هذا الشهوة لم تكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله لك
الكراهة عند الشبع لتترك الأكل هالكا لا زرع فانه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى
يفسد فتصاح إلى آدمي بقدر غداه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكما خلقت
لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الجماع حتى يتجامع فيبقى به نسلك ولو
قصصنا عليك عما يصنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النبي
ودم الحيض وكيفية خلق الأنثيين والعروق السالكة الهامس الفقار الذي هو مستقر النطفة
وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب
تقع النطفة في بعضها فتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتشكل بشكل الإناث وكيفية
إدارتها في أطوار خلقها مضغوطة ثم عظمها ولحمها ودمها وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس وبدن ورجل
وبطن ونظر وسائر الأعضاء لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل الحب فضلا
عما زاره الآن ولكالسنار يد أن تعترض الانعم الله تعالى في الأكل وحده على كل أطول الكلام
فأذا شهوة الطعام أحد ضرور الإرادات وذلك لا يكفك فانه تأنيك الملهكات من الجواب
فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك لبقيت عرضة للأفات ولأخذ منك
كل ما حصلته من الغذاء فان كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج إلى دأعية في دفعه ومقاومته
وهي دأعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفك إذا الشهوة والغضب
لا يدعوان إلى ما يضر وينفع في الحال وأما في المآل فلا تنس في فيه هذه الإرادة فخلق الله
تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعرف للعواقب كإخلاق الشهوة والغضب مسخرة
تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها التفاعل بالعقل إذا كان مجرّد المعرفة بأن هذه
الشهوة مثلا تضرك لا يتشك في الاحتراز عما لم يمكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة وهذه
الإرادة أفردت به عن الهائمات كراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الإرادة
باعتدالينا وفصلناه في كتاب البصر تفصيلا وفي من هذا * (الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق
القدرة وآلات الحركة) * أعلم أن الحس لا يبعد الإدراك والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب
والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب فكمن مريض مشتاق إلى شيء
بعد عنه مدرّك له ولكنه لا يمكنه أن يعيش إليه لفقد رجله أو لا يمكنه أن يتناول لفقد يده أو أفعل
وخذ رفقها فلا يتم من آلات الحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى
الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها
ولا تعرف أسرارها فما هو للطلب والهرب كالرجل للإنسان والجناح للطير والقوائم للدواب

ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا
فكما أنكراعداؤه وسيدعذأوه فصنّاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح لطير يسرع وقومها ما خلق
له أربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يلب وذ كذا بطول فلنذ كذا الأضواء التي بها يتم
الأكلة فقط ليقاس عليها غير ها فتقول رؤيتك الطعام من بعد وحررتك إليه لا تكفي ما لم تتمكن من
من أن تأخذه فافتقرت إلى آلة بأشقة فأتم الله تعالى عليك بخلق البدن وهما طور لثان ممتدان
إلى الأضواء ومشتتان على مفاصيل كثيرة لتعزرك في الجهات فتفتد وتفتي البك فلا تكون
تكتسب منصوبة فمجلل رأس البدن بضائق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي
الأصابع وجعلها في صفتين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية ولو كانت
بجمعة أو مترا كعلم يحصل بها تمام عرضك فوضعهما وضعا ن بسطها كانت لك صخرة فوان ضممتها
كانت لك مقرفة وان جمعها كانت لك آلة للضرب وان نشرتها فقبضتها كانت لك آلة للقبض
ثم خلق لها أنظارا واسند الهارؤس الأصابع حتى لا تفتد وحتى تلتقطها الأشياء الدقيقة التي
لا تحبها الأصابع فتأخذها رؤس أنظارك ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين تكفيك
هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام
منه فجعل القم منفذا إلى المعدة مع مافيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا الطعام إلى المعدة ثم إن
وضعت الطعام في القم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فصنّاج إلى طاحونة لطحن بها الطعام
فخلق لك العيين من عظمين وركب فمهما الأسنان وطبق الأضراس من العلاء على السفلى لتطحن
بهما الطعام فطحن الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك قسم
الأسنان إلى عريضة طواحن كالأضراس وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ماصلة للكسر
كالآنياب ثم جعل مفصل العينين متغلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك
الأعلى دوران الرمح ولولا ذلك لما تسر الأضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك
لا يتم الطحن فعمل اللحي الأسفل متحرك كحركة دورية واللحي الأعلى ثابت لا يتحرك فأنظر إلى عجيب
صنعه الله تعالى فان كل رحي صنعه الخلق فثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى اهذه الرحي الذي
صنعه الله تعالى اذ يدور منه الأسفل على الأعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم ربهانه
وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء القم فكيف يعزك الطعام إلى ماتحت الأسنان
أو كيف تسخره الأسنان إلى نفسها أو كيف يصرف باليد في داخل القم فانظر كيف أنعم الله
عليك بخلق اللسان فإنه يطوف في جوانب القم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة
كالجرفة التي ترز الطعام إلى الرحي هذا مع مافيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق والحكم التي
لسان الطيب يد كرها ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنه وهو بابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن
يتزلق إلى الخلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها
وينصب بقدر الحاجة حتى يشبع به الطعام فانظر كيف صخرها لهذا الأمر فانك ترى الطعام من
بعد فيثور الحسنك للقدمه وينصب اللعاب حتى تطلب أشداك الطعام بعد عيذك عنك ثم هذا
الطعام المظنون المنه من يوصله إلى المعدة وهو في القم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا في المعدة
حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيا الله تعالى المريء والخبرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح
لاخذ الطعام ثم تطبق وتنضبط حتى يتقلب الطعام بضغطة فهو إلى المعدة في دهليز المريء فإذا
ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح أن يصير لها عظاما وعظاما ما على هذه الهيئة

بل لا بد أن يطبخ طعاما حتى تشابه أجزاؤه خلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر يقع فيه الطعام
فحتوى عليه وتعلق عليه الابواب فلا يزال لا شافيا حتى يتم الهضم والتفصيح بالحرارة التي تحيط بالمعدة
من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الامين الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام التراب ومن خلف
لحم الصلب فتعنى الحرارة انها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير
ما لها مشابها يصلح للغذاء فينقل العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعيرة في تشابه أجزائه وورقه وهو
بعد يصلح للتغذية فخلق الله تعالى منها وبين الكبد مجاوى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى
ينصب الطعام فيها فينهي الى الكبد والكبد مهوون من طبقة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة
شعرية منتشرة في أجزائها الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينشر في أجزائها حتى تستولى
عليه قوة الكبد فتصبه بلون الدم فيستقر فيها ويتم يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم
الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فتولد من هذا الدم
فضلتان كما تولد في جميع ما يطبخ احدها مشبهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوى والاخرى
شبيهة بالرقوة وهي الصفراء ولولم تفضل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة
والطحال وجعل لكل واحد منهما عمقا مدودا الى الكبد دخلا في تجويفه فتجيب المرارة الفضلة
الصفراء وتوجب الطحال العكر السوداوى فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة
لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء
فخلق الله سبحانه الكلبيين وأخرج من كل واحدة منهما غنقا طويلا الى الكبد ومن مجانب حكمة
الله تعالى أن عمقه ليس دالا خلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدة الكبد
حتى يجذب ما يلها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتنب قبل ذلك لغلط ولم
يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث فقام من كل
ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى أطلع من الكبد عروفا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم
بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل
الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المتقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا تترك
بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء ولوحلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة
الصفراء فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراء كالبرقان والشور والحمة وان حلت
بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوى حدثت الامراض السوداوية كالقح والخذام
والملقولي وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدثت منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة
الغاطر الحكيم كيف رتب النافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة أما المرارة فانها تجذب
بأحد عروقها وتقذف بالعين الاخرى الى الامعاء ليحصل له في نقل الطعام رطوبة مزرقة ويحدث
في الامعاء نوع يجبر كمال الدفع فتتصطف حتى تندفع الثقل وينزل وتكون صفيرة لذلك وأما الطحال
فانه يجلب تلك الفضلة حاله يحصل بها فحموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة
فيعزل الشهوة بجموضته وينهاو بشيرها ويخرج الباقي مع النفل وأما الكلى فانها تعزى بما في
تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة • ولتقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في
الاسباب التي أعنت للاكل ولود كرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد
من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضواري من القلب الى سائر البدن
وبواسطها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن وبواسطها

يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء وعددها وعظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورطاباتها
وعضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك يحتاج إليه لاكل ولا مورا آخر سواء بل في الآدمي
آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة
الانقسام وقلة ما ينشئ منها الا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشرين زيادة وكل ذلك
نعم من الله تعالى ملك لموسكن من جملتها عرق مقعرك أو تحرك عرق ساكن ملكتك يا مسكن
فانظر الى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه الا
الاكل وهو أخسها ثم لا تعرف منها الا أنك تجوع فتأكل والحمار أيضا يعلم انه يجوع فيأكل ويتعب
فيأكل ويشتهي فيأكل ويستنهض فينهض ويرجف فيالتمتع تعرف أنت من نفسك الا ما يعرفه الحمار
فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رسرنا اليه في الامحار قطرة من بحر واحد من بحار
نعم الله فقط فقس على الاحمال ما أهملناه من جملة ما عرفتاه حذرنا من التطويل وجملة ما عرفتاه
وعرفه الخلق كله من الاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر الا أن من علم شيئا
من هذا أدرك ثمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى
قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكها وقواها ببحار لطيف يتصل عن الاخطا الاربعة
ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق الضواريب فلا ينشئ الى جزء من أجزاء
البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها
كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء
البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبباً بحكمته وهذا البحار اللطيف
هو الذي تسميه اطباء الروح ومحل القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب كالمسرجة والدم
الاسود الذي في باطن القلب كالفستلة والغذاء كالزيت والحياة الطاهرة في سائر أعضاء البدن
بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان السراج اذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضا ينطفئ
مهما انقطع غذاءه وكان القلبية قد تحترق قصير ما دامت لا تقبل الزيت فتنطفئ السراج مع
كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البحار في القلب قد يحترق بفراط حرارة القلب فينطفئ
مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يسقي به الروح كالا يقبل الرماد الزيت قبولاً تشبث النار به
وكان السراج نارة تنطفئ بسبب من داخل كانه نارة وتارة بسبب من خارج كرج يحاصف فكذلك
الروح نارة تنطفئ بسبب من داخل ونارة بسبب من خارج وهو القتل وكان ان انطفأ السراج بفناء
الزيت أو بفساد القلبية أو برجح عاصف أو بإطفاء انسان لا يكون الا بأسباب مقدرة في علم الله
حريته ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان انطفأ السراج هو منتهى وقت وجوده
فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكان السراج اذا انطفأ أظلم
البيت كله فالروح اذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقه أنوار التي كان يستفيد من الروح وهي
أنوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجتمعها معنى لفظ الحياة فهذا انضام رزق جزلي
عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجايب صنعته وحكمته لم يعلم انه لو كان الجرم ماد الكلمات ربى لتعد
البحر قبل أن تنفد كلمات ربى عز وجل فتعسالن كقرب الله تعالى وسعالم كقربته سعفاً فان قلت
فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على أن قال قل
الروح من أمر ربى فلم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم أن هذه عقلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح
فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نقول بل كرها ونحن إنما وصفنا من جملتها اجساماً لطفاً تسمى به

الاطباء وروحا قدر فواصفته ووجوده وكيفية سر يانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس
والقوى في الاعضاء به حتى اذا خدر بعض الاعضاء علواً ان ذلك لو وقع سدة في مجرى هذا الروح
فلاجلون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها وبجلونها بما يقع السدة
فان هذا الجسم بلطفه يغذي شبك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء وما
يرتقى اليه معرفة الاطباء فامرهم سهل نازل وأما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد
لهاسائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصه في وصفه الا بأن يقال هو امر رباني
كما قال تعالى قل الروح من أمر ربي والامور الربانية لا تختمل العقول وصفها بل تخبرها عقول
أكثر الخلق وأما الاوهام والخيالات قاصرة عنها بالضرورة وقصور البصر عن ادراك الاصوات
وتترنل في ذكر مبادئ وصفها مع اقدار العقول القميدة بالجواهر والعرض المحبوس في مضيقها فلا يدرك
بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم البقرة والولاية
نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً فكما يدرك الحسي
المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور ولم يلقه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك
ما وراءها لان ذلك طور لم يلقه بعد وانه مقام شريف ومشرّب عذب ورثة عالية فيها يلفظ جناب
الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من أن يكون شريرة لكل وارديل لا يطعم عليه الا واحد
بعدوا جلدو بفتاب الحق صندوقي مقدمة الصدور بحال وميدان رحب وعلى أول الميدان عتبة هي
مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا حافظ العتبة مشاهدة استحال أن
يصل الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه
لم يعرف ربه وأنى يصادف هذا في خزنة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحاً
عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالسكره التي يجر كها صولجان الملك بالاضافة الى
الملك في عرف الروح الطيب فظن انه أدرك الامر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يجر كها
صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك في أن خطأ فاحش وهذا الخطأ أغش منه جذاً
ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وما تدرك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة
كنه هذا الامر لم يأت الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم
الناس في قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئاً لكن ذكر كنهه وفعله
ولم يذكر ذاته أما نسبته في قوله تعالى من أمر ربي وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا أيها النفس
الطمعة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولترجع الآن الى الفرض
فان المقصود ذكر كنه الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل في الطرف
الرابع في نعم الله تعالى في الاصول التي يحصل منها الاطعمة وتصور صالحة لان يصلحها الادعى بعد
ذلك بصنفته في العلم أن الاطعمة كثيرة والله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متواليه
لا تنهاه في ذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما أدوية واما ذواكه واما أغذية فلناخذ
الاغذية فانها الاجل ولناخذ من جعلها حاقص من البرولند سائر الاغذية فتقول اذا وجدت حبة
أو حببات فحلوا شكلها فثبت وقت جاتها فيا أعوجك الى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد
وتنضج حتى في تمام حاجتها خلق الله تعالى في حبة الخنطة من القوى ما فغذي به كما خلق فيك
فان النبات اذا غاير فيك في الحس والحركة ولا يمتلئك في الاغذية لانه يغذي بالماء ويحبذب الى
باطنه بواسطة العروق كما تغذي أنت وتحبذب ولست انظف في ذكالات النبات في اجتذاب

الغذاء الى نفسه ولكن نشره الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام
مخصوص فكذلك الحية لا تقتذى بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل لو انك تركتها في البيت
لمزدلانه ليس يحيط بها الا هو او مجرد الهواء لا يصلح اغذائها ولو تركتها في الماء لمزدلوز كنهها في ارض
لاما فيها لمزدبل لا يتغذى ارض فيها ماء يخرج ماؤها بالارض فصبر طينا والبه الاشارة بقوله تعالى
فليستظر الانسان الى طعامه انا صمينا الماء به ما هم مخفقنا الارض شقا فالتفت فيها حيا وضا وقضا
زيتونا ثم لا يكتفي الماء والتراب فلوزت في ارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفسد الهواء فيحتاج
الى تركها في ارض رخوة متخلطة تغافل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح
تتحرك الهواء وتضرب به بقهر وعنف على الارض حتى يغذيها والبه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا
الرياح لواقع وانما الفاحش في ابقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يفيك لو كان
في مدقرط وشتاء شات فيحتاج الى حرارة الى سيع والصيف فقدان احتياج غذائه الى هذه الربعة
فاظهر الى ماذا يحتاج كل واحد من يحتاج الماء ليلساق الى ارض الزراعة من الجوار والعيون والانهار
والسواقي فاظهر كيف خلق الله الجار والعيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون
مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فاظهر كيف خلق الله تعالى القيوم وكيف سلط الريح عليها لتسوقها
ياذنه الى اقطار الارض وهي سبب ثقل حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرار على الاراضي
في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تنفجر منها
العيون تدرى بما فخرت دفعة لغرق البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب
والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين المياه والارض وكل هذا ما يردان
فاظهر كيف مخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخرة للارض في وقت دون وقت
ليجعل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها
اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في القواكه انعقاد وصلابة فتتقوى الرطوبة
تنضجها فاظهر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته التركيب كاجل من خاصية الشمس البهيم
فهو ينضج القواكه وبه صفة تنقدر الفاطر الحكم ولذلك لو كانت الانهار في ظلم يمنع شروق
الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها السكات فاسدنا فصفة حتى ان الشجرة الصغيرة تنفذ اذا
ظلماتها شجرة كبيرة وتعرف ترطب القمر ان تنكشف واسناله بالليل تغلب على رأسك الرطوبة
التي بعد عنها ان كما في ترطب رأسك ترطب الفاكهة ايضا ولا تظول فيها لا يطعم في استعمائه
بل نقول كل كوكب في السماء قد سخر نوع فائدة كما سخرت الشمس الشمس النسيم والقمر الترطب
فلا يتخلو واحد منها عن حكم كثيرة لاني قوة البشر باحصائها ولو يكن كذلك لكان خلقها عبثا
وباطلا ولم يصعق قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض
ومابينهما الا عين وكانه ليس في اعضاء بدنك عضو الا فائدة فليس في اعضاء بدنك العالم عضو
الا فائدة والعالم كله شخص واحد واحدا اجسامه كالاغصانه وهي متعاونة تعاون اعضاء
بدنك في جملة بدنك وشي ذلك يطول ولا ينبغي ان نطن ان الايمان بان العيون والشمس والقمر
سمخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت اسبابا للحكم الحكمة فخالف الشرع لما ورد فيه من
التي من تصديق المجيبين وعن علم العيون بل المنهي عنه في النجوم امر ان جددها ان تصديق
بأنها فاعلة لا تاراهما مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبيره في خلقها وقهرها وهذا يمكن
والثاني تصديق المجيبين في تفصيل ما يجنبون عنهم الآثار التي لا يشترك كانه الخلق في ذلكها

لأنهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تفصيلي بخلاف الله تعالى في الارض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وترددت فيه فقال لك غيره أخرج الثوب وبسطه فان الشمس قد طلعت وحي النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حتى الهواء على طلوع الشمس وإذا سألت عن قبح وجه الانسان فقال قرصتي الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك وقس هذا سائر الآثار الا ان الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا انظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته ومعناه ان يقرأ ويترك التأمل ويقصر عن فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قطع منه معرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبيلته فقله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والانفس والحيوانات عجائب بطاب معرفتها المحبوب لله تعالى فان من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بهما بالوقوف على عجائب علمه جباله فكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة ملوك عباده فان تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه عما أنعم عليه من هدايته وتسدده وتعرفه كادراكه لعب المشعور وقص وتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فانه خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من خلق الشعوز المحرك لحارب وابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالهواء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركزها فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سمائية يتحركونها وكذلك يتبادى ذلك الى اسباب بعيدة تركا ذكرها تنبيه عباد ذكرناه على ما أهملناه ولنتقصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات * (الطرف الخامس في نعم الله تعالى في اسباب الموصلة للاطعمة اليك) * اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تعدت عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها العار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الرج مع أنهم لا يتقسم في غالب الامر شي بل يجوعون قائما ان تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يعمرون في بعض المالدقيا أعذها السلطين وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لوعدها فانظر كيف سلط الله الجهل والفتنة عليهم حتى فاسوا الشدايق في طلب الربح ويركبوا الاخطار ويغزروا الارواح في ركوب الجوع فيفعلون الاطعمة وأنواع الخواجن من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الأبل كيف خلقت والى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل مسبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى المراحل تحت الابعاء الثقيلة من

الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليعلموا الملك الاطعمه وسائر الخواص وتأمل ما يحتاج اليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلقها وما يحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن وشيئاً من ذلك الى أمور خارجة عن الحصر زير تكاملها بالاجاز * (الطرف السادس في اصلاح الاطعمة) * اعلم أن الذي يثبت في الارض من النبات وما ينحلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا ينفى كل واحد من اصلاح وطيب وزكيب وتنظيف بالقاء البعض وبقاء البعض الى أمور آخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام بطول فلتعين رغبنا واحداً ولننظر الى ما يحتاج اليه الرضيع الواحد حتى يستدبر ويصلح لئلا كل من بعد القاء البذر في الارض فأقول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يشرا الارض والقدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعمد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم القربك والتنقية ثم الطحن ثم البجن ثم الخبز فتأمل عدده هذه الافعال التي ذكرناها وما لم تذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى أعمال الصناعات في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخزمن بخار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والزمصاص والخاص وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والابجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعاً متجاورات مختلفة فان قشيت علمت أن رغبنا واحداً لا يستدبر بحيث يصلح لأكلك باسكن مالم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يرعى السحاب ليسزل الماء الى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي التوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قرب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناعات التي بهاتم معصية الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الانسان في تلك الآلات حتى ان الآلة التي هي آلة صغيرة فائدة لها خياطة اللباس الذي يمنع البرد منك لانك لا تسكن صورته من حديد تصليح الآلة لا بعد أن تمر على يد الأبرى خمساً وعشرين مرة فو يعضا طي في كل مرة منها معلقاً فلم يجمع الله تعالى البلاد ولم يضر العباد واقتربت الى عمل الخيل الذي تحمده البره مثلاً بعد نيابة لنقد محرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نقطة قدرة لا يعلم هذه الأعمال الهيبة والصناعات الغريبة فانظر الى المقرض مثلاً وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فتناولان الشيء معاً وقطعانه بسرعة ولولم يكف الله تعالى طريق اتخاذه بفضلهم وكرمه لم يكن قبلنا واقتربنا الى استنباط الطريق فيه فكبرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقرض وعمر الواحد منها عرnoch وأوى أكل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها ففسحان من الحق ذوى الابصار باليمان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الان لو خلا بلدك عن الطمان مثلاً أو عن الحداد أو عن الخياط أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناعات ماذا اصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فاسمعان من سحر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئة وتمت به حكيته ولنو جز القول في هذه الطبقة أيضاً فان الغرض التنبيه على التعمد دون الاستقصاء * (الطرف السابع في اصلاح المصلحين) * اعلم أن هؤلاء الصناعات المصلحين لا اطعمة وغيرها لفرقت أراؤهم وتباشرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينفع بعضهم بعض بل كانوا كالوحوش لا يحوهم مكان واحد ولا يجتمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم ولوا فتقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم

ولكن الله ألف بينهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا واتلفوا وبنوا المدن والبلاد وبنوا المساكن والدور متقاربة متجاورة وبنوا الاسواق والخانات وسائر اصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه الحجة تزول بأغراض يتراحمون عليها ويتناقسون فيها في جبلته الانسان الفطر والحسد والمناسقة وذلك مما يؤدي الى التقاتل والتسافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدتهم بالقوة والعدة والاسباب وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل وأزعمهم التمساع والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقباب والخيازة سائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد ينسب تربيتهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب الساطان وجميعه كيتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضهم ببعض وانظر كيف بعث الانبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعزقوهم بقوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الامامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اعتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الانبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم بعضا الى أن ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخماز يحضر الصين والطعان يصلح الحب بالطحين والحراث يصلح به بالخصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين آلات الاطعمة والسلاطين يصلح الصنائع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي منبع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا لما اعتدنا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا اهزله ما نأمن أن نطعم بعين الطمع الى الاحاطة بكنهه نعمه لنشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عز لنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فإذنه أبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا فلا يعطى لما منع ولما منع لما أعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحد لله الذي ميزنا عن الكفار وأسعنا هذا النداء قبل انقضاء الامار * (الطريف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام) * ليس ينبغي عليك ما سمي من نعمة الله في خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظن انهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنصير بالجليلة في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسموية وحيلة العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يتعدى الابان بولك به سبعة من الملائكة هو أقله الى عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما وعظما واذن اصرا لحما وعظما ثم اعتدوا لك والدم والسم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي

لا تحرك بأفئسها ولا تغير بأفئسها ويجرد الطبع لا يكتفي في تردد هاني أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير طبعينا ثم نجينا ثم خبز استدير اغبوزا الابصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحا وعظما وعروفا وعصيا الابصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد سمع الله تعالى عليك نعمة ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمة الباطنة فأقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يهرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل القابل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما كتب صفة العظم بالعظم وما كتب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابغ يرعى المقادير في الاصلاق فيلقن بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعرض ما لا يزيل عرضه وبالخوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على فخذ لكبرائه ويطل تجويفه وتشوه صورته وخلفته بل ينبغي أن يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحذقة مع صفائها والى الانحاء مع غلظتها والى العظم مع صلابته ما يلين بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والابطلت الصورة وربما بعض المواضع وضيف بعض المواضع بل لو لم يرع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما يخو به الا احدي الرجلين مثلا ليقبض تلك الرجل كما كانت في حذ الصغر وكبر جميع البدن فيسكن ترى شخصاً في شخصاً في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينفع نفسه البتة فراعاه هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة ولا تظن أن الدم طبعه بهندس شكل نفسه فان يحيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فلهذه الملائكة الارضية وقد شغلوا بآلات في النوم تستريح وفي الضفلة تتردد وهم يصفون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزاءك الذي لا تغير حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى أكثر من مائة ملك تركا تفصل ذلك الالجاز والملائكة الارضية مدد هم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعرز والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل فطرة من المطر وكل سحاب يجبر من جانب الى جانب أكثر من أن تحصى فلذلك تركا الاستهاد به فان قلت فهلا قوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم اقتقر الى سبعة أملاك والحنطة أضاحتاج الى من يطحن أو لا ثم الى من يميزعنه الغنائق يدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يجر رابعا ثم الى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرقها رقيقة ناعمة سادسا ثم الى من يلمصقها بالنور سابعا ولكن قديتوني جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطناً كأعمال الانس ظاهراً فاعلم أن خلقه الملائكة تخالف خلقه الانس ومامن واحد منهم الا وهو وحدي الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الافرل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى ومامن الااله مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مشاهف في تعين مرتبة كل واحد منهم وقوله مثال الخواص الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمها ولا همتا زعزان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش بأصابع الرجل بطشاً ضعيفاً فتراحم به اليد وقد تبصر

فترك رأسه فزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن
والعين وانجز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان
واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطبع
الغمرة ويعبسه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون
على الطاعة لا مجال للعصية في حقهم فلا جرم لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسمعون
الليل والنهار لا يخفون والرائع منهم راكع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا
لا اختلاف في أفعالهم ولا قدور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث
لا مجال للمخالفة فيهم ممكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فانك مهما جرت الارادة بفتح الاجنان
لم يكن الجفن الصحيح رزذ واختلاف في طاعتك مرة ومعضيتك أخرى بل كانه منتظرا لمرتك
ونيك ينفتح وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبه من وجه لكن يخالفه من وجه الآخر الجفن لا علم له
بما يصدر منه من الحركة فاعاوا طباعا والملائكة آحياء عاودون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليك
في الملائكة الارضية والسموية وحاجتك اليها في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات
والحاجات كلها فان لم تطول يدكها فذه طبقة أخرى من طبقات النعم وبما جمع الطبقات لا يمكن
احصاؤها فكيف أحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك نظاهرة
وباطنة ثم قال وذروا طهاروا والاثم وباطنه فترك باطن الاثم لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن
والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر لنعمة الباطنة وترك الاثم
الظاهر بالجوارح شكر لنعمة الظاهرة بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في نظر بقرة واحدة بأن
فزع جفنه مثلا حدث بسبب غض البصر فقد كفر كل نعمة الله تعالى عليه في السموات والارض وما بينهما
فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوانات والنبات بعبادته نعمة
على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره أيضا به فان الله تعالى في كل طريقة بالجفن
نعمتين في نفس الجفن ادخل تحت كل جفن عضلات ولها وناور وباطن متصلة بأعصاب الدماغ
بهائيم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في
سوادها انها تجمع ضوء العين اذا الباض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله في زيتها صفرا واحدا
أن يكون مانعا للوهو من الديدان الى باطن العين ومتشبها بالافداء التي تتأثر في الهواء وله في كل
شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبتها وله في اشتباك الاهداب نعمة أعظم
من السكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يصرف جميع الاجفان مقدرا متشابك
الاهداب فينظرون وراء شبك الشعرة فيكون شبك الشعرة مانعا من وصول القذى من خارج
وعبر مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان أصباب الحدقة غبار قد خلق أطراف الاجفان خادمة
منطبقة على الحدقة كالصفيحة للآلة فطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت
الافداء الى زوايا العين والاجفان والذباب لم يمكن لحدقته جفن خلق له يد يد فقرأه على الدوام يسبح
هم ما حذبه لصقلها من الغبار واذن كالاستقصاء لتفاصيل النعم لا تقفاره الى تطويل يزدعي
أصل هذا الكتاب ولعلنا نسئنا أنفسنا كتابا مقصودا فيه ان أمهل الزمان وساعد الوقت نسبح
بحمات صنع الله تعالى فلترجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم قد كفر بفتح العين نعمة الله
تعالى في الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن
ولا البدن الا بالافداء ولا الافداء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيث والشمس والقمر ولا يقوم شيء

من ذلك الاباء السموات ولا السموات الاباء الملائكة فان الكل كالشيء الواحد مرتبط البعض منه ببعض
ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذن قد تفكر لنعمة في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى
فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا وبلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي
يجمع فيها الناس امان تلعبهم اذا تفرقوا أو تستغفرهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر كل شيء
حتى الخوف في البر وان الملائكة يلعنون العصاة في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة
الى ان العاصي بنظر ربه واحدة جنى على جميع مافي الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الى ان تبسح
السبيحة بحسنة تحوها فيبذل الله بالاستغفار نفسي الله ان يتوب عليه ويجاوز عنه وأوحى الله
تعالى الى ايوب عليه السلام يا ايوب ما من عبد لي من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكر في علي
لعمري قال الملكان اللهم زده نعماء على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكمن من الشاكرين قريبا فكفي
بالشاكرين علوية تبتدي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والانا ربكي
عليهم وكما عرفت ان في كل طرفه عين نعماء كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينسط وينقض نعمتين
اذ بناط به يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلك ويا نقضا به يجمع روح الهواء الى القلب
ولوسته متفككة لا تحرق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والبليلة اربع
وعشرون ساعة وفي كل ساعة قرب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فلعليك
في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل
يتصور احصاء ذلك أم لا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها قال الهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت أصلها وأن
طعمت رأسها وكذا ورد في الاثر ان من لم يعرف نعم الله الا في مطعمه ومشربه فبذل عمله وحضر
عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصر لا تقع عينه
في العالم على شيء ولا يلم خاطره بوجوده الا ويتحقق ان الله فيه نعمة عليه فليترك الاستقصاء والتفصيل
فانه طمع في غير مطعم

فويبان السبب المصارف الخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم ممنوعوا بالجهل والغلظة عن معرفة النعم
ولا يتصور لشكر النعمة الا بعد معرفتها ثم انهم ان عرفوا النعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه
الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي ارادت بها
وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء
الشیطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس يجهلون لا يدعون ما ينم الخلق
ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق
مبدولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يسهو نعمة ولا تراهم
يشكرون الله على روح الهواء ولو اخذ تحتهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو جسوا في بيت
حمام فيه هواء جار وفي بئر فيه هواء نقل برطوبه الماء ماتوا فان ابتي واحدهم شيء من ذلك ثم
تجا ربما قد ذر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل الدمار شكرهم موقوف على ان تسلب
عنهم النعمة ثم تزد عليهم في بعض الاحوال والنعمه في جميع الاحوال اولى بان تشكر في بعضها فلا
تري البصير يشكر بحجة بصره الا ان تعي عينه فتد ذلك لو اعيد عليه بصره أحس به وشكره وعده
نعمه ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذل لهم في جميع الاحوال فلم يعد الجاهل نعمة وهذا
الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذ يترك ضرب به ساعة تقلبه منه فان ترك ضرب به

على الدوام غلبه الطور وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الى اختصاص
اليهم حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكوا بعضهم فقره الى بعض ارباب
البصائر وانظروا شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال
ايسرك انك اعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع البدين والرجلين
ولك عشرون ألفا فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال اأما استحي
ان تشكروا مولانا وله عندك عروض بخمسين ألفا وحكي ان بعض القراء اشتبهه بالفقر حتى ضاق
به ذروعا رأى في المنام كأن قائلا يقول له تزدانا انسيناك من القرآن سورة الانعام وان لك ألف دينار
قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فعند عليه سورة انعام قال فعك قيمة مائه ألف
دينار وأنت تشكروا فأصبح وقد سرى عنه هود دخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبه كوز ماء
يشربه فقال له عطشنى فقال لولم تعط هذه الشرية الا يسئلك جميع أموالك والابقيت عطشان فهل
كنت تعطيه قال نعم فقال لولم تعط الا جعلك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوى
شرية ماء فهذا تبين ان نعمة الله تعالى على الصديق شرية ماء عند العطش أعظم من ملك الارض
كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقدرنا النعم العامة
فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من مبداء اولو امكن النظر في احواله رأى من الله
نعمة أو نعماء كثيرة فتعجب لا يشاكره فيها الناس كافة بل يشاكره عدد يسير من الناس وربما
لا يشاكره فيها أحد وذلك يعترف به كل صديق ثلاثة أمور في العقل والخلق والهم أما العقل فامن
صديقه تعالى الا وهوا راض عن الله في عقليه يعتقد أنه أعقل الناس وقيل من يسأل الله العقل وان من
شرف العقل ان يفرح به الخلق عنه كما يفرح به المصنف به فاذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس
فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب عليه وان لم يكن ولكنه يعتقد أنه
كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كثر تحت الارض فهو يفرح به ويشكره عليه فان أخذ الكثير
حيث لا يدري يتيقن فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي وأما الخلق فامن عبد
الاورى من غيره عوب باكرها وأخلها فانيهما وانما يذمهما من حيث يرى نفسه يذمها فاذالم
يستغل بدم الغير فينبغي ان يشغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ وأما
العلم فامن أحد الا يعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف الغطاء
حتى اطلع عليه أحد من الخلق لا تقع فكيف لو اطلع الناس كافة فاذن لكل عبد علم بأمر خاص
لا يشاكره فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكره الله الجليل الذي أرسله على وجه مساو به فأظهر
الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة
من النعم خاصة يعترف بها كل عبدا مطلقا وامافي بعض الامور فلتنزل عن هذه الطبقة الى طبقة
أخرى أعظم منها قليلا فنقول ما من عبد الا قد رزقه الله تعالى في صوره أو شخصه أو أخلاقه
أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفقته أو اقاربه أو عزه أو واجهه أو في سائر محابه
أمورا لو سلب ذلك منه وأعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا
لا كافرا أو حيا لا امدا أو انسانا لا بهيمة وذا لا انثى وصحها لا مريضا وسليما لا معيба فان كل هذه
خصائص وان كان فيها محرم أيضا فان هذه الاحوال لو تبدل بأضدادها لم يرض به بل له أمور
لا يتقبلها بجوارح الادميين أيضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أولا
يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره واذ

كان لا يعرف شخص يرضى لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه أما على الجملة وأما في أمر خاص فإذا الله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواء وان كان سيدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليست على عدد المخطوبين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير من هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزرى نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوق دنياه بدنيه أليس اذا لامته نفسه على سيئة يفارها بعذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر أبدأي الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعم كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغيرها ولذلك قيل

من شاء عيشا رحيبا استطيل به • في دينه ثم في دنياه اقبالا

فلينظرن الى من فوقه ورعا • ولينظرن الى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا أقناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال عليه السلام ان القرآن هو النقي الذي لا عتي بعده ولا تفرمعه وقال عليه السلام من آناه الله القرآن نطق ان أحد أعنى منه قد استهزأ بآيات الله وقال صلى الله عليه وسلم ليس من امن لم يتغن بالقرآن وقال عليه السلام كني باليقين عني وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب المزلزلة ان عبدا أضيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان بآنيه وطيب يداؤه وعما في بدا خيسته وعبر الشاعر من هذا فقال اذا ما القوت بآنيك • كذا الصحة والامن وأصبحت أخا حزن • فلا فارقت الحزن

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا في سربه معاني في دينه عنده قوت يومه فكان ما حرت له الدنيا بحذائره واهو مهمات أملت الناس كلهم وجدتهم يشكرون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع انه ربال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصوهم الى النعم القيم والملك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل يحزن لعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من أموال وأتباع وقيل له خذها عوضا عن حملك بل عن عشر عشر حملك لم يأخذها وذلك لرجائه ان نعمة العلم تقضي به الى قرب الله تعالى في الآخرة بل وقيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكمال فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاتك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذها بله بل لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تقصب ولا ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها نازعة من كدرة مشوشة لا يني مرجوها بخوفها ولا تنهاها بلها ولا فرحها بنعمها هكذا كانت الى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان اذا ما خلقت لذات الدنيا الالجاب بها العقول الناقصة وتقدح حتى اذا اتخذت وتقيدت بها ابت عليها واستعصت كالمرأة الجليل ظاهرها تزين للشاب الشقي الغني حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحصيت عنه فلا يزال معها في لعب

فأتم وعناءه أعموكل ذلك باعتباره بلذة النظر إليها في لحظة ولوعقل وغضب البصر واستهان بتلك
 اللذة قسّم جميع عمره فهكذا وقت أوابب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن نقول أن
 المعرض من الدنيا متألم بالصبر عنها فإن القبل عليها بضامتا لم بالصبر عليها وحفظها وتخصيلها
 ودفع الصوص عنها وتألم المعرض بقضي الى لذة في الآخرة وتألم المقبل بقضي الى الآخرة لئلا يفتقر
 للمعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تنهوا في ابتغاء القوم ان تَكُونُوا لِمَنْ فَاهِمٌ بِأَلْوَن
 كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فإذا اتما السد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بغروب النعم
 الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فإن قلت فاعلاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله
 تعالى نفسها تشكر فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما ورثنا إليه من أصناف نعم
 الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لا تهتم بالنعم إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها
 فسيبلة أن ينظر أبدا الى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذا كان يحضر كل يوم دار المرضى
 والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى
 عليهم ثم يتأمل في محنة وسلامته فيشعر قلبه بشعة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ويشكر الله
 تعالى ويشاهد الجنة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليثكر الله تعالى
 على عصيته من الجنائيات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم
 أن أحب الاشياء الى اللوح أن يرثى الى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى الله فليستدرك وأما من
 أطاع فليرثى طاعته فان يوم القيامة يوم التغابن فالطبيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت
 أقدر على أكثر من هذه الطاعات فأعظم غننى اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات وأما
 لما صي فنبهه ظاهرا فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الاشياء اليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي
 له فصرف بقية العمر الى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى ببقية
 العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر الى
 ما خلق العمر لأجله وهو التورّد من الدنيا والآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى
 فعساها تشكر وقد كان الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة
 فكان قد سحر في داره قبراً فكان يضع غلاني عنقه وينام في لحده ثم يقول وب ارجعون لعلني اعمل
 صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاجل قبل أن تسأل الرجوع فلا تزد وما
 ينبغي أن تعاج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك
 كان الفضل بن عباس رحمه الله يقول عليكم ملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت من قوم فعادت
 اليهم وقال بعض السلف النعم وحشة فقيدها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد
 الاكثر حوائج الناس اليه في نهان بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه ان الله لا يغير
 ما بقوم حتى يشيروا ما بأنفسهم فهذا اتمام هذا الركن

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر
 ببيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد

لعلك تقول ماذا كرت في النعم إشارة الى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى أن الدلاء
 لا وجود له أصلا فاعني الصبر اذا وان كان البلاء موجودا فاعني الشكر على البلاء وقد ادعى
 مدعون أنا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يصح الشكر على البلاء وكيف
 يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألبا والشكر يستدعي فرحا وهما يتضادان

وإما معنى ما ذكره من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن
 النعمة موجودة والقول بأنبات النعمة واجب القول بأنبات البلاء لأنها متضادان فقد البلاء
 نعمة وقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه وأما في الآخرة
 فكسعادة العبد بالتزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق وما يبين عليهم
 وإلى نعمة مفيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه وفسده من وجه فكذلك
 البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالعبد من الله تعالى إمامة وأما أبداً وأما
 في الدنيا فالكفر والعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر
 والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة
 المطلقة أما البلاء المطلق في الدنيا فلا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا
 العصية بل حق الكافر أن يترك كفره وكذلك حق العاصي نعم الكافر لا يعرف أنه كافر فيكون
 كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فليترك
 العصية بل كل بلاء يقدره الله تعالى على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول
 العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد
 إزالته فإذا رجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك
 يصح أن يجمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبباً لحلاك الإنسان
 حتى يقصد بسبب ماله فيقتل أو يولد له ولصحة أيضاً كذلك ثامن نعمة من هذه النعم الدينية
 الأولى يجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن
 بالإضافة إلى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صبر عليه وكثر ماله لطره وبني قال
 الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض وقال تعالى كلا إن الإنسان ليطغى أن يراه
 استغنى وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يعصى عبده المؤمن من الدنيا وهو محبة كما يعصى أحدكم مريضه
 وكذلك الزوج والولد والقرىب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان
 وحسن الخلق فإنها يصح أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها أذا نفعها في حقهم
 إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في
 بعض الأمور بلاء ويكون فقد نعمة مثله جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما
 تنفص عليه العيش وطال بذلك فمه وكذلك جهله بما يضره الناس عليه من معارفه وآثاره نعمة
 عليه إذ لو عرف السر وأطلع عليه لطال ألمه وحده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله
 بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أنفضه وآذاه وكان ذلك وبال عليه في الدنيا والآخرة
 بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر إلى
 إتيائه وإهانتة ولو عرف ذلك وأذى كان الله له لعله أعظم فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف
 كمن آذى وهو لا يعرف ومنها إهمام الله تعالى أمر القيام وإهمامه ليله القدر وساعة يوم الجمعة
 وإهمامه بعض الكبار فكذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعي على الطلب والاجتهاد فهذه
 وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا أن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق
 وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالنظر إلا الآلام التي تخلقه في بعض الناس وهي أيضاً
 قد تكون نعمة في حق المتألم بها فإن لم تكن نعمة في حق كمال الحاصل من المصصة كقطع يده نفسه
 وشوهه يثرته فإنه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضاً نعمة ولكن في حق غيرهم

من المبادى في حقهم لان مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتعبدون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة انما بضاعف اذا تفكروا في آلام أهل النار امانى رأى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عاقبة مبدؤة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهى أحسن من كل بستان نظرى الارض يحسدون في همارته ولكن زينة السماء لما حمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صرح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده أو على بعضهم فاذا في خلق الله تعالى السلاء نعمة أيضا اما على المبلى أو على غير المبلى فاذا كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيستمتع فيها على الصبر وظيفتان الصبر والشكر جميعا * فان قلت انهما متضادان فكيف يجتمعان اذا الصبر الا على عثم ولا شكر الا على فرح فاعلم أن الشئ الواحد قد يفتن به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الانتقام والشكر من حيث الفرح وفي كل قهر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها * أحدها أن كل مصيبة ومرض فيصوّر أن يكون أكبر منها انما قد وارت الله تعالى لا تنهاى فلو ضعفها الله تعالى وزادها ماذا كان برذه ويحجزه فليشكر اذ لم تكن أعظم منها في الدنيا * الثاني انه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل النص بيتي وأخذ مناعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفقد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما ابتليت سلاء الا كان الله تعالى على فيه أربيع نعم اذ لم يكن في ديني واذا لم يكن أعظم منه واذا لم أرحم الرضاء به واذا أرجو الثواب عليه وكان لبعض أرباب القلوب صديق خبيثه السلطان فأرسل اليه يعلمو يشكو اليه فقال له اشكر الله فصر به فأرسل اليه يعلمو ويشكو اليه فقال اشكر الله في عجموسى فخبس عنده وكان مبطونا فقيده وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسى فأرسل اليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج الى أن يقوم مرزات وهو يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال الى متى هذا وأى بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذى في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذا ما من انسان قد أصيب سلاء الا ولو تأمل حق التأمل في سوء أديبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وأجلا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يدك فترك احداهما فهو مستحق للشكر ولذلك من بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فصب الله تعالى سجدة الشكر فقبل له ما هذه السجدة فقال كنت أنتظر أن تصب على النار فالاقصار على الرماد نعمة وقبل لبعضهم الاقتراح الى الاستسقاء فقد احتسبت الامطار فقال أنتم تستبطلون المطر وأنا استبطل الجمر * فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة من زادت مصيبتهم على مصيبتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم أن الكافر قد ضيى له ما هو أكثر وانما أهمل حتى يستعكث من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما على لطم ليزدادوا اثما واما المعاصى فن أن تعلم أن فى العالم من هو اعصى منه ويزب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأظلم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصى بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله ونحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فن أن تعلم أن غيرك أعصى منك ثم لعله قد آخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت

عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان تصور أن تخرج إلى الآخرة ومصائب الدنيا تسلي عنها بأسباب آخرتهم من المصيبة فخصف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكيفية في الآخرة عن المعذبين ومن عجبت عقوبته في الدنيا فلا يعاقبنا إن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا أذنب ذنباً فاصابته شدة أو بلاء في الدنيا قال الله أكرم من أن يعذبه ثانياً ٥ الرابع أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها ومن جميعها فهذه نعمة ٥ الخامس أن ثوابها أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكربة نعمة في حق المريض ويكون النعم من أسباب اللعب نعمة في حق العبي ٥ فانه لو خلى واللعب كان بمنعه ذلك عن العلم والادب فكان يحسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقرار والاعضاء حتى العين التي هي أجزا الاشياء قد تكون سبباً لهلاك الانسان في بعض الاجوال بل العقل الذي هو أجزا الامور قد يكون سبباً لهلاكه فالمدة عند امتنن لو كانوا عجمانيين أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فلهذا من شئ من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور أن يكون له فيه خيرة نية فعله أن يحسن التظن بالله تعالى ويقدريه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو صانع العباد أعلم من العباد وقد اشكره العباد على البلاء بالاذن وانواب الله على البلاء كما يشكر العبي بعد العقل والبلوغ أستاذهم وأباه على ضربه وتأديسه اذ يدرك ثمره ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عنايته بالأبء بالاوالاد فقد روى أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنهم الله في شئ فضاء هالك ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فقلت فقال عجب لقضاء الله تعالى للمؤمن أن قضى له السراء رضى وكان خيراً له وان قضى له بالضرر ارضى وكان خيراً له ٥ الوجه الثاني أن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ورأس أسباب العياة النجاس بالقلب من دار القرو وروااة النعم على وفق المراد من غير امتزاج بلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى يصير كالجنة في حقه فيعظم بلاءه عند الموت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب ازعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يأنس بها وصارت سبباً عليه وكانت نجاسة منها غايه الله كالحلاص من السجين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمنين وجنة الكافر والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضى بها وطمان اليها والمؤمن كل منقطع قلبه من الدنيا شديد الخنين إلى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي ٥ وقد رحب الدنيا في القلب يسرى فيه الشر إلى الخلق بل الموحدا المطلق هو الذي لا يجب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرص به وأما التأم فهو ضروري وذلك تضاهي فرحك عند الحاجة إلى الجملة بمن يتولى جماعتك مجتاً أو يسبقك دوا منافعها بما جئنا فانك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرص فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في التآل بل من دخل دار ملك التضارة وعلم انه يخرج منها لا بحالة قرأى وجها حسناً لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالأبلاء عليه لانه يورثه الانس بمنزلة لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فعليه فاصحابه ما يكرهه حتى نفره من المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب الحد فكل ما يحقق انهم بالمتزل فهو بلاء وكل ما يزعج

فلو هم عنها يقطع النسيم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء ما ومن لم يعرف
 هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر تبع معرفة النعمة بالضرر ورفق من لا يؤمن بأن
 ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي أن أعرابيا عزي ابن عباس
 على أبيه فقال . اصبر تكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس
 خير من العباس أجرك بعد * والله خير منك للعباس
 فقال ابن عباس ما عزاني أحد أحسن من تعزيتي والخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من برد الله به خيرا أصيب منه وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
 اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في دينه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استجبت
 منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال عليه السلام ما من عبد أصيب بمصيبة
 فقال كما أمره الله تعالى ان الله واننا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واعقبني خيرا منها الا فعل الله
 ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كرميته جزاؤه اخلو في داري والنظر الى
 وجهي وروى أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال صلى الله عليه وسلم لا خير
 في صد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى ينثي بلاءه
 في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال أتنا رسول صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برأته
 في ظل الكعبة فشكرونا اليه فقلنا يا رسول الله لا تدعوا الله تستنصره لنا فجلس بحجر الزوهر ثم قال ان
 من كان قلبه كلبا ليوثي بالرجل فيغفر له في الارض فغيره وبعاء بالمشافه فوضع على رأسه فيجعل فرقتين
 ما يصرقه ذلك من دينه وعن علي كرم الله وجهه قال أعمار رجل حبسه السلطان ظلمات فهو شهيد
 وان ضربه فمات فهو شهيد وقال عليه السلام من اجلل الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجهك
 ولا تدكر مصيبتك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه تولد من الموت وتعمرون الغراب وتحصون
 على ما يفتي وتذرون ما يفتي الأحدا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن أنس قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا
 وشبه عليه شيئا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى ليكن
 عبيدي وسعديك لتأني شيئا الا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير واذ خرت لك عندى ما هو
 أفضل منه فاذا كان يوم القيامة تجي بأهل الاعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام
 والصدقة والحج ثم يوفى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم اجر صبا
 كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيؤذ أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض
 لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
 وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال شكاني من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يا رب
 العبد المؤمن يطعمك ويحتجب بمعاصيك تروى عنه الدنيا وتقرض له البلاء ويكون العبد الكافر
 لا يطعمك ويحتري عليك ومعاصيك تروى عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى اليه
 ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازرى عنه الدنيا وأعرض
 له البلاء فيكون كفلة له لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط
 له في الرزق وأزوى عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزيه بسئانه وروى انه لما
 نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف القرح بعد هذه الآية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست غمضت ألست يصيبك الذي
 ألست تحزن فهذا ما تجزون به يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وعن عقيس بن عامر
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأيت الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته
 فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به قضا عليهم أبواب كل شيء يعني لما
 تركوا ما أمروا به قضا عليهم أبواب الخير حتى اذا فرحوا بما أوتوا أي بما أعطوا من الخير أخذناهم
 بغتة وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضى الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها
 في الجاهلية فكلدها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت إليها وهو عيسى فصدمه حائط فأتى في وجهه فأتى
 النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعد خيرا عمل له عقوبة ذنبه
 في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا أجر لكم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم وما أصابكم
 من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفون كثير فالمصاب في الدنيا يكسب الأرزاق فاذا قام الله
 في الدنيا قاله أكرم من أن يعذبه ثانيا وان عقابته في الدنيا قاله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة
 وعن أنس بن رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تجزع عبد قط جعتي أحب إلى
 الله من جرة غنط رذها تجلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا تقطرت فطرة أحب إلى الله من فطرة
 دم أهر بقت في سبيل الله أو فطرة دم في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الله وما خطا عبد
 خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة القربضة وخطة إلى صلاة الرحم وعن أبي الدرداء
 قال توفي ابن سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فغشا به يديه
 في زى الخشوم فقال أحدهما بلذت بلذرا فلما استخصم مر به هذا فأفسده فقال للأخر ما تقول
 فقال أخذت الجذوة فأنبت على زرع فنظرت عينا وشملا فإذا الطريق عليه فقال سليمان عليه
 السلام ولم تذرت على الطريق أما علمت أن لا تبت للناس من الطريق قال فلم تحزن على وليك أما
 علمت أن الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على وليه بذلك ودخل عمر بن العزيز
 على ابنه من رضى فقال يا بني لأن تكون في منزلي أحب إلى من أن أكون في منزلك فقال يا أبت
 لأن يكون ما تشاء أحب إلى من أن يكون ما أحب وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه نعى اليه ابنة
 له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفاها الله وأجر قد ساقه الله ثمزل فصلي ركعتين ثم
 قال قد صنعت ما أمر الله تعالى قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وعن ابن المبارك انه مات له
 ابن فذراه مجوسى يعرفه فقال له ينبغي لاهل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال ابن
 المبارك اكسبوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله ليتلى العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمضى على
 الأرض وماله ذنب وقال الفضل بن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله
 بالخير وقال حاتم الأصم ان الله عز وجل يحجج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس
 على الأتقياء بهليمان وعلى الفقراء بالسج وعلى العبيد يوسف وعلى المرضى بأبوب مهلولات الله
 عليهم وروى أن زكرياء عليه السلام لما هرب من الكفار من بنى اسرائيل واختفى في الشجرة ففرقوا
 ذلك في بالمشارة فشرحت الشجرة حتى بلغ المشارة إلى رأس زكرياء فأن منه أنه فأوحى الله تعالى
 إليه يا زكرياء لن صعدت منك آية ثالثة لا يحونك من ديوان النبوة ففزع زكرياء عليه السلام على
 الصبر حتى قطع شطرين وقال أبو مسعود البجلي من أصيب بمصيبة فزق ثوبا وأضرب صدرا
 فكما أخذ رجلا يريد أن يقتل به ربه فزجج وقال لقمان رحمه الله لا تباين أن الله يحب مجرب
 بالنار والعبد الصالح مجرب بالبلاء فإذا أحب الله فوما ابتلاههم فمن رضى فله الرضا ومن سخط

فبه السخط وقال الاخفش بن قيس أصبحت يوماً أغشكتى ضربى فقلت لعلى ماتت البارحة من وجع الفرس حتى قلتها ثلاثاً فقال لقد أكثرت من ضربك فى ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد وأوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك ببلية فلا تشككى الى خلفى واشكنا الى كالأشكوك الى ملائكتى اذا صعدت حسا وبثا وفضا شكت نساء الله من عظيم لطفه وكرم مستورا الجليل فى الدنيا والآخرة

بيان فضل النعمة على البلاء

لعلمك تقول هذه الاخبار تدل على أن البلاء خير فى الدنيا من النعم فهل لنا أن نسأل الله البلاء فأقول لا وجه لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعذب فى دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانباء عليهم السلام ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وكانوا يستعدون من شماتة الأعداء وغيرها وقال على كرم الله وجهه اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية وروى الصديق رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سلوا الله العافية فأعطى أحداً أفضل من العافية الا اليقين وأشار اليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله الخیر الذى لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غرشا كروا قال مطرف ابن عبد الله لأن أعافى فأشكراً أحب الى من أن أبسى فأصبر وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه وعافيتك أحب الى وهذا أظهر من أن يحتاج فيه الى دليل واستشهاد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين أحدهما بالاضافة الى ما هو أكثر منه اما فى الدنيا وفى الدين والآخرة بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغى أن يسأل الله تمام النعمة فى الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب فى الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم أود أن أكون جسراً على النار يعب على الخلق كلهم فينجون وأكون أنافى النار وقال ممنون رحمه الله تعالى

وليس لى فى سؤالك حظ * فكيف ما شئت فاخبرنى

فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم أنه حكى عن ممنون المحب رحمه الله أنه بلى بعد هذا البيت بعبارة المحصر فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمرك الكذاب وأما محبة الانسان ليكون هو فى النادون سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حبال مثل ذلك فى شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فى الكلام ولو زابله سكره علم أن ما غلب عليه كان حالة لا حقة لها فاسمعه من هذا الترتيب فهو من كلام العشاق الذين أفرط بهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يقول عليه كما حكى ان فاختة كان يراودها زوجها فاجتمع فقال ما الذى يمنعك منى ولما أردت أقلب لك العكوتين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لفتعته لاجل ذلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعانته فقال ياتى الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال وقال الشاعر

أريد مصالحي ويريد هيمى * فأترك ما أريد لما يريد

وهو أيضا محال ومعناه انى أريد ما لا يريد لان من أراد الوصال ما أراد الخير فكيف أراد الخير الذى يريده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتأويلين أحدهما أن يكون ذلك فى بعض الأحوال حتى يتكسبه رضا الذى يتوصل به الى مراد الوصال فى الاستقبال فيكون المحب الجيران وسيلة الى الرضاء والرضا وسيلة الى وصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال

إذا أسلم درهمان في درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم في الحال * الثاني أن يصبر رضياء عنده مطلوب ما من حيث أنه رضياء فقط ويكون له لذة في استشهاده رضياء محبوبه منه تريد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فتعذ ذلك يتصور أن يريد عاقبه الرضاء فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم في البلاء مع استشهاده رضياء الله عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضاء فهو لا إذا قدر وأرضاه في البلاء صار البلاء ما أحب اليهم من العافية وهذه حالة لا يعدو وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وإن ثبتت مثلاً فهل هي حالة صحيحة أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فالت به عن الاعتدال هذا فيه نظرون في تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى المات بفضلته على جميع خلقه العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين

بيان الأفضل من الصبر والشكر

اعلم أن الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سواهما وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد لا يضرب بعيد من التخصيص فلا معنى للتطويل بالتعليل بل المبادرة إلى اظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان * (المقام الأول) * البيان على سبيل التساهل وهو أن يخطر على الظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بتحقيقه وهو البيان الذي ينبغي أن يتخاطبه عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي أن يعتمد الوفاة اذ مقصود كلامهم من مخاطبة القوام أصلاً جهلهم والنظر المشقة لا ينبغي أن تسلم الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الخلاوات بل بالبن اللطيف وعليها أن تؤخر عنه الطايب الاطعمة إلى أن يصبر بحملها بقوته وفارق الضعف الذي هو عليه في بنته فنقول هذا المقام في البيان بأبسط البحت والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المضموم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفصيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله فإذا أضف إليه ما ورد في فضله الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل ألفاظ صريحة في التفصيل كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى به الله جزء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له أمارضى أن تجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر وأبليتك فصبرت لأضعفك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزم الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب وأما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر اذ ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فألحقه بالصبر فكان هذا انتهى درجته ولولا أنه فهم من الشرع ملو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مما لفت في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة أحسن التبعل وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كابى اللوث وأبدا المشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لا يدل على أن الشكر مثله وهو كقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر فإن كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوى العلم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء دخول الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لكان ملكه وآخرهما في الجنة عبد الرحمن بن عوف لما كان غنائاً وفي خبر آخر يدخل سليمان

بعد الاتيان بأربعين خريفاً وفي انخير أبواب الجنة كلها مصرعان الاباب الصبر فانه مصرع واحد
وأول من يدخله أهل البلاء ما هم أبواب عليه السلام وكل ما ورد في فضائل التقريد على فضيله
الصبر لان الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى فهذا هو المقام الذي فتح العوام ويكفهم في الوضع
اللائي هم والتعريف لما فيه صلاح دينهم * (المقام الثاني) هو البيان الذي تقصده تعرف أهل
العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل أمر من مهمين لا يمكن
الموازنة بينهما مع الاهتمام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على أقسام
لا يمكن الموازنة بين الجسلة والجلسة بل يجب أن نفرّد الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرخاء والصبر
والشكر أقسامها وشعبها كثيرة فلا يتبين حكمها في الرخاء والنقصان مع الاجال فنقول قد
ذكرنا أن هذه المقامات تنتظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر
المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها ببعض لاح للتأطير في النظر واهر
أن العلوم تزداد للاحوال والاحوال تزداد للاعمال والاعمال هي الافضل وأما أبواب البصائر فالأحرر
مندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تزداد للاحوال والاحوال تزداد للعلوم فالأفضل العلوم ثم
الاحوال ثم الأعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا يحال أفضل منه وأما أحاد هذه الثلاثة
فالاحمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا أحاد الاحوال اذا أضيف
بعضها الى بعض وكذا أحاد المعارف وأفضل المعارف علوم المكشقة وهي أرفع من علوم المعاملة
بل علوم المعاملة دون المعاملة لانها تزداد للعالمه فتأصلها صلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة
على العابد اذا كان علمه بما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص أفضل والا فالعلم القاصر بالعمل
ليس بأفضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال
القلب أن يتكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم المكشقة معرفة الله
سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تتأهل بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر
القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قد عليها فلا
تنقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها تمتاز تزداد لاجلها ولما كانت
مرادة لاجلها كان تعاونها بحسب نفعها في الاقضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يقضى
الى بعض اما بواسطة أو بوسائط كثيرة فكذلك كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي
أفضل وأما الاحوال فنعمني بها أحوال القلب في تصفيتها وتطهره عن شوائب الدنيا وشوائب
الخلق حتى اذا ظهر وصفاً اتضح له حقيقة الحق فاذا افصائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح القلب
وتطهره واعداده لان تحصل له علوم المكشقة وكان تصديق المرأة يحتاج الى أن يتقدم على تمامه
أحوال المرأة بعضها أقرب الى الصقالة من بعض فكذلك أحوال القلب فالحالة القريبة والمقربة
من صفاء القلب هي أفضل ومدونها لا يحال بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتب الاعمال فان
تأثيرها في تكميل صفاء القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما أن يجلب اليه حالة مانعة من
المكشقة موجبة لظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما أن يجلب اليه حالة مهيئة للمكشقة
موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الأول العصبية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من
حيث التأثير في ظلمة القلب وقسارته متقاربة وكذا الطاعات في تنوير القلب ووصفيته فدرجاتها
بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك أنا بالقول المطابق ربما نقول
الصلاة النافذة أفضل من كل عبادة نافذة وان الحج أفضل من الصدقة وان قيام الليل أفضل من غيره

ولكن التحقيق فيه أن الغنى الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على أمسا كه فاخرج درهم
له أفضل من قيام ليل وصيام أيام لان الصيام يلقى عن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها ومنعه
الشبع من صفاء الفكر من علوم الكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع فأما هذا المدر إذا تمسك
حاله هذه الحال فليس يستمر شهوة بطنه ولا هو مستقل بنوع فكر عنه الشبع منه فاستغاله
بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل
دواء الصداع لم يتفجع به بل حقه أن يسطر في الملهك الذي استولى عليه والشبع الطامع من جملة
المهلكات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزاله الاخراج المال فعليه أن
يتصدق بما معه وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فإذا باعتبار هذه الأحوال
يختلف وعند ذلك يعرف الصبر أن الجواب المطلق فيه خطأ أدلوا قال لنا فائل الخبر أفضل أم الماء
لم يمكن فيه جواب حق إلا أن الخبر للصائم أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتماعا فليطري
الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء أفضل وان كان الجوع اأغلب فالخبر أفضل فان تساويا
فهما منساويا وكذا اذا قبل السكبين أفضل أم شراب النيل فخير لم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا
نعم لو قيل لنا السكبين أفضل أم عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكبين مراد لهم وما يراد
لغيره فذلك الغير أفضل منه لا محالة فإذا في بدل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال
العمل وخروج حب الدنيا من القلب ونهبها القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى
وحبه فالأفضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حدث الشرع على الاعمال وبأنه
في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى وبأخذ
الصدقات فكيف لا يكون الفعل والانفاق هو الأفضل فاعلم أن الطبيب إذا أنهى على الدواء لم يبدل
على أن الدواء مراد لعينه أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج
لمرض القلوب ومرض القلوب بما لا يشعر به غالباً فهو كمرض على وجهه من لا مرأ معه فانه لا يشعر به
ولو ذكر له لا يصدق به والسبل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلاً لان كان ماء الورد
يزيل المرض حتى يستخفه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن المقصود
زوال المرض عن وجهك مما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه ولنضرب مثلاً أقرب من هذا
فنقول من له ولد عليه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره
بالتكرار والدراسة ليعتق له محفوظاً فقال انه محفوظ ولا حاجة بي إلى تكرار ودراسة لانه ينطق أن
ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل
لتوفر دعامته على كثرة التكرار بالتعليم فربما ينطق الصبي "المسكين أن المقصود تعليم العبيد القرآن
وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما باني قد استخدمت لاجل العبيد وأنا لاجل
منهم وأعز عند الوالد وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقد ر عليه دون تكليفي به وأعلم أنه لا نقصان
لاني بفقده هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم
اعتمادا على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مديراً مبرحاً وما من حيث
لا يدري وقد اتخذ مجمل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غني عن
عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأى معنى لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً لو شاء الله اطعام
المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا لهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قبل لهم
أنفقوا مآزر فكذلك قال الذين كفروا الذين آمنوا أنظم من لو شاء الله أطعمه وقالوا أيضاً لو شاء الله

ما أنشركا ولا آباءنا فأنظر كيف كانوا يهتدون في كلامهم وكيف هلكتوا وصدقهم فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وأدأه أسعد بالجهل يفضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهو لا لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء ولا جل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أو فبقينا أو أمسكنا هلكتوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل العبد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتوكل في كده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وأتينا كان ذلك من الوالد لطلبنا به في استجوابه إلى ما فيه سعادته فهذا المثال بين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فإذا المسكين لا خلق لك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من بخلك فإنه مهلك لك فهو كالحمام يستخرج الدم منك ليخرج بخرج الدم العلة المهلكة من بخلتك فالحمام خادم لك لأنك خادم للحيات ولا يخرج الحمام عن كونه خادما بأن يكون له غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للباطن ومن كيفة طعن خبثات الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها كنهى عن كسب الحمام وسماها أو ساء أحوال الناس وشرّف أهل بيته بالصيانة عنها والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربيع المهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف ولترجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو بالعمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما قبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر رجعا إلى معرفة واحدة ثم معرفة الشاكر أن يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى العي من الله وهما معرفتان متساويتان هذا أن اعتبارنا في البلاء والمصائب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما بعد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالإضافة إلى باعث الهوى ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين أدبا باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصبر به باعث الشهوة فقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فإذا جارى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة إما أن تقع ضرورة كالعينين مثلا وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العي في بعض المعاصي وشكر البصر عليهما من حيث العمل بأمرين أحدهما أن لا يستعين بهما في معصية والآخر أن يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فإن الأعمى كفي الصبر عن الصور الجلية لأنه لا يراها والبصر إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكر النعمة العينين وإن اتسع النظر كثر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد أن يضافه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرهما بالنظر إلى عجب ما صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله تعالى سبحانه فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا كانت رتبة شعيب عليه السلام مثلاً وقد كان ضريرا من الأنبياء

فوق رتبة موسى عليهما السلام وغيره من الانبياء لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلاً ولكن الكمال في أن يسلب الانسان الأطراف كلها ويترك لهم على وضوء ذلك محال جداً لان كل واحد من هذه الاعضاء آلف في الدين يموت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيها هي آلفه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كازدادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يثبت الاقدار الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف الى الخيرات أو أن لا تستعمل في المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضاً وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال ألم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التمتع المباح وكان الحاصل يرجع الى أن شئتين أفضل من شئ واحد أو أن الجلبة أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذا تصح الموازنة بين الجلبة وبين ايضاً أو ما اذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصبر على التمتع المباح فالصبر هنا أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من الغني "المسك ماله الصارف اياه الى المباحات لا من الغني" الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نعمتها وأحسن الرضاء على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لمخالفة القوة والغنى "اتبع نعمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضاً الا أن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصاد في التمتع على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاحمال لا تزداد الا احوال القلوب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايان فادل على زيادة قوة في الاعمال فهو أفضل لمخالفة وجوع ما وراء من تفصيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والاخبار انما ايد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى أفهام الناس من النعمة الاموال والغنى هما السابق الى الأفهام من الشكر لان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية الا أن صرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشرط ما عليهما فشرط الغنى "يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتزجها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقضها وترجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي ألم صفته وأزجها أتم حالاً من متع صفته ونعمها والاسرع على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخر الذي ذكرناه وهو مردسواه وقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغنى "الشكر أفضل من الفقر الصابر فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده واتباع أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أسأبني ورجع الى تفصيل الفقر الصابر على الغنى "الشكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجهاً في بعض الاحوال فرب فقير صابر أفضل من غنى شاك كما سبق ورب غنى شاك أفضل من فقير صابر وذلك هو الغنى "الذي يرى نفسه مثل الفقير اذا لم يسلك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن للناسين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسع حتى يصرف اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا التقليد منه بل آداء لحق الله تعالى في فقد عباده فهذا أفضل من الفقر الصابر فان قلت فهذا لا ينقل على النفس والفقير

يخيل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر ألم الصبر فان كان متألماً بفراق المال
فصبره ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم أن الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس
أكل حالاً من ينقعه وهو يخيل به وانما يقطع عن نفسه فهو وقد كنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب
التوبة فإلام النفس ليس مطلوباً بالعين بل لتأديها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب
المتأدي أكل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابراً على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام
والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليها في النهاية بل النهاية أن يصبر ما كان مؤلماً في حقه لذينا عنده
كما يصبر التعلم ضد الصبي العاقل لذينا وقد كان مؤلماً أولاً ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين
في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان اطلق الجنيد القول بأن الذي يقوم صفته أفضل وهو كما
قال صحيح فيما أراد من عموم الخلق فاذا اذا كنت لا تفصل الجواب ونطقه لا رادة الا كثرنا فاطلق
القول بأن الصبر أفضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاذا أردت التحقيق ففصل
فان للصبر درجات أهلها ترك الشكوى مع الكراهية وراهها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراء
الشكر على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا يتم فيه ولا فرح والشكر
لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا قصاصها ويدخل في جنبها
أمور دونها فان حياة العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر
والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكشف ستره وشكر الاعتراف بأن النعم
ابتداء من الله تعالى من غير استعفاف شكر والعلم بأن الشكر أضانعة من نعم الله وموهبة منه
شكر وحسن التواضع للدم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر
الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار ان كاذبة الا اعتراض وحسن الادب بين
يدي النعم وشكر وتأتي النعم بحسن القبول واستغتمام صغيرها شكر وما سدرج من الاعمال
والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنصير آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال
القول بتفصيل أحد هما على الآخر الا على سبيل ايرادا لخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار
والانوار وقد روي عن بعضهم انه قال رأيت في بعض الاسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن فسأته
عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عمي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها تزوجت
منى فليتة زفافها قلت تعالي حتى تضي هذه الليلة شكر الله تعالى على ما جمعنا فصلين تلك الليلة
ولم يتفرغ أحدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلين أطول الليل فتدسعين
أو ثمانين سنة قضى على تلك الحالة كل ليلة ليس كذلك يا فلانة قالت الجوز هو كما يقول الشيخ
فانظر اليها لو صبر على بلاء القرعة أن لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبر القرعة الى شكر الوصال على
هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذا لا وقوف على حقائق المفصلات لا بتفصيل
كما سبق والله أعلم

﴿ كتاب الخوف والرجاء وهو الكتاب الثالث من ربيع الحيات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المرحوظفه ونوابه • الخوف مكره وعقابه • الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه • حتى
ساقهم بالطائف الآله • الى التزول بفنائهم • والعدول عن دار بلائهم • التي هي مستقر أعدائهم •
وضرب بسياط التخوف • وزجره العنيف • وجوه المعرضين عن حضرته • الى دار نوابه وكرامته •

وصدهم عن التعرض لأثمه * والتهتف لسطه ونفته * قود الأصناف الخلق بسلاسل القهر
والغف وأزمة الرق واللفظ الى جنة * والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خلقته * وعلى
آله وأصحابه وعترته * (أما بعد) فإن الرجاء والخوف جناحان هما بطير المقرن الى كل مقام
محمود ومطمان هما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود * فلا يقود الى قرب الرحمن وروح
الجنان مع كونه بعيدا الارزاء ثقل الاعباء مخفوا بمكاره القلوب ومشايق الجوارح والاعضاء
الالزمة الرجاء ولا يصدر نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه مخفوا بلطائف الشهوات ومجائب
اللذات الاسباط الخفيف وسطوات التعذيب فلا بد اذا من بيان حقيقةهما وفضيلتهما وسبيل
التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجتمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على
شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف

(أما الشطر الاول) فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء
والطريق الذي يجتنب به الرجاء **(بيان حقيقة الرجاء)**

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاماً اذا ثبت
وأقام وانما يسمى حالاً اذا كان عارضاً سريع الزوال وكان الصفة تتقيد الى ثباته كصفة الذهب
والى سرعة الزوال كصفة الوجيل والى ما هو بينهما كصفة المريض فكذلك صفات القلب
تتقيد هذه الاقسام فالذي هو غريزات يسمى حالاً لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف
من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضا يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب
يشر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسم للحال من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلائق
من مكروه ومحبوب فيقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في المستقبل
فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكر او تذكر وان كان ما خطر بقلبك موجود في الحال
سمي وجد او ذوق او ادراك وانما سمي وجداً لانه حاله تجد هاهنا نفسك وان كان قد خطر ببالك
وجود شيء في المستقبل وقلب ذلك على قلبك سمي انتظار او توقعاً فان كان المنتظر مكروهاً حصل
منه ألم في القلب سمي خوفاً واشفاقاً وان كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وخطر
وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار
ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا يتوأن يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل
حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك الانتظار مع انقراض أسبابه واضطرارها
فاسم القرور والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة
الانقضاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء
والخوف الا على ما يترد فيه أما ما يقطع به فلاذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع
وأخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال أرجو زول المطر وأخاف انقطاعه
وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا سرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبدن فيه والطاعات
جارية بحرى قلب الارض وتظهرها وبحرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستتر
بالدنيا المستغرق بها كالارض السبعة التي لا ينفوئها البذر وبوم القيامة يوم الحصاد ولا يجصد
أحد الا ما زرع ولا ينو زرع الا من بذر الايمان وقلنا نفع ايمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه
كالا ينو بذر في أرض سخة فتنبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة رجاء صاحب الزرع فكل من طلب
أرضاً طيبة وألغى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مبسوس ثم أمده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه

في أرفاة غنم في الشوك من الأرض والخشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وانبت البذر في أرض صلبة سحجة من تفعلة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بعهد البذر أصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حقا وغرورا لأرجاء وانبت البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمنع أيضا سمي انتظاره تمنايا لأرجاء فإذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تعهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا ثبت بذرا لايامن وسقاها بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيتته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقة كما محمودا في نفسه باعنا على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الايمان في اتمام أسباب المغفرة إلى الموت وان قطع عن بذرا لايامن تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشغولا بذهائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحم من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة وقال تعالى خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الاذن فيقولون سيفرنا ثم ودم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن أن تبعد هذه ابنا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها من قبلي فاذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وتمام النعمة لا بدخول الجنة وأما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من قصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة ان كان كارهها لعصية تسوء السيئة وتسوء الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتمى التوبة ويشاققها الحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهته للعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يقضي إلى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يستحقون أن يرجو رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء لما من ينهمك فيما يحسره الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاءه المغفرة حتى كرجاء من بذر البذر في أرض سحجة وعزم على أن لا يعهده بسقي ولا تيقنه قال يحيى بن معاذ من أعظم الاعتزاز عند المتأدي في الذنوب مع رجاء العفو من غير تامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة بذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجنة بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس

فان عرفت حقيقة الرجاء ومفنته قد علمت انها حالة أمرها العلم بجريان أكثر الاسباب وهذه الحالة تفر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صديق رجاءه فلا يزال يمله بصدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدا وتنبه كل حشيش ينبت فيها فلا يفر من تعهدا أصلا إلى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاذه اليأس واليأس يمنع من التعهد في عرف أن الأرض سحجة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت فتترك له حالة تفقد الأرض والتعب في تعهدا والرجاء محمود لانه باعث واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل

والخوف ليس بضد للرجاء بل هورفق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر يطربق الرغبة كما أن
الرجاء باعث بطريق الرغبة فإذا حال الرجاء بورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات
كيفما تقلبت الاحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتمتع بمناجاة والتلطف
في التخلي له فان هذه الاحوال لا بد وأن تظهر على شكل من رجوع ملكا من السلوك أو شخصاً من
الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن
مقام الرجاء والتزول في خصم الضرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء وما أثره من العلم وما
استغنى عنه من العمل ويدل على آثاره لهذه الاحمال حديث زيدنا خيل اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جئت لأسألك عن علامة الله فممن يريد علامة فممن لا يريد فقال كيف أصبحت قال
أصبحت أحب الخير وأهلها وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بشؤبه وإذا فاني منه شيء
حزنت عليه وخفنت اليه فقال هذه علامة الله فممن يريد ولو أرادك للأخرى هناك لما غم لاسي
في أي أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريده الخير فن ارجى أن يكون
مراد بالخبر من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبه لهم والحب يقرب
بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاءاً لتوابعه ولذلك ورد في الرجاء
وحسن الظن رغباً لا سيما في وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فممن أحسن اليأس وفي
أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أتدري لما فرقت بينك وبين يوسف لما كنت قلت
أخاف أن يأكله الذئب وأنت عنه غافلون خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت إلى غفلة أخوته ولم
تنظر إلى حفني له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى وقال صلى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي فلينظرنى ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم
على رجل وهو في الترع فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله
عليه وسلم ما جئتكم في قلب عبدي في هذا الوطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه بما يخاف وقال على
رضي الله عنه لرجل أخرجه الجوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا بأسك من رحمة الله أعظم من
ذنوبك وقال سفيان من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا عفوانه عفا الله عنه قال لأن
الله عز وجل عفو ما فقال ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم
قوماً بوراً وقال صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك أن تأتي المنكر
أن تسكره لفته الله حبه قال رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك وفي
الخبر الصحيح أن رجلاً كان يدين الناس فيسأح الفتي ويتجاوز عن المعسر فلما علم الله ولم يعمل خيراً فلفظ
فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا فغاضه لحسن ظنه ورجائه أن يغفون عنه فاعلاسه من
الطاعات وقال تعالى أن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لوتعلون ما أعلم لخصمكم قليلاً ولبيكم كثيراً
ونخرجكم إلى الصدقات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم فميط جبريل عليه السلام فقال أن
ربك يقول لكم لم تقنط عبادي بخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وفي الخبر إن الله تعالى أوحى إلى داود
عليه السلام أحنني وأحب من يحبني وحنني إلى خلقى فقال يا رب كيف أحبك إلى خلقك قال
أذكرني بالحسن الجليل وأذكر لائي وأحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني إلا الجليل وريء أبان

ابن أبي عباس في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجا فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك قلت أردت أن أحيلك الى خلقك فقال قد عرفت لك ورؤي يحيى بن اكنم بعدموته في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني الله بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخضني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عنى قلت حدثني عبد الرزاق عن ماهر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام انك قلت أنا عند نبي عيسى بن فلان نبي ما شاء وكنت أظن بك أن لا تعذبني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق ماهر وصدق عبد الرزاق وصدق قال فألبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر أن رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أو يسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فمكت فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فانتني بعدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان قال فيقول ردوه الى مكانه قال فيعشى ويلتفت الى ورأته فيقول الله عز وجل الى أى شئ تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا أتعذبني الهابذا أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فذل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نال الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان دواء الرجا والسبيل الذي يحصل منه حال الرجا ونقلب

اعلم أن هذا الدواء يحتاج اليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواقفة على العبادة حتى أضرب نفسه وأهله وهذا رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فأما المعاصي المغرور الممتنى على الله مع الاعراض عن العبادة واقتران المعاصي فأدوية الرجا تنقلب سمومها مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفا لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والاسباب المهيضة له فلها يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفًا ناظرًا الى مواقع العلل معالجًا لكل علة بما يصادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور واساطها فاذا جاوز الوسط الى أحد الطرفين عوج بما يرد به الى الوسط لا بما يزيد في مثله من الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجا بل المبالغة في التوقيف أيضا تكاد أن لا تزدحم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجا فهل لهم ويرد بهم بالكلية ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الاستمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مائلوا الى الرجا حتى ازداد الفساد فسادا وازداد الممكون في طغيانهم تمادا قال علي كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجا لتستعمل في حق الأيسر أو فمين غلب عليه الخوف اقتداء بكاتب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهم مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جاعلان لاسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم وريثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لاستعمال الآخر الذي يظن أن كل شئ من الادوية صالح لكل مريض كيفما كان وحال الرجا يوجب شيئين أحدهما الاعتبار والاخر استغراء الآيات والاخبار والآثار إما الاعتبار فهو أن

يتأمل جميع ما ذكرنا في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجايب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والافتقار وما هو زينة له كاستقواس الحجابين واختلاف ألوان العينين وجمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا نعلم يفقده غرض مقصود وإنما كان يقوت به ضربة جمال فالعناية الإلهية أذل ما تقتصر عن عبادته في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تغتوهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد بل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيء له أسباب السعادة في الدنيا حتى أنه تذكره الانتقال من الدنيا إلى الموت وإن أخبر بأنه لا يذهب بعد الموت أبدا مثلاً ولا يمحى أصلاً فليست كراهمهم لعدم العلم إلا أن أسباب النعم أغلب لا بحالة وإنما الذي يتبني الموت نادراً ثم لا يتغناه إلا في حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تدبيراً فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون لأن مديبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا توكل على التياكل قوياً به أسباب الرجا ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشر يعقوب وسنها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة لعبادها حتى كان بعض العارفين يرى آية المدانة في البقرة من أقوى أسباب الرجا فليل له وما فيها من الرجا فقال الدنيا كلها قابل ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية لهدى عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه ﴿الفرق الثاني استقراء الآيات والأخبار﴾ فإورد في الرجا خارج عن الجهر أما الآيات فتدقق تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله غفار لجميع ما عمله هو الغفور الرحيم وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالى أنه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض وأخبر تعالى أن النار أعد لها أعداءه وإنما خوفها أوليائه فقال لهم من فوقهم ظلم من النار ومن تحتهم ظلم ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال تعالى فأنذرتمكم ناراً تظلي لا يصلها إلا الشقي الذي كذب وتولى وقال عز وجل وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل الله عقابها في الدنيا لا زلزل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقبل هذا فاولئك من النار وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الأمة بهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فادنى من النار فيأتي فيها وقال صلى الله عليه وسلم ألحى من فجع جهنم وهي خط المؤمن من النار وروى في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أن أجعل حساب أمتك اليك قال لا يارب أنت أرحمهم مني فقال إذا لا تخزيك فيهم وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى ثلاث بطائح

على مساوهم غيري فأوحى الله تعالى اليه هم أمثلكم وما دى وأنا أرحمهم منك لا أجعل حساسهم
 الى غيري لئلا تنظر الى مساوهم أنت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حسبي خير لكم وموتى خير
 لكم أما حسبي فأنس لكم السن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فأن أعمالكم تعرض على قارأت
 منها أحسنها حدث الله عليه ومارأت منها سيئاً استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه وسلم
 يوميا أكرم العقوف فقال جبريل عليه السلام أتدري ما تفسير يا كرم العقوف هو أن عفا عن السيئات
 برحمته بثلث أحسنات بكرمه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم اني أسألك تمام
 النعمة فقال هل يدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة قال العلماء قد أتم الله علينا نعمته رضاه
 الاسلام لنا قال تعالى وأعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً وفي الخبر إذا أذنب
 ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل لا تذكته انظروا الى عبيدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر
 الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه منان السماء
 غفرها له ما استغفري ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبيدي بقراب الارض ذنوباً لقيته بقراب الارض
 مغفورة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم من العبد إذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه
 عليه والا كتباً سيئة وفي لفظ آخر فإذا كتب عليه وعمل حسنة قال صاحب اليبين لصاحب
 الشمال وهو أمير عليه أن هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشر وأرفع له تسع
 حسنات فتلقى منه السيئة وروي أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال إذا أذنب العبد
 ذنباً كتب عليه فقال أعرابي وإن تاب عنه قال يحي عنه قال فان عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم
 يكتب عليه قال الأعرابي فان تاب قال يحي من محبته قال الى متى قال الى أن يستغفر ويتوب الى الله
 عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يعمل العبد من الاستغفار فإذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب
 اليبين حسنة قبل أن يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى الى
 سبعمائة ضعف وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ورواه ما حسن
 عقوف الله عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لأصوم الا اشهر
 لأزبد عليه ولا أصلي الا الخمس لأزبد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع أين أنا إذا
 مت قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي إذا حفظت قلبك من اثنين الفل والحسد
 ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وصنيك من اثنين النظر الى ما حرم الله وأن تردري بهما
 مسلداً دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس أن الأعرابي قال يا رسول الله
 من يلى حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم قسّم الأعرابي فقال صلى
 الله عليه وسلم ثم محكت يا أعرابي فقال ان الكرم إذا قدر عفا وإذا حسب ساح قال النبي صلى
 الله عليه وسلم صدق الأعرابي الا لا كرم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين ثم قال فقه الأعرابي
 وفيه أيضاً ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبداً مهجراً هجر أكرم أكرها ما بلغ جرم
 من استغفرت بولي من أولياء الله تعالى قال الأعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم وأولياء
 الله تعالى أما سمعت قول الله عز وجل الذين آمنوا ويخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض
 الاخبار المؤمن أفضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة
 وفي الخبر رخان الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطاً يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول
 الله عز وجل انما خلقت الخلق ليرحموه ولم أخلقهم لاربح عليهم وفي حديث أبي سعيد الخدري
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئاً الا جعل له ما يقبله وجعل رحمته قلب

غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي ومن معاذين جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله لم يمسسه النار ومن لم يلق الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي خبر آخر لو علم الكافر سرعة رحمة الله ما أبس من خبته أحد ولما تار رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال أتهدرون أي يوم هذا ايوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعت بعث النار من ذريتك فيقول كم فقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يكتفون وتعطوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الامم أن تاولوا بوزاريس ومنسك وبأجوج وما جوج أم لا يصحبها الا الله تعالى انما أنتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقعة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء الى الله تعالى اتساقهم بسياط الخوف أو لا فلخرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والتصدوا لآخر لم يكن منافضاً للأول ولكن ذكر في الأول ما رآه سبباً للشفاة واقصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فغلب الواعظ أن يقتدى بسبب الوفاة فيتألف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعدملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسده بوعظه أكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم يتنبوا لخلق الله خلقاً يشركون فيغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بهم رجاء بخلق آخر يشركون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم يتنبوا لخشيت عليكم ما هو ذر من الذنوب قبل وما هو قال الجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفقة بولدها وفي الخبر لغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خبطت على قلب أحد حتى ان ابليس ليشطاول لها رجاء أن تصيبه وفي الخبر ان الله تعالى مات رحمة أخر منها عنده تسع وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يترحم الخلق فعن الوالدة على ولدها وتعطف الهمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طابق السموات والارض قال فلاهلك على الله يومئذ الاهاك وفي الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتخذني الله رحمة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام اعملواوا بشروا واعلموا أن أحد المنيعة عمله وقال صلى الله عليه وسلم اني اخشأت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي أثرها الطمعين المتقين بل هي للتلوثين المخطئين وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفة السعوية السهلة وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قلوبهم ولا تخفى علينا اصر وقال تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما نزل قوله تعالى فاصغ الصغ الجليل قال يا جبريل وما الصغ الجليل قال عليه السلام اذا عفوت عن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فإله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفاه عنه فكيف جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى الهام بكاتب عليه السلام وقال ان ربك اقربكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هنا ما لا يشبه كرمي * والاخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى * (وأم الأتار) * فقد قال علي كرم الله وجهه من أدب ذنبا قسره الله

عليه في الدنيا فآله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة. ومن أدب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فآله تعالى أعدل من أن ينثي عقوبته على عبده في الآخرة. وقال الثوري ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبي. لأنني أعلم أن الله تعالى أرحم مني. وقال بعض السلف المؤمن إذا عصي الله تعالى ستره من أبصار الملائكة كذا تراه فتشهد عليه. وكتب محمد بن مصعب إلى أسود بن سالم يحظه أن العبد إذا كان مسرعا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يا رب عجب الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تعجبون عني صوته عبدى قد علم عبدى أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم أنى قد غفرت له. وقال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه خلالي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الماترم عند الباب فقلت يا رب اعصمى حتى لا أعصيك أبدا ففقت في هائف من البيت يا إبراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فإذا عصمهم فعلى من أفضّل ولمن أغفر. وكان الحسن يقول لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قه بالذنوب. وقال الجنيد رحمه الله تعالى إن بدت عين من الأكرام ألحقت بالمسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له إلى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا بايعي أنى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرق له كساءك هذا من الفرح. وفي حديث ربيع بن خراش من أخيه وكان من خيار التابعين وهو عن تكلم بعد الموت قال لما مات أخى صمى شوبه وألقبناه على نفسه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا. وقال أنى لقيت ربى عز وجل فبانى بروح وريحان وربى غير قضبان. وأنى رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تنفروا وإن سمعوا صلي الله عليه وسلم ينطقونى وأصحابه حتى أرفع الهم قال ثم طرح نفسه ففكأها كانت حصة وقعت في طشت فماتناه وودناه. وفي الحديث أن رجلين من بنى إسرائيل تراخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر مابدا وكان يعظه ويرجزه فكان يقول دعنى وربى أبست على رقباه حتى رأذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا تغفرا الله لك قال فمقول الله تعالى يوم القيامة أليسطيع أحد أن يحظر رجعى على عبادى أذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد أنت قد أوجبت لك النار قال فالو الذى نفسى بيده لقد تكلم بكامة أهليك دنياه وآخرته. وروى أيضا أن لصا كان يقطع الطريق في بنى إسرائيل أربعين سنة فرأى عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابدين عباد بنى إسرائيل من الحوارين فقال اللص فى نفسه هذان بنى الله يمرؤا إلى جنبه حواريه لو زلت سكنت معهم ما لنا قال فنزل فجعل يري أن يدنو من الحوارى ويزدري نفسه تعظيما للحوارى ويقول فى نفسه مثل لا يمضى إلى جنب هذا العابد قال وأحسن الحوارى به فقال فى نفسه هذا يمضى إلى جانبى فضم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فتشى بجنبه فبقى اللص خلفه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل له اليس أنتما العمل فقد أحببت ما ساقف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحببت حسناته لمحبه بنفسه وأما الآخر فقد أحببت سيئاته بما ازدرى على نفسه فأخبر هابذاك وضم اللص إليه فى سياحته وجعله من حواريه وروى عن مسروق أن نديمان الأنبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعد العصاة حتى أرق الحصى بجهته قال فرغ النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبا فقال أذهب فلن يغفرا الله لك فأوحى الله تعالى إليه تتألى على عبادى أنى قد غفرت له وقرب من هذا ماري عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين وبلغهم فى صلاته فقبل عليه قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامدا ولبيك للاستسلام وروى فى الأثر أن رجلين كلنا من العابدين متساوين

في العبادة قال فاذا ادخل الجنة فرفع أحد هما في الدرجات العلا على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا يا كرمي عبادة فرفقته على في عليين فيقول الله سبحانه انه كان تسألني في الدنيا الدرجات العلا وأنت كنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل صدقته وله وهذا يدل على أن العبادة على الرضاء أفضل لان المحبة أغلب على الرضى منها على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدعهم ابقاء لعقابه وبين من يخدعهم ارجاء لانعامه وكرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلا فانتم تسألون كرميا وقال اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الاعلى فان الله تعالى لا يعاطفه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن أنس في العشي التي قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم الا انكم تستعذبون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما رخصنا حتى أعفينا وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يا كرمي ارجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي اليك مع الاعمال لاني أعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجلود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال ان أسبلت أضفئت ففر المجوسي فأتوا حتى الله تعالى اليه يا ابراهيم لم تطعمه الا بتقير دينه ومن من سبعين سنة نطعمه على كفرة فلو أضفئته لبيته ماذا كان عليك ففر ابراهيم بسمي خلف المجوسي فزده وأضافه فقال له المجوسي ما السب فيما يدالك فذكر له فقال له المجوسي أهكذا يعاملني ثم قال اعرض على الاسلام فأسلم ورأى الاستاذ أوسهل الصعلوكي أباسهل الزجاجي في المنام وكان يقول ليعبد الابن فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر أهون مما توهننا ورأى بعضهم أباسهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا أستاذي نلت هذا فقال بحسن ظني برمي وحي أن أبابا العباس بن شريح رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول ابن العلاء قال لما رأيت ما ذا حملت فيما علمت قال قلنا يا رب قصرنا وأساننا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم مات بعد ذلك بثلاث ليال وقيل كان رجل شرب بجمع قوما من نهمائه ودفع الى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئا من القوام له للجلس ففر الغلام يساب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقر شيئا ويقول من دفع اليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع الغلام للميه الدزاهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعوك فقال لي سيد أريد أن أخلص منه فدعا منصور وقال الأخرى فقال أن يتخلف الله على دراهمي فدعا ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الأخرى فقال أن يغفر الله لي وليسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيدي لم أبطأت قصص عليه القصص قال وبم دعا فقلت سألت نفسي العتق فقال له اذهب فأنت حر قال وايش الثاني قال أن يتخلف الله على الدراهم قال لك أربعة آلاف درهم وايش الثالث قال أن يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال أن يغفر الله لي ولك وللقوم ولذا كرر قال هذا الواحد ليس في الخليات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان اليك اقترى اني لا أفعل مالي قد غفرت لك وللغلام ولنصورين عمار وللقوم الحاضرين أجمعين وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الشافعي قال رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت الى المقبرة ووصلت اليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا الميت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا أمره قلت

وابش كان هذا قالت مخنت قال فرحتها وذهبت بها الى منزلي وأعطيتها اذراهم وحنطة وثيابا
قال فرأت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمريلة البدور وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت
من أنت فقال المخنت الذي دفعتوني اليوم رحمني ربى باحتمار الناس ياى وقال ابراهيم الاطروش
كاقود ابني ادمع معروف الكرخي على دجلة اذ مرأحداث في زورق بضربون بالدف ويشربون
و يلعبون فقالوا المعروف أماتراهم بعصون الله بحارهن ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهى كافرحتهم
في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقال القوم انما سألتك أن تدعو عليهم فقال اذ فرحهم في الآخرة تاب
عليهم وكان بعض السلف يقول في دعائه يارب وأى أهل دهر لم بعصوك ثم كانت نعمتك عليهم
سابقة ورزقت عليهم دارا سبحانه ما أهلك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الزرق حتى
كأنك بارئنا لا تنضب ففذه هي الاسباب التي ما يجلب روح الرجاء الى قلوب الخائفين والأيسين
فأما الخفي المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوأشياء من ذلك بل يسمعون ما مسنوره في أسباب
الخوف فان أكثر الناس لا يصلح الا الى الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم الا بالوسط
والعصا و اظهار الخشونة في الكلام وأما بهذا فيستدعون باب الصلاح في الدين والدينا
في الشطر الثاني من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان
أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف
وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الانبياء صلوات الله عليهم والصلالحين
رحمة الله عليهم ونسأل الله حسن التوفيق

• بيان حقيقة الخوف •

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا
في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على
الدوام لم يسبق له الفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف
والرجاء فانهما زامان بمعنى النفس عن الخروج الى دعواتها والى هذا أشار الواسطي حيث
قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال أيضا اذ أظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء
ولا لخوف وبالجملة فالخوف قد اشغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق فكان ذلك نقصا
في الشهود واما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن انما نتكلم في أوائل المقامات فنقول حال
الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن
جنى على ملك ثم وقع في يده فيضاق القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف
بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تقاضى جنايته وكون الملك في نفسه حقودا
غضوبا منتقيا لكونه محفو فابن يحته على الانتقام خاليا عن تشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف
عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تنحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتطاهر هذه الاسباب سبب لقوة
الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لاهن
سبب جناية فارها الخائف بل عن صفة الخوف كالذي وقع في محال سيع فانه يخاف السبع
لصفة ذات السبع وهي حرصه ووسطونه على الاقتراس غالبا وان كان اقتراسه بالاختيار وقد يكون
من صفة جملة الخوف منه تخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فان الماء يخاف لانه يطبعه
محبول على السبلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم بالاسباب المكروه هو السبب الم باعث
للمشرب لالحراق القلب وتألمه وذلك الاحراق هو الخوف فيكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون

لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يسأل ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد عقارفة المعاصي وتارة يكون بها جميعا ويحسب معرفته يعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغناؤه وأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون تكون قوة خوفه فأخوف الناس له بأعزهم بنفسه ويربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إنا أخوفكم لله وكذلك قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء ثم أمد أكلت المعرفة وأورثت جلال الخوف واحتراق القلب ثم يقضى أرا الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات * أما في البدن فيالتحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المراءة فيغضى الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط والبأس * وأما في الجوارح فيصعبها عن المعاصي وتقيد بها بالطاعات فلا يزال ما فرط واستعدادا المستعمل ولذلك قبل لمس الخائف من سكر ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذى النون متى يكون العبد خائفا قال اذ نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمى مخافة طول السقام وأما في الصفات فإن يقع الشهوات ويكثر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكرهه كما يصير العمل مكرها عند من يشبهه اذا عرف أن فيه سيما ففترق الشهوات بالخوف وتناذب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة وفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الخوف والنظر في خطرا عاقبه فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضمة بالانفاس والمخاطبات ومؤاخذه النفس بالمخاطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في محال السبع ضار لا يدري أنه يفعل عنه فيفعل أو يسمم عليه فلهذا فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله ويعيوب النفس وما بين يدها من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف ما يظهر أثره في الاحمال أن يمنع عن المخطورات ويسمى الكف الحاصل عن المخطورات ورعا فان زادت قوة كف ما يتطرق اليه امكان التبريم فكيف أيضا ما لا يتيقن بتجرمه ويسمى ذلك تقوى اذا التقوى أن يترك ما يريه الى ما لا يريه وقد يجعله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التبريد للصدمة فصار لا يبتى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنياه يعلم أنها تافقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة من الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويجهده بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم لكف عن المحظور والشهة جميعا ورعا هو اسم الصدق والمقرب وتجري الرتبة الاخرة ما قبلها تجرى الاخص من الاعتم فاذا كرت الاخص فقد ذكرت الكل كما نكث قول الانسان اما عربي واما عجمي والعربي اما قرشي أو غير القرشي اما هاشمي أو غيره والهاشمي اما علوي أو غيره والعلوي اما حسني أو حسيني فاذا كرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه نقي وورع وعفيف فلا ينبغي أن تظن أن كثرة هذه الاسماء تدل على معان

كثيرة متباينة فيتلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الالفاظ ولم تسبع الالفاظ المعاني فهذه
اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتشفه من جانب العلو كالعرفه الموجهه له ومن جانب السفل
كالاعمال الصادرة منه كفاواقدها

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود ورجا يظن أن كل ما هو محمود فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط
بلى الخوف سوط الله يسوق به عياده الى المواظبة على العلم والعمل لئلا يواهم رتبة القرب من الله
تعالى والاصل المهمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الضرب
محمودة وكذلك الخوف له قصوره وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فأما المقاصر
منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطربا لبال عند سماع آية من القرآن فيورث الكنا وكفوض
الدموع وكذلك عند مشاهد سبب هائل فاذ اغاب ذلك السبب عن الحس وجع القلب الى الغفلة
فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية
لا يؤلمها الماعز حافلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح رياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين
والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتمسكين بأسمائهم فانهم أبعد الناس عن
الخوف بل اعني العلماء بالله وبآيامه وأفعاله وذلك مما قد مر وجوده الآن ولذلك قال الفضيل بن
عياض اذا قيل لك تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت وأشار به
الى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح
فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً وأما المفرط فانه الذي يقوى ويجاوز حد
الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف
أيضاً الى المرض والضعف والى الولع والذهشة وزوال العقل فالمراد من الخوف ما هو المراد من
السوط وهو العمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كما لا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأ الجهل
والجهل ما الجهل فانه ليس يدري عاقبة أمره ولومرف لم يكن خائفاً لان الخوف هو الذي يرتد فيه
وأما الهز فهو أنه متعزّ لا يحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الأدنى وإنما
المحمود في نفسه عز ذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به
فليس بكافي ذاته وإنما يصير محمود بالاضافة الى نقص هو أعظم منه كما يكون احتمال ألم الدواء
محمود لانه أهون من ألم المرض والموت فيأخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضاً
الى المرض والضعف والى الولع والذهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو
كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضو من أعضائها
وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء أكثر منها للعلاج به صدمة الخوف المفرط
للفضي الى القنوط أو أحده هذه الامور فكل ما يراد لاهر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود
منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة
والفكر والمذاكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحماة مع صحة البدن
وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فأت من خوف فهو
شبهه فكيف يكون حاله مذموماً فاعلم أن معنى كونه شهيدا أن له رتبة بسبب موته من الخوف
كان لا ناله لومات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فأما بالاضافة الى
تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلك سبيله فليس بفضيلة بل السالك الى الله تعالى بطريق

الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهيداً ولو لا هذا لكانت رتبة
صبي يقتل أو يجنون فيترسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت خنقاً بنفسه وهو محال فلا ينبغي
أن نطن هذا بل أفضل السعادات طول المعرف طاعة الله تعالى فكل ما يبطل العلم والعقل
أو الصحة التي تعطل المعربات بها فهو خسار ونقصان بالإضافة إلى أمور وإن كان بعض
أقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخرى كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى ما دونها بالإضافة
إلى درجة المتقين والصديقين فاذن الخوف أن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي
لا يزيد في حركة الدابة وإن أرففه درجات بحسب ظهور أثره فإن لم يعمل إلا على العفة وهي الكف عن
مقتضى الشهوات فله درجة فإذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصديقين
وهو أن يسلب الظاهر والباطن مما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا
أقصى ما يحمدهم وذلك مع بقاء الصحة والعقل فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب
علاجه أن قدر عمله ولو كان محموداً لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان
سهل رحمه الله يقول المرادين الملازمين للجنوع أي أيا ما كانت كثيرة أحفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله تعالى
ولي ناقص العقل **بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه**
اعلم أن الخوف لا ينفق إلا بانتظار مكروه والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار وإما أن
يكون مكروهاً لأنه مضى إلى المكروه كاتكراه المعاصي لادائها إلى مكروه في الآخرة كاتكراه
المرضى الفواكه المضرّة لادائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من أن يبتلى في نفسه مكروه من أحد
القسامين ويهوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشهاده ذلك المكروه ومقام الخائفين
يختلف فيما يقرب على قلوبهم من المكروهات المخدورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس بمكروه
لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة ونكث العهد
أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقسوة
أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة أو خوف أن يكله
الله تعالى إلى حسنة التي اتكل عليها وتفرّجها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه
أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف انكشاف غوائل
طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحسب أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والغيبة
والغش واضمار السوء أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقعة عمره أو خوف تجهيل العقول في الدنيا
والافتقار قبل الموت أو خوف الاعتزاز بخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سر ربه في حال
عقلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل فهذه
كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الخدوع ما يقضي إلى الخوف
فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيوالب على القطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله تعالى
على سر ربه يشغل بظهور قلبه عن الوسواس وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب هذه المخاوف على
البعين خوف الخاتمة فإن الأمر فيه مخطر وأعلى الأقسام وأدناها على كمال المعرفة خوف السابقة
لأن الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تحلل أسباب كثيرة فالخاتمة يظهر ما سبق به القضاء
في أم الكتاب والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حَقْمَا
يتوقع يحتمل أن يكون فيه عز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع
إليه ما بعد فيرتبط قلب أحدهما بمجالته وصول التوقيع ونشره وأنه عما إذا ظهر ويرتبط قلب الآخر

بجاء توقع الملك وكيفية وأنه ما الذي خطر له في حال التوقع من رحمة وأغضب وهذا التفات
 الى السبب فهو أصلي من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك الالتفات الى القضاء الاولي الذي جرى
 بتوقعه القلم أعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان
 على المنبر يقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد
 فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء
 آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعلم أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأثمهم منهم بل هم هم
 ثم يستقدم الله قبل الموت ولو بفراق ناقة والسعيد من سعد بقضاء الله والشيء من
 منهم بل هم هم ثم يسخر جهنم الله قبل الموت ولو بفراق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشيء من
 شقي بقضاء الله والاعمال بالخوانيم وهذا كاتقسام الخائفين الى من يخاف مصيبتة وجناتية والى
 من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة لاحالة فهذا أعلى رتبة
 ولذلك سبق خوفه وان كان في طاعة الصديقين وأما الآخر ففي عربة الغرور والامن وان غضب
 على الطاعات فانحرف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين
 والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن
 يخاف من غير جنابة بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا أنه
 يخوف في نفسه لما سخره للمعصية وبسر له سبيلها ومهد له أسبابها فان تسبب أسباب المعصية ابعاد ولم
 يسبق منه قبل المعصية معصية اسبقها ان يسخر للمعصية ويخبر عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة
 وسبيلها توسل بها من يسر له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضى عليه بالمعصية
 شاء أم أبى وكذا الطبع فالذي يرفع بمجدا صلى الله عليه وسلم الى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت
 منه قبل وجوده ويضع أباجيل في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل وجوده جدير بأن
 يخاف منه لصفه جلالة فان من أطاع الله أطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد
 خلق الارادة عاجزة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصي لانه سلط عليه ارادة
 قوية عاجزة وآتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري
 ما الذي أوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي أوجب اهانة الآخر
 وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذ كانت الحوافر ترجع الى القضاء
 الاولي من غير جنابة ولا وسيلة فانحرف من يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل
 ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله
 الا بمثال لو اذن الشرع لم يستعز على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود
 عليه السلام يا داود خفي كاتخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان
 لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله
 والحاصل أن السبع يخاف لا لجنابة سبقت اليه منك بل لصفتة بطشه ووسطية وكبره وهيبته
 ولا به فعل ما فعل ولا يسأل فان قتلك لم يرق قلبه ولا يأتك قتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك
 وابقا على روحك بل أنت عنده أخص من أن يلقك اليك حيا كنت أو ميتا بل اهلاك أنت
 مثلك واهلاك نعمة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سمعته وما هو موصوف به من
 قدرته ووسطية والله المثل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق
 وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء الى الجنة ولا أبالي هؤلاء الى النار ولا أبالي

ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة * (الطبعة الثانية من الخائفين) * أن يمثل في أنفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدة أو سؤال منسكرك ونكبرا وعذاب القبر أو هول المطلع أو هيبة الموقفين بين يدي الله تعالى والحيا من كشف السر والسؤال عن النقر والتقطير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية الصبر عليه أو الخوف من النار أو غلاها أو أهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعم والملك القم وعن نقصان المدرجات أو الخوف من المحاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها هي إلى المحالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاما رتبة هو خوف الفراق والمحاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تسكن معرفته لم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف المحاب وحده ذلك في باطنه منسكرا أو عجب منه في نفسه وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياها من انكاره فيكون اعترافه به بالسان عن ضرورة التقليد والافباطنة لا يستحق به لأنه لا يعرف اللذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاللذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه مرام مع من ليس أهله ومن كان أهله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه

بيان فضيلة الخوف والترغب فيه

اعلم أن فصل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار * أما الاعتبار ففضيلة أن فضيلة الشيء بقدر رضاه في الانقضاء إلى السعادة لقاء الله تعالى في الآخرة أدلة مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وقضائيه بقدر غايته وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصيل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصيل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الانس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات ولا تنفع الشهوة بشئ كما تنفع نار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ناقصة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله تعالى * وأما بطريق الأقياس من الآيات والأخبار فأورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى وهدى ورحمة لذنهم لهم رهون وقال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وصفهم بالعلم تخشيتهم وقال عز وجل رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمر العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف أقردهم بمرافقة الرفيق الأعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم مراقبة الأنبياء لانهم ورثة الأنبياء ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين

البقاء في الدنيا بين القديوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرقيق الاعلى فاذن ان نظري امره
فهو العلم وان نظري الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ماورد في فضائلهما حتى ان العادة صارت
موسومة بالتقوى بخصوصية بها كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للفقين والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وآله
أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لي ينال الله لحوها ولا
دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف عقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاهم ولذلك أوصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد
وهبنا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال عز وجل وخافون ان كنتم مؤمنين
فامرنا بالخوف وأوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان يفك مؤمن عن خوف وان ضعف
ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وایمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة
التقوى اذ اجمع الله الاولين والآخرين لمقات يوم معلوم فاذا هم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع اذانهم
فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتم الى يومكم هذا فاصتوا الى اليوم انما هي اعمالكم
ترد عليكم ايها الناس اني قد جعلت نسباً وعلتم نسباً فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم
عند الله اتقاهم وايمانكم ان تقولوا فلان بن فلان اعني من فلان فالقوم اضع نسبكم وارفع
نسبي اين التقوى فبرفع القوم لواءه فيسبح القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال
عليه الصلاة والسلام رأس الحكمة مخافة الله وقال عليه الصلاة والسلام لا ين مسعود ان أردت
ان تلقاني فأكتر من الخوف بعدى وقال الفضيل من خاف الله دل الخوف على كل خير وقال الشبلي
رحمه الله ما خفت الله يوماً الا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة ما رأيت قط وقال يحيى بن معاذ ما من
مؤمن يعمل سبئة الا ويطفئها حسناتك خوف العقاب ورجاء العفو فكذلك بين أسدين وفي خبر
موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فانه لا يتي أحد الا ناقشته الحساب وفشت عما
في يديه الا الورعون فاني أشتبي منهم وأجلهم ان أوقفهم للحساب والورع والتقوى أسام اشتقت من
معان شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بهذه الاسامي وكذلك ماورد في فضائل المذكور
لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصاً بالخالقين فقال سيد كرم من يخشى وقال تعالى ولن خاف مقام
ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزني لا أجمع على عبيد خوفين ولا أجمع له
أمنين فان أمتي في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة وقال صلى الله
عليه وسلم من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال صلى الله
عليه وسلم انكم عقلا أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسنكم نبياً امر الله تعالى به ونهى عنه نظراً وقال
يحيى بن معاذ رحمه الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف الذار كما يخاف الفقير دخل الجنة وقال ذو النون
رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد له وجه وصح له له وقال ذو النون أيضاً ينبغي
ان يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان أبو الحسين الضريقي يقول
علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك
مع الهالكين وقيل ليعني بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدكم خوفاً اليوم وقال سهل رحمه
الله لا تخد الخوف حتى تأكل الحلال وقيل الحسن يا أبا سعيد كيف نصنع بخالس أقواما يخشون فتا
حتى نكد قلوبنا نظير فقال والله انك أن تخالط أقواما يخشونك حتى يدركك من خيرك من أن
تحبب قوماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما فارق الخوف

قلبا الاخر وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
هو الرجل يسرق ويرزى قال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه
والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة
التي ثناء على ضده الذي ينفه وضده الخوف الامن كما أن ضده الرجاء اليأس وكادلت مذمة القنوط
على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل يقول كل ما ورد في فضل
الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوا فلا بد وأن يخاف فوفيه
فان كان لا يخاف فوفيه فهو اذا لا يجبه فلا يكون بانتظاره واخيرا فان خوف والرجاء متلازمان يستعمل
انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يفتلأ أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشغل
القلب بأحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لفعله عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما
بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة
فتقدير وجوده يرقح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجب القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان
لما لا فائدة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يرجع الى الآخر بحضور
بعض الاسباب وهي ذلك ظنا فيكون ذلك مسبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن
وجود المحبوب قوى الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان
ولذلك قال تعالى ويدعوننا رضائا ورها وقال عز وجل يدعونهم خوفا وطمعا ولذلك صرح العرب
عن الخوف بالرجاء فقال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن
الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه بل أقول كل ما ورد
في تفصيل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى
فليجئكموا قليلا وليبكيوا كثيرا وقال تعالى سيكون وزيدهم خشوعا وقال عز وجل أفن هذا الحديث
تجبون وتخشعون ولا تتكبرون وأنتم ساعدون وقال صلى الله عليه وسلم ما من صدم من يخرج
من صفيه دعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حرق وجهه
الآخر منه الله على النار وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتشعر قلب المؤمن من خشية الله فاحتات عنه
خطايا به كاحتات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى
حتى يعودا للين في الضرع وقال حبيب بن عامر ما العجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك
وليس عليك بينك واليك على خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله أيدخل أحد من
أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكي وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب الى
الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله سبحانه وقال صلى
الله عليه وسلم اللهم ارحمني عشرين هطالتين تشقيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما
والأرض جبرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ذكرتهم رجلا ذكر
الله خاليا ففاضت عيناه وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم
يستطع فليستاك وكان محمد بن النكدر رحمه الله اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني
أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما ما بكوا فان
لم يتكوا فقتلوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى يتقطع صوته وصلى حتى ينكسر
صلبه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما تفرغت من بياض الامر حتى يرق وجه صاحبها فتر ولا ذلة
يوم القيامة فان سألت دموعه أظفأ الله بها أول قطرة منها بحمار من التنبرك ولو أن رجلا بكى في أمة

ما عذبت تلك الامة وقال أبو سليمان النكاح من الخوف والرجاء والطرب من الشوق وقال كعب
الاحبار رضي الله عنه والذي تسمى به لآن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجهي
أحب الي من أن أصدق بحبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأن أدمع دموعاً من
خشية الله أحب الي من أن أصدق بألف دينار وروى عن حنظلة قال كان عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوعظناه وعظته فرفقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعنا الى
أهلي فحدثتني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فقصيت ما كاعليه عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كافيته فقلت في نفسي قد ناققت حيث تحوّل عني ما كنت
فيه من الخوف والرفة فخرجت وجعلت أنا ذى نافق حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله
عنه فقال كلامي نافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامي نافق حنظلة فقلت يا رسول الله كأنك فوعظتنا
موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعنا الى أهلي فأخذنا
في حديث الدنيا ونسيت ما كنّا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم
أبداء على تلك الحالة لصاغتكم الملائكة في الطرق وصلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة
فأذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة
على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب أو تعلق المسبب

أبو بيان أن الفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما

اعلم أن الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما نظرت الناظر اليها فاعتبر به يشك في أن
الافضل أهما وقول القائل الخوف افضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز افضل
أم الماء وجوابه أن يقال الخبز افضل للبايع والماء افضل للعطشان فان اجتماعناظر الى الغلب
فان كان الجوع أغلب فالخبز افضل وان كان العطش أغلب فالماء افضل وان استويا فانهما
متساويان وهذا لان كل ما يراد المقصود فضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف
والرجاء دوا أن يداوي بهما القلوب فضلهما بحسب الماء الموجود فان كان الغالب على القلب داء
الامن من مكر الله تعالى والاعترا به فاخوف افضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة
الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز أن يقال مطلقا
الخوف افضل على التأويل الذي يقال فيه الخبز افضل من السكبين اذ يحتاج الخبز الى الجوع
وبالسكبين مرض الصفر او مرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة الى الخبز أكثر فهو افضل فهذا
الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاعترا على الخلق أغلب وان نظر الى مطلع الخوف
والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقي من بحر الرحمة مستقي الخوف من بحر غضب ومن لاحظ من
صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام وأما
الخوف فمفسده لا تفتق الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازج المحبة بمازجها الرجاء وعلى
الجملة فإيراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الاصح لفظ الافضل فنقول أكثر الخلق الخوف لهم
أصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي فأما التي الذي ترك ظاهر الانموطانه وخفيه وجليه
فلا يصلح أن يتبدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا يعتدلا وروى أن عليا
كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو أتيت به بحسنات أهل الارض
لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو أتيت به بسنات أهل الارض عقرها لك ولذلك قال جرير رضي

الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا رجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا تخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتد المصالح والغلبة والاستيلاء ولصكن على سبيل التقادم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فأما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اعتزله فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لم ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاءه كما سبق في أول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض رطبة وواظب على تعهد ما وجاء بشرط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين فاعلم أن من يأخذ المعارف من الالفاظ والأمثلة يكثر زله وذلك وان أردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتربة ارض ونقاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثال مسا لتناذر لم يجرب جنسه وقد ثبت في أرض غريبة لم يجهد الزارع ولم يجتهد هاو في بلاد ليس يدري أكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وان أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاءه على خوفه والبذر في مسا لتناذر الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفاته من الشر والحق والنفاق والرياء وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الأسباب ما لا يطاق تخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أحوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عند ذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه الى الجنة كما ينبغي في أحوال الخائفين من العصاة والتائبين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما ان يغلب رجاءه فلا وقد كان عمر رضي الله عنه سالك في فتنة قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشر والحق وان اعتقد نفاقه قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبس حاله عليه واخفاء عيبه عنه وان وثق به فمن أين يثق بيقانه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قد رفوا ناقة فمسيق عليه الكتاب فحين لم يعمل أهل النار وقد رفوا ناقة لا يجمل عملها بالجوارح انما هو مجرد ارجاءه في تخيل القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن أقصى غايات المؤمنين أن يستدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاعتراض وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهم في وصف من أتى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل ويدعون تارعبا ورهباً وأن مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط أن لا ينجسهم الى البأس وترك العمل وقطع الطمع من الغفلة فيكون ذلك سببا لتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس يخوف انما الخوف هو الذي يبحث على العمل ويكثر جميع الشهوات ويرجع القلب عن الركون الى الدنيا ويدعو الى الباقي عن دار القرون فهو

الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للتسوط
وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بحض الرجاء
تألف في مفازة الاعتزاز ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الاله كآر وقال مكحول الدمشقي
من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجئي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن
عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فاذا اتمعن الجميع بين هذه الامور وظلته بالخوف هو الاصلح
ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصح غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار
يجري السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم
لا يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويبين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوى
قلبه ويحبب اليه وبه الذي اليه رجاءه ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا المحبة لله تعالى ليكون محبا
للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله أحب لقاء الله والرجاء تقاربه المحبة فن رضى كرمه فهو محبوب
والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقعود
بالموت عليه ومن قدم على محبه به عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبه به اشتدت محبته وعذابه
فهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والسكن والعقار والرفقاء
والاصحاب فهذا رجل يحياه في الدنيا فالدنيا جنته اذا الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع
الحايات فوته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهي ولا ينبغي حال من يحال بينه وبين ما يشتهي
فاذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلاقتها شاغلة له
عن المحبوب فالدنيا اذا استعبت لان السجين عبارة عن البقعة المانعة للجسوس عن الاسترواح الى محابه
قويه تدوم على محبه به وخلص من السجن ولا ينبغي حال من أفلت من السجن وخلى بينه وبين
محبوبه بسلامة ولا مكتر فلهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب
فضلا عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما
أعده الله تعالى للذين استعصوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا اليها من الانكسار
والسلاسل والاعلال وضروب الخزي والتكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويطفئنا
بالصالحين ولا يطمع في اجابة هذا الدعاء الا بالاكسب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج
حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى أن ندعو
بماد عابه نينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى
حبك واجعل حبك الى من الماء البارد والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصح لانه لا جلب
للجنة وظلته بالخوف قبل الموت أصح لانه أحرق لنار الشهوات وأقم لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى أنا عند ظن عبدي
فليظن بي ما شاء وما حضرت سليمان النبي الوفاة قال لابنه يابني حدثني بالرخص واذ كررت الرجاء
حتى أتني الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزمه جمع العلماء حوله
برجونه وقال أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه لانه عند الموت اذ كررت الاخبار التي فيها الرجاء
وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى الى داود
عليه الصلوة والسلام أن حبيبي الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكر لهم الآتي ونعمائي فاذا غاب
السعادة أن يموت بمحبة الله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير
الدنيا كلها كالسجن النافع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين ايا سليمان الداراني في المنام

وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له انه مات البارحة

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرخناه في كآب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حقت بالمكارة فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حقت بالشهوات فلا يصبر على قهرها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي "كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدى مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجريد لذلكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدى دوام الذكركلى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدى كمال المعرفة والانس الى المحبة وتبينها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجريد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فسخ له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعبادته وهو التوكل فاذا فماد ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نورد الخوف بكلام جمى فتقول الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت قد دخل عليه سبع وأحبة ربما كان لا يخاف ويومئذ البدأ الى الحية لنأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا انظر الصبي الى أبيه وهو تزعد فرائصه ويحتال في الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف وواقفه في الهرب فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسببها وخاصة بسطوة السبع وبطشه وقلة مآلاته وأما خوف الابن فإيمان بجمرك التقليد لآبائه بحسن الظن بآبائه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب خوف في نفسه فيعلم أن السبع يخوف ولا يعرف وجهه واذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضى الهيبة والخوف والحذر المطلقين على سبيله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاء على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تولد الغفلة بالتدكير والوعظ ولازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر الى الخاتمين وبجاستهم ومشاهدة أحوالهم فان كانت المشاهدة فالسمع لا يخلو عن تأثيره أما الثاني وهو الأعلى فان يكون الله هو الخوف أعني أن يخاف العبد والجنب عنه ويرجو القرب منه قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر جلى وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ولكن هو مجرد التقليد بضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لا به وذلك لا يستند الى بصيرة فلا يجرم بضعف وزول على قرب حتى ان الصبي ويمارى المعزيم يقدم على أخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيتجبرأ على أخذها تقليدا له كما احتزم من أخذها تقليدا لآبائه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قوت بمشاهدة أسباب المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات

واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلوة والسلام خفي كخفاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي وبحكم ما يريد ولا يخاف قربة الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد ابليس من غير جريمة سابقة بل صغته ما ترجمه قوله تعالى هو لا اله الا بالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وان خطريالك أنه لا يعاقب الا على معصية ولا ينسب الا على طاعة قتلته انه لم يمتد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يمتد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصى شاء أم أبى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بها بالضرورة فان كان بعده لا نه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك للمعصية سابقة حتى تسلسل الى غير نهاية أو يقبل اصلاحه على أول لاعة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر على الله عليه وسلم اذ قال اخذ آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عن درهما خبز آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله سيده ونفع فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقررت بك تخيافكم وجعلت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أقللوا مني على أن حملت حملا كتبه الله عليّ قبل أن أمهلوه قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم في آدم موسى في عرف السبع في هذا الامر معرفة صنادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا آمن به وصدق بحجج السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيحمله وقد يهجم عليه فيغترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا أضيف الى من لا يعرفه سبي اتفاقا وان أضيف الى من علمه لم يجر أن يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخران ساطع عليه الجوع اقترس وان ساطع عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فليست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم أن سبع الأخرى مثل سبع الدنيا والله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأرض الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخرها لاسبابها شاء أم أبى وخلق النار وخلق لها أهلا سخرها لاسبابها شاء أم أبى فلو انظر الى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر الاغلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار فسيبئه أن يعاجل نفسه بسماع الاخبار والانا فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجلين المغرورين فلا يتارى في ان اقتداءهم أولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء وأما المؤمنون فهم القراعة والجهال والاعبياء أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين

والآخرين وكان أشد الناس خوفا حتى روى أنه كان يصلي على طفل في رواية أنه سمع في دعائه يقول اللهم عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية أنه سمع قائلا يقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة غضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله أني رسول الله وما أدري ما يصنع إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزالون فيها ولا ينقص منهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين لما قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أذكرني أحدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا أذكرني أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أني الذي ولدني قال فثارت الشيعة عليه فأخذ به من فضائل علي ومناقبه وروى في حديث آخر من رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يشهده وفي حديث آخر أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألمة على الله تعالى فقال المريض هي أمي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يشهده وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيعتي هودوا خواتم سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يشاء لون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الأبعاد كقوله تعالى الأبعد لعاد قوم هود الأبعد لنود الأبعد للمدين كإبعت ثمومع عليه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركو الذلوشاء لأن كل نفس هدها وفي سورة الواقعة ليس لوقتها كاذبة خافضة رافعة أي جف القلم بما هو كائن ونمت السابقة حتى زلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا رفوعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا خفوضين في الدنيا وفي سورة التكاثر أهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتم وقوله تعالى وإذا الحجيم شعرت وإذا الجنة أزلقت علت نفس ما حضرت وفي عم يشاء لون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه الآية وقوله تعالى لا يشكمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من أوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولولم يكن فيه الا قوله تعالى وانني لفارلقن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كاذبا إذ علق المغفرة على أربعة شروط يهزم العبد عن أحادها وأشد منه قوله تعالى فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفجلين وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لك بها النفاق وقوله عز وجل أفأمنوا مكر الله الآية وقوله وكذلك أخبريك اذا أخذنا القرى وهي ظالمة ان أخذها ليم شديد وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وقد الآتين وقوله تعالى وان منكم الاواردها الآية وقوله اعملوا ما شئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة تزله في حرثه الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية وقوله تعالى وقد منال ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصراة الانسان لني خسر الى آخر السورة فهذه أربعة شروط للتخلص من النحسر وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روى أن النبي وجبريل عليهما الصلوة والسلام بيكا خوفا من الله تعالى فأوحى الله لهما لم يتكيا وقد آمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكأنهما ذهبا أن الله هو علام الغيوب والله لا ووقوفهما على غاية الامور لم يأمن أن يكون قوله قد آمنتكما ابتلاء وامتحانا لهما ومكرهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد آمن من المكرو وما وقيا بقولهما كما أن ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع في الخنجر قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوى العظام فامتنع وعرض بغير بل في الهواء حتى قال

أنت حاجة فقال أما اليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال
 وإبراهيم الذي وفى أى بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم
 حيث قال إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا أنتي معك أسمع وأرى ومع هذا لما ألقى
 السعرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة أذ لم يأمن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد
 عليه الامن وقيل له لا تخف انك أنت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه
 وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم ين على وجه الارض أحد يبيدك فقال أبو بكر رضى الله تعالى
 عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه وافك بما وعدك فكان مقام الصديق رضى الله عنه مقام
 الثقة بعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه
 لا يصدر الا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض
 ما يصدر عنه بالكفر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة
 المعرفة وقصور معرفته عن الاطاعة بكنهه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال المسيح صلى الله
 عليه وسلم لما قيل له أنت قلت للناس اتخذوا ربى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى
 أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك وقال
 ان تعذبهم فاعذب عبادك وان تغفر لهم الآيات فوض الامر الى المشيئة واخرج نفسه بالكلية من اليدين
 لعله بأنه ليس له من الامر شئ وان الامر مرتبط بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد العقول والافان
 والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حد وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا
 هو الذى قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هى ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان
 أهلكت فقد أهلك أمثالك من لا يوصى ولم يزل فى الدنيا يعلوهم بأنواع الآلام والارهاض ويعرض
 مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم تجلد العقاب عليهم أيا الآيات ثم يضربونه وقول ولوشنا لا نبينا
 كل نفس هدها ولكن حق القول منى لا ملأن جهم من الجنة والناس أجمعين وقال تعالى وتمت
 كلمة ربك لا ملأن جهم الآية فكيف لا يخاف ما حق من القول فى الازل ولا يطمع فى تداركه ولو
 كان الامر انفا لكانت الاطعام تمتدلى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم فيه واستقراء خفى
 السابق من جلى الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر له أسباب الشر وحيل بينه
 وبين أسباب الخير وحكمت علاقته من الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر الساقية التي سبقت
 له بالشفاعة اذ كل مبسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا
 منقطعاً ويطاهره ويأمنه على الله مقبلاً كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك
 موافقاً له ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيدان الخوف اشعالا ولا يمكنهما من الانطفاء
 وكيف يؤمن بغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن وان القلب أشد تعلباً من
 القدر فى غلباتها وقد قال مقلب القلوب عز وجل ان مقلبهم غير مأمن فاجعل الناس من آمنه
 وهو يتأذى بالتعذيب من الامن ولولا أن الله لطف بعباده العارفين اذ ربح قلوبهم بروح الرجاء
 لا حترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام
 الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء زهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال
 بعض العارفين لو لم ياتى بينى وبين من عرقته بالتوحيد خمسين سنة استطوابة فات لم أقطع له
 بالتوحيد لاني لا أدري ما ظهر له من القلب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت
 على الاسلام عند باب الحجرة لا خبرت الموت على الاسلام لاني لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة

وباب المدار وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد آمن على إيمانه أن يسليه عند الموت الأسليه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال قلوبهم ورجلهم ولما احتضر سفيان جعل يسكي ويخزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم ألبأ أن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض أخوانه فقال إذا حضرني الوفاة فاعد عند رأسي فان رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقول هذا عرس المنفلت وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يعتزوا بشهم وحنانتي لبعض جناتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الزباه بعد الوفاة قال وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عنده ومته فاشترى السكر واللوز وفرفته وكان سهل يقول المرء يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر وكان أبو يزيد يقول إذا توجهت إلى المسجد كان في وسطى زيارا أخاف أن يذهب بي إلى البيعة فويت النار حتى أدخل المسجد فيقطع في الزائر هذا في كل يوم خمس مرات وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال ما عشت الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر وروى في أخبار الأنبياء أن نبيا شكى إلى الله تعالى الجوع والعلة والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله تعالى إليه صدى أما رضيت أن أصمت قلبك أن تكفرني حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قدر ضيبت يارب فأعصمني من الكفر فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة أسباب يتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم أني أرى من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وما ضروبه النفاق الذي هو ضده أصل الإيمان بل المراد به ما يجمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فقه شعبة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان وإذا خاصم فجر وفي لفظ آخر وإذا هدد عذر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يتخلو عن شيء منه الأصديق إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ومن الذي يتخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور ما يؤلفه بين الناس معتادة ونسي كونها منكرابا الكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف لا يطن زمنا حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه إن كان الرجل ليسكم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا في لأسعها من أحدكم في اليوم عشرين مرأت وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كأنه ما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكائن وقال بعضهم علامة النفاق أن تسكره من الناس ما تأتي مثله وأن تحب على شيء من الجور وأن تبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر رحمه الله أنادخل على هؤلاء الأمر أفصدت فهم فيما يقولون فإذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كأنه هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أنه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكتبت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كأنه هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأشد من ذلك ما روي أن نفاعا دعا على باب حذفة ينتظرونه فكانوا يستكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كأن هذا نفاعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول إنه يأتي على القلب ساعة يتلى بالآيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغزاة وبقي عليه ساعة يتلى بالنفاق حتى لا يكون للآيمان فيه مغزاة فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور يتقدمه منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى تخلوا العبد عن شيء من جملة ذلك وانطلق أنه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من آمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين إنني أخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والخاتمة خائفهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قدمي لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قدي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستغيب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار والله المستعان

﴿بيان معنى سوء الخاتمة﴾

فإن قلت إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة فامعنى سوء الخاتمة فاعلم أن سوء الخاتمة على ريتين إحداها أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة أن يظلم على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله أما الشك وأما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدأ وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيقبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به متكسرا أسسه إلى الدنيا وصار فاجها لها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب زل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فيقول له النار جرم يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لمحي فلهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن استكساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب إلا الأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أهل الآيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسي في القلب مدة طويلة وتأكده بالاعمال الصالحة فإنه يجمعون القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فإن كان آيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرجته من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حسنة فلا بد وأن يخرج منه من النار ولو بعد آلاف سنين فإن قلت فإذا كرهته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته لما بالله يؤخر إلى يوم القيامة ومهل طول هذه المدة فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الآيمان بل الصريح عند ذوي الابصار ما صححت به الاخبار وهو أن القبر إما محقرة من حفرة النار أو موضوعة من رياض الجنة وأنه قد يقع في القبر العذاب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تنافره وروحه الا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكرو تنكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والاقتضاح على ملائمة الا الشهادة في القيامة

نعم بذلك خطر الصراط وهو ان الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا أن يتقدمه الله رحمة ولا تظن أن يحمل الايمان بأكله التراب بل التراب بأكل جميع الجوارح ويبددها الى أن يبلغ الكتاب أجله فتسمع الاجزاء المنفردة وتعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة ما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحال ان كانت والعباد بالله شقية فان قلت فالسبب الذي يقضي الى سوء الخاتمة فاعلم أن أسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجود فيعصر سببه في شيئين أحدهما يتصور مع تمام الورع والهدو وتمام الصلاح في الاعمال كالمتدع الزاهد فان عاقبته خطيرة جدا وان كانت أعماله سالحة فلو استأمن مذهبها فانقول انه بدعة فان بيان ذلك بطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ما هو عليه امارأيه ومعقول ونظره الذي به يحادل الخصم وعليه يعول وبه يفتخر واما أخذنا بالتقليد فمن هنا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه رجا ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فيها بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لانهاؤه فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أولسلكه فيها فان اتفق زهو في روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود الى أصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعباد بالله منه فهو لا هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون وبقوله عز وجل قل هل تنتكم بالاخيرين أم لا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكانه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور انشواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من أن ينظر الى المكسوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتتكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما انظرا بارأى والعقول فهو في هذا الخطر والزهو والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمنزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا تجملا راسخا كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلال ولا صغوا الى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وأسروا الخلق أن يتحصر واعلى أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعهم عن الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقبانه كؤودة ومساكنه وعرة والعقول عن ذلك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا يحجب ومات كره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض

والقلوب لما ألقي الهافى مبدأ النشأة آلفة فيه متعلقة والتجسبات النائرة بين الخلق مسامير مؤكدة
 لفقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الطن من المعلنين في أوّل الأمر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة
 وحليها مقبلة وشهوات الدنيا يمنحها آخذة وعن تمام السكر صارقة فإذا فتح باب الكلام في الله
 وفي صفاته بالرائى والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل
 منهم على أن يدعى الكمال أو الأحاطة بكنهه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق
 ذلك بقلوب المصغين اليهم ونأكد ذلك بطول الألف فيهم فأنشد بالكلية طريق الخلاص عليهم
 فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لها هو خارج عن حد طاقتهم
 ولكن الآن قد استرخى الضان وفشا الهذيان وزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان
 وهو يستند أن ذلك علم واستيقان وأنه صفا الإيمان ويظن أن ما وقع به من حدس وتحمين علم
 اليقين وعين اليقين وتعلق بنأه بعد حين وينبغي أن ينفذ في هؤلاء عند كشف الغطاء
 أحسنت ظنك بالأيام أدهسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
 وسألتك البالي فأعتررت بها * وعند صفوا البالي يحدث الكدر
 واعلم يقينا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا
 الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهوى ملطم الامواج برميته موج الى موج فربما غرق
 أن يلقه الى الساحل وذلك بعدو الهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين
 بضاعة مفقوسهم امام الأدلة التي خرروها في تعصباتهم أو دون الأدلة فإنه ان كان شاك فيه فهو
 فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله معتبر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا
 ينفك من هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور الكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية
 والنسوة وذلك هو الكبريت الاحمر وأنى يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين
 شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب الخطيرة في سوء
 الخاتمة * وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما
 ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب
 الله تعالى الا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان
 فيورث ذلك الاتهمك في اتباع الشهوات حتى ينظم القلب ويقسو ويسود وتراكم طلبة الذنوب
 على القلب فلا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعاً ورثاً فإذا جاءت سكرات
 الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفاً لما يدوم استئثار فراق الدنيا وحب المحبوب الغالب
 على القلب فنبأ ألم القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختل ضميره بانكاراً ما قدر عليه
 من الموت وكرهه ذلك من حيث أنه من الله فيخشى أن يشور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن
 الذي يحب ولده جابضاً إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب اليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك
 الحب الضعيف بضائعاً اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم
 له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يقضى الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا
 والكون الهوا والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في
 قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا أيضاً فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا
 رأس كل خطيئة وهو الداء الضال وقد عثم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه
 الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم أو زواجكم وعشيرتكم وأموال

اقتصرتموها وتجارة تختشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
 فتريصوا حتى يأتي الله بأمره فإذا كل من فارقه روحه في حالة خطرة الا انه صكر على الله تعالى
 بآله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقه منه وبين أهله وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما
 على ما أبغضه ورفقا لما أحبه فقدم على الله قدوم الصديق اليه ان اذ قدم به على مولاه قهر افلا
 يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال وأما الذي يتروى على الحب فانه يقدم على الله تعالى قدوم العبد
 المحسن المشتاق الى مولاه الذي يحمل مشاق الاعمال ووعناء الاسفار طمعا في لقاءه فلا يخفى ما يلقاه
 من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبنائع الانعام (وأما
 الخاتمة الثانية) التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضا سببان أحدهما
 كثرة المعاصي وان قوى الايمان والأخضعف الايمان وان قات المعاصي وذلك لان مفارقة
 المعاصي سببا غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما ألفه الانسان
 في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر
 طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تنقبض روحه
 عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فينقبضها قلبه ويصير محجوبا عن الله
 تعالى فاذن لا يتأرق الذنب الا الغيبة بعد الغيبة فهو بعد من هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا
 فهو بعد جدا من هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح
 منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو أنه لا يخفى عليك أن الانسان
 يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهد لها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في
 اليقظة وحتى ان المراق الذي يختم لا يرى صورة الواقع اذ لم يكن قد وقع في اليقظة ولو بقي كذلك
 مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في الغيبة يرى من الاحوال
 المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال
 المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقير لانه انما ينظر في حالة النوم ما حصل له
 مناسبة مع القلب بطول الالف أو بسبب آخ من الاسباب والموت شبيه النوم ولكنه فوقه
 ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغيبة قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده
 الى القلب وأحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصي
 والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات الفاسق فتكون غلبة
 الالف سببا لان تتقل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فرمما تنقبض عليها روحه فيكون ذلك
 سببا سوء خاتمه وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجو له الخلاص منها أو أن ما يتخبط في اليقظة
 انما يتخبط بسبب خاص بعلمه الله تعالى فكذلك أحاد النامات لها أسباب عند الله تعالى تعرف
 بعضها ولا تعرف بعضها كما أننا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشاهدة واما
 بالذاكرة واما بالتفانين بان يكون قد ورد على الحس منه اما بالمشاهدة فبان نظرا الى جميل فينتدكر
 جميلا آخر واما بالذاكرة فبان نظرا الى جميل فينتدكر قبيحا أو تأمل في شدة التفاوت بينهما واما
 بالتفانين فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فينتدكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من
 شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة واسطتين مثل أن ينتقل من شيء
 الى شيء ثان ومنه الى شيء ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاوّل مناسبة ولكن يكون
 بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاوّل مناسبة فكذلك لا تنتقل الخواطر في المنامات

أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فعلى هذا والعلم عند الله من كانت الخطيئة أكثر اشتغالها فأنكر يرمى إلى رأسه كأنه يأخذ برتد ليطيرها ويبل أصبعه التي لها عذاب بالكسبان ويأخذ الأزار من فوقه ويقتدر ويشبه كأنه يعاطى تفصيله ثم يمتد به إلى المقراض ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في نظامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفسك عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فإنه يموت المرد على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن يقال أنه كان يلقي عند الموت كلتي الشهادة فيقول خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحجاب الذي طال الفقه له قبل الموت وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهره تنل الأثر فلا يكون العبد على حال الانطباع مثله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذ من الحياء والخوف ما يجلي من الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا لصادة قربة من ذلك فإن النائم يدرك ما يكون في المس قبل من مطالعة الفرح المحفوظ وهي جزء من أجزاء البقوة فإذا رجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المتقضية لسوء الخواطر غير داخله تحت الاختيار دخولا كاميا وإن كان لطول الألف فيه تأخير فهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عبره على ذلك وإن كانت كثرة الصلاة والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما عذب في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبي العلي الفاروق في رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه محادثة عليه فقال حكيت لشيخ أبي القاسم الكرماني مناماً ما لي وقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك قال فهمت في شهر أو لم يكلمني وقال لولا أنه كان في باطنك تقوى المطالبة وانكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كقول أديلمبري الإنسان في منامه خلاف ما يطلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي نصح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك هذا أن الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير حجب وترجي جميع المعرف طاعة الله من غير معصية فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد أن يغلب عليك من الخوف ما يطلب على العارفين حتى يطول بسببه مكوثك ونياحتك ويدوم به جزئك وقلبك كما تستحس من أحوال الأشياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيبة لنا من الخوف من قلبك وقد عرفت هذا أن أعمال العمر كلها ضائعة فإن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح وإن سلمته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جداً ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول إنني لأعجب من هلاك كيف هلك ولكني أعجب من نجا كيف نجا ولذلك قال حامد القفاف إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والاسلام تهبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خبايا زكواك النور يوم يسكب قيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زماناً فلان تبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في بجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر

تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطبك فحيثك ما يخرج من بطبك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلمه ذلك يظهر في ثلاثة أمور من مأكولاته وقته وقدره وجنسه أما الوقت فاعلم أن يكون في اليوم واليلة مرة واحدة فهو اطيب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فان لا يطلب لذائذ الاطعمة بل يتبع بما ينفع فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك أن لا تأكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يبيح جميع الشهوات وأما ملبسك فليصك غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة فان فطبك غيره فضول منك يضع فيه زمائلك ويلزمك الشغل الدائم والعناء الدائم في غسله بالكسب مرة أو الطمع أخرى من الخرام والشبهة وقس هذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود الباس ان لم تكشف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومردعه بل كنت بمن لا يلبأ بظنه الاتراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقوا والارض مستقرا فان غلبك حر أو برد فليكن بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه أكثر عرك وعرك هو يضاعتك ثم ان تسرك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار أخذت ترفع الحيطان وترين السقوف فتدور طفت في مهواة بعد رقبك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التردد لأخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى أودية الاماني تشعبت همومك ولم يسأل الله في أي واداهلك فاقبل هذه النصيحة من هو اخرج الى النصيحة منك واعلم أن منسج التدبير والتردد والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك وعقلتك استطفت بها في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وتذممتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت اليه بضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أسرار الخاتمة كفاية في تخوفك فانما تسترور عليك من أحوال الخائفين ما ترجوا أن يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق أن عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك ومكانك فتأمل مع تلال بصيرتك وعش عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصقق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشاه عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا عروا ان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الجارية أو أشد قسوة وأن من الجارية لما يتجر منه الانهار وان منها لما يشفق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

بيان أحوال الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف
روى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويرتد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصعق وقال تعالى وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالابطح فصعق وروى انه عليه السلام كان اذا دخل في الصلاة يصمع لصدره أزيز كأزيز المرجل وقال صلى الله عليه وسلم ما جاني جبريل قط الا هو يرعد فقام من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس مظهره طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله اليهما ما لا يحكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن منك فقال الله تعالى هكذا كونوا لاننا مننا

مكرى وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أما كتبها فلما خلق بنو آدم
عادت وعن أنس عليه السلام سأل جبريل مالى لا أرى مكائيل يصيح فقال جبريل ما يصيح
مكائيل منذ خلقت النار و يقال ان الله تعالى ملائكة لم يصيح أحد منهم منذ خلقت النار مخافة
أن ينضب الله عليهم فيعذبهم بها وقال ابن عمر رضى الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لانا كل
فقلت يا رسول الله لا أشتهي فقال لكنى أشتهي وهذا صبر رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت
ربى لا عطانى ملك فيصرو كسرى فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنهم ويضعف
الديقين في قلوبهم قال فوالله ما ربحنا ولا فقنا حتى زلت وكأن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم
وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمركم بكثر المال ولا بتابع
التم وات من كثر دنائير يديها حاة فانية فان الحياة بيد الله ألا واني لا أكتب دينار ولا درهما
ولا أخبر زقا لغيره وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم اذا
قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا
لا يرفع رأسه حتى يثب المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فتودى ياداه وأجاثع أنت قطع
أم ظلمان فتسقي أم عار فتكسي فتصب نخبة هاج العود فاحترق من حر خوفه ثم أنزل الله تعالى عليه
التوبة والمنفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط
كفه للطعام ولا للشراب ولا لغيره الا رأها فابكته قال وكان يؤتى بالمدح ثلثاء ماء فاذناتوله ابصر
خطيئته فابضعة على شفته حتى يفيض القدح من دموعه و يرى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه
الى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته الهى اذا ذكرت خطيئتي ضاقت
على الارض رحما واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روعى سمعانك الهى أنت أطباء عبادك لندوا و
خطيئتي فكلمهم عليك بدلتى فبؤس الفناظين من رحمتك وقال الفضيل بلفنى أن داود عليه السلام
ذكر كذبة ذات يوم فوثب صا رخا واضه يده على رأسه حتى لحق الجبال فاجمعت اليه السباع فقال
ارجعوا الا رأيتكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبل الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فابصر
بداود الخطاء وكان يعتابى كثرة البكاء فيقول دعونى أنبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخربني العظام
واشتعال الحشا وقبل أن يؤمرى ملائكة غلاط شدا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون
وقال عبد العزيز بن هرم ان أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهى صوته فى صفاء أصوات
الصدقين وروى انه عليه السلام لما طال بكأوه ولم ينفعه ذلك ضاقت ذرعه واشتدحه فقال يا رب
أما ترحم بكائى فأوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذرت بكاء فقال الهى وسيدى كيف
أنسى ذنبى وكنت اذا نلت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح واظلمت الطير على
رأسى وأنست الوحوش الى بحرابى الهى وسيدى فاهذه الوحشة التى بينى وبينك فأوحى الله تعالى
اليه يا داود ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلق خلقته يدي وثغخت
فيه من روعى وأصعدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجهت بناج وقارى وشكالى الوحدة
ففرجته حواء أمتى وأسكنته حننى عصافى فطردته عن جوارى عربا نادى لا يا داود اسمع منى
والحق أقول أظعننا فأظعنك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأهانتك وان عدت السباع ما كان
منك قبلناك وقال يحيى بن أبى كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان اذا أراد أن يوحى مكث قبل
ذلك سبعا ليا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك شيوعم أخرج الله المنبر

الى البرية فأمر سليمان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما حولها من الضياع والآكام والجبال
والبراري والصحرا والبيوع فينادى فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت قال فتأتى
الوحوش من البراري والآكام وتأتى السباع من الضياع وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من
الأوكار وتأتى العذاري من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم وبأتى داود حتى رقى النهر ويحيط
به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ
في التناء على به فيصيحون بالكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فيقوم الهوام وطائفة من
الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي التباحة على نفسه فيقوم من كل نوع طائفة
فأدارأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبناء قد مضت المستعصية كل ممزق وماتت طوائف من بني
اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فينهاه وكذلك أذناه بعض عباد بني اسرائيل
باداود مجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيقر داود مغشياً عليه فاذ انظر سليمان الى ما أصابه
أنى بسر رغبته عليه ثم أمر منادى ينادى ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسر رغبته
فأت الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتى بالسرير وتدخل في قبرها وتقول يا من قتلته
ذكر النار يا من قتلته خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق
بابه ويقول يا بالهداؤد أغضبان أنت على داود ولا يزال يتأجى ربه فيأتى سليمان ويقعد على الباب
ويستأن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا أبناء نقو هنا على ما تريد فليأت كل من ذلك القرص
ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم * وقال يزيد القائل خرج داود ذات يوم بالناس
يعظمهم ويخففهم فيخرج في أربعين ألفاً فبات منهم ثلاثون ألفاً ومارجع الا في عشرة آلاف قال وكان
له جاريان اتخذهما محنتي اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب فقد تألى صدره وعلى رجله مخافة
أن تفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت * وقال ابن جرير رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليها
السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصفوف ونظر
الى مجتهدهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشنوا أنفسهم الى أطراف بيت المقدس
فقال ذلك فرجع الى أبويه ثم بصميا نبعون فقالوا له يا يحيى هلم بنا لنلعب فقال انى لم أخلق للعب
قال فأتى أبويه فسألها أن يدعاهما الشجر فعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يجدهما من ارأوا يصيح فيه
لبلا حتى أنت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الارض وغيران الشهاب فخرج أبواه في طلبه
فأدركاه بحيرة الأردن وقد أقع رجله في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك
وجلا لا لأدوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يظفر على قرص كان معهما
من شعير وشرب من ذلك الماء فتعل وكه رعن عينه فلدح بالبر فردد أبواه الى بيت المقدس فكان اذا
قام يصلى بكى حتى يسكى معه الشجر والمدرويكى زكريا عليه السلام ليكلمه حتى ينهى عليه فلم يزل يبكى
حتى خرفت دموعه لحلم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أدنت لي أن اتخذ لك
شيئاً توارى به أضراسك من الناظرين فأذن لها فعدت الى قطعي لبودفا لصقتهما على خديه
فكان اذا قام يصلى بكى فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أنت البسه أمه فعصرهما فإذا رأى
دموعه تسيل على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال
له زكريا يوما يا بني انما سألت ربى أن يهلك لي ثقتى عينا بك فقال يحيى يا أبت ان جبريل عليه
السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يا بني
فأبك * وقال المسيح عليه السلام معاشر الحوار بين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على

المشفقة ويساعدان من الدنيا بجنى أقول لكم أن كل الشعوب والنوم على المزايل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل * وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته نشى عليه ويسمع اضطراب قلبه مبغلة في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك بقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خلقه فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت هذه أحوال الانبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل

في بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف
 روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا وقال أبو ذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تنفض وكذلك قال طلحة وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني اذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت اني كنت نسبا منسيا وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن فمشماعا عليه فكان بعدا يا ما وأخذوا بمأبنة من الارض فقال باليتي كنت هذه التينة يا ليتني لم أكن شيئا منكم كورا يا ليتني كنت نسبا منسيا يا ليتني لم تلدنني أمي وكان في وجه عمر رضي الله عنه عطان أسودان من الدموع وقال رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يرد لولا يوم القيامة لكان غير مازون ولما قرأ عمر رضي الله عنه اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف نشرت خر مشمعا عليه ومروا ما يدار انسان وهو يصلي وقرأ سورة الطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع زل عن حمارة واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله ففرض شهرا يعود به الناس ولا يديرون ما مرضه وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الغفر وقد علا كآبة وهو يقب يده لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم أرا اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصعبون شعنا صغرا غيرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدوا قياما يتلون كتاب الله براوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله فادوا كما يحمد الشكر في يوم الحج وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فكافي بالقوم باتوا غافلين ثم قام فارؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضرب به ابن لميم وقال عمران بن حصين وددت أن أكون رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحى ويمسسون مرق وكان علي بن الحسين رضي الله عنه اذا نفضا أصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول أندرون بين يدي من أريد أن أقوم وقال موسى بن مسعود كانا إذا جلسنا الى الثوري كان النار قد أحاطت بنا المازي من خوفه وخزعه وقرأ مضر القاري يوما هذا كتابا ينطق عليكم بالحق الآية فبكي عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه فلما أفاق قال وعزتك لا عصيتك جهدي أبدأ فاني بتوفيقك على طاعتك وكان السور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فيبقل أيا ما حتى أتى عليه رجل من ختم قفرا أعلمه يوم تحشر المشقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين أصد على القول أيا القاري فأعادها عليه فشق شقة فلق بالآخرة وقرئ عند يحيى البكاء ولوزي اذ وقعوا على رهب فصاح صيحة مكث منها مرصا أربعة أشهر بعد من أطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينما أنا أطوف بالبيت اذا بنا يجور بية متعبدة متعلقة بأسنار الكعبة وهي تقول يا رب كثر شهوة ذهبت لها شهوة بقيت تبغها يا رب أما كان لك الأدب وعقوبة الانار وبكي فإزال ذلك مقامها جنتي

طلع القبر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول شككت ما لكأمة وروى
 أن الفضيل رأى يوم عرفته الناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس
 تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس
 وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون
 كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طرقتنا وبين يدي الله
 ربنا موثقنا ومرا الحسنى شاب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن
 يافتي هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري الى الجنة تصير أم الى النار قال لا قال فاهذا الضحك
 قال فاروى ذلك الله يبعدها ضاحكا وكان حماد بن عبيد بن عبد ربه اذا جلس مجلس مستوفز اعلى قدميه
 فيقال له لو اطعنا أنت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن ادعصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد
 العزيز انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كي لا يموتوا من خشية الله تعالى وقال مالك بن
 دينار لقد هممت اذا اتاهت أمرهم أن يقدوني ويغفلوني ثم نطقت واني الى ربي كما ينطق بالعبد الآبى
 الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صباح فلامكان أصح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام
 فيها مائتي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبه لقي مائتي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام
 كان يحسن اسم الله الا عظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكرم منزلة عند الله
 من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينفع لبقائه أقاربه وأعداؤه وقال السرياني لا تنظر الى أنفي كل
 يوم مرأت تخاف أن يكون قد اسود وجهي وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن
 الله ينظر الى نظرات السقط وأعمالى تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال اني اجترأت
 البارحة على الله سألته الجنة وقالت أم محمد بن كعب القرظي لابن أبي يانثي اني أعرفك صغيرا طيبا
 وكبارا طيبا وكأنك أحدثت حديثا موثقا لما رأيتك تصنع في ليك ونهارك فقال يا أمية ما يؤمنني
 أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبي فقتي وقال وعزتي وجلالي لا غفرت لك وقال
 الفضيل اني لا أعطي نياما رسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا الا ليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة
 انما أعطي من لم يخاف وروى أن فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حسبه ذلك
 في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتقه ففر متا فقال صلى الله عليه وسلم جهزوا
 صاحبكم فان الفرق من النار فت كبده وروى عن ابن أبي ميسرة أنه كان اذا أوى الى فراشه يقول
 يا ليت أمي لم تلدني فقالت له أمه يا ميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك هذا الى الاسلام قال أجبل
 ولكن الله قد بين لنا أنا واراد النار ولم يسين لنا أنا صادرون عنها وقيل لفرقد النعبي أخبرنا
 بأعجب شيء بلغك من بني اسرائيل فقال بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن
 الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلي من الخائفين
 ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا انما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه ألا تتشبه شيئا فقال
 ان خوف جهنم يلدني في قلبي موضع الشهوة ويقال انه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين
 سنة وأنه رفع رأسه يوما فرجع فسقط فاقتنق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل تخافة أن
 يكون قد مسخ وكان اذا أصابتهم ريح أو ورق أو غلاء طعام قال هذا من أجل يصيبهم لومات عطاء
 لا استراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وبنينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر يطهرون
 العشاء قد نرمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم
 وقبعت العروق كأنها الاوتار يصحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبر يتخبرون

كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين فينباههم يشون اذ مر أحدهم بمكان فخر مغشياً
عليه فجلس أصحابه حوله يسكون في يوم شديد البرد وجبنيهم رشح عرقاً فإزأبهم فهو واجهه فافاق
وسألوه عن أمره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صباح المري قرأت
على رجل من المتعبدين يوم تغلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ففصق
ثم أفاق فقال زني يا صباح فاني أجد ضماً فقرأت كلما أردت أن يخرجوا منها أعيديها فيها فخر منها
وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ فإذا تقر في النافور خر مغشياً عليه فحمل
مينا و دخل يزید از قاشی علی عمر بن عبد العزیز قال غطی بایزید فقال یا أمیر المؤمنین أصلم انک
لست أول خليفة يموت فبکی ثم قال زنی قال یا أمیر المؤمنین لیس بنک و بین آدم أب الامت
فبکی ثم قال زنی بایزید فقال یا أمیر المؤمنین لیس بنک و بین الجنة والنار منزل فخر مغشياً عليه
وقال میمون بن مهران لما زلت هذه الآية وان جهم لوعدهم أجمعين صباح سلمان الفارسي و وضع
يده على رأسه وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدر أن عليه ورأى داود الطائي امرأته تبکی علی رأس قبر
ولدها وهي تقول یا ابنة لیت شعری ائی خدیك بدابة البودأ ولا فصق داود وسقط مكانه وقيل
مرض سفيان الثوري فعرض عليه على طبيب دعي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاءه وجس
عروقه ثم قال ما علمت أن في الملة الخنيفة مثله وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه سألت الله
عز وجل أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح ففتحت علي مقلي فقلت يا رب علي قدر ما أطيع فسكن قلبي
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أبكوا فان لم تبكوا اقتبوا كوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم
لصرخ حتى ينقطع صوته وصلي حتى يتكسر صلبه وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وقال العنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل
ابن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي وحينئذ رجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم
ليس هذا زمان حدث انما هذا زمان بكاه ونصرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان
احفظ لسانك واخف مكانك واطمئن قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورؤي الفضيل يوماً وهو
يمشي فقيل له الى أين قال لا أدري وكان يمشي والهيام من الخوف وقال ذرني يمر لا يبه عمر بن ذر ما بال
المتكلمين يشكمون فلا يبكي أحد فاذنكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست
النائحة بالشكلى كالنائحة المستأجرة وحكي أن قوماً وقفوا بعبادته وبكوا فقالوا ما الذي يبكيك برحمك
الله قال فرحة يجدهم الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل
وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعفني وقال صباح
المزني قدم علينا ابن السماك مرة فقال أرني شيئاً من بعض عجائب عبادكم فذهبته الى رجل في
بعض الاحياء في خصله فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصاً فقرأت عليه اذا اقلع في أعناقهم
والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشقق الرجل شقة وخر مغشياً عليه فخر رجلاً من
عنده وتركاه على حاله وذهبنا الى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشقق شقة وخر مغشياً عليه
فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلوا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف
وعيد فشقق شقة فبدأ الدم من مخرجه وجعل يتشبط في دمه حتى ببس فتركاه على حاله وخر رجلاً
فأدريته على ستة أنفس كل يخرج من عنده وتركاه مغشياً عليه ثم أتيت به الى السابع فاستأذنا فاذا
امرأته من داخل الخوص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر
بسلامنا فقلت بصوت عال ألا ان الخلق عند مقامنا فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مهوئاً

فانفتح فاه شاخصا بصره فصيح بصوت له ضعيف او وه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته
أخرجوا فانكم لا تتفقهون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت من القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة
قد حقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مهوونا بمصير الابو ذى قرض فاما كان
بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الاسود يرى نه من الابدال وكان قد حلف انه لا يضحك أبدا ولا ينام
مضطجعا ولا يأكل سمناء ابدا فاروى ضاحكا ولا مضطجعا ولا يأكل سمناء حتى مات رحمه الله وقال
الجاحل لسعيد بن جبلة بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف أضحك وجهي قد سمرت والاغلال قد
نصبت والزانية قد أعلت وقال رجل للحسن يا أبا سعيد كيف أصبحت قال بخير قال كيف حالك
فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما نضكت ناس ركبو أسفينة حتى توسطوا يعرفان كسر
سفينةهم فتعاق كل انسان منهم مخشبة على أي حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن
حالي أشد من حالهم ودخلت مولدة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته
فصلت فيه ركعتين وعلينها عيناها ففرقت فاستبكت في مناهم ثم انتهت فقالت يا أمير المؤمنين
أني والله رأيت عجبا قال وما ذلك قالت رأيت النار وهي تفر على أهلها ثم جئ بالصراف فوضع على
مئته فقال هبة قالت جئ يا عبد الملك بن مروان فعمل عليه فامضى عليه لا يسرحني انكفأ به
الصراف فهوى الى جهنم فقال عمره هبة قالت ثم جئ يا سليمان بن عبد الملك فعمل عليه فامضى الا يسير
حتى انكفأ به الصراف فهوى الى جهنم فقال عمره هبة قالت ثم جئ يا عبد الملك فامضى عليه
الا يسير حتى انكفأ به الصراف فهوى الى جهنم فقال عمره هبة قالت ثم جئ يا عبد الملك فامضى عليه
عمر رحمه الله عليه صيحة ثم منشا عليه فقامت اليه فجلت تنلدي في أدنه يا أمير المؤمنين رأيتك
والله قد نبخت رأيتك والله قد نبخت قال وهي تادى وهو يصيح ويغص برجله * ويحك أن
أرسلنا لقرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أو يس ثم يقوم
منطلقا فنبه الناس فيقولون ينجون ينجون * وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المؤمن ان لا يسكن
روحه حتى يترك جسدهم وراءه وكان ظاوس يفرس له الفراش فيضطجع ويحكي كائن في الحقة في القلي
ثم يثب فينذرهم ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طيرة كرجهم نوم الخائفين * وقال الحسن
البصري رحمه الله يخرج من النار رجل بعد ألف عام بالثني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه
من الخلود وسوء الخاتمة وروى انه ما ضحك أربعين سنة قال وكنت اذا رأته قاعدا كأنه أسير قد قدم
لتضرب عنقه واذا تكلم كأنه بهائم الاخرة فيبصر من مشاهدتها فاذا سكنت كان النار تسعير بين عينيه
وعوبت في شدة حره وخوفه فقال ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع في علي بعض ما يكره ففتني
فقال اذهب فلا غفرت لك فانا أعمل في غيري ععمل * وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام
شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كُتبت لي أن لا تسع غيرها قلت وما
هي رحلت الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة أو في النار ثم غاب عني
فقدته في المجلس الآخر فلم أراه فسالته عنه فأخبرت انه مرض بعد ما نشه أعوده فقلت يا أختي
ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة
أو في النار قال ثم مات رحمه الله نرايته في المنام فقلت يا أختي ما فعل الله بك قال غفرت لي ورحمتي
وأدخلني الجنة قلت بماء قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء والصالحين ونحن
أجد ربنا بخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والايقان
أمننا لقله ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل فادنا شهواتنا وغلب علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا

عقلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل بينهما ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تحزننا ولا خطر الخاتمة يزعمنا فنسأل الله تعالى أن يتدارك فضله وجوده أحوالنا فيصالحنا كان تحريك
الإنسان يجرد السؤال دون الاستعداد يتغنا ومن الجانب أنا إذا أردنا المال في الدينار وضاو رسنا
وتجربنا ورغبنا العار والبرارى وضاطرنا وأن أردنا طلب رتبة العلم فنفقنا وتعبنا في حفظه وتكراره
وسهرنا ونجهدنا في طلب أرزاقنا ولا ننق بضمان الله لنا ولا نخلس في بيوتنا فنقول اللهم أرزقنا ثم إذا
طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم فنعابا أن نقول بالسنة اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي السه
رجاؤنا وبه اعترنا يا نبينا وبقول وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا يضره تكلم بالله الغرور وبأهها
الإنسان ما غرل ربك الكريم ثم كل ذلك لا ينهنا ولا يجرحنا عن أودية غرورنا وأمانينا فما هذه
الاحتمية هائلة أن لا يغفل الله علينا بتوبة تصوح بتداركها وبيجربنا فنسأل الله تعالى أن يتوب
علينا بل نسأله أن يشوق إلى التوبة سرائر قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان يسؤال التوبة غالبة حفظنا
فنسكون من قول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا - معناه الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل باسمه معناه
عصيانا فعلامه الخذلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والارشاد عنه وفضله
ولتقتصر من حكمة أحوال الخائفين على ما أوردناه فإن القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي
والعكس يبرهنه وإن أفيض على القلب الغافل فلا ينفعي ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه
عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد أنه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهشة المحزون
من شدة الوله ما يكاد يراهم من كثرة البكاء فقال عيسى لما رآه هالتي منظره قتل أي الراهب
أرضني بوصية أحفظها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد
احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتغترسه السباع أو يسوقه تشته الهوام
فهو مذمور القلب وجل فهو في الخافة ليله وإن آمن المعتزون وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون
ثم روى وتركتي قلت لوزدني شيئا عسى ينفعني فقال الطمان يجزيه من الماء أسيره وقد صدق فإن
القلب الصافي يجزى كه أدنى مخافة والقلب الجامع مدته بمرهنة كل المواظبة ومادة كره من تقديره أنه
احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن نطق أنه تقدير بل هو تحقيق فأنك لو شاهدت بنورا البصيرة
باطنك لرايته معشوقا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد
والكبر والحب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تغترسك وتنشك أن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب
العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء ووضع في قبرك عاينتها وقد تمثل لك بصورها واشكالها
الموافقة لما فيها اقترى بينك والغياب وقد أحدثت بك في قبرك وانما هي صفاتك الخاضرة
الآن قد انكشف لك صورها فإن أردت أن تقتلهوا وتقرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل والا
فوطن نفسك على الدعاء ونهشها اللهم فليكن فضلا عن ظاهرك يشرتك والسلام

❦ كتاب الفقر والزهو والكتاب الرابع من ربيع النصائح من كتب أحياء علوم الدين ❦

❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

الحمد لله الذي تسبح له الممال وتسجد له الظلال وتتدكدك من هيبة الجبال • خلق الإنسان من
الطين اللأزب والصالح • وزن صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال • وعجم قلبه بنور الهداية
عن ورطات الضلال • وأذن له في قعر باب الخدمة بالقدور والأصال • ثم كل بصيرة المخلص في
خدمته بنور العبرة حتى لا حظ بضيايته حضرة الجلال • فلاح له من الهبة والبال • والكمال •
ما استقيح دون مبادئ اشرافه كل حسن وجمال • واستغنى كل ماصرفه عن مشاهدته وملازمته غاية

الاستغفال * وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تبتس وتبتال * وانكشف لها باطنها عن
عجوز شوهاء عجبت من طينة الغري وضربت في قالب النكول * وهي متلفعة بجلبابها الخفي قبائح
أسرارها بلطائف السحر والاحتيال * وقد نصبت حباتها في مدارج الرجال * فهي تقتصمهم
بضروب الكبر والاعتبال * ثم لا تجترى معهم بالخلف في مواعيد الوصال * بل تقيدهم مع قطع الوصال
بالسلاسل والأغلال * وتبليهم بأنواع البلايا والآنكال * فلما انكشف للعارفين منها قبايح الأسرار
والافعال * زهدوا فيها زهدا لم يقتر كرها وتركوها تفاخروا بالكثرة بالاموال * وأقبلوا بكنه
همهم على حضرة الجلال * واتقن منها بوصول ليس دونه انفصال * ومشاهدة أبنية لا يهترها فناء
ولا زوال * والصلاة على سيدنا محمد سيد الانبياء وعلى آله خير آل * (أما بعد) فان الدنيا عاقلة لله عز
وجل * يغرور هاضل من ضل ويكرها زل من زل * فحار رأس الخطايا والسيدات * وبغضها
أم الطاعات وأس القربات * وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها واذم الحبيب لها في كلب ذم النسيان ربيع
المهلكات * ونحن الآن نذكر فضل البغض لما وزهد فيها فانه رأس النجيات * فلامطع في العجات
الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها اما أن تكون بائزاً عنها من العبد يسمى ذلك
فقراً واما بائزاً البعد عنها يسمى ذلك زهداً ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ
في الاعانة على الفوز والنجاة * ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما
وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر
(الشرط الأول من الكتاب في الفقر) وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقاً وبيان
خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الغني وبيان أدب الفقير في فقره وبيان آدبه
في قبول العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغني المحرم للسؤال وبيان أحوال
السائلين والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقر وأقسامه

اعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه أما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقراً وان كان المحتاج
اليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن المحتاج فقيراً وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله
تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثانی الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى
وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاداً من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور
أن يكون مثل هذا الموجود الواحد اقل من الوجود الا في شيء واحد وكل من عداه فانهم محتاجون
اليه ليعتد بوجودهم بالذوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء هذا معنى
الفقر مطلقاً ولكلنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والافتقر العبد
بالاضافة الى أصناف حاجاته لا يتصور ان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه
بالمال وهو الذي زيد الآن بيانه فقط فتقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيراً بالاضافة الى المال الذي
فقده اذا كان ذلك المقود محتاجاً اليه في حقه ثم تصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر * ونحن
نميزها ونخصص كل حال باسم لتوصل بالتمييز الى ذكر أحكامها (الحالة الاولى) وهي العليل أن يكون
مريضاً لو أناه المال لكرهه وتآذي به وهرب من أخذه مخضاله ومحتزاً من شره وشغلته وهو الزاهد
واسم صاحبه الزاهد * (الثانية) أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح حصوله ولا يكرهه
كرهه يتآذي بها ويذهب لو أناه وصاحب هذه الحالة يسمى راضياً * (الثالثة) أن يكون وجود
المال أحب اليه من عدمه رغبة له فيه ولكن ليس من رغبته أن ينقض طلبه بل ان أناه صفوا

عفا أخذوه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشغل به وصاحب هذه الحالة نسيمه قانعا بفتح
نفسه بالوجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة (الرابعة) أن يكون تركه الطلب لجزءه
والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيل الى طلبه ولو بالتعطيل لطلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب
هذه الحالة نسيمه بالخرى ص * (الخامسة) أن يكون ما فقدته من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقدا
النزول والعارى الفاقدا للثوب ونسبي صاحب هذه الحالة مضطرا كفيما كانت رغبته في الطلب
اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار
ان انضم اليه الزهد وتصورت ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة
حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوى عند وجود المال وفقده فان وجدته لم يفرح به ولم يتأذى وان
فقده فمك ذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها اذا تأها ما بمائة ألف درهم من العطاء
فاخذتها وقرتها من يومها فقالت خادمتها اما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لها
نظير عليه فقالت لو ذكرني لعلقت فبن هذه حاله لو كانت الدنيا بخلافها في يده وخلافته لم تقصره اذ هو
يرى الاموال في خزائن الله تعالى لا في يده نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره وبنبي أن
يسمي صاحب هذه الحالة المستغنى لانه قننى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى
يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد هو
يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو قننى عن دخول المال في يده لانه يقناه فهو اذا فقير من
وجهه واما هذا الشخص فهو قننى عن دخول المال في يده وعن يقناه في يده وعن خروجه من يده أيضا
فانه ليس يتأذى به ليجتاح الى اخراجه وليس يفرح به ليجتاح الى يقناه وليس فاقدا له ليجتاح الى
الدخول في يده ففضاه الى العوم أميل فهو الى الغنى الذي هو وصف الله تعالى اقرب وانما اقرب العبد
من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكل الانسي صاحب هذه الحالة شيئا بل مستغنيا
ليبقى الغنى اسمائلا له الغنى المطلق عن كل شئ واما هذا العبد فان استغنى عن المال ووجوده وعدمه
فلم يستغن عن أشياء أخرى سواء لم يستغن عن مدد توفيق الله له ليعتق استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان
القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى منه حر والله تعالى هو الذي أعتقه من هذا الرق فهو محتاج
الى دوام هذا العشق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لانه بين أحبه من
أصحاب الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الانحازا واعلم أن الزهد درجة
هي كمال الارباب وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصا اذا حسنات
الارباب سيئات المقربين وهذا لان الكار له الدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها
والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا
فانه اقرب اليك من جبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك
وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغل بغيره وشغل بنفسك وشهواتك شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا
بنفسك وشهوات نفسك فكذلك لا تزال محبوا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى
والمشغول ببعض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في
مجلس مجمع العاشق والعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب الى بنفسه واستغفاله وكرامه
حضوره فهو في حال اشتغال قلبه بنفسه مصر عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق
لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكأن النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك
في العشق ونقص فيه فكذلك النظر الى غير المحبوب ليعضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف

من الآخربل الكمال في أن لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بفضاوحها فانه لا يجمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجمع أيضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول بغض الدنيا غافل عن الله كما مشغول بحبها الا أن المشغول بحبها غافل وهو في عقلته سائق في طريق البعد والمشغول بغضها غافل وهو في عقلته سائق في طريق القرب اذ يرجي له أن فتنى حاله الى أن تزول هذه الغفلة وتبذل بالشهود فالكمال لا مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله تعالى فالحب والبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلقها وتسيرها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخ مستند رهاقهما مسيان بالاضافة الى الخيال في أن كل واحد منهما محبوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستند اذ يرجي له الوصول اليها وليس محمود بالاضافة الى المستند في الكعبة الملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يقتصر الى الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي أن تظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق من الله تعالى ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان المداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعمل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الهدى كآ أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذا قطنها أن الزهد في الدنيا ان أراده عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان أراده الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الرضا والقناع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك الا في قدر الضرورة مع أن الماء يحتاج اليه كما أن المال يحتاج اليه فلا يكون ذلك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا بغض الماء الكثير بل يقول أنثرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا تجلب به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى ووقفت بتدبيره الذي در به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا بحالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سياتي بيانه في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى قال أحمد بن أبي الخوارى قلت لابي سليمان المداراني قال ما لك بن دينار وللغرة اذهب الى البيت بخذ الركوة التي أهديتها لي فان العذر يوسوس لي أن المص قد أخذها قال أبو سليمان ان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما غلبه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات الياسية الضعف والنفهات فان قلت فإياك الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا منه وكل التفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا أكثر من حاجتهم قفروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والروا يديروته مع أنفسهم بل تركوه في الانهار والابار والبراري للمحتاجين اليه لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فآخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والجزر وما نقل عنهم من امتناع فاما أن ينقل عن خوف أن لو أخذها لم يخذعها المال ويقتد قلبه فيدعوها الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والحرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لانهم كلهم ضعفاء الانبياء والاولياء واما أن ينقل عن قوى بلع الكمال ولكن أظهر الفرار والتفار وتولا الى درجة الضعفاء ليقعدوا به في التردد الا قدسوا به في الاخذ فلكوا كما يغتر الرجل المزمع بين يدي أولاده من الحية لا لتضعفه عن أخذها ولكن لعله انه لو أخذها أخذها أولاده اناروا وهافت يكون والسير يسير الضعفاء ضرورة

الانبياء والاولياء والعلماء قد عرفت اذ ان المراتب ست واولاها رتبة المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحرص واما المظطر فيصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه الحصة اما تسمية المستغنى فقير فلا وجه لها هذا المعنى بل ان سمي فقيرا فمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه من المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد ان عرف نفسه بالعبودية واقربها فانه احق باسم الصدم من الغافلين وان كان اسم العبد عام للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذ عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعود ذلك من الفقر وقوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفر الانفاض قوله احبني مسكينا واحبني مسكينا اذ فقر المظطر هو الذي استعاض منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سألته في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي من اهل الارض والسما

﴿بيان قصيلة الفقير طلقا﴾

اما من الآيات فمدل عليه قوله تعالى لفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم الآية وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض سائق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر (واما الاحبار) في مدح الفقراء اكثر من ان تحصى روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابة اى الناس خير فقالوا اموسر من المال يعطى حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطى جهده وقال صلى الله عليه وسلم لبلال انى الله فقير اول الله فقير فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسائة عام وفي حديث آخر باربعين خريفا اى اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحرص على التقى الحرص والتقدير بخمسائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على التقى الرابع وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر بعرفك بالضرورة فتاوبا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحرص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرى على لسانه جرافا وبالاتفاق بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق من الهوى ان هو الا وحى يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الاتجمين فاما بالتعريف فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويشارك به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص اى احدا انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة لا يعلمه غيره بل محال فانه بكثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه صفة هاتمة لا الافعال الخارجية للعبادات كما ان له صفة هاتمة الحركات المقرونة بارتدائها واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والقدر وجهان فعمل الله تعالى والثالث ان له صفة هاتمة الملائكة وشاهد هم كما ان للبصير صفة بها يشارك الا هي حتى يدركها البصائر والرابع ان له صفة هاتمة يدركها مسكون في الغيب اما في النقطة اى وفي اللزام اذ بها يطالع الوحد المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام وربما يكتفى ان تقسمها الى اربعين

والى خمسين والى ستين ويمكننا أيضاً أن نتكلف تقسيمها الى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا بالصحة
جزأ واحداً من حملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن الا بظن وتخمين
فلا بد من تحقيقاً أنه الذى أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا وانما المعلوم بجماع الصفات التى
بهاتين النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك تعلم أن الفقراء لهم
درجات كاسبق فاما لم كان هذا الفقير الحر يص مثلاً على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى
لم يسبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة الى الجنة واقضى ذلك التقدم بحسب ما علمه فليس فى قوة
البشر غير الانبياء الوقوف على ذلك الانوع من التحمين ولا توفيق به والغرض التنبيه على مناهج التقدير
فى أمثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد ينظر أن ذلك يجرى من رسول الله صلى الله عليه
وسلم على سبيل الاتفاق وجاشا منصب النبوة عن ذلك * ولترجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله
عليه وسلم أيضاً خير هذه الامة فقراؤها واسرها تنجيها الى الجنة ضعفهاؤها وقال صلى الله عليه وسلم
ان لى حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقير والجهاذ وروى ان جبريل
عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام
ويقول أشحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً وتكون معك أنبياء كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه
وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها جميع من لا عقل له فقال له
جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر فى سباحتهم رجل
ناثم ملتف فى عبادة فاقبضه وقال يا ناثم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد منى انى قد تركت الدنيا
لاهلها فقال له فتم اذا جئى ومر موسى صلى الله عليه وسلم رجل ناثم على التراب وبحث رأسه لينة
ووجهه وخسته فى التراب وهو متر بعبادة فقال يا رب عبدك هذا فى الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى
اليه يا موسى أعلمت انى اذا نظرت الى عبد يوحى كله زويت عنه الدنيا كلها ومن أبى رائه أنه قال
ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلنى الى رجل من يهود خيبر
وقال قل له يقول لك محمد أسلفنى أو يسنى دقيقاً الى هلال رجب قال فأتته فقال لا والله الا من
فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله انى لا مبن فى أهل السماء أمين فى أهل
الارض ولو باعنى أو أسلفنى لأذيت اليه اذهب بدرعى هذا الفار منه فلما خرجت نزلت هذه الآية
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقراء من المؤمنين من العذار الحسن على خذ
الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى فى جسده آمناً فى سر به عنده قوت يومه فكأنما
حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت
الفرس مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين وقال عطاه الجراسانى من ربي من الانبياء بساحل فاذا هو
برجل يصطاد حسناً فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شئ ثم مر بآخر فقال بسم الشيطان
وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتعاس من كثرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا رب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى لللائكة اكشفوا العدى عن منزلة ما قبلها
راى ما عتاه الله تعالى لهذا من الكرام فمؤلفنا من الهوان قال رضىت يا رب وقال ينابى الله عليه
وسلم اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء
والنساء وفى لفظ آخر فقلت أن الاغنياء قليل حبسهم الجحيم فى حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار
النساء فقلت ما شأنهم فقيل شغلهم الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة

المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخول الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه
 وآخر أصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه في حديث آخر أنه دخل الجنة زحفا
 وقال المسحج صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم
 أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله عبد ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قبل وما اقتناه قال
 لم يترك له أهلا ولا مالا وفي الخبر إذا رأيت الفقير مقبلا فقل مرحبا شعرا بالصالحين وإذا رأيت الغني
 مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من أحبواك من خلقت حتى أحبهم
 لأجلك فقال كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال
 المسحج صلوات الله عليه وسلامه أنه أحب المسكك فموا بفض النعماء وكان أحب الاسامي اليه
 صلوات الله عليه أن قال له يا مسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياءهم للنبي صلى الله عليه وسلم
 اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون ينون بذلك الفقراء مثل بلال
 وسلمان وصهيب وآبى ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وآبى هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء
 رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إلى الله التأتى
 براحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذعروا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على
 الأغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن القزاري وصباس بن مرداس السلمي وغيرهم
 فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجيئهم وياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر
 نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد
 زينة الحياة الدنيا يعني الأغنياء ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الأغنياء وقل الحق من ربكم فمن
 شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل
 من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى عيسى وتولى أن جاءه
 الامي وما يدريك لعله تركى أو يذكر فتعنه الذكرى يعني ابن أم مكتوم ما من امتحني فانت له نصتني
 يعني هذا الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى باليديوم القيامة فيعتذر الله تعالى
 اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزني وجلالي ما زويت الدنيا عنك هو انك على ولكن
 لما عدت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدى الى هذه الصغوف فنأطعك في أو كساك في
 يريد بذلك وجهي فغذيه فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيقتل الصغوف وينظر من فعل
 ذلك به فيأخذ بيده ويدخلها الجنة وقال عليه السلام أكثر وامعرفة الفقراء واتخذوا عندهم
 الايادي فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعكم
 كسيرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت
 الجنة فسمعت حركة أمانى فنظرت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا قراء امتي وأولادهم ونظرت في
 أسفلها فإذا قدامي من الأغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأخبرهن الاحران
 الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفتدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف
 ثم جاني بعد ذلك وهو يسكي فقلت ما خلقت مني قال يا رسول الله والله ما وصلت اليك حتى لقيت
 المشيبات وظننت اني لأراك فقلت ولم قال كنت أحاسب عمالي فأنتظر الى هذا عبد الرحمن صاحب
 السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة
 وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا وهكذا اومع
 هذا فقد استغنى بالنبي الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا

فقال لوقم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أعزأ شعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأثره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران انك عندنا بمنزلة وجاه أهل لك في عبادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم يا بني أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معه حتى وقف يباب فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أذنل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على الأعباء قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسد قد وارسته فكيف رأيي فالتى الهام لالة كانت عليه خلفة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم بالثناء كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما لي اني لست أقدر على طعام أكله فقد أضربني الجوع فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي بالثناء فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لا كرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبا وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فابن آسية امرأة فرعون ومن يمت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومن يمت سيدة نساء عالمها أنت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصص لا اذى فيها ولا حجب ولا نصب فثم قال لها اقنعي بان ملك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة وروى عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بغض الناس فقراءهم واظهرهم وامارة الدنيا ونكاحوا على جمع الدرهم مرهما لله بأربع خصال بالقسط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولااة الأحكام والشوكة من الأعداء (وأما الآثار) فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين أشد حياء قال أشد حياء من ذي الدرهم وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار هداية حزنا كتبها فقالت امرأته أحدث امرأ قال أشد من ذلك ثم قال أرني درعك ان الخلق تشبهوه جعله صرا ورفقه ثم قام يصلى ويصلي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء بخمس مائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في عمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوق قد درين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أمتريد وقيل جاء فقرا الى مجلس الثوري رحمه الله فقال له خطب لو كنت غنيا لما قرئت لك وكان الاغنياء من أصحابه يؤذون أنهم فقراء لكثرة تعزيرهم للفقراء واهراضه من الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني أدل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كخائف من الفقراء لاجتماعهما جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في النفي لغايرهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كخائف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالفتى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تنخرن أحدا لخلقنا ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن عمار حاك للفقراء من أخلاق المرسلين وابشار النجا السهم من علامة الصالحين وفراركم من محبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السلام احذروا أن أمقتك فتسقط من عيني فأصيب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجوه الهام معاوية وابن عامر وغيرهما وان درهم المرقوم وتقول لها الجارية لو اشترت لك بدرهم لحا فطيرين عليه وكانت

صائمة فقالت لو ذكرتني لعلت وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت
 الصلوة في فمك بعيش الفقراء واياك وبجارية الاغنياء ولا تنزع يدك حتى تزقيه وجه رجل
 الى ابراهيم بن آدمهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فأخ عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد
 أن أبحو أسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لأفعل ذلك أبدا رضي الله عنه

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقائمين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وفتح به وقال صلى
 الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله ارضا من قلوبكم تطغروا بشواب تفرحكم والا فلا تاوّل القانع
 وهذا الراضي وبكاد يشعر هذا بفهمه أنه الحر يص لاثواب له على فقره ولكن العوومات الواردة
 في فضل الفقير تدل على أن له ثوابا كاملا في تحقيقه فعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله
 في حبس الدنيا عنه ورب راقب في المال لا يحظر قلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فذلك
 الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقير وروى عن جرير الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال ان لكل شئ مفحا ومفتاح الجنة حسب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى
 يوم القيامة وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله
 تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد
 كفافا وقال مامن أحد عني ولا فقيرا لا و يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا وأوحى الله تعالى
 الى اسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال
 صلى الله عليه وسلم لا أحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
 يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون
 يعطاني الراضون يسعدني أدخلوهم الجنة فبعد خلوتها ويا كلون ويشربون والناس في الحساب
 يترددون فهذا في القانع والراضي وأما الزاهد فسنذكره في الشطر الثاني من الكتاب ان شاء
 الله تعالى وأما الأثافي الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة بضادها الطمع وقد قال عمر
 رضي الله تعالى عنه ما ان الطمع فقر والياس غنى وأنه من يئس مما في أيدي الناس وقع استغنى عنهم
 وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل بكفك
 خير من كثير بطغيفك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه ما من أحد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا
 انتهت الدنيا باز يادة قتل فرحاسروا والليل والنهار ثابتان في هدم عمره ثم لا يجزئه ذلك ويحج ابن آدم
 ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلعة تمليك ورضا بما يكفك وقيل
 كان ابراهيم بن آدم من أهل النعم بخراسان فبينا هو يشرف من قصر له ذات يوم انظر الى رجل في
 فناء القصر وفي يده رغيف يأكله لما أكل نام فقال لبعض غلمانه اذ قام فحشني به فلما قام جاءه الله
 فقال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فسيبت قال نعم قال ثم غتم طيبا قال
 نعم فقال ابراهيم في نفسه فإصنع أنا بالدنيا والنفس تقع بهذا القدر ومز رجل بعاصم بن عبد القيس
 وهو باكل ملها وبقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال لا أدلك على من رضى بشر
 من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع رحمه الله عليه يخرج خبزا
 يا بسا فيه بالماء ويأكله بالماء ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يخرج الى أحد وقال الحسن رحمه الله
 لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأوا في السماء رزقكم وما تعدون فو رب السماء
 والارض انه الحق الآية وكان أبوذر رضي الله عنه يوما جالسا في الناس فأنته امرأته فقالت له

أجلس بن هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين أيدينا عمة كؤودا لا يهونها
الاكل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذوالنون رحمه الله أقرب الناس الى السكفر ذواقه لا صبر له
وقيل لبعض الحكماء ما لك فقال التجل في الظاهر والقصد في الباطن والياس ما في أيدي الناس
و يروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن
لك منها الا القوت فانما أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانحسرت لك وقد قيل
في القناعة اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واتنع بياس فان العزى الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذى رحم * ان الفتى من استغنى عن الناس
وقد قيل في هذا المعنى أيضا

يا جامعاما نعا والدرير مقه * مقدر أي باب منه فلقه
مفكرا كيف تأنيه منيته * أغاديا أمها يسرى فتطرقة
جمعت ما لا تقبل هل جمعت له * يا جامع المال أيا ما تقرقه
المال عندك تحزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يندو على ثقة * أن الذى قيم الاوراق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنس * والوجه منه جديد ليس يحلقه
ان القناعة من يحل بساحتها * لم يلق في ظلمها همها يؤرقه

في بيان فضيلة الفقر على الفنى

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجندبوا الخواص والاكثر الى تفصيل الفقر وقال ابن
عطاء الفنى الشاكر اقامت بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال ان الجندب دعا الى ابن عطاء لخالقته
اياه في هذا فأنصبت عنده وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا
سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وأن ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقر والفنى اذا أخذ
مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في تفصيل الفقر ولا يذيقه من تفصيل فتقول انما يتصور
الشك في مقامين أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع وأراض بالاضافة الى
فتى منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص
اذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الفنى الحريص المسك وأن الفنى المنفق ماله في الخيرات
أفضل من الفقير الحريص أما الاول فربما يظن أن الفنى أفضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف
الحرص على المال والفنى مقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذى ظنه ان
عطاء فيما نحسبه فاما الفنى المتعجب بالمال وان كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع
وقد شبهه ما روى في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء
بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكركم انهم يبالغون بما فوق ما ناله
الاغنياء فعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعاد الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه
فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ان عطاء أيضا ما سئل عن ذلك فقال
الفنى أفضل لانه وصف الحق أما دليله الاول ففقه نظرا لان الخير قد ورد مفصلا تفصيلا بل على
خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يز يدعى ثواب الفنى وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله
يؤتيهم من يشاء فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال بعث الفقراء رسولا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رسول الفقراء اليك فقال مر جبابك وبعن جئت من عندهم

قوم أحجم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالخير نحوون ولا تقدر عليه ويعتقرون ولا تقدر
عليه وإذا امرضوا يعترا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء أن
لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فإن في الجنة غفر فانتظر إليها
أهل الجنة كما ينتظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير
والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة إذا قال الغني
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلق النبي بالفقير ولو اتفق فيها
عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أي من يريد ثواب الفقراء
على ذكرهم وأما قوله ان الغني وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ فقال أن ترى أن الله تعالى غني
بالاسباب والاعراض فاقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا ان التكبر من صفات الحق فينبغي
أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لان صفات العبودية أفضل
للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روي عنه نبينا
صلى الله عليه وسلم التكبر باعراءى والعظمة ازارى فمن نازعني واحدا منها قاصمته وقال سهل
حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها الانها من صفات الرب تعالى في هذا الجنس تكاوا
في تفضيل الغني والفقر وحاصل ذلك تعلق بمهمات تفصيل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تعد
مناقضتها إذ كينا قاض قول من فضل الغني بأنه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغني
لانه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف للعبد وليس لاحد
أن يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد
لعيته بل يراد لغيره فينبغي أن يضاف الى مقصوده أنه يظهر خضوعه والمذنب ليس بمحذورة لعيته
ولكن الكبر بما عاينه عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعيته لكن لان فيه فقد العائق
عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكمن غنى لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه
السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكمن فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد
وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل
المعرفة فمع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الغنى قد يكون من الشواغل وإنما
الشاغل على التحقيق حب الدنيا إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحبة لا شيء مشغول به سواء كان
في فراقه أو في وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا
معشوقة العاقلين المحروم منها متغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فإذا ان
فرضت فارتعت من حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد لكل واحد
غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل
المعرفة وإن أخذت الاصر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر أبعد إذ فتنة السراء أشد من فتنة
الضر أهو من العصية أن لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بلينا بفتنة الضر أهو صبرنا وبلينا
بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ اللفظ الذي لا يوجد في الاعصار الكبيرة
الانادر ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضر أهو اصل لكل دون ذلك النادر
زجر الشرع عن الغنى وذهمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا الى أموال
أهل الدنيا فان برئى أموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقلب الاموال يمحص حلوة

الاعمال وفي الخبر ان لكل أمة عجلا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم وكان أصل عجل قوم موسى من خلة الذهب والفضة أيضا واستواء المال والماء والذهب والجواهر بما يتصور للانبياء عليهم السلام والاولياء ثم لم يلبث بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة ان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للدينار اليك عنى ان كانت تتمثل له بنفها وكنان على كرم الله وجهه يقول باصفراء عنى غيرى وبيايض عنى غيرى وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاعتزاز بها لولا ان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى عنى النفس وان كان ذلك بعد افاذا اصلى لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصره الى الخير ان لانهم لا يتفكرون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في دنياها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم ويقدر ما بأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة ويقدر ما بأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت أسباب الانس بالدنيا تنجلي القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب ان تنجلي عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف الى المحاجة الى الله اذ لا يصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله تعالى وغيره فمن اقبل على غيره فقد تنجى عنه ومن اقبل عليه تنجى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما يقدر تنجيه عن الآخر وقربه من أحدهما يقدر بعده من الآخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالترديد بينهما يقدر ما يقرب من أحدهما بعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغي أن يكون مطعم نظرا العارف قلبه في عزوبه عن الدنيا وانسه بها فاذا فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساوا بانه تساوت درجاتهما الا ان هذا من التقدم وموضع غرور فان الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقدته فليحرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد قلبه اليه التفتا فاعلم انه كان مغرورا فكمن رجل باع سريرة لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتهتك اذاته كان مغرورا وأن العشق كان مستكنا في القواد استكنا النار تحت الرماد وهذا حال كل الاعتياء الانبياء والاولياء واذا كان ذلك مجالا أو بعيدا فلتطلق القول بأن الفقر أصلى لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا أضعف ويقدر ضعف علاقته بضعاف ثواب تسبجائه وعبادته فان حركات اللسان ليست مرادة لا عيناه بل لينا كدها الأنس بالذ كور ولا يكون تأثيرها في اثاره الانس في قلب فارغ من غير الذ كور كما نيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد هو في طلب الدنيا مثل من يطفى النار بالحطب ومثل من يغسل يده من الغر بالمسك وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام ومن الضعفاء قال من دخل السوق فرأى شيئا يشبهه فصر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار نفقهها كلها في سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحارث رحمه الله ادع الله لي فقد أضربني المال فقال اذا قال لك صياك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله في ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل الغنى المتعبد مثل روضة على ضربيلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاعتياء وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك المذل عند النصف من نفسي والزهدي فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل الصديق رضي عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن فقد المال أصلى من وجوده هذا مع

أن أحسن أحوال القتي أن يأخذ حلالاً ويتفق طبياً ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القمامة
ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان
مشغولاً بالحساب كآرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب
أن لي حانقاً على باب المسجد ولا تخطيني فيه صلاة وذكروا يرجع كل يوم خمسين ديناراً وأنصف قوماً
في سبيل الله تعالى قبل وماتكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة
أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب
واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدّة الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن القتي وصف
الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن إذا كان العبد غنياً عن وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوى
عنده كلاهما فإما إذا كان غنياً بوجوده ومقتراً إلى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لأن الله
تعالى غني بآياته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق وما ذكر من أن صفات الحق لا تلق
إليس غنياً بالأعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تلق
بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى العبد أن يتفانى بأخلاق الله تعالى
وقد سمعت بعض المشايخ يقول إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء
التسعة والتسعون أوصافاً له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فإن
التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه
كالتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فليق به نعم قدر براد بالتكبر
الزهو والصلف والآيئة وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل
شيء وأنه يعلم أنه كذلك والعبد مأثور بآيته يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق
كما هو حق لا بالباطل والتلبس فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والمطيع أكبر من
العاصي والعالم أكبر من الجاهل والإنسان أكبر من الهيمة والجاد والنبات وأقرب إلى الله تعالى
منها فلورأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها الكثرة صفة التكبر حاصلة له ولا تفتقه به
وفضيلة في حقه لأنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة وليس بدرى الخاتمة
كيف تكون وكيف تتحقق فلهذه بذلك وجب أن لا يعتدل نفسه رتبة فوق رتبة الكافر أذ ربما يحتم
للكافر بالإيمان وقد يحتم له بالكفر فلم يكن ذلك لا تعاقبه لتصور عله عن معرفة العاقبة ولما تصور
أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كما لا في حقه لأنه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض
الاشياء قد تضره بهار ذلك العلم نقصاناً في حقه إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم بضره ومعرفة
الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل
الانبياء والأولياء والعلماء فإذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه
من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلاً
فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر (المقام الثاني في نسبة حال الفقير الخراج إلى
إلى حال الغني الحرص) ولنقرض هذا شخص واحد هو طالب المال وساع فيه وفادله ثم روجه
فله حالة الفقر وحالة الوجود فأى حالته أفضل فنقول ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة
وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فإل الوجود أفضل لأن الفقر يشغله بالطب
وطالب القوت لا يتقدر على التفكير والدرا القدرة مدخولة بشغل والسكنى هو القادر ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل نوح وقال كاد الفقر أن يكون كفراً رأى الفقير مع

الاضطرار فيه لا بد منه وإن كان المطلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين خالة الفقر أفضل وأصلح لأنهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمصيبة بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فستأ كدحه في قلبه ويظهر إلى الدنيا والفقر المضطر يحتاج قلبه من الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجين الذي ينبغي الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها أخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ربكونا إلى الدنيا حاله أشد لا محالة إذ بلغت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أجيب من أحببت فانك مغارقه وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارئك والله تعالى ولا تحب ما يفارئك وهو الدنيا فانك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تذكره وفراقك لما تحبه وكل من غارق محبوبة يكون إذا فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وأنس الواحد بالدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاني وإن كان حرصا عليها فإذا انكشف بهذا التحقيق أن الفقير هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيلا له إذ يستغني به أدمية الفقراء والسالكين وجمع ههنا والثاني الفقر من مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون ككفر ولا خير فيه يوحى من الوجه إلا إذا كان وجوده متى خيانه ثم يستعين بقوة وحجابه على الكفر والمعاصي ولومات جوعا كنت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت جوعا ولا يجدها مضطر إليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر وينبغي النظر في فقر حريص متكالب على طلب المال ليس له همت سواه وفي غنى دون في الحرص على حفظ المال ولم يكن تقبعه بقدر المال لو فقدته كفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والأظهر أن بعدهما من الله تعالى بقدر قوة تقبعهما لنقد المال وقربهما بقدر ضعف تقبعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه

بيان آداب الفقير في فقره

اعلم أن للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخاطبته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فأما أدب باطنه فإن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني أنه لا يكون كراهة لعل الله تعالى من حيث أنه فعله وإن كان كراهة للفقر كالحجوم يكون كراهة للحجامة لئلا يهول لا يكون كراهة لمرض الحمام ولا كراهة للحجامة بل رجاء يقلد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب وتقبيضه حرام ومحبط ثواب الفقير وهو معنى قوله عليه السلام يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تطفروا بثواب فقركم والأفلا وأرفع من هذا أن لا يكون كراهة للفقر بل يكون راضيا به وأرفع منه أن يكون طابا له وفرح به لعله يقول الغنى ويكون متوكلا في ما طمسه على الله تعالى وإثباته في قدر ضروريته أنه بآتيه لا محالة ويكون كراهة لما يزيده على الكفاف وقد قال علي كرم الله وجهه إن الله تعالى على عقوبات بالفقير ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مشوبه أن يحسن عليه خلقه ويطعمه به وبه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علاماته إذا كان مقربا أن يسوء عليه خلقه وبعضه يترك طاعته ويكثر الشكوى ويتخذ القضاء وهذا يدل على أن كل فقير فليس محمود بل الذي لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى الله بقرته إذ قل ما أعطي عبدا من الدنيا إلا قيل له خذ على ثلاثة أثلاث شغل وهم وطول حساب وأما أدب ظاهره فإن يظهر التعفف والتبذل ولا يظهر

الشكوى والفقر بل يسترققرو ويستترانه يستره في الحديث أن الله تعالى يحب الفقير المتعفف
 أبا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال سفيان أفضل الأعمال العمل عند
 الخنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وأما في أعماله فآدبه أن لا يتواضع لغنى لأجل غناه بل
 يتكبر عليه قال علي كرم الله وجهه ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن
 منه نية الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل هذه رتبة وأقل منها أن لا يتخالط الأغنياء ولا يرغب في
 مجالسهم لأن ذلك من مبادئ الطمع قال الثوري رحمه الله إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته فإذا
 وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص وقال بعض العارفين إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته فإذا
 طمع فيهم انقطعت عصمته فإذا سكن الهم ظل وينبغي أن لا تسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء
 وطمعاً في العطاء وأما أدبه في أفعاله فأن لا يفر بسبب الفقر عن عبادة ولا يعمى بقل قليل ما يفضل
 عنه فإن ذلك جهد المقل وقضيه أكثر من أموال كثيرة تبذل من ظهر غنى روى زيد بن أسلم قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف
 ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فمشتق بها وأخرج رجل درهما
 من درهمن لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف
 وينبغي أن لا يتخر ما لا يبل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الأواخر ثلاث درجات أحدها أن
 لا يتخر إلا لوجهه وليته وهي درجة الصديقين والثانية أن يتخر لأربعين يوماً فإن ما زاد عليه
 داخل في طول الأمل وقد فهم العلماء ذلك من معاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة
 في أهل الحيازة أربعين يوماً وهذه درجة المتقين والثالثة أن يتخر لسنه وهي أقصى المراتب وهي
 رتبة الصالحين ومن زادت الأواخر على هذا فهو واقع في غمار الموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية
 ففني الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنه وغنى الخصوص في أربعين يوماً وغنى خصوص
 الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الأقسام فمذهن كان
 يعطيهما قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضه قوت أربعين يوماً وبعضه يوماً وليلة وهو قسم
 عائشة وحفصة

وبيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال

ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور نفوس المال وغرض المعطى وغرضه في الأخذ ما نفوس
 المال فينبغي أن يكون حلالاً خالياً عن الشبهات كلها فإن كان فيه شبهة فليعترض من أخذه وقد ذكرنا
 في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض المعطى فلا يتخلو
 أن يكون غرضه تطيب قلبه وطالب بحجته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة أو الكاف أو الذكر
 وإليه أو السعة أو ما على التجرد أو ما من زجاجة الأغراض أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها
 فإن قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي أن لا يكون فيها مائة فإن كان فيها مائة
 فالأولى تركها فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد أهدى إلى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من وأقط وكبش قبل السمن والاقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه وسلم
 يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت أن لا آتبع إلا من قرشي أو أنصاري
 أو دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت إلى فتح الموصلي صرة فيها خسون درهما فقال
 حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من آتاه رزق من غير مسألة فداها برذعه فأنما رذعه الله
 ثم فتح الصرة فآخذ منها درهمين ما ورد سائرهما وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضاً ولكن حمل
 إليه رجل كيساً ورزقه من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس بحلبي هذا وقبل من

الناس مثل هذا الى الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلق وهذا يدل على أن امر العالم والواعظ
أشد في قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من أصحابه وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم
والدرهمين ونحوه ويعرض عليه فيهم الثمن فلا يأخذها وكان بعضهم إذا أعطاه صدقة شيئاً
يقول أتركه عندك وانظر إن كنت بعدت فمولى في قلبك أفضل مني قبل القول فآخبرني حتى أخذته
والأفلا وأما هذا أن يشق عليه الرذلة ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صدقة
بهديته فإن علم أنه يمازجه منة فأخذه مباح ولكنه مكره عند الفقهاء الصالحين وقال بشر ماسألت
أحد أقط شياً الأسر بالسقطي "لأنه قد صح عندي زهد في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده
ويترحم ببقائه عنده فما كونه عونا له على ما يجب وجاء خراساني إلى الجنيد رحمه الله بمال وسأله أن
يأكله فقال "أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا قال ومضى أعمش حتى آكل هذا قال ما أريد أن
تنفقه في الخيل والبقل بل في الخلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني "ما أجدني بغداد
أمن على منك فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك * الثاني أن يكون الثواب المجرى وذلك
صدقة أو ركة فليعلم أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للركعة فإن اشبهه عليه فهو محل شبهة
وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الركة وإن كانت صدقة وكان يعطيه لذنه فليتنظر إلى باطنه
فإن كان مقارفاً لمصبة في السر يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفرطه ولما تقرب إلى الله بالتصدق
عليه فهذا إهمال أخذه كالأعطاء لظنه أنه عالم وعلمى ولم يكن فإن أخذه حرام بمحض لاشبهة فيه
* الثالث أن يكون غرضه السعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرذله عليه قصده الفاسد ولا يقبله إذ
يكون معياله على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري يرذم ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذرون
ذلك افتخاراً به لأخذت وعوتب بعضهم في رذم ما كان يأتيه من حيلة فقال إنما أريد صلحتهم اشفاقاً
عليهم ونصالحهم لأنهم يذمكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فذهب أموالهم ويحبط أجورهم * وأما
غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بد له منه أو هو مستغن عنه فإن كان محتاجاً إليه
وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالأفضل له الأخذ قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما المعطي من سعة بأعظم أجراً من الآخذ إذا كان محتاجاً وقال صلى الله عليه وسلم من آناه شيئاً من هذا
المال من غير مسألة أو لاستشراف فأنما هو رزق ساقه الله إليه وفي لفظ آخر فلا يرذمه وقال بعض
العلماء من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سري السقطي "يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله
عليهما شيئاً فردته مرة فقال له السري يا أحمد احذروا ردة الرذلة فإنها أشد من آفة الأخذ فقال له أحمد
أعد على ما قلت فأعاده فقال أحمد ما ردت عليك إلا أن عندي قوت شهر فأجسبه عندك فإذا
كان بعد شهر فأعده إلى وقد قال بعض العلماء يخاف في الرذم الحاجة عقوبة من ابتلاه بطمع
أو دخول في شبهة أو غيره فما إذا كان ما آناه زائداً على حاجته فلا يخلو أما أن يكون حاله الاشتغال
بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء والاتفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فإن كان مشغولاً بنفسه
فلا وجه لأخذه وأما إذا كان طالباً لطريق الآخرة فإن ذلك بعض اسعاج الهوى وكل عمل ليس
لله فهو في سبيل الشيطان أو داع البهائم حام حول الحى يوشك أن تقع فيه ثم له مقامان أحدهما أن
يأخذ في العلانية ويرد في السر أو يأخذ في العلانية ويرد في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق
على النفس لا يطيقه إلا من اطمانت نفسه بالرياضة والثاني أن يترك ولا يأخذ لصرف صاحبه إلى
من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيعمل كلهما في السر أو كلهما في
العلانية وقد ذكرنا هل الأفضل اظهار الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الركة مع جملة من أحكام

الفقر فطلب من موضعه وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمه الله فأنما كان لاستغناؤه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفته إلى غيره فان في ذلك آفات وأخطار وألورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض الجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعدتها للاتفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي "أنا جائع جائري عربان جائري فائري فيما ترى يا من يرى ولا يرى فتظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا أجعل دراهمي موضعا أحسن من هذا هملتها إليه فنظر إلي ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة من مئزرين ودرهم أنفقه ثلاثا فلا حاجة بي إلى الباقي فردة قال فرأيت الله الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهبس في نفسي منه شيء فالتفت إلى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يخشع تحت أقدامنا إلى الكعبيين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لأن هذه أثقال وقبحة وذلك للمبادفة رحمة ونعمة والقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة انحلت إليك ابتلاء وفتنة لنظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقد راح الحاجة يأتبك وتقابل فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لاس آدم إلا في ثلاث طعام بقم صلبه رطب بوارى عورته وبيت يكتنه فما زاد فهو حساب فإذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفجازا دعه إن لم تعص الله متعزز العسب وإن عصيت الله فأنت متعزز للعقاب ومن الاختيار أيضا أن تعزم على ترك لذته من اللذات تقر بالي الله تعالى وكسر الصفة النفس فتأبك عفوا صفة التسخن بها قوة عقلك فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخصت لها في تقض العزم ألغت تقض العهد وعادت لعاداتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان أخذه وصرفته إلى مجتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه إلا الصديقون وأما إذا كان حالك السقاء والبذل والتكفل بمحقوق الفقراء وفهد جماعة من الصلحاء فغذا ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء وما دبر به إلى الصرف اليهم ولا تدخره فإن أمساكه ولوليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلوق قلبك فتسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدق لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتعم في الطعام والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الطلبة فإن رزقه الله من حلال قضاء وإن مات قبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وأرضى غرامه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عندهم بقرضه فلا يفر المقرض ولا يجدها بالمواعيد بل يكشف خاله عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة ومن مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قبل معناه لبيع أحدث فيه وقيل معناه فليس تقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم إن الله تعالى عبادا يتفقون على قدر بضائعهم والله عباد يتفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فأوصى بملكه ثلاث طوائف الأقوياء والأغنياء والاعتناء بقتل من هؤلاء فقال أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأغنياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاعتناء بهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى فإذا هما وجدت هذه الشروط فيهم وفي المال وفي المعطى فليأخذوه فيبني أن يرى ما يأخذ من الله لا من المعطى لأن المعطى واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر إليه بما ساط عليه من الدراعي والارادات والاعتقادات وقد حكى أن بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من

أصحابه فوضع الرجل مائة حسنة فلما قعد قال لأصحابه ان هذا الرجل يقول من لم يرقى صنعت هذا الطعام وقد منته فطعامي عليه حرام قداموا كلهم وخرجوا الا شابا منهم كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يعني هذا يوما وبشيتي هذا ليلة فأوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع بأوليائي أجرى أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فهم فلا ينبغي أن يرى المعطي الأمان حيث أنه مضرراً جوار من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه

في بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم انه قد وردت منه كبري في السؤال وتشديدات وورديه أيضاً ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاءه على فرس وفي الحديث رد السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراماً مطلقاً لما حاز امانة المعتدي على عدوانه والاعطاء امانة فالكشف للقطاع فيه أن السؤال حرام في الاصل وإنما يسباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عبداً بفهم حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة * الأول اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السؤال اظهار للفقير وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكان العبد المملوك لوسل لكان سؤاله تشنعا على سيده فكذلك سؤال العباد تشنعا على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم ولايجل الا لضرورة كالحمل المتة * الثاني أن فيه اذلال السائل نفسه لغر الله تعالى وليس لأومن أن يذل نفسه لغر الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فان فيه عزة فاماستراخلق فانهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسئول * الثالث أنه لا ينفك عن اداء المسئول غالباً لانه ربما اتسع نفسه باليد عن طيب قلب منه فان يذل حياته من السائل أو رياء فهو حرام على الأخذ وان منع ربما استغنى وتآذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة الغلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا ينبغي أن الفاحشة انما تباح للضرورة كإباح شرب الخمر لمن غص ببقعة وهو لا يجد غيره وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جرحهم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتققع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألة خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد ويا عباد الله صلى الله عليه وسلم قوموا على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال صلى الله عليه وسلم استعففوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومنى وسمع عمر رضي الله عنه سأل يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعنا نيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده بخلة مملوءة خبزا فقال استسألتا ولكنك تاجر ثم أخذ الخلة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وصر به بالذرة وقال لا تعدوا لولا أن سؤله كان حراما لما صر به ولا أخذت الخلة ولعل الفقيه الضعيف النية المضمين الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما صر به فهو تأديب وقدر الشرع بالعزير وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه وهو استبعاد

مصدره القصوى في الفقه فإن ظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 وإطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عبادته أقرى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة وعلم ذلك
 ولكن أقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه أو أراد الجزاء المصلحة فيه بطريق شرعيها في الله
 وهيات فان ذلك أيضا معصية بل الفقه الذي لاح فقه أنه رآه مستقبيا عن السؤال وعلم أن من
 أعطاه شيئا فائما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبس
 وصبر فميز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بعبائهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه إلى
 المصالح وأبل الصدقة وعلقها من المصالح وبنتزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كأخذ العلوي
 بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو
 في الباطن مقارن لعصية لو عرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما أخذوه على هذا الوجه
 لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم أن رد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا
 المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بفعلك عن هذا الفقه
 على إطلاق فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يساح لفرضه فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرا إليه
 أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال أما المضطر إليه فهو
 سؤال الجائع عند خوفه على نفسه مونا أو مرضا وسؤال العارى وبذنه مكتشف ليس معه ما يواريه
 وهو مباح مهما وجدت بقية الثروة في السؤل بكونه ماحوا المسؤل منه بكونه راضيا في الباطن
 وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو يبال ليس له السؤال إلا اذا
 استغرق طلب العلم أو فاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالورقة أو ما المستغنى في قول الذي
 يطلب شيئا وعنده مثله وأمثلة فسؤاله حرام قطعاً وهذا طرفان واختان وأما المحتاج حاجة مهمة
 فيكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو من خوف وكن لهجة
 لا قصيحتن في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأدياً لا ينتهي إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل
 الكراه وهو قادر على الشيء بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تستر في طلبه إلا باحة لانها أيضا حاجة محقة
 ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروهاً ما صدق في السؤال
 وقال ليس تحت جبتى قصص والبرد يخنني أذى أطيعه ولكن يشق عليّ فإذا صدق فصدقه يكون
 كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قصا لليلسة فوق ثيابه عند خروجه
 ليسترا الخروق من ثيابه من أعين الناس وكن يسأل لأجل الادم وهو واجب للخير وكن يسأل الكراه
 لفرس في الطريق وهو واجب كراه الحار أو يسأل كراه المحمل وهو قادر على الرحلة فهذا ونحوه ان كان
 فيه تلبس حال باظهار حاجة غيره هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من
 الشكوى واللذ والذبا والمسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات
 وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه
 المحذورات فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال
 محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس شوب فوق ثيابي وهو فضيلة
 عن الحاجة وفصول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما اللذ فيا أن يسأل أباه أو قريبه
 أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو لأجل السعي الذي قد
 أعد مثله لثل هذه الكرام فيخرج بوجود مثله ويتقلد منه منه بقبوله فيسقط عنه اللذ فذلك فان
 اللذ لازم لثلاثة لا محالاً أما الأبناء فببيل الخلاص عنه لأن لا يعين شخصاً بالسؤال ليعينه بل ياتي

الكلام عرضاً بحيث لا يقدم على البذل الامتناع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق
لويبذل لكان بلامه هذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفاً من الملامه فيكون الاحب اليه في الباطن
الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة وأما اذا كان يسأل شخصاً معيناً فيقول ان لا يصرح بل بعرض
تعرضني لسيلاي التناقل ان أراد فاذلم يتناقل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذبه
وينبغي ان يسأل من لا يستحي منه لورده أو تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤدي كما ان اليا مع
غير السائل يؤدي فان قلت فاذا أخذ مع العلم بان باعث المعطى هو الحياء منه أو من الحاضرين
ولولاه لما ابتدأ به فهل هو حلال أو شبهة فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه
حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب
أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكبة في قلوب العقلاء ولا يجوز
أن يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال
فاضطرروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع انه ترجيحان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت
اليه وهذا سؤال عابدين العبد بين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالاسنة
عند سائر الحكام فلا تطرف في مثل هذا الا الى قلبك وان أتوك وأفتوك فان المفتي لمعظم القاضي
والسلطان يصكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وفتواهم النجاة من سطوة
سلطان الآخرة كما ان فتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذا ما أخذ مع الكراهة
لا ملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده الى صاحبه فان كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده
فعلية ان يشبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتقضى عن عهده فان لم يقبل
هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص
بالتعصّب فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا أمر باطن يصير الاطلاع عليه فكيف
السبيل الى الخلاص منه فرمما ينظر السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضياً فأقول لهذا اثر
المتقون السؤال رأساً كانوا يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلاً الا
من السري رحمة الله عليهم وقال لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فأنا أعينه على ما يجب
وانما عظم الكبر في السؤال وتاكيد الأمر بالتخفف لهذا لان الاذى انما يجمل بضرورة وهو ان يكون
السائل مشرفاً على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح
له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير أو كل لحم الميتة فكان الامتناع طريق الورع ومن أرباب
القلوب من كان واقفاً بصيرة في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس
دون البعض ومهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومهم من كان يأخذ مما يعطى بعضاً ويرد بعضاً
كافول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبر والسمن والاقط وكان هذا فاجباً انهم من غير
سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعاً في جاه أو طلب الرباء والسمعة
فكانوا يصتزون من ذلك فاما السؤال فقدمتموه اعتدلاً سألوا في موضعين أحدهما الضرورة فقد
سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولاشك في انهم
ماسألوا الا من علوا انه يرغب في اعطائهم واثباتي السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا
يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لان أرباب القلوب علوا أن المطلوب رضا القلب لا نطق
اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بما سخطهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند

شكهم في اقتدار اخواتهم على ما يريدونه والا فكلوا ليستغنوا عن السؤال وحذا باحة السؤال أن تعلم أن المسترول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لا بد أن دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحامو اثاره داعيته بالحيل فلا يصح في السائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة وبعلم ذلك فبقربة الاحوال فلا خذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سمعت ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليست قلبه فيها وليترك حراز القلب فانه الاثم وليدع ما يريه الى ما لا يريه وادرك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قوت فطنته وضعفه حرمه وشهوته فان قوى الحرص وضعت الفطنة تراهي له ما يوافق غرضه فلا يخطئ لقرائن الدالة على الكراهة وهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وقد أوتي جوامع الكلم لان من لا كسبه ولا مال ورنه من كسب أبيه أو أحد قريبه فبأكل من أيدي الناس وإن أعطي بغير سؤال فأنما يطعم يدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى يدينه فيكون ما يأخذ حراما وإن أعطي بسؤال فأن من يطعم قلبه بالعطاء اذا سئل وابن من يقتصر في السؤال على حذا الضرورة فاذا اقتست أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره سمعت وان الطبيب هو الكسب الذي اكتسبه بحلالك أنت أو مورثك فاذا بعد ان يجمع الورع مع الاكل من أيدي الناس ففسأل الله تعالى أن يقطع طعمه عنها عن غيره وأن يفتني بحلاله عن حرامه وبفضله عن سواه منه وسعة جوده فانه على ما يشاء قدير

بيان مقدار الفنى المحرم للسؤال

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فأنما يسأل جمر فليستقل منه أو ليستكثر جرم في التحريم ولكن حذا الفنى مشكل وتقديره عسير وليس البنا وضع المقادير بل يستدل ذلك بالتوقف وقد ورد في الحديث استغوا بغنى الله تعالى من غيره قالوا وما هو قال غدا يوم وعشاء ليلة وفي حديث آخر من سأل وله خمسون درهماً وعدلها من الذهب فقد سأل الخافا وورد في لفظ آخر أن يكون درهمها ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فنجسني أن يقطع نور دها على أحوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحداً والتقدير ممتنع غاية الممكن فيه تقرب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحق لان آدم الا في ثلاث طعام يقم صلبه وثوب يراى به عورته وبنت يكتنه فإزاد فهو حساب فليجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والظرف في الأجناس والمقادير والافات فاما الأجناس فهي هذه الثلاث ويطبق بها ما في معناها حتى يطق بها الكراهة لسا فرادى كان لا يقدر على المشى وكذلك ما يجرى بحرامهم المهمات ويطبق بنفسه عباده وولده وكل من تحت كفالة كالدابة أيضا وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بدوى الدين وهو ثوب واحد وقصص ومنديل وسراويل ومداى وأما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه ولا يقس على هذا اثاث البيت جميعه ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفير فيما يكتفى فيه بالخرف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة وأما الطعام فقدره في اليوم مقدوره ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضيلة وقطعه بالكيفية اضار في طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فأقله ما يجزئ من حث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فيحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب بلبسه ومأوى يكتنه فلا شك فيه أن ما سأل الله للستقبل فهذا ثلاث

درجات احداها ما يحتاج اليه في عند والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما وأربعين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولتقطع بأن من معه ما يكفي له ولله ان كان له عيال لسنة فسؤال المهرام فان ذلك غاية الفنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما وفي الحديث فان خمسة ذنان تركي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما العمل فربما لا يكفي ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادر على السؤال ولا تقوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى التقدير قد سأل ما لا يحتاج اليه فبكمية غداه يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان بقوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخربياح له السؤال لان أمل القيام سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يعبه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لأجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يحل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف الموت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظرة لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستغنى فيه قلبه ويعلم بان كان سالك طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وقتنه بجي الرزق في المستقبل أتم وقصاعته بقوت الوقت أظهر قدر جته عند الله تعالى أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد أتاك الله قوت يومك لك ولعبايك الامن ضعف اليقين والاصفاء الى تخفيف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء التي أبعث بالضرورة وحال من يسأل الحاجة مترجية عن يومه وان كان ما يحتاج اليه في السنة أشد من حال من ملك ما لا مورونا واذا خرج الحاجة وراء السنة وكلها ماباحا في الفتوى الطاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان أحوال السائلين

كان بشر رحمة الله يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في ملين وقير لا يسأل وان أعطى أخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين فاذا اختلف كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة قال شقيق البجلي لاراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم ان اعطوا اشكروا وان منعوا صبروا ووطن انه لما وصفهم بترك السؤال قد أني عليهم غاية الشناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب يلعب عندنا فقال له اراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحاق فقال الفقراء عندنا ان منعوا اشكروا وان اعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ فاذا درجات أرباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضنها الى أعلى قلاعها ومن أسفل سافلين الى أعلى عليين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم ثم رذالى أسفل سافلين ثم أمر أن يترقى الى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفلى والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وأرباب الاحوال قد تفلسم حاله تنقضي أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا اسحاق النوري رحمه الله يتحدث به يسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستعجته له فأثبت الجند رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك

فان النورى لم يسأل الناس الا لعظيمهم وانما سألهم ليشبههم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لا يشعرون
وكأنه أشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الاخذ
للبال لانه يعطي الثواب والقدر له لا بما يأخذه ثم قال الجندهات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض
قبضة فألقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء بعرف مقداره فكيف
خاطبه بمجهول وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة الى النورى فقال هات
الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له ألا أقبل منك أنت شيئا وأخذ ما زاد على المائة
قال فراد نعيي فسألته فقال الجنده رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطريقه وزن المائة لنفسه طلبا
لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى وردت
ما جعله لنفسه قال فردتها الى الجنده فبكي وقال اخذ ما له ورد ما لنا الله المستعان فانظر الآن
كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت الله أحوالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب
صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الاسرار وذلك نتيجة كل الحلال
وخلو القلب من حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنهه الهمة في انكسر ذلك قبل تجربة طريقه فهو
جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتناؤه حتى بذل
كنهه مجوده ولم يصل فأنكر ذلك لقهره كان كمن شرب السهل فلم يؤثر في حقه خاصة لهلة في باطنه
فأخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خالدا عن حظ
واف من الجهل بل البصير أحد رجلين إما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب
المذوق والعرف وقد وصل الى عين اليقين وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن
بذلك وصديق به فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن وأصل الى عين اليقين ولعلم اليقين أيضا رتبة وإن
كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمره المؤمنين ويمضى
يوم القيامة في زمره الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين
فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عنده بنا وما ذكرا

أولوا الالباب

(الشرط الثاني من الكتب في الزهد) وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات
الزهد وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والسكن والاثاث وضروب المعيشة وبيان
علامة الزهد

بيان حقيقة الزهد

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل
كسائر المقامات لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكأن القول
لظهوره أقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والافليس القول مراد العينه وإن لم يكن صادرا
عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثر والعمل يجري من
الحال يجري المجرى الثمرة فلذلك الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فعنى بها ما يسمى زهدا
وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شئ الى غيره جمعا وضرة
وسمع وغيره فأنما عدل عنه لغته عنه وانما عدل الى غيره لغته في غيره فإله بالاضافة الى المعدول
عنه ليسى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وجبا فإذا استدعى حال الزهد من غوايته
ومرغوباته هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه أن يكون هو اضر غوايته بوجه
من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زهدا اذا ترك الحجر والتراب وما أشبهه

لا يسمى زاهدا لو اتى بسبى زاهدا من ترك الدواهم والمناكير لان التراب والجرب ليسا في مظنة الرغبة
 وشروط المرغوب فيه ان يكون عنده خير من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم
 على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة
 الى العوض عنه رغبة فيه وحيا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من
 الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه انطمعوا ان
 يخلوهم ووجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فلما كل من باع
 الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن
 العادة جارية بخصيص اسم الزاهد عن زهد في الدنيا كما خصص اسم الاخادج من يميل الى الباطل
 خاصة وان كان هو اللبيل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدل
 الى شيء هو احب منه والافتراء المحبوب بشيء الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى
 حتى القرائس ولا يجب الا لله تعالى فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم
 يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الخور والقصور والتهار والتوا كهو ايضا زاهد
 ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون
 الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك العمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته
 في الزاهد درجة من تنوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض
 المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ
 النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر
 على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظورات وانصرف عنه ولكن العادة تخصص
 هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته من الدنيا عدولا الى الآخرة أو عن غير الله تعالى
 عدولا الى الله تعالى وهي الدرجة العليا كما يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده فيشترط
 في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالله تبيين زوال الرغبة
 ولذلك قيل لابن المبارك زاهد فقال الزاهد عمن عبد العز يزاد جاهته الدنيا راحة فتركها وما أنا
 فقيما زاهدت وأما العلم الذي هو مشتمل هذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى
 المأخوذ كعلم التاجر بان العوض خيرا من المبيع ف يرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور ان
 تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عنده الله باق وان الآخرة خير وأبقى أي انها خير
 في انفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا من باقي من النجس مثلا ولا يعسر على مالك النجس بيعه بالجواهر
 والآلة فيمكنه امثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالنجس الموضوع في الشمس لا يزال في الذوات الى
 الانقراض والآخرة كالجواهر الذي لا تفسده بقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة
 تقوى الرغبة في البيع والعامل حتى ان من قوي يقينه ببيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله
 اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ثم بين ان صفة قوتهم راحة فقال تعالى فاستشروا
 بيعكم الذي باعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وأبقى وقد
 يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا المضعف عليه ويقينه وأما الاستيلاء الشهوة في الحال عليه
 وكونه مقهورا في بد الشيطان وأما الاعتراض بمواهب الشيطان في التسوية يوما بعد يوم الى أن
 يخطفه الموت ولا يبقى معه الا الخسرة بعد الفوت والى تعرف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى
 قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل وقال الذين أتوا العلم وبكم

ثواب الله خير منه على أن العلم بنفاسة الجور هو المرغب عن عوضه ولما يتصور الزهد الابعاضة
ورغبة عن المحبوب في أحب منه قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أربتها الصالحين من عبادك وهذا لأن الله تعالى
يراه حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد رها حقيرة في حق نفسه
بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور أن يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كبري حشرات الارض
مثلا لانه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستقيا عن الفرس والله تعالى عني بذاته عن كل
ما سواه فبقي السك في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله وراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد
هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره هو أما العمل الصاد رعن حال الزهد فهو ترك واحد
لانه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى فكأن العمل الصادر من عقد البيع هو
ترك المبيع واخراجهم من اليد وأخذ العوض فكذلك الزهد يجب ترك الزهد فيه بالكسبية وهي
الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها بفخر من القلب حبها وبدخل حب الطاعات
ويخرج من العين واليد ما أخرجهم من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف
الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فإذا في بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليست بشر
بيعه الذي يبيع به فان الذي يبيع بهذا البيع وفي بالعهد فمن سلم حاضر في غائب وسلم الحاضر وأخذ
يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراقه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته
ورفاقته بالعهد وما دام مسكك الدنيا لا يصح زهده أصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد
في بنينا من وان كانوا قد قالوا يوسف وأخوه أحب الى أبنائنا وعزموا على ابعاده كعزموا على
يوسف حتى تشفع فيه أهدمهم فتركه ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على اإخراجه بل عند
التسليم والبيع فعلمة الرغبة الامساك وعلامة ازهدا لاخراج فان أخرجت عن اليد بعض الدنيا
دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تعد لك
الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يسهو ويملكه طمان بغروره
ويجبل اليك أن الدنيا وان لم تأت فأت زاهدا فلا ينبغي أن تتدلى بجبل ضروره دون أن تستوثق
وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تتحير ببحال القدرة فلا تتق بالقدرة على الترك عندها فك
من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تسرت له أسبابها من غير مكنه ولا خوف
من الخلق وقع فيها وإذا كان هذا غرورا والنفس في المخطورات فأياك أن تتق بوعدها في المباحات
والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تتحيرها مرة بعد مرة في حال القدرة فإذا وثقت بما وعدت
على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار نظاها راو باطنا فلا بأس أن تتق بها وثوقا مما ولكن تكون
من تقربها بضاعى حذر فانها سر بعة النقص للعهد قريسة الرجوع الى مقتضي الطمع وبالجملة
فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى لابن شعرة
ألا ترى الى ابن الحائك هذا لا تفتى في مسألة الازدة علينا يعني بأخينة فقد ال ابن شعرة لا أدري أهو
ابن الحائك أم ما هو ولكن أعلم أن الدنيا عادت اليه فهرب منها وهربت منها فطمانها وكذلك قال
جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا نحب ربنا ولو علمنا في شيء يحببه لفلاننا
حتى نزل قوله تعالى ولو أنا كنبناعلهم أن اقتلوا أنفسكم وأخرجوا من دياركم ما فعلوا الا قليل منهم
قال ابن مسعود رحمه الله قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل قال وما
عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وأعلم انه

ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلك تحضارها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور من لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وقوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا الحسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألدوا هنامن المال وكان أن ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فسكن ذلك تركه طمعا في الذكر والشأن والاشتهار بالقوة والسخاء واستغفالا لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلطين والاعتناء ليس من الزهد أصلا بل هو استعجال حظ آخر لنفس بل الزاهد من أنه الدنيا راحة صفوا عفا وهو قادر على التمتع بها من غير نقصان جاءه وفتح اسم ولا فوات حظ لنفس فتركها خوفا من أن يأنس بها فيكون أنسا بفقر الله ومحباسا موسى الله يكون مشركا في حب الله تعالى غيره أو تركه طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأثره الدنيا طمعا في أنس به الجنة وترك التمتع بالسراير والنسوان طمعا في الخور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطامع اللذينة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له أذهب طيباتكم في حياتكم الدنيا فأتى جميع ذلك ما وعده في الجنة على ما ينسره في الدنيا عفا صفوا عفا لعله بأن ما في الآخرة خير وأبقى وأن ما سوى هذا فعمالات دينية لا جدوى لها في الآخرة أصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى يخرج على قوميه في زينته الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم وليكن ثواب الله خير لمن آمن فنسب الزهد الى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الشناء وقال تعالى أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم اهلهم أحسن مما قيل معناه اهلهم أزهقها فوصف الزهد بأنه من أحسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤنه منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبني وقال تعالى الذين يستعبدون الحياة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار بذلك فقهرهم أن المؤمن هو الذي يتصف بتقضيه وهو أن يستعبد الآخرة على الحياة الدنيا (وأما الاخبار) فأورد منها في ذم الدنيا كبير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربح المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقصر على فضيلة بعض الدنيا فانه من النجيات وهو المعنى بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهو الدنيا اشتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهو الآخرة جمع الله له همه وحفظ الله ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راحة وقال صلى الله عليه وسلم اذ رأيت العبد وقد أعطى صبرا وزهدا في الدنيا فاقر بوائمه فانه باقى الحكمة وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله نبيي الحكمة في قلبه وألطف به بالسنة وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن محموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما محموم القلب قال النسفي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغى ولا حسد قلنا يا رسول الله فن على أمره قال الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يجب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فاهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للحبة فن

أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفعومه
أيضا أن يحب الدنيا متعرض لبعض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان
في القلوب لكل ليلة فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والارتقلا وقال حارث بن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا مؤمن خفا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي
جبرها وزدها وكان في الجنة والنار وكان في عرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فانزم عبد
نور الله قلبه بالايمان فانظر كيف بدأ في تطهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين
وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبدنور الله قلبه بالايمان ولماسئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى في ردة الله أن يهديه بشرح صدره الاسلام وقيل له
ما هذا الشرح قال ان النور اذ دخل في القلب اشرح له الصدر وانفتح قلبه بارسل الله وهل
لذلك من علامة قال نعم التباقي عن دار الغرور والابانة الى دار الخلود والاستعداد لثوب قبل زوله
فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو الباقي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استنبوا
من الله حق الحياء قالوا انما نستحي منه تعالى فقال ليس كذلك تبون ما لا تسكنون وتنجون
ما لا تاكلون فيمن ان ذلك يناقض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفاة قالوا انما مؤمنون
قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بما وقع القضاء وترك
الشتماء بالمصيبة اذ انزلت بالاعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلوه
ولا تبنيوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تسكيلة لايمانهم وقال جابر رضى الله
عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء به الله الا الله لا تخط بها غير ما وجبت له الجنة
فقام اليه على كرم الله وجهه فقال يا بني انت وأمي يا رسول الله ما لا يخط بها غير ما وجبت له الجنة
لنا فقال حب الدنيا طيل بالها وانباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويحملون عمل الجبارة فمن جاء
بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر النساء من اليقين ولا يدخل النار موقن
والضل من الشك ولا يدخل الجنة من شك قال أيضا السعي قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة والخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجل غمرة الرغبة في الدنيا والنساء
ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على الثمر لا محالة وروى عن ابن المسيب عن أبي نزع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق به لسانه وعرف فهداه الدنيا
ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروى انه صلى الله عليه وسلم مرفي أصحابه بعشار من
النوق حفل وهي الخوامل وكانت من أحب أموالهم اليهم وأنفسها عندهم لانها تفتح الظاهر والهم
والاين والورع ولطعمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعرض صبره فقيل له يا رسول الله هذه أنفسنا ما لا نتطير اليها فقال قد نهاني الله عن
ذلك ثم قال قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الا به وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها
قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة
والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهب لاجراها حيث شئت من الارض
ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وقرر الدنيا على ضناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان
الدنيا لا تنبغي محمد ولا ل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه
الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض الا أن يكفني ما كلفهم فقال فاصبر كاصبر اولو العزم من الرسل
والله مالي بدم طاعته واني والله لأصبرن كاصبروا ويهدي ولا قوة الا بالله وروى عن عمر رضى الله

عنه انه حين فزع عليه الفتوحات قالت له انته حفصة رضى الله عنها اليس ألين الشاب اذا وفدت عليك الوفود من الأفاق ومزينة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر يا حفصة أليست تعلين أن اعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلين أن ترسل الله صلى الله عليه وسلم ليث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته عدوة الاجاعوا عيشة ولا شبعوا عشة الاجاعوا عدوة وناشدتك الله هل تعلين أن النبي صلى الله عليه وسلم ليث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فزع الله عليه خبير وناشدتك الله هل تعلين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوم اطعنا على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض وناشدتك الله هل تعلين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على صماء مثنية فأثبتت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فما استيقظ قال منعتوني قيام الليلة بهذه العيادة أنتموها بأشعثين كما كنتم تشنونها وناشدتك الله هل تعلين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتفسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فيأجيبه ثم يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كسامين ازارا ورداء وبعثت اليه بأحدتهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفه الى عنقه فصلى كذلك فما زال يقول حتى أبكاهوا بكى عمر رضى الله عنه وانتهب حتى ظننا أن نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقيهما سلك بي طريق غير طريقيهما وإني والله سأصير على عيشهما الشديد لعل أدرك معهما عيشهما الرغد وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يأتي أحدهم بالقر فلا يلبس الا العباءة وان كان أحدهم ليثني بالقميل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترمى في بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والذين يكثرزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم نبالا نبالا الدنيا روالدوهم قتلها يا رسول الله نبالا نبالا الله عن كثر المذهب والفضة فأى شيء تدخر فقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذ أحدكم لسانا ذكرا أو قلوبا سكارا ووجهة ضلالة تعينه على أمر آخرته وفي حديث حذيفة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث همالا يفارق قلبه أبدا وقرر الا يستقي أبدا وحرصا لا يشبع أبدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرض وحتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته وقال المسيح صلى الله عليه وسلم الدنيا قطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يأتي القتلوا أمرت أن تبنى بيتا فبدا يفتنه فقال ادعوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بستان على الماء قال وكيف يطعمها مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فما اليوم الذي أجوع فيه فما تضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فما حدثك وأتني عليك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كصف سبورين ولا مقة دقيق

فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هذه من السماء أنطقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القمامة أن تقوم قال أولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأناذ اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أعجبك ان أسير معك جبال هامة زمرداوية أو نواذها وفضة فقلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل أن تواضع لله فقال نبيا عبدا ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة ويصره بصوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لرجل ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وقال صلوات الله عليه هم أراد أن يؤتبه الله علما فيعلم وهدي بعهداية فلزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لماعن الشهوات ومن رقب الموت ترك الذنات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ويمر عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام أربع لا يدركن الاتبع الصمت وهو أول العباد التواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ وإيراد جميع الاخبار الواردة في مدح بنقض الدنيا وذم حبها لا يمكن فان الانبياء ما يبعثوا الا ليعرف الناس عن الدنيا الى الآخرة واليه يرجع أكابر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كفاية والله المستعان (وأما الآثار) فقد جلف الاثر لا زال لاله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما يؤزروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك قالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بمهادقين وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال تابعتنا الاممال كلها فلم نرى في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لسعد بن التابيع أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم وكانوا اخر ما نمتكم قبل ولم ذلك قال كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كني به دنيا أن الله تعالى يهدينا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي أن أرى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضلالة لا توجد وقال وهيب منبه ان الجنة ثمانية أبواب فاذا صار أهل الجنة الهاجعل البقايون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدن في الدنيا العاشر في الجنة وقال يوسف بن اسباط رحمه الله اني لأشتهي من الله ثلاث خصال أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا علي عظمي لحم فأعطى ذلك كله وروى أن بعض الخلفاء أرسل الى الفقهاء بيجوا ترقبوها وأرسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالك هذه فبكي الفضيل وقال أتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يمرثون عليها فلما هربت ذبحوها قبل أن لا يتبعوها بجلدها وكذلك أنتم أردتم تذهبوا على كبريتي موتوا يا أهل جوعا خزلكم من أن تدبحوا غصلا وقال عبيد بن عمر كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعرويا كل الشهر وليس له ولد يموت ولا يتخرب ولا يتخلف قد أبنا أدركه المساء نام وقالت امرأة أبي حازم لاني حازم هذا الشاة قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها أوجازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار وقيل الحسن لم لا تغسل ثيابك قال الأمر أعجل من ذلك وقال ابراهيم بن آدم قد حبت قلوبنا ثلاثه أغطية فلن يكشف الملبدين حتى ترفع هذه الجب القرح بالموجود والخرن على المفقود والسرور بالمدهج فانا فرحت بالموجود فأت حرمي وادأرتني على المفقود فأت ساخط والساخط معذب وادأرتني بالمدهج فأت مبهج والمبهج يحبط العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله من عبادة

المعبد من المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدوا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمة هو يصرف لنا وكأنه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب عبده المؤمن الدنيا وهو يوجه كما تحبون مرضكم الطعام والشراب تخافون عليه فإذا فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤذي الى الصحة أكرم منها في الاعطاء المؤذي الى السقم وكان التورى يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء وذات رشح لا دار فرح من عرفها لم يفرح رخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يتخلص العمل لمصلحة حتى لا يفرغ من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن البصري ادركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا قبل ولا يأسقون على شيء منها بأدبر وهي كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصناعة طعام قط فإذا كان الليل تقيام على أقدامهم يقرشون وجوههم تحري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكلك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة أو باي شكرها وسألوا الله أن يقبلها واذ عملوا السيئة لحزنتم وسألوا الله أن يغفرها فلم ير الزوال في ذلك والله ما سلوا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه

بيان درجات الزهد وأقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث **الدرجة الاولى** وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو طامشته وقابه اليها ما لم ونفسه اليها ملتقنة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى الزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتريد يذنب أولا لنفسه ثم كسبه والزاهد أولا يذنب كسبه ثم يذنب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقها والمتريد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل أو كثير **الدرجة الثانية** الذي يترك الدنيا طوعا لا استقارها ياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك زهدا لأجل درهمن فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى المحالة زهدا ويلتفت اليه كإبري البائع المبيع ويلتفت اليه نكاد يكون معجبا بنفسه وزهده ويطنق في نفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرامته وهذا أيضا نقصان **الدرجة الثالثة** وهي العليا أن يزهد طوعا أو يزهد في زهد فلا يرى زهدا اذا لم يرى انه ترك شيئا اعترف أن الدنيا لا شيء فيكون كن ترك خرفة أو أخذ جوهره فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعم الآخرة أخس من خرفة بالاضافة الى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما أن تارك الخرفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم في أي شيء تتكلم قال في الزهد قال في أي شيء قال في الدنيا تنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعجزة بالشهادات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى اليه لقمه من خبز فشفاه بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع ملكه أقرى انه يرى لنفسه بدا عند الملك بالحقه خبز ألقاه الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالسيفان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والجب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان أكلت فلذت بها في حال المضغ وتنفض على القرب بالابتلاع ثم بقي نفلها في المعدة ثم تنتهي الى التثاقل والقدر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فنزكها لينال عز الملك كيف بلغت اليها ونسبة الدنيا كلها أضنى ما يسلم لكل

شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا
 اذ لا نسبة لقتناهي الى مالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتدأى ألف ألف سنة
 صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها الى نعم الابد فكيف ومدة العر قصيرة ولذات الدنيا مكثرة
 غير صافية فأي نسبة لها الى نعم الابد فاذا ابلتقت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ماز هذ فيه
 ولا يلتفت الى ماز هذ فيه الا لانه يراه شيئاً معتدا به ولا يراه شيئاً معتدا به الا لقصور معرفته فسبب
 نقصان الزهدة نقصان المعرفة فهذه تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضاً لها درجات
 اذ تصبر المتردد يختلف ويتفاوت أيضاً باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المحب بزهده
 بقدر انقائه الى زهده * وأما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضاً على ثلاث درجات
 * الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه العجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة
 الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العدم من الأهوال كما وردت به الاخبار اذ ذهب الى ان الرجل
 لو وقف في الحساب حتى لو وردت مائة بغير عطا شاعلى عرقه لصدرت رواء فهذه زهد الخائفين
 وأكثهم رضوا بالعدم أولاً عدم موافاة انخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم * الدرجة الثانية أن يزهد
 رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين
 فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد
 لا آخره * الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى
 الآلام ليقصد انخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والطفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى
 وهو الذي أصبح وهو مومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب
 غير الله فقد صدقه وكل مطلوب معبود وكل طالب عسدي بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشريك
 الخفي * وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يجب الله تعالى خاصة الا من عرفه وكان من عرف
 الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يجب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة
 النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التمتع بالحور العين والنظر الى نفس
 القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يجب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تطن أن أهل الجنة عند
 النظر الى وجه الله تعالى يسي لذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم
 أهل الجنة ككثرة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة
 الاستيلاء على عصفور والعبه والطالبون نعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي
 الطالب للعب بالعبور والتارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لان اللعب بالعصفور
 في نفسه على والأذن الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب
 عنه فقد كثرت فيه الاقاول ولعل المذكور فيه يزبد على مائه قول فلا تشغل بنقل الاقاول ولكن
 نشير الى كلام محط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكره قاصر عن الا حاطة بالكل فقول المرغوب
 عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لاحاد الاقسام وبعضها أجل البجل
 * أما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضاً
 والاجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات
 الطبع من الشهوة والغضب والكبر والياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة أن يزهد
 في المال والجاه وأسبابها اذ الماترجع جميع خطوط النفس وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم
 والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه

وان كثرت أسبابه فیرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصود هاء ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد زك الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم زك في آية أخرى الى خمسة فقال عز وجل اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ثم زك في آية أخرى في موضع آخر الى اثنين فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم زك السكلى الى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه واذ فاهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرع حرمة الاجال أخرى فالخامس أن الزهد عبارة عن الرقبة من حظوظ النفس كلها ومعارض من حظوظ النفس ورضع عن البقاء في الدنيا فقص أمليه لا محالة لانما اغتابر يد البقاء ليتبع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فان من أراد شيئاً أو راد واهمه ولا معنى لحب الحياة الاحب دوام ما هو موجوداً ويمكن في هذه الحياة فاذ رغب عنها لم يرد هاول ذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتببت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل أي لستم تريدون البقاء الانساع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال الشائقين * أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقالوا في سبيل الله كأنهم بنا من سصوص وانظروا احدي الحسينين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمان الى الماء البارد حرصاً على نصرة دين الله أو ينيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه ينحسر على فوت الشهادة حتى ان خالدين الوليد رضي الله تعالى عنه لما احتضر لوت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت البهاز فلما مات عذب على جسده ثمانمائة ثقب من آبار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الايمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين * وأما الشائقون فصرروا من الزحف خوفاً من الموت فقبل لحسن الموت الذي تفرون منه فانه ملائكة فاشارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فإولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فإرحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما رأوا أنهم تركوا ما تمتعوا به من سبعة مثلاً وثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي باعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذ فاهمت هذا علمت أن ما ذكره المتكلمون في حذره لم يشيروا به الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما زاد غالباً على نفسه وأعلى من كان يخاطبه فقال بشر رحمة الله تعالى الزهدي في الدنيا هو الزهدي في الناس وهذا إشارة الى الزهدي في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعى الزهدي في الدنيا هو الزهدي في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهوهذا إشارة الى الزهدي في الشهوة واحدة ولعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهدي في الدنيا هو القناعة وهذا إشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهدهو قصر الامل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يتحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس اذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهدهن وما قصد هذا الزهدهو لكن جعل التوكل شرطاً في الزهدهو قال أويس أيضاً الزهدهو ترك الطلب للضعف وهو إشارة الى الرزق وقال أهل الحديث

الدين هو العمل بالزهد والمقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنن وهذا ان اريد به الرأي
 الفاسد والمقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه
 خاصة او الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد قوطواها
 حتى ينقضي عمر الانسان في الاشتغال بها وحدها بشرط الزهد ان يكون الفضول أول مرغوب
 عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي اذارأي أحد اقل هذا أفضل مني فذهب الى أن الزهد هو
 التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه والجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب
 الحلال وأن هذا من يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ولا شك في أنه أراد به ترك طلب
 الحلال وقد كان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال
 فقد أخذ بأصل الزهد وفي الزهد أقاويل ورأى ما نقلناه فلم يفرق نقلها فائدة فان من طلب كشف
 حقائق الامور من أقاويل الناس وأهمل مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة وأما من انكشف له الحق
 في نفسه وأدرك به مشاهدة من قلبه لا يتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر
 لتصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لا تقتصر حاجته وهو لا يكلمهم اقتصروا
 لا لتصور في البصرة لكتمهم ذكر واما ذكره عند الحاجة فلا جرم ذكره بقدر الحاجة والحاجات
 تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام
 العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المتغيرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا
 واحدا ولا يتصور أن يختلف وانما الجامع من هذه الاقوال الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل
 ما قاله أبو سليمان الداراني اقل سمعنا في الزهد كلما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغل عن
 الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى
 الدنيا جعل جميع ذلك ضدا للزهد وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم فقال هو
 القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا في الدنيا لترغ قلوبهم من همومها والآخرة فهذا
 بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المنزهة فانه بالاضافة الى أحكامه فيقسم الى فرض
 ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال
 والسلامة هو الزهد في الشهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك
 من الزهد اذ قيل لما لبثت أنس ما الزهد قال التقوى وأما بالاضافة الى خفايا ما يتركه فلا نهاية
 للزهد فيه اذ لا نهاية لما تتعبد به النفس في الخطرات والمخاطبات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء
 فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تنتهي
 فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد جراح يومه فقال له الشيطان أما تكنت تركت
 الدنيا قال الذي بدا لك قال وما الذي تجد قال توسدك الجحراي تنعت برفع رأسك عن الارض في النوم
 فرمي بالجحر وقال خذ معك ما تركته لك وروى عن يحيى بن زكرياء عليهما السلام انه لبس السوح حتى
 نصب جلده ترك اللثيم بلين اللباس واستراحة حس المس فسأله أمه أن يلبس مكان المسيح جبة
 من صوف ففعل فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أمرت على الدنيا فبكى وترع الصوف وعاد الى ما كان
 عليه وقال أحد روجه الله زهد زهداً ويس بلغ من العرى أن جلس في قفصه وجلس عيسى
 عليه السلام في نخل حائط انسان فأقاله صاحب الحائط فقال ما أقنيت أنت انما أقامني الذي لم
 يرض لي أن أتم نخل الحائط فاذا درجات الزهد تظاهروا باطلا لا حصر لها وأقل درجاته الزهد في كل
 شبهة ويحظون وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشهوة والمخطور فليس ذلك من درجاته

في شيء ثم رآوا أنه ليس حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب والملبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الأقبال بكل القلب عليه ذكره أو فكره ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء والبقاء لا يضره ربات النفس فهم انقضت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مستغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فالمستغل بخلق الناقص يسقطها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بذلك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تتم ناقتك بالذات بل غرضك مقصود على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصودك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة نفسك عن الجوع والعطش والمهلكات بالأكل والشرب ومن الحر والبرد المهلك باللباس والسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا ينافي الزهد بل هو شرط الزهد وان قلت فلا بد وأن ألتذذ بالأكل عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضر لك اذ لم يكن قصدا للتلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسرار وصوت الطيار ولكن اذ لم يقصد طلب موضع هذه الاستراحة فإصابته من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضع لا يصيبه فيه نسيم الاسرار خيفة من الاستراحة به وأسس القلب معه فيكون فيه أسس بالدنيا نقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له حب مكشوف فيه ماؤه فكان لا يرضه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فذته قريبة والاحتماء مدة يسيرة لتتبع على التأييد لا يشغل على أهل المعرفة القاهرةين لا تفهم بسياسة الشرع العنصرين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

اعلم أن ما للناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم فالفضول كالحيل المسوقة مثلا اذ غالب الناس انما يفتنوا بالترفه ركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالأكل والشرب ولست انقدر على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينصر وانما ينصر اللهم الضروري والمهم أيضا يتطرق إليه الفضول في مقداره وجنسه وأقاربه فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور الطعام والملبس والسكن وأثاثه والمنسك والمال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من جملة ما قد ذكرنا معنى الجاه وسبب حبا الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربح المهلكات وخس الآن تقتصر على بيان هذه المهمات الستة (الأول الطعام) ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طول وعرضه حتى يتم به الزهد فأما طولها فبالإضافة إلى جملة العرفان من يملك طعام يومه فلا يقنع به وأما عرضه في مقدار الطعام وجنسه وقت تناولها فأما طولها فلا يقصر الا بقصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بماتولها لم يتدخل من غذائه لعشائه وهذا هي الدرجة العليا في الدرجة الثانية أن يتدخل كثر أو أربعين يوما * الدرجة الثالثة أن يتدخل لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء

الزهاد ومن أضرأكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل
الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من أيدي الناس كداود
الطائي فإنه ورث عشرين دينارا فامسكها وأتقها في عشرين سنة فهذا ايضا ذاهل الزهد الا عند
من جعل التوكل شرطا للزهد وأما مرضه فبالإضافة الى المقدار وأقل درجته في اليوم والليلة نصف
رطل وأوسطه رطل وأعلاه متدوا واحده هو ما قدره الله تعالى في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء
ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على متدلم يكن له من الزهد
في البطن نصيب وأما بالإضافة الى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الخبز من الخفالة وأوسطه خبز
الشعير والذرة وأعلاه خبز البر غير مختول فاذا مبر من التثاقل وصار حوارى فقد دخل في التسعة وخرج
عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما الادم فأقله الملح والبقل والخل وأوسطه زيت أو سبر
من الادهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين فان صار دائما
أو أكثر من مرتين في الاسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا
وأما بالإضافة الى الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم
ويشرب ليلة ولأيا كل ويا كل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن ينهي الى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعا
وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شره في ربيع المهلكات وليستطرا الى أحوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تأتي عابئا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها ذم كنتم تعيشون قالت بالأسودين القرو والماء وهذا ترك اللحم
والمرقة والادوم وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل
الخصوف ويلقى أصابعه ويأكل على الأرض ويقول انما أنا عبد كل كنانا كل العبيد وأجلس كما
يجلس العبيد وقال المسيح عليه السلام بحق أقول لكم انه من طلب الفردوس فخير الشعير له والنوم
على الزبال مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شمع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة
ثلاثة أيام من خبز البر وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل
البري وخبز الشعير وياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الأشياء والسلف في المطعم
والشرب في ربيع المهلكات فلا نعيده ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن
مشوبة بعسل القدح من يده وقال أما اني لست أكرمه ولكن اتركه نواضع الله تعالى وأتى عمر
رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حياها وقد قال يحيى بن
معاذ ارأى الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا صغره والقبر
مخجعه والخلوة محله والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والمذكر رفيقه والزهد قربه
والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع ادامته والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده
والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسه والعقل دليله والعبادة حرقته والجنة مبلغه ان شاء
الله تعالى (المهم الثاني للبيس) وأقل درجته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يغطي به
وأوسطه قميص قطنسوقه ثعلان وأعلاه أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز زهدا من حيث
المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غفل ثوبه بل يلزمه القعود في
البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث
المقدار أما الجنس فأقله السوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن النظيف وأما من

حيث الوقت فأقصاه ما يسترسنه وأقله ما يبقى يوماً حتى وقع بعضهم ثوبه ورق الشعر وإن كان
 يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما تماسك عليه شهراً وما يقارب به فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج
 إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد ألا كان المطلوب خشوته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن
 وجد زيادة من ذلك فتبني أن يتصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل كان محباً للدنيا ولينظر فيه
 إلى أحوال الأنبياء والصحاب كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى
 عنها كساء ملبداً وأزاراً غليظاً قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله
 عليه وسلم إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يلبس ما ليس وقال عمرو بن الأسود العنسي لا ألبس
 مشهوراً أبداً ولا نام بلبيل على دناء أبداً ولا أركب على مأثور أبداً ولا أملأ جوف من طعام أبداً فقال عمر
 من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من
 عبد لبس ثوب شهراً إلا عرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا واشترى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ثوباً بأربع دراهم وكانت قيمته ثوبيه عشرة وكان أزاره أربعة أدرع ونصفا واشترى سراويل
 بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلقة لانهما ثوبان من جنس
 واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سهوليين من هذه الفلاظ وفي الخبر كان قبض رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كأنه قبض زيات وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً واحداً ثوباً سيرا من
 سندس قيمته ما تئادهم فكان أصحابه يلبسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة
 فحيوا وكان قد أهدها إليه المغوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به إلى
 رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والمسيح وكأنه أنما لبسه أولاً كيدا للتحريم كما
 لبس خاتمان ذهب يوماً ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شأن بريرة اشترطي لأهلها
 الولاء قبل أن يشترطه صعد عليه السلام المنبر فزعه وكما أباح النخعة ثلاثاً ثم أمر النكاح
 وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمصة لها علم فلما سلم قال شغلني التطري في هذه هداياها
 إلى أبي جهم واتوني بأن يجانته يعني كساءه فاختر لبس الكساء على الثوب وكان شركاً لعله
 قد خلق فأبدل يسر جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعبدوا الشراك الخلق واتزعوها هذا الجديد فاني
 نظرت إليه في الصلاة وليس خاتمان ذهب ونظر إليه على المنبر نظرة فرمى به فقال شغلني هذا عنكم
 نظرة إليه ونظرة إليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة ثوبين جديدين فأعجبهم حسنه ما فخر
 ساجداً وقال أعجبي حسنه ما فتواضعت لني خشية أن يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين
 رآه وعن سنان بن سعد قال حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف اتار وجعلت
 حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألذنها قال فقام إليه أعرابي فقال يا رسول الله
 هب إلى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سئل شيئاً لم يقل به قال فدفعها إليه أمر أن يحاذ له
 واحدة أخرى فلبسها صلى الله عليه وسلم وهي في الحاكه وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على فاطمة فرضى الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر إليها بكى
 وقال يا فاطمة تجبرني عن مرارة الدنيا لعم الأبد فأزل عليه لسوف وطيبك ربك فترضى وقال صلى
 الله عليه وسلم إن من خيار أمتي فيما أنساني اللألاء على قومها يصحكون جهراً من سعة رحمة الله تعالى
 يصحكون سرّاً من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان
 ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأقصدتهم عند العرش فهذه كانت سريرة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذ قال من أحبني فليستن بسنتي وقال عليكم

يسئتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالواجد وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحبكم الله وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال ان
أردت الصوفى فاباك وبجالس الاعياء ولا تترعى ثوبا حتى ترقيه رعد على قصص عمر رضي الله
عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من آدم واشترى على بن أبي طالب الكرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم
ولبسه وهو في الخلافة وقطع كيه من الرغيف وقال الحمد لله الذى كسانى هذا من ريشه وقال
الثورى وغيره البس من الثياب ما لا يشرك عند العلماء ولا يحرك عند الجهال وكان يقول ان
الفقر ليمزني وأنا أصلى فأدع مجوز و يمرى واحدا من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فأمته ولا أدمه
يجوز وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان وعليه بدرهم وأربعة دنانق وقال ابن شبرمة خير ثيابى
ما خدمنى وشترها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوفة ولا تلبس
منها ما يشرك فينظر اليك وقال أبو سليمان الداراني الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما ستر العورة
وثوب للنفس وهو ما يطلب لئنه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق
ثوبه رق دنه وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين درهما وكان
الخوارج لا يلبس أكثر من قطعتين قصيص ومتر رتخنه وربما يعطف ذيل قصيصه على رأسه وقال
بعض السلف أول النكس الذي وفي الخبر البرازة من الاعماء وفي الخبر من ترك ثوب جمل وهو يقدر
عليه تواضع الله تعالى وانتفاء لوجهه كان حقاً على الله أن يذخره من عقرى الجنة في تحت الساقوت
وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لا لبياثى لا يلبسوا ملبس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى
فبكروا أعدائى كما هم أعدائى ونظر رافع بن خديج الى شربن مروان على منبر السكوفة وهو يعظ
فقال انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاهه عبد الله بن عامر
ابن ربيعة الى أبي ذر في رتبه فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرب به فغضب
ابن عامر فشكل الى عرفه قال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه هذه البرة وقال على كرم
الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقندى بهم الغنى
ولا يزرى بالفقر فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب الى التواضع وأجدر أن يقندى به
المسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التتم وقال ان الله تعالى عبادا ليسوا بالمتهمين ورؤى فضال بن
عبيد وهو والى مصر أشعث حافيا فقيل له أنت الامير وتفعل هذا فقال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الارفاة وأمرنا أن نخشى أحيانا وقال على لعمر رضي الله عنهما ان أردت أن تلحق
بصاحبك فارقم القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر اخشوشنا
واياكم وزي البهم كسرى وقصر وقال على كرم الله وجهه من تزيارنى قوم فهو منهم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من شر أراقتى الذين غنوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب
وينشدون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم ازره المؤمن الى أنصاف سابقه ولا جناح عليه فيما
بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك في النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من جزأه بطرا وقال
أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من أمتى الامراء وأوحى
وقال الارزاعي لباس الصوفى في السقر سنة وفي الحضرمية ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن
مسلم وعليه حبة صوف فقال له قتيبة مادعا لك في مدرعة الصوف فسكت فقال أكلت ولا تجبني
فقال أكره أن أقول زهدا فزكى نفسي أو قفرا فاشكركوني وقال أبو سليمان لما اتخذ الله إبراهيم
خليلا وأوحى اليه أن وارعوا ربك من الارض وكان لا يتقن كل شيء الا واحد سوى السراويل فانه

كان يتخذ سروايلين فاذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتي عليه حال الاوعورته مستورة وقبل
 لئلا يهان الله ارسى رضى الله عنه ما لك لا تنلبس الجسد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن
 فاذا عتق فيه والله ثياب لا تلبس ابداء بروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه كان له جبة شعر وكساء
 شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلى وقال الحسن لفرقد السعبي تحسب ان لك فضلا على الناس
 بكسائك بلغنى ان أكثر اصحاب النار اصحاب الاكسية ثقافا وقال يحيى بن معين رأيت أبا معاوية
 الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا
 فقال ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فعل يحيى بن معين يحدث بها ويحيى
 * (المهم الثالث المسكن) ولا زهد فيه أيضا ثلاث درجات * أعلاها أن لا يطلب موضعاً خاصاً
 لنفسه فيتميز بها بالمسجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ
 مبنى من صف أو خوص أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة معينة ما يشاء أو اجارة فان كان قدر
 سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرج هذه القدر عن آخر درجات
 الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز
 بالكلفة حد الزهد في المسكن فاختلف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو الطين
 أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيقة واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بأن يكون
 مملوكاً ومستأجراً أو مستعاراً أو زهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراى للضرورة فلا ينبغي أن
 يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آله الذين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاف للذين
 والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعمى والاذى وأقل الدرجات فيه ما هو معروف وما زاد عليه
 فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعى له بعيد من الزهد جداً وقد قيل
 أول شيء يظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعنى بالتدريز
 كصف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والتشييد هو البناء بالجص والآجر وانما كانوا يبنون
 بالسعف والجبر يدق جدها في الخبز يأتى على الناس زمان يوشون ثيابهم كقوشى البرود اليمانية وأمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم عليه كان قد علاها هو "عليه السلام بمسندة معلاة
 فقال لمن هذه قالوا القلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه
 عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم
 يرها فأخبر بأنه هدمها فندعاه بجبر وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع ليشة على
 لبة ولا قصبه على قصبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعد شر أهالك ماله في الماء
 والطين وقال عبد الله بن عمر عن عيسى بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعلم ان قال ما هذا
 قناخص لنا قد وهى فقال أرى الامر أجعل من ذلك واتخذ فوح عليه السلام يتيمان قصب فقيل له
 لو بنيت فقال هذا كثير لم يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن يحيى وهو في بيت من قصب قد
 مال عليه فقيل له لو أصلحتك فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه
 وسلم من بنى فوق ما يكتفه كلف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للبعد بوجع عليه إلا ما نفقة
 في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواناً في الأرض ولا نساداً انه
 الرابسة والتناول في البنين وقال صلى الله عليه وسلم لكل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة
 إلا ما سكن من حرور وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكك اليه ضيق منزله اتسع في السماء
 أى في الجنة ونظر عمر رضى الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بنى بحص وأجر فكبر وقال

ما كنت أظن أن يكون في هذه الامّة من يبنى بنيانها ما نال لفرعون يعني قول فرعون فأوقد لي
ياها مان على الطين يعني به الآجر ويقال ان فرعون هو أول من بنى له بالجص والآجر وأول من عمله
ها مان ثم تبعه الجبارة وهذا هو الخرف ورأى بعض السلف جامعاً في بعض الامصار فقال
أدركت هذا المسجد من بنيان الجريد والسعف ثم رأيت من بنيان رصاص ثم رأيت من بنيان
الطين فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرصاص وكان أصحاب الرصاص خيراً من أصحاب
الطين وكان في السلف من يبنى داره من ارقى مدة عمره لضعف بناءه وقصر أمه وزهده في أحكام
البنيان وكان منهم من اذا حج أو عزّز عيّن به أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت يونس من
الحشيش والجلود وهي عادة العرب الانبياء الذين وكان ارتفاع بناء السقف قامه وبسطة قال
الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي الى السقف وقال عمرو
ابن دينار اداعى العبد البناء فوق مسنة أذرع ناداه ملك الى ابن بائس القاسقين وقذهي «فبان
عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوا فالتظر اليه معين عليه وقال انضبط لي
لا أعجب من بني وترك ولكني أعجب من نظري اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود رضي الله عنه بأني قوم
يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذن يصلون الى قبلكم ويموتون على غير دينكم
*(المهم الرابع اثاث البيت) ولازهد فيه أيضاً درجات أعلاها حال عيسى السج صلوات الله عليه
وسلامه وعلى كل عبد مصطفى إذ كان لا يحسنه الا مشط وكوز فرأى انساناً مشط لحته بأصابعه
فرمى بالمشط ورأى آخر شرب من التمر بكفيه ثم باليكوز وهذا حكم كل اثاث فانه انما يراد المقصود
فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو
الخرف في كل ما يكتفي فيه الخرف ولا يزال بان يكون مكسوراً الطرف اذا كان المقصود يحصل به
وأوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد
كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستعمل استعمال آلة
واحدة في أشياء للتخفيف وأعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس
فان زاد في العدد أو في نفاسة الجنس خرج من جميع أبواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر
الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة
رضي الله عنها كان خياع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من آدم حشوها
ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية وسادة من آدم
حشوها ليف وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
نائم على سرير من بول بشر يطأه فجلس فرأى أن الشرب يطأه في جنبه عليه السلام فدمعت عناهم فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب قال كنت كسري وقصير وما همأه من
الملك وكنت كأنت حبيب الله وصفه ورسوله نائم على سرير من بول البشر يطأه فقال صلى الله عليه
وسلم أما ترضى يا عمر ان تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل
رجل على أبي ذر فجعل قلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الاناث
فقال ان لنا بيتاً نوجه اليه صاحب متاعنا فقال انه لا يتك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب
المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمر بن سعيد أمير حصن على عمر رضي الله عنهما قال له ما معك من الدنيا
فقال معي عصا أو كأم أو أقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرائي أحمل فيه طعامي ومعى قصعتي
أكل فيها وأتسل فيها رأسى وثوبي ومعى مطهرتي أحمل فيها شراي وطهورتي للصلاة فلما كان بعد

هذان الدنيا فهو توسع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فقرأ على باب منزلها سترا وفي يدها قلبين من فضة فوجع فدخل عليها أبو رافع وهي تنجي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبو رافع فقال من أجل السترو السوارين فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فاضهما حيث ترى فقال اذهب فعه وادفعه إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف واتصدق بهما عليهم فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فقال باني أنت قد أحسنت ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترا فنهكه وقال كبراً ربه ذكرت الدنيا أرسلني به إلى آل فلان وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها العبدى العباءة الخلقعة ونحى هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة وكذاك أنته ذانير خمسة وأسته ليلا فيبيتها فسر ليلته حتى أخرجهما من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيظه ثم قال ما ظن محمد بن بهلول في الله وهذه عنده وقال الحسن أدر كنت سبعين من الأخبار ما لأحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم يده بين الأرض وثوباً طاق كان اذا أراد النوم يمشي الأرض يجسمه وجعل ثوبه فوقه (المهم الخيامس المتكح) وقد قال قائلون لا معنى للزهد في أصل التكاح ولا في كثرة واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حجب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف زهدنهن وواقع على هذا القول ابن عينة وقال كان أزهد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة يضع عشرة سارية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله ان قال كل ما شغلك من الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم والمرأة قد تكون شاعلاً عن الله وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فكيف ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن علمه آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احتراز عن ميل القلب اليهن والانسان من حيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد فان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازاً من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلاً فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمته محمد صلى الله عليه وسلم من القربات والالفة التي تلقى الانسان فيها هو من ضرورة الوجود لا ضره اذ لم تكن هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازاً من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك قنوت بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهداً في لذته من غير خوف آفة أخرى وهذا ما عناه سهل النحاة ولا حله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ ثبت هذا في حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بالصلاح والافتقار عليهن فلا معنى لزهده فبهن حذر من مجرد لذة الوقاع والنظر ولصكن أن يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النساء فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله وان لا يشغله وكان يتحاشى من أن تشغله الكثرة فمنهن أوجمال المرأة فليترك واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان الزهد في النساء أن يختار المرأة اللدونة أو البتجة على المرأة الجميلة والشريفة وقال الجنيدي رحمه الله أحب المرء المتدي أن لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتفرج وقال أحب للصوفي أن لا يكسب ولا يقرأ الا ما يجمع له من طاهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فاشغل عن الله فهو محذور وفيه ما جيعا (المهم السادس) ما يكون وسيلة إلى هذه الجمسة وهو

المال والجاه) أما الجاه فعناه ملك القلوب يطلب عمل فيه المتوصل به الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جمع حاجاته واقتترالى من بخدمة اقتترالى جاه لا يحالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له أول قرب ولكن يتناهى به الى هاوية لاحق لها ومن حام حول الحى يوشك أن يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما الجلب نفع أو لدفع ضرر أو خلاص من ظلم فاما الترفع فيغنى عنه المال فان من يخدم بأجرة يخدم وان لم يكن عنده المستأجر قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة وأمدفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا يحمل له في قلوبهم أو يحمل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضب لاسيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب وانما الخاض في طلب الجاه سالك طريق الحلال بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهده من المحل في القلوب ما يدفع عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين فاما الترهات والتقدير التي تخرج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة اذ من طلب الجاه أيضا لم يخل من أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أو من علاجه طلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوة أخذ من ضراوة الخمر فيعجز من قليله وكثيره وأما المال فهو ضروري في العيشة أعنى القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سقظه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيها أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضيق الزهاد وأقربائهم جميعا وان كانت له ضيقة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكتفي ريفه لسنة واحدة فلا يخرج هذا القدر عن الزهد بشرط أن تصدق بكل ما فضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضيق الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه أويس القرني رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد يعني به أن وما عدل الزاهدين في الدار الآخرة من القمامات المجمودة لا يناله والافاسم الزهد قد لا يغارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعصل وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا والآخر كهم وفعل بنفسه ماشاء معناه أن التصديق المشروط على الزاهد ينحصر ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي أن يجهم أيضا فيما يخرج من حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقيلين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة قسم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما مدرجات متشابهة فاقرب من الزيادة وان لم يكن سميا قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء ناعا لكنه قليل الضرر والسم محظور شر به والدواء فرض تناوله وما بينهما مشبه أمره في احتياط فانما يحتاج لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريه الى ما لا يريه ورده نفسه الى مضيق الضرورة والخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية للاحالة والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب الى المتباين ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى أن ابراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فأوحى الله تعالى اليه لو سألت خليلك لعطاك فقال

بارب عرفت ممثلك للدنيا تخفت أن أسألك منها شيئاً فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يصرفه من تجارب أحوال الأشياء ومناعلهم من الخفة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال النذل فيه وغيابة شعاعه به أن يسلم لورثته فياً كونه وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معيظهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومبضع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حياً ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فأغماجكم على قلبه يسلاسل بقيدته بما يشبهه حتى تنظاها عليه السلاسل فيقده المال والجاه والأهل والولد وشمانية الأعداء وحرارة الأضداد وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصداً الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولورثته محبوباً من محابه باختياره كاد أن يكون فانتل لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعه دفعة واحدة تسقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فانتته وخلعها فهي تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه فتجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالنيشار ويصل أحد جانبيه عن الآخر بالنجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالنيشار انما يترك المؤلم يبدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أمره فانتل بك ما لم يتكهن أولاً من صميم القلب بخصوصه لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقيه قبل ما يراه من حسرة فوت التزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين فسأل الزورع إلى الدنيا ما يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تنسلط عليه نار جهنم إذا النار غير مسلطة الأعلى محبوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ مبجسون ثم انهم لصا لوالجيم فترى العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير صلاة النار فكيف إذا أضعفت العلوة إليه ففسأل الله تعالى أن أن يفرق أسما عن ما نفت في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحجب من أحببت فانك مفارقة وفي معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر

كدود كدود القز ينسج دائماً * ويهلك عما وسط ما هو ناسجه

وإذا انكشف لا ويا الله تعالى أن العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هو نفسه أهلاً كدود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين يدرباً كانوا فيما حل الله لهم أزهدهم منكم فيما حرم الله عليهم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالخصب والرخاء أولئك هم قاتم مجانبين ولوراء اختياركم قالوا ما هؤلا من خلأق ولوراء وإشراككم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان أحد هم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا يحال تخاف من فساد الدين إمانت حب الدنيا فلو بهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأننوا بها والذين هم عن آياتنا فاقولون وقال عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتسع هواه وكان أمره فرطاً وقال تعالى فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام اجلسني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال لعيسى عليه السلام بهي بدخل الغني الجنة أو قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر عارة إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالشرق وملكان بالغرب يقول أحدهم بالشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ويقول الآخر اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً ويقول اللذان

بالمغرب أحدهما الدوا الموت وإنشوا الخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا بطول الحساب

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد ينظر أن تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واطهاره خشونة سهيل على من أحب المدح بالزهد فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولا زمواد برا لا بابله وانما سريرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له ذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم اذعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يمزون بذلك على الناس لهدى الهم مثل لباسهم لئلا ينظر الهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ويخشون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السفة وأن الاشياء اخلة الهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة ضرهم هذا اذا طولوا بالحقائق والجأوا الى المضائق وكل هؤلاء كلة الدنيا بالدين يعني ان تصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فقلبتهم فاذهوا حالهم فهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص رحمه الله فاذا معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات

(العلامة الاولى) أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لا تسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي أن يكون بالزهد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده

(العلامة الثانية) أن يستوى عند زاده مواد حقه فالاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه

(العلامة الثالثة) أن يكون أنه بالله تعالى والغالب على قلبه حلوة الطاعة اذ لا يتخلو القلب عن حلوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالباء والهواء في القدر فالهواء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا أقضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فأما الانس بالدنيا والله فلا يجتمعان وقد قال أهل المعرفة اذا تعلق الایمان بنظار القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذ ابطن الایمان في سويداء القلب وباشراً بغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولم يذو ردي دعاء آدم عليه السلام اللهم اني أسألك ايمانا يشر قلبي وقال أبو سليمان من شغل نفسه شغل من الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل من نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد أن يكون في أحد هذين المقامين ومقامه الاول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده المدح والذم والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا قال ابن أبي الحواري قلت لابي سليمان اكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني انه وورث عن أبيه عشر من ديناراً فانفقها في عشر سنة فكيف كان زاهدا وهو يحسب الدنيا نير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد قد مر ما تركه وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله المسيح عليه السلام فنبأ الله تعالى أن يرزقنا من مبادئ نصيبا وان قل فان أمثالا لا يتجربى على الطمع في غايته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاطى شئ فلا بد في أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علمنا الزهد استواء الفقير

والفتي والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الانس بالله ويغترع عن هذه العلامات علامات آخر
 لا بما لله مثل أن يترك الدنيا ولا يبالى من أخذها وقبل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبني
 رباطاً أو أمر مسجداً وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السقاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته
 وجود الراحق والخروج من الملك وقال أيضاً الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال
 أوسليمان الصوفي علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة
 خمسة دراهم وقال أحمد بن حنبل وسبقنا رحمه الله علامة الزهد قصر الأمل وقال سري لا يطيع
 عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه ولا يطيع عيش العارف إذا اشتغل بنفسه وقال النصر آبادي
 الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث عمل بلا
 علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال أيضاً الزاهد لله يسعك الخيل والفرس والعزول والعارف
 يشمك السمك والغبر وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد أو قعد مع الزاهدين
 فقال إذا صرت من رياضتك لنفسك في السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف
 في نفسك فأما ما تبلغ هذه الدرجة فلو سلك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تنقص
 وقال أيضاً الدنيا كالعروس ومن يطعمها ما شطتها والزاهد فيها يسخمي وجهها وينفض شعرها
 ويحرق ثوبها والعارف يشتغل بالله تعالى لا يلتفت إليها وقال السري ما رست كل شيء من أمر
 الزهد نلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطلقه وقال الفضيل رحمه الله جعل الله
 الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا
 فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه
 إن شاء الله تعالى

❦ كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من أربع النخبات من كتب أحياء علوم الدين ❦

❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

الحمد لله مدبر الملك والملكوت المتفرد بالعبادة والجبروت الرفع للسماء بغير محاد المقدرة في الرزاق
 العباد الذي صرف أعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب
 الأسباب ورفع همهم عن الالتفات إلى ما عداه والاعتماد على مدبره سواء فلم يعدوا إلا به
 علماً بأنه الواحد الفرد الصمد الإله ويتحقق بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يستغنى
 عندهم الرزق وأنه ما من ذرة إلا إلى الله خلقها وما من دابة إلا على الله رزقها فلما تحققوا أنه رزق
 عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد وآله
 الأباطيل الهدى إلى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً (أما بعد) فات التوكل منزل
 من منازل الدين ومقام من مقامات المؤمنين بل هو من معالي درجات المقرين وهو في نفسه
 غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة
 الأسباب والاعتماد عليها تنزل في التوحيد والتناقل عنها بالكليّة طعن في السنة وقدح في الشرع
 والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباباً تصير في وجه العقل وانفاس في غمرة الجهل وتحقق
 معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والتقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى
 على كشف هذا الظلام مع شدة الخفاء الأسماحة العلماء الذين اكملوا من فضل الله تعالى بأنوار
 الحقائق فابصر واتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا وشي الآن
 ننسأد بفضيلة التوكل على سبيل المقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشرط الأول من الكتاب

وتدكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني

﴿بيان فضيلة التوكل﴾

(أما من الآيات) فقد قال تعالى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وقال عز وجل وعلى الله فلتوكل التوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه وتعالى إنا الله يجب التوكلين وأعظم ب مقام موسوم بحجة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعاه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يعذب ولا يعدل ولا يجب وقال تعالى أليس الله بكف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية فإنه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال عز وجل ومن يتوكل على الله فإن الله عز وجل يحكم أي عزير لا يذل من استخاره ولا يضيع من لا ينجيه والتبأ إلى ذمامه وحماه وحكمه لا يقصر عن تدبيره من توكل على تدبيره وقال تعالى إنا الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم بين أن كل ماسوى الله تعالى عبده مضجر حاجته مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال تعالى إنا الذين نعبدون من دون الله لعلكم تكونوا فابتغوا عند الله الرزق واجتهدوا وقال عز وجل والله خزائن السموات والأرض وليكن المنافقين لا يفقهون وقال عز وجل يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأعيان والتوكل على الواحد القهار ﴿وأما الأخبار﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل فاجتمعني أكثرهم وهياتهم قبيل لي أرضيت قلت نعم قبل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قبل من هم بأرسل الله قال الذين لا يكتفون ولا يتطهرون ولا يستقون وهي ربه يتوكلون فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبق بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لزرقكم كإبريق الطير فقد وجابها وزوج بطاناً وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا لو كلفه الله البها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله وأتق منه بما في يديه ويرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استترى ولا كبتوى وروى أنه قال جبريل لأبراهيم عليه السلام وقد رمى إلى النار بالمنضيق أنك حاجة قال أما إليك فلا فقام بقوله حسبى الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرى فأنزل الله تعالى وإبراهيم الذي وفى وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعصم في دون خلق فيشكده السموات والأرض إلا جعلت له فخرا ﴿وأما الآثار﴾ فقد قال سعيد بن جبيرة لعننى عقرب فأقسمت على أني لأسترقن فناولت الرابي دى التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت إلى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشك المصنوع لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود الصلة الرزق من غير طلب لأنه على أن الرزق مأثور يطلب العبد وقال إبراهيم

ابن آدم هم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني وقال هرم بن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام قال هرم كيف الميعة قال أويس أف هذه القلوب قد خالطها الشك فانتفعها بالموعظة وقال بعضهم متى رضى ربك بالله وكذا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الادب

بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل

اعلم أن التوكل من أبواب الايمان وجميع أبواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فليبدأ ببيان العلم الذى هو الأصل وهو المسمى ايمانا فى أصل اللسان اذا الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوى بسبب يقين ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها الى ما نبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذى يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والاعمال بالقدرة التى يترجم عنها قولك له الملك والاعمال بالوجود الحكمة الذى يدل عليه قولك وله الحمد فنسأل الله تعالى وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ثم له الايمان الذى هو أصل التوكل أعنى أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتعلم المعاملة الا بها فاذا انتعزض الاقتدار الذى يتعلق بالمعاملة والاقتدار هو الجبر الخضم الذى لا ساحل له فنقول للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى قلب والى قشر والى قشر القشر ونمثل ذلك تقريبا الى الأقسام الضعيفة بالجور في قشره العليا فان له قشرين وله لب ولب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هي أن يقول الانسان لسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه ومتكبر له كتوحيد المنافقين والثانية أن يستحق بمعنى اللفظ قلبه كاصديق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى فى الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء فى التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وادام يرتفعه لكونه مستغفرا بالتوحيد كان يناع نفسه فى توحيد معنى انه قفى عن رؤية نفسه والخلق فالأول موجد يجرّد اللسان ويصم ذلك صاحبه فى الدنيا عن السيف واللسان والثاني موجد بمعنى انه معقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه اشراج وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب فى الآخرة ان توفى عليه ولم تضعف بالمعاصي عقده ولهذا العقدة يحيل تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل بقصدها دفع حيلة التحليل والتضعيف بقصدها أيضا أحكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو فى مقابلة البتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الواحد من حيث انه يحى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تخلف عقده والثالث موجد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه الا انه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلم من اذ لم يفارق المتكلم العامى فى الاعتقاد بل فى صفة تليق بالكلام الذى به يدفع حيل البتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موجد بمعنى انه لم يحضر فى شهود غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية

التصوي في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كالباب والرابع كالدهن المستخرج من الباب وكما ان القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو مضر الذائق وان نظرت الى باطنه فهو كرهية المتطرون واتخذ حطباً طافاً النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز لاصون ثم يرمي به عنه فكذلك التوحيد يجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مدموم الظاهر والباطل لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المناق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون الباب وتحرسه عن الفساد عند الاذخار واذ افصلت امكن ان ينفع منها حطبها كمنها نازلة القدر بالاضافة الى الباب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاركة التي تحصل بانتمراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فين يرده الى ربك الهدي به شرح صدره للاسلام وبقوله عز وجل ان من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان القلب يغيب في نفسه بالاضافة الى القشر وكله المقصود وبمكنه لا يتخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصود حال للساكنين لكنه لا يتخلو عن شوب ملاحظة الغر والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد الماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم الكشافات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون انشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم العاملة نعم كراما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار و يكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفات الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد ان تقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واجد وكمن شخص يشاهد انسانا ولا يتخبر به كثره امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستثمار به مستغرق بواحد ليس فيه تقريظ وكأنه في عين الجمع والمثلثات الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل مافي الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخرى سواء كبر وبضها أشد كثره من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحد ويستبين بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم يلفه وتوهم به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا تظهر فيها الا الواحد الحق تارة وتارة قطراً كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدرام نادر عزيز والى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذأنت فقال ادور في الاسفار لا تصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد أنقبت محرك في عمران باطنك فاني الفناء في التوحيد فكان ان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين

في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا يتطهرا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتداء التوكل
عليه فأقول أما الرابع فلا يجوزنا لخوض في بيانه وليس التوكل أيضا منبأ عليه بل يحصل حال التوكل
بالتوحيد الثالث وأما الأول وهو الاتفاق فواضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم
المسلمين وطريقنا أكيد به بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب
الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل لا بمجرد التوحيد
بلا اعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله
أشغال هذا الكتاب وحاصله أن يكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق
وعظام ومنع وحياة وموت ونشئ ونفرا في غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمتفرد بابتدائه واختراعه هو
الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنتظر إلى غيره بل كان منه خوفك واليه رجائك
وبه تفكك وعلمه أنك لا فاعل على الأفراد دون غيره وبأسواه مسفرون لا استقلال لهم
بغير ذلك فترى من ملكوت السموات والارض وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة انفتح لك هذا التصاها
آتم من المشاهدة بالبرهان وبما يصمدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينتهي به أن يطرق
إلى قلبك شائبة الشرك بسببين أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات إلى
الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتقادك على المطرف خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في
زول المطر وعلى البرق في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في
التوحيد وحيل يتخاطب الأمور ولذلك قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما
نجاهم إلى البر إذا هم يشركون قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لم ننجوا ومن انكشف له
أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه كحركة ذلك
محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا يحرك له ولا هو محرك في نفسه عز وجل فالتفات
العبد في الخفاة إلى الريح يضاهي التفات من أخذ لغير رقبته فكسب الملك توقعا بالدفوعه وتخليته
فأخذ يشغل بذكر الجبر والكعدو القلم الذي به كتب التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فبري
نجاهه من القلم لأن محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر
في يد الكاتب لم يفتت اليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدسه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب
من أن يخطر بباله القلم والجبر والدواة والشمس والقمر والنبوءم والمطر والغيم والارض وكل حيوان
وجراد مسخرات في قبضة القدرة كنسخة القلم في يد الكاتب بل هذا غشيل في حقل اعتقادك أن
الملك الموقر هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما رميت إذ
رميت ولكن الله رمي فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا
الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيسر عن خزع توحيدك بهذا الشرك فأتاك في المهلكة الثانية
وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول كيف ترى السك من الله وهذا
الإنسان يعطيك رزقه باختياره فان شاء أطاعك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يميز
رقتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء رقتك وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه
وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أضامن أن كنت لا ترى القلم لانه مسخر
فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زال أقدام الأكرين الأعباد الله المخلصين
الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما
شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت

تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها إلى البدو الاصابع فضلا عن صاحب
 اليد فغلطت وظنت أن القلم هو المسود للبايض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لتضييق
 حدقتها فكذلك لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للإسلام فقصرت بصيرته عن ملاحظة جبار
 السموات والارض ومشاهدة كونه قاهر ارواء السكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل
 محض بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والارض
 بقدرته التي بها نطق كل شئ حتى سمعوا تديبها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان
 ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر
 الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شربك فيه ولا قدرنا يشارك فيه الهائم وإنما أريد به سماع يدرك
 به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عرني ولا عجمي فان قلت فهذه العجوبة لا يقبلها العقل فصف
 لي كيفية نطقها وانما كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سمعت وقدرت وكيف شهدت على
 نفسها بالعجز فاعلم أن لكل ذرة في السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما
 لا ينصير ولا يتباهى فانها كلمات تستعمل من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له قل لو كان العرمدان
 لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انما تتناجى بأسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤلؤ من صدر
 الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد توجب تخفياها فنادى بسرّه على ملا
 من الخلق ولوجاز إنشاء كل سر لنا قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
 كثيرا بل كان يدرك ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء السر القدر ولما قال اذا ذكر
 النجوم فأمسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكر المحابي فأمسكوا ولما خص حذيفة رضي الله
 عنه ببعض الاسرار فاذا عن حكايات مناجاة ذوات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات
 مانعان أحدهما السخافة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحضر والتم اليه ولكيفي المثال
 الذي كافيه وهي حركة القلم تحكي من مناجاتها قد رايسر ايفهم به على الاجمال كيفية انبثاء التوكل
 عليه ونزول كلماتها إلى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا أو أصواتا ولكن هي ضرورة التفهم
 فتقول قال بعض الناطقين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخير ما بال وجهك
 كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد
 ما أصفقتني في هذه المقالة فاني مأسودت وجهي بنفسى ولكن سئل الخبر فانه كان مجموعا في الحبرة
 التي هي مستقره ووطنه فساقر من الوطن وزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فنسأل
 الخبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في الحبرة وادعاسا كناعا زما على أن لا أبرح منها فاعتدى
 على القلم بطمه الفاسد واخطفتني من وطني وأجلاني عن بلادى وفوق جمعي وبذني كمانزى على
 ساحة بيضاء فالسؤل عليه الاعلى فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج
 الخبر من أوطانه فقال سل البدو الاصابع فاني كنت قصبا تابعا على شط انهارا متمترزا بين خضرة
 الاشجار بغياه نبي اليد يسكن فقصت عني قصري ومنرت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بيني
 أنا وبينهم ثم غرتني وشقت رأسي ثم خستني في سواد الخبر ومرارتني وهي تستخدمني وتغشيني على فقر أسي
 ولقد نثرت الخلع على جرحي يسؤاك وعتابك فتبع عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل البدع
 ظلمها ومدوناتها على القلم واستخدمها لها فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما ظلم
 أو جسيما يتحرك بنفسه وانما أنا مركب مسخر ركبتني فارس يقال له القدر ذو العزة وهي التي ترذني
 وتجرولي في فواحي الارض أما زلت المدر والجر والشجر لا يتعدى شئ منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم

يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أمتري أيدي الموتى تساوي في صورة العلم والعظم والمدم
ثم لا معاملة بينهما وبين القلم فانا أيضا من حيث اننا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني
مركب أعرجي من ركبي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنها في استعمالها البدو كثرة استعمالها
وتزيدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لا ثم معلوم وكمن معلوم لا ذنب له وكيف خفي عليك
أمرى وكيف ظننت اني ظلمت الدمار كبتها وقد كنت لها راية قبل التعريك وما كنت أحركها
ولا أستمخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الطائون اني ميتة او معدومة لأنني ما كنت أتحرك
ولا أتحرك حتى جاءني موكل أرعجني وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي
قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهو جوده وصياله اذ أرعجني من غيرة
النوم وأرهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلا في ورأي فقال صدقت ثم سألت الارادة ما الذي
جرا لك في هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التعريك وأرهقها اليه اراها قائم بتجديده
مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تهل على فعل لساعدا وأنت تلوم فاني ما انتفعت بنفسي
ولكن أهضمت وما انتفعت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه
ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فأشخصها
باضطرار فاني مسكنة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقعت عليه وحضرت له
وأزمت طاعته لكي أدري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل
والظالم وقد وقعت عليه وقفا وأزمت طاعته الزاما بل لا ينقي لي معه مهادن حكمة طاعة على
المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتعير في حكمة فانا ساكنة لكن مع استنعار وانتظار
لحكمة فاذا التجزم حكمة أرعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمة
فسل العلم من شأني ودع مني متابع فاني كما قال القائل

متى رحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تخار فهم قال احلونهم

فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالباهم ومعاتبا يا هم على استنهاء الارادة
وتضييرها لاشخاص القدرة فقال العقل أما أنا فسرارج ما اشتعلت بنفسي ولكن أشعلت وقال
القلب أما أنا فلوح ما أبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فنقش نقشت في بياض لوح
القلب بل أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبل خالبا عني فسل القلم عني
لان الخط لا يكون الا بالقلم فعد ذلك تتعجب السائل ولم يقنع جواب وقال قد طال تعبي في هذا
الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يجلي من طمعت في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني كنت
أطيب نسا بكرة التردا لما كنت أسمع كلاما مقبولا في القواد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما
قواك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست أفهمه فاني لا أعلم قبل الامن القصير ولا الوحا امن
الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار وانني لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح
والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا أسمع جمعة ولا أرى طمعا فقال له العلم ان صدقت
فما قلت بضاعتك من جارة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان الهالك في الطريق التي توجهت
اليها كثيرة فالصواب لك أن تصرف ما أنت فيه فهاهنا عيشك فادرج عنه فكل ميسر لما
خلق له وان كنت راغب في استنظام الطريق الى المقصد فاني سمعك وأنت شهيد واعلم ان العوالم
في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة وأولها ولقد كان الكاغذ والخبر والقلم واليد من هذا العالم
وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم المصكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت

الى منازلها فيها الملهام والقبح والجبال الشاهقة والبحار المفرقة ولا أدري كيف تسلم فيها الثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت شبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلهي في حذاضطراب الماء ولا هي في حذاضطراب الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يعوق على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير متنقح فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلقت السفينة ولم يبق بينك الا الماء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو اريد قبضنا المشي على الهواء لما قبض له انه كان يمشي على الماء فقال السالان السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطيع قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه تحري فان ظهر لك القلم الذي به يكتب في لوح القلب فنبشه أن تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أماترى أن النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فقت بصري وحدفته فوالله ما رى قصبالا خشبالا أعلم قبل الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذا لا تشبه به الايدي ولا قله الا قلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الحسية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته يحسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا به لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قله من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وعرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فإراك الاغثنابين خولة التنزيه وأقوثة التشبيه منيذبا بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف ترهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها وزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات وأخذت تتوقف في بده وقله ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر تكن مشبا مطلقا كما يقال كن يهوديا صر فوالا فلا تلعب بالنوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالباطن لا بالابصار تكن متزاهرا صر فامقتسا خلا واظوا الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستغسرت قلبك بالمواحي فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تتادى بما نودي به موسى اني أنا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه تخفت بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه ناراً من حدة غضبه على نفسه لما رأى باعين النقص ولقد كان زيت الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم يمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بجذته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور فقال له العلم اعظم الآن هذه الفرصة فافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فأنكشف له القلم الالهى فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأسا ولأرأس له قفص منه الحب وقال نعم

الرفيق العلم بخبر الله تعالى عنى خيرا اذا لا نظهر لى صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما
لا كالا قلام فمعه نذو ذم العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومر اذنى لك وأنا عاجز على أن
أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في
القلب من العلوم مانعت به الارادات الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال اوقد
نسبت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سأله فأحالك على السد قال لم
أنس ذلك قال بجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أ ما سمعت أن الله تعالى خلق
آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذى يردنى وأنا
معه ورمسيفر فلا فرق بين القلم الالمى وقلم الآدمى في معنى التسخير وإنما الفرق في ظاهر الصورة فقال
فر بين الملك فقال القلم أ ما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام
أيضا في قبضة يمينه هو الذى يردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من
عجايبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شئ من ذلك ولا شرحه بل لا تحصى بحللات كثيرة
عشر عشر وصفه والجلبة فيه يمين لا كاليمين ولا كاليدى واصبع لا كالاصابع فرأى القلم
محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحرى به القلم فقال جواي مثل ما سمعته
من اليمين التى رأيتها في عالم الشهادة وهى الحوالة الى القدرة اذ اليد لا تحكم لها في نفسها وإنما محركها
القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة ورأى فيه من العجايب ما استعجز عنه ما قبله وسألهما
عن تحريك اليمين فقالت انما أنا صفة فأسأل القادر اذ الحمد على الموصوفات لا على الصفات
وعند هذا كاد أن يزعج ويطلق بالجراحة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودى من وراء حجاب
سرا دقات الحضرة لا يستل عما فعل وهم يستلون فغشيت به هيئة الحضرة فخرصها فباضطرب في
غشيتها فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار
الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أهونك لا ابغولك من عقابك وبرهانك من سطوتك
وما الى ان أسألك وأنصرع اليك وأبتل بين يديك فأقول اشرح لى صدرى لا عرفك واحلل
عقد من لسانى لائى عليك فنودى من وراء الحجاب اياك أن تطمع في الثناء ويزيد على سيد الانبياء
بل ارجع اليه فما أنا لك فخذ وما أنا لك عنه فانه عنه وما قاله لك فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على
أن قال سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما ألتبت على نفسك فقال الهى ان لم يكن لسان جراءة على
الثناء عليك فهل القلب مطمع في معرفتك فنودى اياك أن تخطى رقاب المصدقين فارجع الى
الصديق الاكبر فاقده فان أصحاب سيد الانبياء كالصوم بآيهم اقتديتم امة تدينهم أما سمعته يقول
الجزع من ذلك الادراك ادرالك فيكفيك نصيبا من حضرة ثناء أن تعرف أنك محروم عن حضرة ثناء عاجز
عن ملاحظة جمالتنا وجلالتنا فمعه هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعابته وقال ليمين
والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذرى فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول
في هذه البلاد وكل داخل دهشة فما كان انكارى عليكم الا عن قصور وجهى والان قد صعد عندى
عذركم وانكشف لى أن المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما أنتم
الاسمى من تحت قهوه و قدرته مردون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلا ذكر
ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والاخر وهو اوصافان
متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو
الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحد بعد واحد وهو الاخر بالاضافة

الى سائر السائرين اليه فانهم لا يزالون مترفين من منزل الى منزل الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة
فيكون ذلك آخر السرفه وهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العالم كفى في عالم
الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس نظاير بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل
في قلبه بالمصرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد
في الفعل اعني من انكشف له أن الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى أنه ينبغي على
الامان بعالم الملكوت فن لم يفهم ذلك او يجده فاطره فاقول اما المجاهد فلا علاج له الآن يقال
له انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس
الخمس فاكثروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس فلا زمو احضض عالم الشهادة
بالحواس الخمس فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا
سواه فقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم
قالوا ما نراه لا نشق به فلعننا راي المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات
فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فتركها بما قلائل وما كل مرض يقوى على علاجه
الاطباء هذا حكم المجاهد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم طريق السالكين معه أن يتطروا الى
عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدوها صحبته في الاصل وقد نزل فيها ما اسود قبل الازالة
والشفقة اشتغلوا بشفقة اشتغال السكالك بالابصار الطاهرة فاذا استوى بصره ارشد الى الطريق
ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه فان كان ضيقا قبل للعلاج فلم يمكنه ان
يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة
التوحيد كلوه بحرف وصوت ورتو اذروا التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضا
توحيد اذ يعلم كل أحد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حدة حقه الله العالم
واحد والمدر واحد اذ لو كان فهما الالهة لا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق مارة في عالم الشهادة
فينفر عن اعتقاد التوحيد في قلبه هذه الطريق الثلاث بقدر عقله وقد كلف الله الانبياء ان يكلموا
الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حدة عاداتهم في المجاورة فان قلت فمثل
هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون محادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا
قوى عمل جعل الكشف في اثاره الاحوال الا انه في الغالب بضعف وتسارع اليه الاضطراب
والترسل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه واولي أن يتعلم هو الكلام ليحرس به
العقيدة التي تلقاها من استاذه او من ابيه او من أهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه
فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي
يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه انسان وان كان يزداد وضوحا
في تفصيل خلقه وما مشال المكشفين والمعتقدين الا كسيرة فرعون مع اصحاب السامري فان
سيرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأمل السحر لطول مشاهدتهم وسحر بهم رأوا من موسى
عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكتروا بقول فرعون لا قطع
أيديكم وارجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت
قاض انما تنقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير واما اصحاب السامري لما
كان ايمانهم عن النظر الى ظواهر الثعبان فلما نظروا الى عمل السامري وسموا اخوانه تغييرا
وسموا قوله هذا الحكم والهم موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يعمل لهم ضررا ولا ينفذ كل من

آمن بالنظر الى ثبوت كبر لا محالة اذا نظر الى بطلان كل ما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كبر وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا فان قلت ماذا كرت من التوحيد ظاهرهما ثبت أن الوسايط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد ان يشاء ولا يشاء ان لم يراد ان يشاء لكان هذا امر لا القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذا لو كانت اليه لا تقترن الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة اليه فهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة مبركة ضرورة عند انخراط المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس العبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جرح محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبور يختار فأقول لو انك كشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا جريلا يليق بما ذكره من متغلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به العلم العام بل وكنت أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والخبرة ويمزق الماء اذا وقف عليه يصحبه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحد ولكنها تختلف وراه ذلك في أمور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات فتسمي خرقه لما عند وقوعه على وجهه فبالطبعيا وتسمي تنفسه فعلا اراديا وتسمي كآبته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء وتخطى من السطح فهو الخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد الخطى ضروريا والتنفس في معناه فان نسبته حركة الخبرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فاما كان الثقل موجودا وجد الخرق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بآلة تطبيق الاجفان اضطرابا ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تقيض الاجفان اضطرابا فعمل ارادى ولكنه اذا تمثل صورة الالة في مشاهدته بالادراك حدث الارادة بالتقيض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد الحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا وأما الثالث وهو الاختبار فهو مظنة التلباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا أن الامر اليه وهذا الجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه أن الارادة تبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه موافقك من غير تحرير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن قصد عينك مثلا بآلة ويدك بسيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعت الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتصل حركة الاجفان بالدفع وحركة السيف بالسيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يميز ان الخير في الفعل أو الترك فاذ حصل بالفكر والرؤية العلم بأن أحدهما خير لثقتك ذلك بالذي تقطع به من غير روية وفكر فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعت لدفع

السيف والبنان فإذا انبعثت لفعل مظهر للعقل أنه خير سميت هذه الإرادة اختيارا مستقاما
الخير أي هو انبعاث إلى مظاهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينقطع في انبعاثه إلى ما انتظرت
تلك الإرادة وهو ظهور خبرة الفعل في حقه الآن ان خبرته في دفع السيف ظهرت من غير روية بل
على المدهة وهذا انفتق إلى الروية فالأخبار صارة عن إرادة خاصة وهي التي انبثت بإشارة العقل فيما
له في أدرا كته توقف عن هذا قيل ان العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير والخبير وشر الشرير ولا يتصور
أن تنبث الإرادة بالبحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يجز ربة
نفسه مثلا لم يمكنه لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداهية الشخصية
للقدره وانما فقدت الإرادة لانها تنبث بحكم الفعل والحس يكون الفعل موافقا وقته نفسه ليس
موافقا له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تنطق فان العقل هنا
يتوقف في الحكم ويرد لأنه ترد بين شر الشرير فان ترجله بعد الروية أن ترك القتل أقل شر الم يمكنه
قتل نفسه وان حكم بأن القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبثت الإرادة
والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمى بنفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا
ولا يبالى ولا يمكنه أن لا يرمى نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف فان انتهى إلى طرف السطح حكم العقل
بأن الضرب أهون من الرمي فوقف أعضاءه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولا تنبث له داعية البتة لان
داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة لداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل
مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ويجري هذه الامور فاما أن يكون منه فكل ولما
فادامعني كونه مجبورا أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لانه ومعنى كونه مختارا انه محل لإرادة
حدث فيه جبر بعد حكم العقل يكون الفعل خيرا أمحضا موافقا وحديث الحكم أيضا جبرا فانما هو
مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الإنسان
على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لانه لما كان فناء ثالثا
واتقوا به يكذب الله تعالى فسماه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما من
فهمه وفعل الله تعالى يسمي اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تخير وتردد فان ذلك في
حقه محال وجميع اللفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الاعلى نوع من
الاستعارة والتجوز وكذا لا يليق هذا العلم بطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد
الإرادة والإرادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان قلت
ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وان آيت ذلك فاما معنى ترتب البعض من هذا على
البعض فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالثبوت أو بغيره
بل هو التجميع ذلك على المعنى الذي عبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف كافة الخلق
عليه الا الراصون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه
يقدر تناو هو بعد من الحق وبيان ذلك بطول ولكن بعض المقدورات مرتبة على البعض
في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا قصد من القدرة الازلية إرادة الابد علم ولا علم الابد
حياة ولا حياة الابد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط
الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشرط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر
الا للخواص المكشفين بنور الحق والافلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والزموم وكذلك
جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يصاهي فعل المجانين تعالى الله

عن قول الجاهلين علوا كبيرا الى هذا اشارة وله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى وما خلقت السموات والارض وما بينهما الا عبين ما خلقتناهما بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كحادث وعلى هذا الترتيب المتدرج وحدها تأخر متأخر الانتظار شرطه والمشرط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلان تأخر العلم عن النطفة لا لتقد شرط الحياة ولا لتأخر علم الارادة بعد العلم لا لتقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شئ من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا ضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا بقرب مبادى الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انفس في الماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرفع وهو ملائق له فقد ر القدرة الازلية حاضرة ملائمة للقدورات متعلقة بملافاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر اعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع من البدن برفعه من الوجه لانه حدث عقيب ادب قول كان الماء ملائقا ولم يكن واقعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن البدن عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرفع للحدث عن البدن وهو جعل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن البدن بالماء الملائق لما لا يقبل الوجه والماء لم يتغير والبدن لم يتغير ولم يحدث فيه شئ ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان تفهم صدور القدرات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا افرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلتترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو الخوف والرجو وعليه التوصل والاعتماد ولم تقدر على ان تذكر من بحار التوحيد الاقطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في مرفوع محال كاستيفاء ماء العبر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما اخف مؤنته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أضر حقيقته وله عند العلماء الراضين في العلم فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الاعمال لعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحدا وان كان له معنان ويكون الاسم مجمل امر دأبناهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا وقال قتله الجلاد ولكن الامير فاعل بمعنى والجلاد فاعل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فنعني كون الله تعالى فاعلا انه المخرج الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المجل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم فاربطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط العلول بالعلة وارتباط المخرج بالمتخرج وكل ماله ارتباط بقدرة فان مجل القدرة يسمى فاعلا له كسما كان الارتباط كالسما للجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرة الله وليس على وجهين مختلفين فلذلك سمي فاعلاهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرة والجلد لا لجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى بالافعال في القرآن مرة الى

الملائكة ومرة الى العباد ونسها بينهما مرة أخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت ثم قال عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تعالى أفرأيت ما تخرجون أم أضاف النيا ثم قال تعالى انما نصيبنا الماء صيا ثم شققنا الارض شقاً فانبثاقها حيا وعيا وقال عز وجل فأرسلنا الهاروحا فتمثل ما نبشرا سويا ثم قال تعالى فنفسنا فيها من روحنا وكان النافع جبريل عليه السلام وكما قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرأه قبل في التفسير معناه اذ قرأه عليك جبريل وقال تعالى فانلوهم يعذبهم الله بأيديكم فأضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى فلم يقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين التني والاثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال عليه البيان وقال انا علمي بيانه وقال أفرأيت ما تمنون أنتم تتلقونه ثم نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر أم أنثى أسوأ أم معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك في لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يروح الارواح في الاجساد وأنه ينتفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلحق في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره في مثل هذا الملائكة وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب به صائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالقل والحكمة دون النقل تخمين مجرّد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الادلة والاثبات في الارض والسعوات ثم قال أولم يكفربك انه على كل شئ شهيد وقال شهد الله أنه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكيف من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكيف من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربي وربى ولولاي ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى أولم يكفربك انه على كل شئ شهيد وقدم وصف الله تعالى نفسه بأنه الحي والميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي الخبر ان ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا اميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا احيى الموتي فأوحى الله تعالى اليهما كونهما على علم كما وما ضررتكما له من الصنع وأنا الميت والحي لا يميت ولا يحيى سواي فاذا الله لم يستعمل على وجوه مختلفة فلا تنافض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي ناوله التمرة خذها ولو لم تأتها لانتك أضاف الاثبات اليه والى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها وكذلك لما قال التائب أتوب الى الله تعالى ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من أضاف الشكل الى الله تعالى فهو الحق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه الى غيره فهو المتعزّز والمتعزّز في كلامه وللحقّ وجه كان الحقيقة وجهها واسم الفاعل وضيقه واضم اللغة للتعزّز ولكن ظن أن الانسان مختلّع بقدرته فسماه فاعلا بغير كنهه ووطن انه تحقيق وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجازيا باضافة الى نسبته الى الجلال فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعه ايها القوى المتعزّز فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره المجاز أي تجوز به مما وضعه النبوى له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا واتفاقا فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل أي كل ما لا قوام الله عليه وسلم فقال اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل أي كل ما لا قوام

له نفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لاحق
 بالحقيقة الالهية القوم الذي ليس كشئ شئ فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما
 سواه باطل ولذلك قال سهل بامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول
 انا وانا كن الآن كالم تكن فانه اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر الآن ان الشكل جبر فاعني الثواب
 والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اثبتنا اليق في كتاب
 الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرزق اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل
 ولا يتم هذا الا بالايان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايان
 بالرحمة وسعته هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالوكل
 وطمأنينة القلب الى حسن نظر التكفل وهذا الايمان أيضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية
 طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقاد اقاطع الا يستريب
 فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل
 اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا ينهني لوصفها
 ثم زاد مثل عدد جميع علمه وحكمته وعقله ككشف لهم من عواقب الامور واطلعهم على اسرار
 الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم
 أمرهم ان يبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون
 والتفاهر عليه ان يزداد فيماد الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص
 منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة ولا ان ينقص منها ذرة ولا ان يدفع مرضا أو عيبا ونقص
 أو فقر أو ضرر من بلي به ولا ان يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع من أنعم الله به عليه بل كل ما خلقه
 الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر مارا وافها من تفاوت
 ولا تطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وخزن وعجز وقدره وايمان وكفر
 وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه هو حق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب
 الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان أصلا أحسن منه ولا أنتم
 ولا أكل ولو كان واذخره مع القدرة ولم يغفل بفعله لكان بخلاف ناقض الجود وطلبا ناقض العدل
 ولو لم يكن قادرا لكان عجزا ناقض الالهية بل كل فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة
 في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لو لا الدليل لما عرف
 قدر النهار ولو لا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولو لا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكأن فداء
 أرواح الانس بأرواح البهائم وتسلطهم على ذبيحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين
 العدل فكذلك تفضيل النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الايمان
 بأهل الكفران عين العدل وما لم يتحقق الناقص لا يعرف الكامل ولو لا خلق البهائم لما ظهر شرف
 الانس فان الكمال والناقص يظهر بالاضافة فقطضي الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا
 وكما ان قطع البهائم اذنا كل ابقاع على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت
 الذي بين الخلق في التسعة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن
 بحراخر عظيم الحق واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فعرف
 طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يحمله الا العالمون ووراء هذا البحر القدر الذي
 تخبر به الاكثرون وضع من افشاء ستر المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقتضى به وقد كان

ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لنقضه وأمره بل كل صغير وكبير متطر وحصوله بقدر معلوم متظرو ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولتقتصر على هذه المرات من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولترجع الى علم العاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الشرط الثاني من الكتاب) في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حذ التوكل وبيان التوكل في الكسب للنفرد والمعيول وبيان التوكل بترك الآخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوى وغيره والله الموفق برحمته

في بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل * وذكرنا العلم فأما الحال فالتوكل بالصديق عبارة عنه وانما العلم أصله والعمل ثمرة وقد أكثر الخائضون في بيان حذ التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حذ كجرت عادة أهل الصوف به ولا فائدة في النقل والاكتثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امرء الى فلان أى قوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسى الموكول اليه وكلا ويسى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطعأنت اليه نفسه ووثن به ولم يثمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا ونصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولتضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلية بتلبس فوكيل الخصومة من يكشف ذلك للتلبس لم يكن متوكلا عليه ولا وانقابه ولا مطمئن النفس بتوكيله الا اننا اعتقد فيه أربعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبس حتى لا يخنى عليه من غوامض الخيل شي أصلا وأما القدرة والقوة فليستجري على التصريح بالحق فلا يدها من ولا يخاف ولا يستحي ولا يخجل فانه ربما يطالع على وجهه تلبس خصمه فيمتعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صراف آخر من الصور المضعفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة لانها قدرة في اللسان على الإفصاح عن كل ما استعبرأ القلب عليه وأشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثاله على بذل كل ما يقدر عليه في حق من المجهود فان قدرته لا تقنى دون العناية به اذا كان لا يهمله أمره ولا يسيالي به بظفر خصمه أو لم ينظره لك به حقه أو لم يهلك فان كان شاك في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكل منه لم مطمئن نفسه الى وكياله بل بقي مترجع القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يجذره من قصور وكياله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بسبب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تفاوت تفاوت أحوال التوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتوا لانقصار الى أن ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كالموكل والدالموكل وهو الذي يسمى لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعة وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لسانا وأقواهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام

والعلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والحنانة والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك وعنايته ورحمة
 انكسر لا يحالة فليكن عليه وحده ولم يلتفت الى غيره توجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا
 قوة الا بالله كاسم في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة
 عن القدرة فان كتم لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيبها أحد أمرين اما ضعف اليقين باحدى
 هذه الخصال الاربعة واما ضعف القلب ومريضه باستيلاء الجبن عليه وانزاعه بسبب الاوهام
 الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج بعالقهم وطاعة له من غير نصان في اليقين فان من يتناول عسلا
 فسيب بين يديه بالعدرة ربما تفرط به وتغذره على تناوله ولو كلف العاقل أن يسيت مع الميت في قبر
 أو فراش أو بيت فطرطبه عن ذلك وان كان متيقنا بكونه ميتا وأنه جمد في الحال وأن سنة الله تعالى
 مطردة بأنه لا يمشي إلا ولا ينجيه وان كان قادرا عليه كانهما مطردة بأن لا يقبل القلم الذي في يده
 حية ولا يقبل السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن
 مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا يفرغ من سائر الحاديات وذلك جبن في القلب وهو
 نوع ضعف قلما يجتولوا الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فميصير مرضاحي يخاف أن يسيت
 في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل لا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ هما
 يحصل سكون القلب وطمانينة فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكمن يقين لاطمانينة
 معه كما قال تعالى لابراهيم عليه السلام ألم تؤمن قال بلى ولكن ليطمن قلبي فالتمس أن يكون
 مشاهدا لحياء الميت بعينه ليشيت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمن باليقين
 في ابتداء أمرها الى أن تنازع بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا وكمن
 من مطمئن باليقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الي تهوذه وكذا
 النصراني ولا يقين لهم أصلا وانما يتبعون الظن وماتوى الأنفس ولقد جاءهم من بهم الهدى وهو
 سبب اليقين انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي أحد
 الاسباب التي تقضد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بانحصال الاربعة أحد الاسباب واذ اجتمعت
 هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قبل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله
 وقد قال صلى الله عليه وسلم من استعز بالعباد أذلها الله تعالى واذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت
 الحالة التي سميت توكل فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات (الدرجة الاولى)
 ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفائته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل (الثانية)
 وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفرغ الى
 أحد سواها ولا يعتمد الا باباها فاذا رآها تعاقب في كل حال بذلها ولم يجملها وان نابه أمر في غيبها كان
 أول سابق الى لسانه بأماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفرقة فانه قد وثق بكفائتها
 وكفائتها وشقة فها تقة ليست خالصة من نوع ادراك التمييز الذي له ووطن أنه طبع من حيث ان
 الصبي لوطوب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على ثقين لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه
 ولكن كل ذلك وراء الادراك التي كان باله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كلف يد كالكلف
 السبي بأمة فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الاول أن هذا
 متوكل وقد نزل في كلفه من توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط
 ولا يجال في قلبه ان لا يتوكل عليه وأما الاول فيتوكل بالتكليف والكسب وليس فابا عن توكله

لان له التفاتان الى توكله وشعورابه وذلك شغل صارف عن ملاحظة التوكل عليه وحده والى هذه
الدرجة أشار رسول حيث سئل عن التوكل ما أنا قال ترك الاله ابنى قبل وأوسطه قال ترك الاختيار
وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلا دلتيم يذكر وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه (الثالثة)
وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركة وسكانه مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا
في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يدي الغاسل الميت وهو الذي قوى يقينه بأنه يجري
للمحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وأن كلا يحدث جبرا فيكون باتساع الانتظار لما
يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفرغ الى أمه ويصيح وتعلق يديه بها وبعد خلقها بل هو مثل
صبي علم أنه وان لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وانه وان لم تعلق يديه أمه فالأم تحمله وان لم يسألها اللبن
فالأم تغاضه وتضيقه وهذا المقام في التوكل يترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطى
ابتداء أفضل مما يسأل فكمن نعمه ابتداء قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق والمقام الثاني
لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذا الاحوال هل
يتصور وجودها فاعلم أن ذلك ليس بحال ولكنه عز نادر والمقام الثاني والثالث أعزها والاول
أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعده منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في
دوامه الا كصفرة الوجه فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه
عارض كما أن انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجه صارفة عن انقباض الدم
عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنسحب عن ظاهر البشرة الحرة التي كانت ترى من وراء الرق من
ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تراه من وراء حرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم
وكذا انقباض القلب بالكليّة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم وأما
المقام الثاني فيشبه صفرة المحجوم فانه قديدا يرمو برمومين والاول يشبه صفرة صريض استسقم مرضه
فلا يعد أن يدم ولا يعد أن يزول فان قلت فهل يبقى مع الصبر تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال
فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمجهول والمقام
الثاني يبقى كل تدبير الا من حيث الفرع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط
والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالتوصل على وكيله
في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به
أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فأما الذي يعرفه بأشارته بأن يقول له
است أنت كما لا في حضورك فيستغل لاجل حاله بالتدبير للحضور ولا يكون هذا ما اقتضا توكله عليه
اذ ليس هو فزعامته الى حول نفسه وقوته في اظهار الجف ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن
يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن منوكل عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم من عادته
واطراد سنته فهو أن يعلم من عادته أنه لا يحتاج لخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان منوكل
عليه أن يكون معولا على سنته وعادته ورافيا بقتضاهما هو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند
مخاصمته فاذا لا يستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولولا ذلك شيئا من ذلك
كان نصافي توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم بعد أن حضر وفاء بأشارته وأحضر السجل وفاء
بسنته وعادته قد ينظر الى حاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى
كالمجهول المتسخر لا يفرع الى حوله وقوته اذ لم ين له حول ولا قوة وقد كان فرعه الى حوله وقوته في
الحضور واحضار السجل بأشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الاطمئنانة النفس والثقة

بالوكل والانتظار لما يجري وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أن يصامع التوكل بل هو على الانقسام وسبأني تفصيله في الاعمال فاذا فرغ التوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا ينقض التوكل لانه يعلم أنه لو لا الوكل لكان حضوره واحضاره باطلا وتماحضا بلا جدوى فاذا لا يصير مفيداً من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكل جعله معتمداً على حاجته وعرفه ذلك باشارته وسننه فاذا لا حول ولا قوة الا بالوكل الا ان هذه الكلمة لا بكل مضاهي في حق الوكل لانه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيد في أنفسهم ولم يكونا مفيدين لو لا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطاً لما سيقفه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقاً وصدقاً شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فحين يقول لا حول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها وهيات فاما ذلك جزء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احدهما الى الاخرى اذ في هذه الكلمة اضافة شيتين الى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة وأما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيتين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكذا ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولين فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات وأكثر الخلق قسداً باللفظين وما طرقتوا الى الدين والى اللين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه تخلصا وجبت له الجنة وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص أراد بالطلاق هذا المقيد فاما اضافة المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واما اضافتها الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحدث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للقرابين وهم المخلصون نعم لم يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضاً درجات عند الله تعالى وان كانت لا تنتهي الى الملك اما نرى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقرين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سر رموضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والقواكه والاشجار والخور العين وكل ذلك من لذات المتصور والمشروب والمأكول والمنكوح ويتصور ذلك الهائم على الدوام وأن لذات الهائم من لذات الملك والترزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على الهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة اقترى أن أحوال الهائم هي مسببة في الاياض مشبعة بالماء والاشجار واصناف الماء كولات متمتع بالزوان والسفاد أعلى والذواشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيات هيات ما بعد عن التفصيل من اذا خير بين أن يكون حماراً أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شيء مغتذب اليه وان النفس التي تزعمها الى صنعة الاساكفة أكثر من تزعمها الى صنعة الكابدة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكاب والكل وكذا من زرع نفسه الى نيل لذات الهائم أكثر من تزعمها الى نيل لذات الملائكة فهو بالهائم أشبه منه بالملائكة لا بما له ولا هم الذين يقال فيهم أولئك كالاتعام بل هم أضل وانما كانوا أضل لان الاتعام ليس

في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها الطلب للجبر وأما الإنسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل
 الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال وإن كان هذا كلاماً
 معترضاً فلترجع إلى المقصود فقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله وإن من
 ليس قائلاً بملعن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فإن قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة الا
 بالله لا نسبة شيئين إلى الله فلو قال قائل السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لا
 لأن الثواب على قدر درجة الثواب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض
 وصغر الحول والقوة إن جاز وصفهما بالصغر تجوزاً فليست الأمور بعظم الاعتصاف بل كنى عامي
 يفهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة الأديمين بل هما من خلق الله تعالى فأما الحول والقوة فقد
 أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يدق النظر في الرأي والمعقول
 حتى يشق الشرح بمحذة نظره فهي مهلكة مخطرة ومضلّة عظيمة هلك فيها العاقلون إذ أخذوا بتوكل أنفسهم
 أمراً وهو شرك في التوحيد وأثبت خالق سوى الله تعالى في جوار هذه العقبة بتوفيق الغاية فقد
 علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في
 التوحيد الاعتقاد أن أحدهما النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والقيم والمطر
 وسائر الجادات والثانية النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم المقتبين وأخطرها وبقطعهما
 كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها
 فإذا رجع حال التوكل إلى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسينفخ ذلك عند
 ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى

بيان مآله الشيوخ في أحوال التوكل

ليتين أن شيئاً منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى
 الديلمي قلت لابي يزيد ما تقول فقال ما تقول أنت قلت أن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي
 عن يمينك ويسارك ما تحرك لك سرّك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في
 الجنة يقتحمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فذكره
 أبو موسى فهو خير عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع
 العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تميز بين
 أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أخفض أنواع العلم ووراءه سر القدر
 وأبو يزيد قلنا يتكلم الآن على المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة تشرطاً في
 المقام الأول من التوكل قد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الفارادسة عن فساد الحيات الآن يقال فعل
 ذلك بجهل ولم يتغير بسببه سرّه أو يقال إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في
 حق نفسه وإنما يزول التوكل بغير لسره وقبوره لا أمر يرجع إلى نفسه ولا تنظر في هذا الجمل ولكن سأتى
 بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل فإن حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل
 أن يخاف مسلط الحيات إذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله فإن احترازك يمكن اتكاله على تدبيره
 وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل فوالنون المصري عن التوكل
 فقال خلع الأرباب وقطع الأسباب فلعن الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى
 الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقبل له زدنا فقال الفناء النفس في
 العبودية وأخرجاهما من الربوبية وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون القصار

عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دائق دين لم تأمن أن تموت وسبق دينك في
عقلك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تأمن من الله تعالى أن يقضيها
عنك وهذا الإشارة إلى مجرد الإيمان بسعة القدرة وأن في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب
الظاهرة وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني
فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك فالأول عام للمقامات الثلاث
والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قال له جبريل عليه
السلام ألك حاجة فقال أما إليك فلا إذ كان سؤاله سبباً يقضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له فترك
ذلك ثقة بأن الله تعالى أن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن
نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عز في نفسه ودوامه أن وجداً بعد معنه وأعر وقال أبو سعيد
الخزاز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير إلى المقام الثاني فسكونه بلا
اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى التوكل وثقة به واضطراب بلا سكون إشارة إلى فزع اله
وابتهاله ونصره بين يديه كاضطراب الطفل يسديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها وقال
أبو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن إلى وعده والمسلم
يكتفي بعلمه وصاحب التفويض رضي بحكمه وهذا الإشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى
المنظور إليه فان العلم هو الأصل والوعد تبعه والحكم يتبع الوعد ولا يعد أن يكون الغالب على
قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فان
الكشف أنفع من الرواية والتعلل فها ما يتعلق بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه

بيان أعمال المتوكلين

اعلم أن العلم بورت الحال والحال بغير الاحمال وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب باليد وترك
التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة كالصم على الوضوء وهذا ظن الجهال فان ذلك
حرام في الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بخطوات
الدين بل يكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تأثير التوكل في حركة اليد وسعيه بعلمه إلى مقاصده
وسعي الصبي باختياره اما أن يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالسكب أو لحفظ نافع هو
موجود عنده كالذخار أو لدفع ضار لم يتزل به كدفع الصائل والشارق والسباع أو لزالة ضار قد نزل
به كالتدأوى من المرض فقصود حركات العبد لا تعد وهذه الفنون الاربعه وهو جلب النافع أو حفظه
أو دفع الضار أو قطعه فلتذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع في الفن
الاول في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به
ومظنون ظنا يرتفع به وهو موهوم وهما لا تنق النفس به ثقة تامة ولا قطعاً اليه * الدرجة الاولى
المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت بالسببها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً
لا يتخلل كأن الطعام اذا كان موضوعاً بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمتد اليد اليه
وتقول أنا متوكل وشروط التوكل ترك السعي ومدة اليد السعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان
واستلاعه باطباقي أعلى الخنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان
انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شعباً عاون الخبز أو يخاف في الخبز حركة اليد أو يضرم ملكاً لمضغه
لك ويوصله إلى معدتك فقد نبهت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت أن يخلق الله
تعالى نباتاً من غير بذرا وتلدز وجنك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فصكك ذلك جنون

وأما مثال هذا إما أكثر ولا يمكن احصائه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحوال والعلم أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام والبدن والاسنان وقوة الحركة وأنه الذي يطعمك ويحفظك وأما الحوال فهو أن يكون سكون قلبك واعتقادك على فعل الله تعالى لا على البدن والطعام وكيف تعتمد على صحة بدنك وبما تحب في الحوال وتلق وكيف تقول على قدرتك وما يطرأ عليك في الحوال ما يزيل عقلك ويقل قوة حركتك وكيف تقول على حضور الطعام وربما سلب الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حجة ترعك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فذلك فلتعول عليه فلتعول فإذا كان هذا حاله وعمله فليد يدفاه متوكلاً * الدرجة الثانية الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيداً كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويبافر في البوادي التي لا يطرقها الناس إلا نادراً ويكون سفره من غير استحباب زاد فهذا ليس شرطاً في التوكل بل استحباب الزاد في البوادي سنة الأولين ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتقاد على فضل الله تعالى لا على الراد كسابق ولكن فعل ذلك جائز وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فإن قلت فهذا سعي في الهلاك والقائه النفس في التهلكة فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراماً بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهد هواً وسواها على الصبر عن الطعام أسرعاً وما يقارب به بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعد في ذكر الله تعالى والثاني أن يكون يبحث بقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخبيسة فبعد هذا الشرطين لا يخفى في غالب الأسر في البوادي في كل أسير عن أن يلقاه آدمي أو ينهي إلى حيلة أو قرية أو إلى حشيش يجترى به فيجبي به مجاهد نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يقول الخواص ونظروا من المتوكلين والمدايل عليه أن الخواص كان لا تفرقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بقدر لولوا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كـ يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يفرق فتكشف عورته ولا يوجد المقراض والأبرة في البوادي غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضاً يلحق بالدرجة الثانية لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لأنه محتمل أن لا يفرق الثوب أو يعطيه إنسان ثوباً أو يمد يده رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يترك الطعام بمضغاً إلى فيه فبين الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا نقول لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرق طارق فيه وجلس متوكلاً فهو أغفبه ساع في هلاك نفسه كما روى أن زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعاً وقال لا أسأل أحد شيئاً حتى يأتيني ربِّي برزق فقد سمعنا كد وموت ولم يأنه رزق فقال يا رب أن أحييتني فأتني برزق الذي قسمت لي والألفاضني اليك فأوحى الله جل ذكره إليه وعزني لا رزقك حتى تدخل الأمصار وتعد بين الناس فدخل مصر وقعد شاه هذا الطعام وهذا الشراب فأكل وشرب وأوحس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي بهذا في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي فإذا التباعد عن الأسباب كلها سار أغمة الحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل

بموجب سنة الله تعالى مع الانكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يتقاضى التوصل كل كذا من بناء
 مثلاً في الوكيل بالخصوص من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فعنى التوكل
 الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب
 لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أو حرام أو مباح أو مندوب فاعلم أن
 ذلك ليس بحرام لان صاحب السباحة في البادية اذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن
 مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر
 عنه والصبر ممكن اني أن يتفق ولكن لو أعلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله
 ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو يطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن
 ليس فعله حراماً الى أن يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان
 مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه رزقه بل
 نطلة الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله
 تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب
 من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لاسحاب له وكان
 حاصباً ولقال له باجأهل كيف أخلقك ولا أرزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف
 الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا على أن لا رازق ولا ممت الله تعالى وقال صلى الله
 عليه وسلم لو نزلت كلمتي على الله حق نوكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافاً وتروح بطاناً ولزالت دعائكم
 الجبال وقال عيسى عليه السلام أنظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً
 بيوم فان قلت نحن أكبر بطوناً فانظروا الى الانعام كيف قبض الله تعالى لها هذا الخلق للرزق وقال
 أبو يعقوب السبوسي "التوكلون تجري أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون
 مكذوبون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل بدل للسؤال وبعضهم تعب
 وانتظاراً للتجار وبعضهم بامتهان الكالصناع وبعضهم بغير كالصوفية يشهدون العز فيأخذون
 رزقهم من يده ولا يرون الوساطة * الدرجة الثالثة ملازمة الاسباب التي تنوهم اقضاءها الى
 المسببات من غير تفتظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه
 وذلك يخرج بالكيفية من درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أعني من يكتسب بالحيل
 الدقيقة اكتساباً مباحاً لئلا يباح فأمأ أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية
 الحذر على الدنيا والاكال على الاسباب فلا ينبغي أن ذلك يسل التوكل وهذا مثل الاسباب التي
 نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة الرقة والطيرة والسبي بالإضافة الى ازالة الضرر فان النبي صلى الله
 عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا
 يأخذون من أحد شيئاً بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الاسباب وأمثال هذه الاسباب التي يرون
 هاهنا المسببات مما يمكن فلا يمكن احصاؤها وقال سهل في التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله خلق
 الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط الاسباب البعيدة بالقدرة
 التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهرت الاسباب منقسمة الى ما خرج التعلق
 بها عن التوكل والى ما لا يخرج وأن الذي يخرج ينقسم الى مقطوع بدو الى مظنون وأن المقطوع به
 لا يخرج عن التوكل عند جرد حال التوكل وعلمه وهو الانكال على مسبب الاسباب فالمتوكل
 فيها بالحال والعلم لا بالفعل وأما المظنونان فالمتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعاً والمتوكلون

في ملازمة هذه الاسباب على ثلاثة مقامات * (الاول) * مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في قوته على الصبر أسبوعاً وما فوقه وأتيسر حشيش له أو قوتاً وتيسر له على الرضا بالموت أن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بهيره ويموت جوعاً فذلك يمكن مع الزاد كانه يمكن مع فقده (المقام الثاني) أن يقعد في بيته أو في مسعد ولكن في القرى والامصار وهذا أضعف من الأول ولكنه أيضاً متوكل لأنه نازك للكسب والاسباب الظاهرة معقول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الاسباب الخفية ولكنه نال بقعوده في الامصار متعزز لاسباب الرزق فإن ذلك من الاسباب الجالبة إلا أن ذلك لا يطل توكله إذا كان نظره الى الذي يسفر له سكان البلد لا يصل رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور أن يغفل جمعهم عنه ويضعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتخبرك دعاهم * (المقام الثالث) * أن يخرج ويكتسب اكتساباً على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرج به أيضاً من مقامات التوكل اذ لم يكن طعناً في نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فإن ذلك ربما يملكه الله تعالى جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق يحفظ جميع ذلك وتيسر أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالإضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القمى في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يحررك والى ما داميل وبما يحكم ثم إن كان هذا المكتسب مكتسباً لعاله أو لفرق على المساكين فهو بيده مكتسب وقلبه عنه مقطوع فالحال هنا أشرف من حال القاعد في بيته والدليل على أن الكسب لا ينافي حال التوكل اذ اروعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق أن الصديق رضى الله عنه لما يبيع بالخلافة أصبح أخذ الاثواب تحت حضنته والذراع بيده ودخل السوق ينادى حتى كرهه السلطان وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أقت خلافة السوق فقال لا تغفلوني من عيالي فاني أن أضعهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضى بذلك رأى مساعدتهم وتطبيع قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فن أولى بهذا المقام منه ندل على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان براعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وأذخار ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره فن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحبا لها ولا يصح التوكل الا مع العلم بالهدف الذي ياتى به يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال أبو جعفر الخدادي وهو شيخ الجنيد رحمه الله عليهما وكان من المتوكلين أخفت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق كنت أكتسب في كل يوم ديناراً ولا أبيت منه دنائفاً ولا أستر بحمالي فيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا ينسك في التوكل بخصمته وكان يقول أخصي أن أكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم ووقف وأمر الخادم بالخروج للطالب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كوكيل المكتسب وإن لم يسألوا بل فعوا بما يحمل اليهم فهذا أقوى في توكلهم ولكنه بعد اشتغال القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً الا بشروط كثيرة كما سبق فإن قلت فما الأفضل أن يقعد في بيته أو يخرج ويكتسب فاعلم أنه إن كان بغير ترك الكسب لتكره ذكره وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة

وكان الكسب يشوق عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيعمل اليه شيئا بل يكون قوى القلب في الصبر والانسكال على الله تعالى فالتعود له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب أولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون يأخذون ما استشرف اليه نفوسهم كان أحمد بن حنبل قد أمر أبابكر الروزي أن يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه فردّه فلما ولى قال له أحمد الحقّه وأعطه فأنه يقبل فلققه وأعطاه فأخذه فقال أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرف نفسه فردّه فلما خرج انقطع طبعه وأيس فأخذ وكان الخواص بعد أن سئل عن نظري عبدني العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئا وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رأيت في أسفار ورأيت الخضر ورضى بهجتي ولصحتي فأرقته خيفة أن تسكن نفسي اليه فكأن نقصا في تركي فإذا الكسب اذا راعى آداب الكسب وشروطه كاسبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصده الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم انكاله على البضاعة والكفاية فأقول علامته أنه ان سرقت بضاعته أو خسرت تجارتها أو عوق أمر من أموره كان راضيا به ولم يبتل طمأننته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك لان البعادي كانه قال بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل رأيت إن أخذ الله سمعتك وبصرك الرزق على من فوقك في قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لاجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خسون ديناراً يغيرها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم أن الكسب يغير بضاعته لا يمكن فأقول بأن يعلم أن الذين يرزقهم الله تعالى يغير بضاعته فيهم كثرة وأن الذين كثرت بضاعتهم فسروا وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على أن الله لا يفعل له الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فقلعه لوتركه كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وضايته أن يموت جوعا فينبغي أن يعتقد أن الموت جوعا خير له في الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير قصر من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد لهم من الجبل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرف عنه فصيح كشيء خزين يتطير بجواره وابن عمه من سبقتي من دهاني وما هي الا رحمة رحمة الله بها ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل بقبضه هذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى لي من كل مقام نصيب الامن هذا التوكل المبارك فاني ما شجعت منه راحة هذا كلامه مع عاؤه وقد لم يتكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد ادراك اقصاه وما لم بكل الايمان بأن لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وأن كل ما عتد به على العبد من فقر وعنى وموت وحياة فهو خير له مما يتناه العبد لم بكل حال التوكل فبما التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تتبني على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعى قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنه ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية

فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن تأمين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الإنسان بطبعه مشغوف بجماع تخوف الشيطان ولذلك قيل الشيق بسوء الظن مولع وإذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الأسباب الظاهرة والباعين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رقيقين فقال ان كان صادقا فميته تفكروك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما متعجب بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فصلت وعدي يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من أين تأكل فقال يا شيخ اصبر حتى أعيذ الصلاة التي صليتها خفك ثم أجيبك ويقع في حسن الظن يجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في اهلاك اموال التجار والاشياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة المرعشي وقد كان خدم ابراهيم بن آدم قيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بيضا في طريق مكة أيا ما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوتينا الى مسجد خراب فنظرنا الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فبحثته فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه بكل حال والشار اليه بكل معنى وكتب شعرا أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عاري هي ستة وأنا الضمين لتصفها * فكأن الضمين لتصفها يا باري مدحى لغيرك لمب نارخصتها * فأجر عبيدك من دخول النار ثم دفع الى الرقة فقال اخرج قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقة الى أول من يلقاك فخرجت فأقول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقة فأخذها فلما وقف عليها بي وقال ما فعل صاحب هذه الرقة فقلت هو في المسجد الفلاني قد دفع الى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقت رجلا آخر فسألته عن ركب البغلة فقال هذا نصراني فبحثت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيئ الساعه فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكعب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم وقال أبو يعقوب الا قطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا فقلت تنني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلى أجد شيئا يسكن ضعفي فرأيت سلحمة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبها منها وحشة وكان قائلا يقول لي جعت عشرة أيام وآخره يكون خطك سلحمة متغيرة فرقيتها ودخلت المسجد وقدت فإذا أنا برجل أعجمي قد أقبل حتى جلس بين يدي ووضع فطره وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كافي البحر منذ عشرة أيام وأشرقت السفينة على الفرق فنذرت ان خلصني الله تعالى أن أتعصم بهذه على أول من يقع عليه بصري من المجاورين وأنت أول من لقيته فقلت افتحها ففتحتها فإذا فيها سميد مصري ولوز مقشور وسكر كذاب فقيمت قبضة من ذواق قبضة من ذواق قلت رد الباقي الى أصحابك هدية مني البكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي * وقال عماد الدينوري كان على دين فاشتغل قلبه بسببه فرأيت في النوم كأن قائل يقول يا نجيل أخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصا ولا غيرهما * وحكي عن ابن الحمال

قال كنت في طريق مكة أجيء من مصرومعي زادني غم حتى أمرأة وقالت لي يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادي غم أتى علي ثلاث لم أكمل فوجدت خنثى لا في الطريق قتلت في نفسي أحمله حتى يجي صاحبه فرميت بي شيناً فأردته عليه فأناب تلك المرأة فقالت لي أنت تاجر تقول صبي يجي صاحبه فأخذ منه شيئاً ثم رميت في شيطان الدرهم وأمرت أن نقتها فأقفيت بها لي قريب من مكة وحكي أن بنا احتاج إلى جارية فتقدمه فانسط على اخوانه فعموا له منها وقالوا هوذا يجي النغير فنشترى ما يوافق فلما ورد النغير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأته من سمرقند هملت إلى بنان وذكرت له القصة وقيل كان في الزمان الأول رجل في سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مت فكل الله عز وجل به ملكاً وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلاتعه غيره فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله بقي القرص عنده وقال أبو سبيد انحرأرذ دخلت البادية فغير زاد فأصابني فاقة فريأت المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت في نفسي أني سكنت وانكلت على غيره وأليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها فقررت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري فسمعت صوتاً في نصف الليل عالياً بأهل المرحلة فله تعالى ولباحس نفسه في هذا الرمل فالحقوه جاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية * وروى أن رجلاً لازم باب عمر رضي الله عنه فآذاه فبأقول يا هذا هاجر إلى امرأ وإلى الله تعالى أذهب فتعلم القرآن فإنه سيفتيك من باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فآذاه فنداعزل واشتغل بالعبادة جاءه عمر فقال له إنني قد اشتقت إليك فإلذي شغلك عنّي فقال إنني قرأت القرآن فأغتنى عن عمرو آل عمر فقال عمر رحك الله فإلذي وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما تعدون قتلت رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه وقال أبو حمزة الخراساني حجبت سنة من السنين فبينما أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر فمنازعتني نفسي أن أستقيت فقلت لا والله لا أستقيت فما استقيت هذا الخاطر حتى مر رأس البئر فجلان فقال أحدهما الآخر تعال حتى ندرأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتوا به صب وبارية وطموار رأس البئر فهممت أن أصبح فقلت في نفسي إلى من أصبح هو أقرب منه ما وسكنت فبينما أنا بعد ساعة إذ أنا بشئ جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في مهمة له فكنت أعرف ذلك فتعلق به فأخرجني فآذاه وسبع فرس وهنت بي هانت يا أباجمة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فثبثت وأنا أقول

نهاني حباي منك أن أكشف الهوى وأعتيتني بالقهم منك عن الكشف
تلطفت في أمرى فأبدت شاهدي إلى غائي والطف يدرك بالطف
ترامت لي بالغب حتى كأنما تبشرني بالغب أنك في الكف
أراك وبني من هبتي لك وحشة فتونسني بالطف منك وبالعطف
ونجي بحبا أنت في الحب حشفه وذاعجب كون الحياة مع الخشف

وأمنال هذه الواقع مما يكتر واذ أقوى الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ثم التوكل بهذه الاحوال والشاهدات والأقلايم أصلا

﴿بيان توكل العبد﴾

اعلم أن من له عيال يحكمه بفارق المنفرد لأن المنفرد لا يصح تركه إلا بأمر من أحدهما قدرته على
الجوع أسبوعاً من غير استشراف وضيق نفس والآخر أبواب من الإيمان ذكرناها من جعلنا أن
يطيب نفساً بالموت أن لم يأت به رزقه علماً بأن رزقه الموت والجوع وهو وإن كان نقصاً في الدنيا فهو
زيادة في الآخرة فبئري أن سبق إليه خبر الرزق له وهو رزق الآخرة وأن هذا هو المرض الذي به يموت
ويكون راضياً بذلك وأنه كذا قضى وقدره فهذا نيك التوكل المنفرد ولا يجوز ترك عيال الصبر
على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مغبوط عليه
في نفسه إن اتفق ذلك نادراً وكذا سائر أبواب الإيمان فإذا لا يمكنه في حقهم الاتوكل المكتسب
وهو المقام الثالث كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للسكب فأما دخول البوادي
وزنك العيال توكل في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكل في حقهم فهذا حرام وقد نفى إلى
هلا كههم ويكون هو مؤخذ بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على
الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقاً وضميمة في الآخرة فله أن يتوكل في حقهم
ونفسه أيضاً عيال عنده ولا يجوز له أن يضيقها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة فإن كان
لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتنشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روى أن أبا زبابة الغنبي
نظر إلى صوفي متديبه إلى قشر يطبخ ليلاً كله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلحك التصوف الزم السوق
أى لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا من يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام وقال أبو علي
الروزي إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فإزموه السوق وروى بالعمل والكسب فإذا بدته
عياله ولو كله فيما يضرب بدنه كتوكله في عياله وإنما يفارقهم في شيء واحد هو أن له تكليف نفسه
الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعاً عن
الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادراً وملازمة
البلاء والمصاراة وملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجرى مجراه فلهذا كلها أسباب
البقاء ولكن مع نوع من الأذى إذا لم يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في المصاراة أقرب إلى
الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الأسباب الآن أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها
فلم يعدوا تلك الأسباب وأدرك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لا جمل
الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل ومن نظر في ملكوت السموات
والأرض انكشف له تحقيقاً أن الله تعالى در الملك والملكوت تدبير الإيجاز والعبد رزقه وإن تركه
الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما أن كان
عاجزاً عن الاضطراب كيف وصل سرتة بالأم حتى تنهى إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم
يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الأم لتعكفل به شاة أم أبت
اضطراباً من الله تعالى إليه بما أشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له من مضمضة الطعام جعل
رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى المضغ ولا نزل راحة من أرحه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدركه
اللبن اللطيف في ندى الأم عند انفصاله على حسب حاجته أن كان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا
صار بحيث يواقة الغذاء الكثيف أنبت له أسناناً قاطعاً وطواحين لاجل المضغ فإذا كبر واستقل يسر
له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فبينه بعد البلوغ جهل محض لأنه ما نقصت أسباب معيشته
يلوغيه بل زادت فإنه لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته ثم كان المشق عليه
شخصاً واحداً وهي الأم والأب وكانت شفقته مفرطة جداً فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة

أمرتين وكان اطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد ساط الله الشفقة
 والمودة والرفقة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة حتى أن كل واحد منهم إذا احتسج
 تألم قلبه ورق عليه وانبثت له دأعية إلى إزالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحداً والآن المشفق عليه
 ألف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفاة الآم والاب وهو مشفق خاص فأرأوه
 محتاجاً ولرأوه يتيم السلطان الله اعلم الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه
 ويكفلونه فأرأوه إلى الآن في سني انخصب يتيم قدماء جوعاً مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له
 كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل
 قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن ألف نعم كانت
 شفقة الآم أقوى وأخطى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد
 الفرض فكمن يتيم قد يسر الله تعالى له حالاً هو أحسن من حال من له أب وأم فبغير ضعف شفقة
 الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول
 جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان الصرك والسكون
 جنون منك أن تسمى رزق * ويرزق في عشاوته الجنين
 فان قلت الناس يكفونون اليتيم لانهم يرونه عاجزاً بصباهه وأما هذا فيلزم قادر على الكسب فلا
 يلتفتون اليه ويقولون هو مثلاً فليهد نفسه فأقول إن كان هذا القادر بطالاً فقد صدقوا فعله
 الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله
 تعالى فبالطال والتوكل وإن كان مشغولاً بالله ملازم للمسجد أو بيت وهو مواعظ على العلم
 والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقر ربحه في
 قلوب الناس حتى يعملون اليه فوق كتابته وانما عليه أن لا يفلت الباب ولا يهرب إلى جبل من بين
 الناس وما رآى إلى الآن عالم أو عابد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصار فأت جوعاً
 ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد رعبه فان من كان لله تعالى كان الله عز
 وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الآم
 لولدها فقد رعب الله تعالى الملك والمملوك تديراً كافياً لأهل الملك والمملوك فمن شاهد هذا التدير
 وثق بالمدير واشتغل به وآمن ونظر إلى مدير الأسباب لا إلى الأسباب نعم مادرة تدير يصل إلى المشتغل
 به الخلو والطهور السمان والسياب الرفقة والخيول النفيسة على الدوام لا بحالة وقد يقع ذلك أيضاً
 في بعض الاحوال لكن ديرة تدير يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير
 أو حشيش يناله لا بحالة والغالب انه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية
 فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التعم على الدوام وليس الثياب الناعمة وتناول الاغذية
 اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في الغالب أيضاً ليس
 يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادراً في النادر أيضاً قد يحصل بغير اضطراب فأثر الاضطراب
 ضعيف عندهم انقضت بصيرته فلذلك لا يطعم إلى اضطرابه بل إلى مدير الملك والمملوك تديراً
 لا يماز عديم من عاده رزقه وان سكن الأناديد واعظيما يتصور مشله في حق المضطرب فإذا
 انكشفت هذه الامور وكان معه قوة القلب وشيعة في النفس أغرم ما قاله الحسن البصري رحمه
 الله اذ قال وددت أن أهل البصرة في عبال وأن جبة بشار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء تجاسا
 والارض رصاً صار اهتمت برزق لطنت أني مشرك فإذا فهمت هذه الامور فهمت أن التوكل

مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلت أن من أنكر أصل التوكل وامكانه
أنكره عن جهل فإياك أن تجمع بين الافلاس والافلاس عن وجود المقام ذوقاً والافلاس عن الايمان
به على فإذ اعطيت بالقناعة بالترزاق قليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لاجتماعه وان فررت منه وعند
ذلك على الله أن يعث اليك رزقك على يدي من لا يتحسب فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل
شاهدت بالخبر به مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب الآية
الا انه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذا اذا اطعمه فاضن الا الرزق الذي تنوم به حياته وهذا
المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضمامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله من
الاسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مدخل الرزق لا يتحصى ومجاريه لا يهتدى اليها
وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما تعدون
وأسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال ماذا تطلبون قالوا تطلب الرزق
فقال ان علمت أي موضع هو فاطلبوه قالوا نسال الله قال ان علمت انه يفساكم فذكروه فقالوا ندخل
البيت ونتوكل وننتظر ما يكون فقال التوكل على الخبر به شك قالوا والاحلة قال ترك الحيلة وقال أحمد
ابن عيسى الخراز كنت في البادية فثالتي جوع شديد فقلبتني نفسي أن أسأل الله تعالى طعاما
فقلت ليس هذا من أفعال المتوكلين فطالبتني أن أسأل الله صبراً فلما هممت بذلك سمعت هاتفاً
يخطف بي ويقول

وزعم أنه منا قسرب * وأنا لا تضيع من انا
ويسألنا على الاقتار جهدا * كأننا لا نراه ولا برانا

فقد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجن باطنه وقوى ايمانه بتدبير الله
تعالى كان مطمئناً النفس أبداً واتقيا بالله عز وجل فان أسوأ حاله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت كما
يأتي من ليس مطمئناً فادام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذي ضمن
رزق القانتين هذه الاسباب التي درها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقاً بما يريد
عليك من الارزاق الهيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظراً للاسباب بل
لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظر القلم الكاتب بل لقلب الكاتب فإنه أصل حركة القلم والحرك
الأول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر الالهي وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد أو بقعد
في الامصار وهو خامل وأما الذي لم يذكر بالعبادة والعلم فاذ انفع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة
كف كان وان لم يكن من اللذائذ وثوب حسن يلقى بأهل المدن فهذا يأتيه من حيث لا يحتسب ولا
يحتسب على الدوام بل يأتيه اضعا فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان
اشتهاره بسبب ظاهري يجب الرزق اليه أقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب
فالاهتمام بالرزق قبيح لدى الدين وهو العلماء أقيس لان شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه
ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد أن لا يأخذ من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك
له وجه لا يلقى بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب
يمنع عن السير بالصكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يقرب الى الله تعالى بما
يعطيه أولى لأنه تفرغ للعرز وجل واعانة للعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى
علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الكاسرة حكيمان عن الأخم المزروق
والعاقل المحروم فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمى لظن

أن العقل رزق صاحبه فلما رآوا خلقه علواً أن الرزق غيرهم ولا تقه بالأسباب الظاهرة لهم
قال الشاعر ولو كانت الارزاق تجري على الجيا * هلكن اذامن جهلن الهائم
بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال
اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤل وقوا في ميدان على باب قصر الملك وهم
يحتاجون الى الطعام فأخرج اليهم غلانا كثيرة ومعهم اربعة من الخبز وأمرهم أن يعطوا بعضهم
رغيفين ورغيفين وبهم رغيفاً ورغيفاً ويجهدوا في أن لا ينفخوا من واحد منهم وأمر مناد باحتي نأدي
فيهم أن اسكنوا ولا تتعلقوا بغيري اذ اخرجوا اليكم بل ينبغي أن يطمئن كل واحد منكم في موضعه
فإن الغلمان مسخرون وهم مأمورون بأن يوصلوا اليكم طعامكم فن تعلق بالغلان وآذاهم وأخذ
رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج ابعثه بغلان يكون موكليه الى أن اتقدم لعقوبته في معاد معلوم
عندي ولكي أخفيه ومن لم يؤد الغلمان وقنع برغيف واحد أنه من يد الغلام وهو ساكن فاني
أخصه بخلعة مكنية في المعاد المذكور لعقوبته الآخر ومن ثمت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا
عقوبه علمه ولا خلعة له ومن أخطأ غلاني فأوصلوا اليه شيئاً فبات الليلة جائعاً غير متسخط للغلان
ولا قائلية وأوصل الى رغباني غدا أستوزره وافرؤض ملكي اليه فانقسم السؤل الى أربعة
أقسام قسم قلبت عليهم بطونهم فلم يلبثوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم انا غد فرج ونحن
الآن جائعون فيبادروا الى الغلمان فأذوهم وأخذوا الرغيفين فسمقت العقوبة اليهم في المعاد
المذكور فندموا ولم ينفهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلان خوف العقوبة ولكن أخذوا
رغيفين لطلبه الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بهرأى من الغلمان
حتى لا يخطونا ولكن نأخذ اذ أعطونا رغبوا واحداً ونفزع به فلعنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة
وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان والخرقوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا ان ابغوا وأعطونا قنعنا
برغيف واحد وان أخطأونا فاسينا شدة الجوع الليلة فلعنا نفوى على ترك النسخة فنال رتبة
الوزارة ودرجة القرب عند الملك فانفعهم ذلك اذ اتبعهم الغلمان في كل زاوية وأعطوا كل
واحد رغبوا واحداً وجرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على التدوير أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع
عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم
لننسا نحن ضمنا للغلان وأخذنا طعامنا فليتناطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة
القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والميدان هو الحياة في الدنيا وباب الميدان الموت والمعاد المحلول
يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة فلو كل اذامات جائعاً راضياً من غير تأخير ذلك الى
معاد القيامة لان الشهادة احياء ضد ربههم يرزقون والمتعلق بالغلان هو المعنى في الاسباب
والغلان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظاهر الميدان بهرأى الغلمان هم السائقون في الامصار
في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمتقون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة
التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الاعلى سبيل التدوير فان مات واحد منهم جائعاً
راضياً فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل
مائة تعلق بالاسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعربين السبب بجزء
حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفازا بالقرب واحد ولعله كان
كذلك في الأعصار السالفة وأما الآن فالتارك للأسباب لا يفتي الى واحد من عشرة آلاف
*(الفن الثاني) في التعرض لاسباب الآخار فن حصل له مال بارت أو كسب أو سؤل أو سبب

من الأسباب فيه في الأذخار ثلاثة أحوال * الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فبما كل إن كان
جائعا أو يلبس إن كان عاريا أو يشتري مسكنا محتجرا إن كان محتاجا ويرقو الباقي في الحال ولا
يأخذه ولا يتخذه إلا باقدا والذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية فهذا هو
الوفى بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا * الحالة الثانية المقابلة لهذه الخرجة لمن حدود
التوكل أن يتدخر سنة فافوقها فهذا ليس من التوكلين أصلا وقد قيل لا يتدخر من الحيوانات
إلا ثلاث الفأرة والخنثى وابن آدم * الحالة الثالثة أن يتدخر لا ربعين يوما فادونها فهذا هو واجب
حرمانه من المقام المحمود الموعود في الآخرة للتوكلين اختلقوا فيه فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد
التوكل وذهب الخواص إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الأربعين وقال أبو
طالب المكي لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا وهذا الاختلاف لا معنى له بعد
تجوير أصل الأذخار نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الأذخار بنقض التوكل فاما التقدير بعد
ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة تلك الرتبة لها بداية ونهاية
ويسمى أصحاب النهايات السابقين وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ثم أصحاب اليمين أيضا على
درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين فلا
معنى للتدبير في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل يترك الأذخار لا يتم البصر الأمل وأما عدم آمال
البقاء فيه عند اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالمستع وجوده أما الناس فتفاوتون في طول الأمل
وقصره وأقل درجات الأمل يوم وليلة فادونه من الساعات وأنصاه ما يتصور أن يكون عمر الإنسان
وبينها درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود من يؤمل سنة وتقيده
بأربعين لاجل معاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما رخص
الامل فيه ولكن استحقاق موسى لئل الموعود كان لا يتم إلا بعد أربعين يوما لم تخرجت به يوم أمثاله
سنة الله تعالى في تدرج الامور كما قال عليه السلام ان الله يخرط سنة آدم بيده أربعين صباحا لان
استحقاق تلك الطيبة الفخر كان موقوفا على مدة مبلتها ما ذكر فاداما وراه السنة لا يتدخره إلا بحكم
ضعف القلب والركون الى ظاهرات الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق باطاعة التدبير
من الوكيل الحق يخفيا بالأسباب فان أسباب الدخول في الارتفاعات والركوات تنسكب وتشتت
السنين غالباً ومن ادخل أقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله ومن كان أمله شهرين لم تكن
درجته كدرجته من أمل شهر ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من
الأذخار الا قصر الأمل فالأفضل أن لا يتدخر أصلاً وان ضعف قلبه فكلما قل أذخاره كان فضله أكثر
وقد روي في القدر الذي أمر صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه وأسامه أن يسلاه فسلاه
وكنهه بربه فلما دنفه قال لأصحابه انه يبعث يوم القيامة وجهه كالقمر لئلا البدر ولولا خصلة
كانت فيه لبعث وجهه كالشمس الصاحبة قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صوماً ما فو ما كثير
الذكر لله تعالى فبأنه كان أذخاره الشتاء أخرجه الصيف لصبغه وإذا جاء الصيف أخرجه الشتاء
لشنته ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكور
والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك فان أذخاره لا ينقص الدرجة وأما ثواب الشتاء فلا
يحتاج إليه في الصيف وهذا في حق من لا يزعج قلبه بترك الأذخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي
الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشرف نفسه اضطراباً يشغل قلبه عن العبادة
والذكر والفكر فلا أذخاره أولى بل لو أمست ضبعة يكون دخلها واقياً بقدر كفايته وكان لا يتفرغ

قلبه الاله فذلك له أولى لان المنصود اصلاح القلب لتغير ذلك الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمخذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا السكلى الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصول الضعيف اذا خاف قدر حاجته كما أن صواب القوى ترك الاذخار وهذا كله حكم المنفرد فما المعبول فلا يجزى عن حذا التوكل باذخار قوت سنة لعيا له جبر الضعيفهم وتسكين القلوبهم واذا خارا أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرار السنين فاذا خاره ما يزد عليه سببه ضعف قلبه وذلك ينقض قوة التوكل فالمتركل عبارة عن موجد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد اذخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخله شيئا القدوني بل لاعن الاذخار في كسرة خبز اذخرها ليعطى عليها فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلا ولا وقال صلى الله عليه وسلم اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطت فلا تخبأ اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان اذا بال تيم مع قرب الماء ويقول ما يد ربنى لعلى لا بلغه وقد كان صلى الله عليه وسلم لو اذخر لم ينقص ذلك من تركه اذ كان لا يثق بما اذخروا ولكنه عليه السلام ترك ذلك لعليا للاقوياء من أمته فان اقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته واذخر عليه السلام لعياله السنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من أمته بل أخبر ان الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه تطيبها لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهى بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون اليسور من الخير عليهم بهجزهم من منتهى الدرجات فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت أن الاذخار قد ينصر بعض الناس وقد لا ينصر ويدل عليه ما روى أبو امامة الباهلي أن بعض أصحاب الصفة توفي فاوجده كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غره من المسلمين يموت ويخلف أموالا ولا يقول ذلك في حقهم وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين أحدهما أنه أراد كيتين من النار كما قال تعالى تسكوى بها جبابهم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبس والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تلبس فان كل ما يجمله الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذا يؤتى أحد من الدنيا شيئا انقص بقدره من الآخرة * وأما بيان أن الاذخار مع فراغ القلب عن المتخيل ليس من ضرورية بطلان التوكل فيشاهده ما روى عن بشر قال الحسين المغازي من أصحابه كنت عنده ضجوة من الهار فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رأيت فقام لاحد غيره قال ودفع الى كفاهم وقال اشترينا من اطيب ما نقد وعليه من الطعام الطيب وما قال الى قط مثل ذلك قال فبغت بالطعام فوضعت فاكل معه وما رأيت أنه اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فآخذ الرجل وجميعه في ثوبه وحمله معه وانصرف فبغت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذلك أخونا فاعج الموصلى

زارنا اليوم من الموصل فاعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر معه الا ذخار في مباشرة الاسباب المدافعة للضرر المعترض بالخوف في العلم أن الضرر قد يضر من الخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب المدافعة رأساً ما في النفس فكان نوم في الارض المسببة أو في تجاري السيل من الوادي أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها وظنونها والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة السكي والريقة فان السكي والريقة قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد زول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف التوكلين الا بترك السكي والريقة والطيرة ولم يفهم بهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا حبة والخبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار بأكل التوم مثلاً عند الخروج الى السفر في الشتاء جميعاً لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكي بخلاف الخبة ولترك الاسباب المدافعة وان كانت مقطوعة وجهه اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذوه وكلاء وصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آتيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل ودع انهم وتوكل على الله وقال سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وصلى بهم يتوكلون وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والغفاري فترك دفعها ليس من التوكل في شيء اذا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لاعتائه على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتها في الكسب وجلب النافع فلا تظول بالاعادة وكذلك في الاسباب المدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه اسباب عرضت بسنة الله تعالى اما قطعاً واما ظاهراً لذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عرابي لما ان اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقله او توكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف ولأخذوا أسلحتهم وقال سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تعالى موسى عليه السلام فأمر بهادي ليل والنصن بالليل اختفاء عن أعين الاعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن أعين الاعداء دفعا للضرر وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعاً قتل الخية والعقرب فانه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظهر ونظن وقد بينا أن الظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقضى التوكل تركه فان قلت فقد حكى من جماعة أن منهم من وضع الاسديده على كتفه ولم يتركه فأقول وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الاسد وسخروه فلا ينبغي أن يترك ذلك المقام فانه وان كان محججاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطاً في التوكل وفيه أسرار لا يفهمها من لم ينته اليها فان قلت وهل من علامة ما في قصوصات الهافا قول الواصل لاحتياج الى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه أن يضر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال يضك ويعض فتركه فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلى لم يستل الا باشارتك وكان مسخر لك فربما ترتفع درجتك الى أن يضررك الاسد الذي هو ملك السباع وكتب دارك أولى بأن يكون مسخر لك من كلب البوادي وكتب اهابك أولى بأن يقهر من كلب دارك فاذا لم يضررك الكلب الباطن فلا تطمع في استعمار الكلب

الظاهر فان قلت فاذ أخذ التوكل سلاحه حذر من العدو وأغلق بابه حذر من اللص وعقل بعمره حذر من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً فأقول يكون متوكلاً بالعلم والحال * فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع لم يندفع بتكافئه في إغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه فكمن باب يغلق ولا يتفتح وكمن بعير يعقل ويموت أو هلك وكمن أخذ سلاحه يقتل أو يغلب فلا تنسلك على هذه الأسباب أصلاً بل على مسبب الأسباب كما حضرنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه ان حضر وأحضر السجل فلا تنسلك على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته * وأما الحال فهو ان يكون راضياً بما يقضى الله تعالى به في دينه ونفسه وقول الله ان سلط على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمتك فاني لا أدري أن ما أعطيتني هبة فلا تسترجعها أو عارية ووديعة فتستردها ولا أدري انه رزقي أو سبقت مشيتك في الازل بأنه رزقي غيري وكيفية قضيت فأنا راض به وما أغلقت الباب تحصننا من قضايتك وتخطأ له بل جرياً على مقتضى سننك في ترتيب الاسباب فلا تقة الا بك يا مسبب الاسباب فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه عمله لم يخرج من حدود التوكل يعقل المعبر وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك ضده نعمة فقد بدين من الله تعالى وان لم يجده بل وجدته مسروقة فانظر الى قلبه فان وجدته راضياً أو فوجده ذلك عالماً انه ما أخذ الله تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صدق مقامه في التوكل وظهر له صدق قوه وان تأمل قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقاً في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا لمن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تنادى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستسقى الطب بيده فقد كانت السرعة مزيد الله في ذنبه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع النعمات وكذب في جميع الدعاوى فبعد هذا فينبغي أن يجتهد حتى لا يهتق نفسه في دعاها ولا يتدلى بجبل غرورها فانها خادعة أمارة بالسوء مدعة للضر فان قلت فكيف يكون للتوكل مال حتى يؤخذ فأقول التوكل لا يخلو بينه عن متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وناه يتوضأ منه وجرب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يحسكه ليجد محتاجاً فيصرفه اليه فلا يكون اذا خارعه على هذه التهمة مبطلاً لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجرب الذي فيه زاده واثام ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جار به بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكنزان والامتنع في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والآلة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جار به بالفرق بين الامر من فان قلت فكيف يتصور أن لا يجزن اذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأني قلبه ولا يجزن وقد حبل بينه وبين ما يشتهيه فأقول انما كان يحفظه ليستعين به على دته اذا كان ظن أن الخيرة في أن يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستبدل على ذلك يتيسر الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع طمأنه أن ذلك معين له على أسباب دته ولم يكن ذلك عنده مقطوعاً به انه يحتمل أن تكون خيرة في أن يتدلى بفقره ذلك حتى يسهب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب

والتعب أكثر فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله
حسن الظن به فيقول لولا ان الله عز وجل علم ان الخيرة كانت لي في وجودها لي الآن والخيرة لي
الآن في عديمها لما أخذها مني فجعل هذا الظن يتصور ان يتدفق عنه الحزن انه يخرج عن ان يكون
فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث انه يسرهما سبب الاسباب عناية وتلطفا وهو
كالمرضى بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا ان يعرف
ان الغذاء ينفعني وقد فويت على احتماله لما قرب به الي وان أخر عنه الغذاء بعد ذلك ايضا فرح وقال
لولا ان الغذاء يضرتني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى
ما يعتقد المريض في الولد المشفق الخائف يعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى
وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أى الاسباب
خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي
أن لا يبالي المتوكل بسرق مناعه أو لا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا وفي الآخرة فكمن
من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكمن غني يتلى بواقعة لاجل غناه يقول يا ليتني كنت

بيان آداب المتوكلين اذا سرق مناعهم

فقيرا
للتوكل آداب في متاعه اذا خرج عنه (الاول) ان يغلظ الباب ولا يتقصى في اسباب الحفظ
كالتماس من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه أغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلظ باب
ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شدته ايضا (الثاني) أن لا يترك في البيت متاعا
يجرّض عليه السرقة فيكون هو سبب معصيتهم أو امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما
أهدى الخيرة الى مالك بن دينار زكوة قال خذها لاجابة في الها قال لم قال يوسوس الى العدو وان
الاص أخذها فكانه احتار من أن يصح السارق ومن شغل قلبه يوسوس الشيطان بسرقته
ولذلك قال أبو سليمان هدام ضعيف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فاعلمه من أخذها
(الثالث) أن ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه
من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل وهو في سبيل الله تعالى وان كان
فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذته غنى أو فقير احدهما
أن يكون ماله مائة ماله من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقه بعده وقد زال عصيانه
بأكل الحرام لما أن جعله في حل والثانية أن لا ينظم مسلأ آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر
ومهما ينوي حراسة مال غيره بماله نفسه أو ينوي دفع المعصية عن السارق أو تحفظه ماله فقد نهى
للمسلمين وامثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما ونصر الظالم أن تنفعه من الظلم
وعفوه عنه اعدام الظلم ومنعه له وليحقق أن هذه النية لا تضر دوحه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط
السارق ويغير القضاء الا زلي ولكن يتحقق بالزهد نية فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبع مائة
درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن ترك العزل فأقر النطقة قرارها ان له اجر غلام ولله من ذلك الجماع وعاش يقتل في سبيل الله
تعالى وان لم يولد له لانه ليس أمر الولد الا الوقاع فأما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه
فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك أمر السرقة (الرابع) انه اذا وجد المال
مسرورا فليمنع أن لا يجزى بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلمه الله تعالى ثم
ان لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبالي في طلبه وفي اساءة الظن بالمسلمين وان كان

فجعلها في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه خيرة لنفسه الى الآخرة فان أعد عليه فالاولى أن لا يقبله بعد ان كان قد جعلها في سبيل الله عز وجل وان قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يرزى بغير ذلك التوبة ولكنه غير محبوب عند المتوركين وقد روى أن ابن عمر سرق ناقة فطلبها حتى أصابتم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان نأقنك في مكان كذا فليس نعله وقيام ثم قال أستغفر الله وجلس فقبل له لا تذهب فتأخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيخين رأيت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال عقر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها قال وهو مع ذلك كتيب خزين فقلت قد عقرتك ودخلت الجنة وأنت خزين فتعسف الصلوة ثم قال نعم اني لا ازال خزين الى يوم القيامة قلت ولم قال اني لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين مارأيت مثلها فجارأيت فقهرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصر فوه عنها فليست هذه لانا هي لمن أمضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل فقيل لي كنت تقول للشيء انه في سبيل الله ثم زعم فيه فلو كنت أمضيت السبيل لامضنا لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان ناعما الى جنب رجل معه هميانه فأنبته الرجل فقصد هميانه فأنه به فقال له كم كان في هميانه فذكر له عمله الى البيت وروى من عنده ثم بعد ذلك اعلمه أصحابه انهم كانوا أخذوا الهميان من جامعته فجاءه هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذ خذ خلا لطيفا كنت لا عود في مال اخرجه في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابنه وجعل يصرصر او يبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغبنا ليعطيه فقبر انفاغ عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطيه فقبرا آخر وكذلك يفعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات (الخامس) وهو اقل الدرجات أن لا يدعوا على السارق الذي طلبه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أيضا أجره فيما أصيب به في الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم يترجع لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما اني قد كنت رأيتك وهو بجعله قيل وما منعك أن ترجه قال كنت فيها هو أحب الي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقلوا اخبرنا اني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عونا لظالم طان عليه قيل رأيت لورث عليك قال لا أخذه ولا أنظر اليه لاني كنت قد أحلته له وقيل لا تزدع الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكتفي المسكين ظلم نفسه حتى أزيد به شرأوأكثر بعضهم شتم الخجاج عند بعض السلف في طلبه فقال لا تفرق في شتمه فان الله تعالى بنصف السجاج من انهم كرهه كينصف منه لمن أخذ ماله ودمه في الخمر ان العبد للظلم المظلم فلا يزال يشتم ظالمه وسبه حتى يكون مقدار ما ظلمه ثم يسيق للظالم عليه مطالبه بما زاد عليه يقتص له من المظلم (السادس) أن يفتن لاجل السارق وعصيانه وتعزضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى ان جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا في دنياه لا نقصا في دته فقد شك بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال ان لم يكن لك غم انه قد صاب في السبلين من يستل هذا أكثر من غمك مما لك فانما أصبحت للسبلين وسرق من عني بن الفضل دنانير وهو يطوف بالبيت فراه أبو وهو سبي ويحزن فقال أعلى الدنانير سبي فقال لا والله ولكن على المسكين أن يستل يوم القيامة ولا تسكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعا عليه

فهذه أخلق السلف رضى الله عنهم أجمعين * (الفن الرابع في إزالة الضرر وكداوة المرض وأمنائه) . علم أن الاسباب الزيلة لمرض أيضاً تنقسم الى مقطوع به كالإمزال لضرر العطش والخبر المزبل لضرر الجوع والى مظنون كالتصد والجامة وشرب الدواء وسائر أبواب الطب أعني معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهى الاسباب الظاهرة فى الطب والى موهوم كالسكى والرقبة أما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشطر التوكل تركه أذبه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين وأقواها السكى وبليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والانسكال اليها غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب وأما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالدأوة بالاسباب الظاهرة عند الأطباء فعمله ليس منافصاً للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظوراً بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله فى بعض الاحوال وفى بعض الأشخاص فهى على درجة بين الدرجتين وبديل على أن التداوى غير منافص للتوكل فعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم مامن داء الاوله دواء صرفه من عرف وجهه من جهله الا السام يعنى الموت وقال عليه السلام تداو واعاد الله فان الله خلق الداء والدواء وسئل عن الدواء والرق هل يرد من قدر الله شيئاً قال هى من قدر الله وفى الخبر المشهور ما مررت بجمائن الملائكة الا قالوا امرى أمتك بالجامة وفى الحديث انه أمرها وقال احضبوا لسبع عشرة وتسع عشرة واحد وعشرين لا ينبغ بكم الدم فيقتلكم فذكر أن شيعب الدم سبب الموت وانه قابل باذن الله تعالى وبين أن اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهداب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كسب الماء على النار لا طفاؤها ودفع ضررها عند وقوعها فى البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلاً وفى خبر مقطوع من احضب يوم الثلاثاء لسبع عشرة عن التهم كان له دوا من داء سنة وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى وبالجملة وقطع لسعد بن هاد عن رضى الله عنه وكوى سعد بن زبارة وقال لعلى رضى الله تعالى عنه وكان رمد العين لأنى كل من هذا بعنى الرطب وكل من هذا فانه اوفى لك بعنى سلقا قد طبخ بدقيق شعير وقال لصهيب وقد رآه يأكل الثمر وهو وجع العين تأكل تمرأوت أرمده فقال انى أكل من الجانب الآخر فتبهم صلى الله عليه وسلم وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى فى حديث من طريق أهل البيت انه كان يتكحل كل ليلة ويحجهم كل شهر وشرب الدواء كل سنة قبل السنالكى وتداوى صلى الله عليه وسلم فمر مرة من العقرب وغيرها وروى انه كان اذا نزل عليه الوحى صعد رأسه فكان يلقه بالخناء وفى خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها خناء وقد جعل على قرحة خرجت به تراوا ما روى فى تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر وقد صنف فى ذلك كتاب وسعى طب النبى صلى الله عليه وسلم وقد كر بعض العلماء فى الاسرائليات أن موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فغروا عاتله فقالوا له لوتداوى بكذل البرأت فقال لا تداوى حتى يعافيني هو من ضرره فقالت علة فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف بحرب وان تداوى به فبئراً فقال لا تداوى وأقامت علة فأوحى الله تعالى اليه وعزى وجلالى لأمر أنك حتى تداوى بما ذكره لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم فداووه فبأوأوحى فى نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه اردت أن تبطل حكمتى بتوكلت على من أودع العقاقير منافع الاشياء غيرى وروى فى خبر آخر أن نبيامن الاتياء عليهم السلام شك عليه فبدها فأوحى الله تعالى اليه كل البيض وشكاني آخر الصنف فأوحى الله تعالى

اليه كل اللحم باليمن فان فيها القوة قبل هو الضعف عن الجماع وقد روى أن قوما شكروا الى نبيهم قبح
أولادهم فأوحى الله تعالى اليهم أنهم أن يطعموا نساءهم الحبا الى السفرجل فانه يحسن الولد ويقبل
ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كثر انوا يطعمون الحبا الى السفرجل
والنساء الرطب فهذا بين أن مسبب الاسباب أجرى مسفته ربط السيدات بالاسباب اظهر ارا
للعكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكأن أن الخبز دواء الجوع والماء
دواء العطش فالسكابين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في أحد أمرين
* أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز حلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة
الصفراء بالسكابين يدركه بعض الخواص فن أدرك ذلك بالتجربة العنق في حقه بالاول * والثاني
أن الدواء يسهل والسكابين يسكن الصفراء بشرط آخر في الباطن وأسباب في المزاج وربما تعذر
الوقوف على جميع شروطها وربما فوت بعض الشروط فتقاعد الدواء عن الاسهال وأما زوال
العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وقد ينق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع
كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينصرف في هذين الشئتين والاف السبب ينلو
السبب لاجلها مع ماتت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتخييره وترتيبه بحكم
حكيمه وكل قدرته فلا يضرك التوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء
فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم أنه قال يارب من الداء والدواء فقال تعالى مني قال فما يصنع
الاطباء قال يا كلون أرزاقهم ويطيئون نفوس عبادي حتى يأتي شقائي أو قضائي فإذا معني
التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال المدافعة للضرر الجالبة للنفق
فأما ترك التداوي أو ساقليس شرط فيه فان قلت فالكي أيضا من الاسباب الظاهرة النفع
فأقول ليس كذلك اذا الاسباب الظاهرة مثل القصدوا الجماع وشرب المسهل وسقي المبررات
للضرورة وأما الكي فلو كان مثله في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقيل بتدالك الكي
في أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الأتراك والاعراب فهذا من الاسباب الموهومة كالرق في الآه
ينزع عنها أمر وهو أنه احتراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه مأمون وجع يعالج بالكي الاول
دواء يقضي عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار حرج مخوب للبيئة محذور السراية مع الاستغناء عنه
بخلاف القصد والجماعة فان سرايتها بعيدة ولا يستمد مسددا غيرهما ولذلك نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الكي دون الرقي وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى أن عمران بن الحصين
اعضل فأشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزواله وعزم عليه الامر حتى اكوى فكان يقول كنت
أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم على الملائكة فلما اكويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكوتونا
كبات فوالله ما أنفت ولا أنجحت ثم تاب من ذلك وأتاب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجيد
من أمر الملائكة وقال لطرف بن عبد الله ألم تر الى الملائكة التي كان أكرمني الله بها فقد ردها الله
تعالى علي بعد أن كان أخبره بفقدها فإذا الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه
يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التمعن
فيها والله أعلم **وهو بيان أن ترك التداوي قد يحدث في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل**
وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلم أن الذين تداروا من السلف لا يصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الأكابر فربما
يظن أن ذلك نقصان لانه لو كان كالاتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لا يكون حال غيره

في التوكل أكل من حاله وقد روى عن بي بكر رضى الله عنه أنه قيل له لودعوا نالك طبيباً فقال
الطبيب قد نظرتني وقال اني فعال لما أريد وقيل لابي المرداء في مرضه ما تشكى قال ذنوبي قيل
شأتني قال مغفورة بي قالوا ألا تدعوك طبيباً قال الطبيب أمرضني وقيل لابي ذرو قد رمدت
عيناه لودا وبهما قال اني عنهما مشغول فقيل له لو سألت الله تعالى أن يهاتيك فقال سأله فيما هو
أهم علي منهما وكان الريح من خشم أصابه فالحق قيل له لو تدأوت فقال قد همت ثم ذكرت عاداً
وعموداً أصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً وكان فهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تكن الرق
شيئاً وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لن اعتمد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التدأوى من
شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يجبر المتطبيب بها أيضاً إذا سأله وقيل لسهل متى يصح لعهبد
التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه مشغلاً بحاله ونظر إلى
قيام الله تعالى عليه فإذا منهم ترك التدأوى وراءه ومنهم من كرهه ولا يتضح وجه الجمع بين فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله لم لا يحصر الصوارف عن التدأوى فنقول ان ترك التدأوى
أسباباً (السبب الأول) أن يكون المريض من المكشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن
المرداء لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحس وطن وتارة بكشف محقق
وبشيء أن يكون ترك التدأوى رضى الله عنه التدأوى من هذا السبب فإنه كان من المكشفين فإنه
قال لما تشرفى الله عنها في أمر المرات انما هن أختاك وانما كان لها أخت واحدة ولكن كانت
أمرأاً تدحامل فولدت أنثى فلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى فلا يسعد أن يكون قد كوشف
أيضاً بانتهاء أجله والا فلا ينظر به انكار التدأوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تدأوى
وأمر به (السبب الثاني) أن يكون المريض مشغولاً بحاله ويخوف ما قبله واطلاع الله تعالى
عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتدأوى مشغلاً بحاله وعليه يدل كلام أبي ذر إذا قال
اني عنهما مشغول وكلام أبي المرداء إذا قال انما تشكى ذنوبي فكان تألم قلبه خوفاً من ذنوبه أكثر
من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالصاحب موت عزيز من أعزته أو كالخائف الذي يجعل إلى ملك
من الملوك ليقبل إذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك
انكاراً لكون الأكل نافعاً من الجوع ولا طعناً في كل ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث
قيل له ما القوت فقال هوذا كراحي القيوم فقيل انما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل
سألتك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سألتك عن طعمة الجسد قال مالك والجسد دع من
تولاه وألا يتولاه آخر إذا دخل عليه علة فردّه إلى صانعها أما رأيت الصنعة إذا عبت ردّها إلى
صانعها حتى يصلحها (السبب الثالث) أن تكون العلة مرضية والدواء الذي يؤمر به بالاضافة
إلى علته موهوم النفع جار مجرى السكى والرقية فيتركه التوكل والبسه يشير قول الريح من خشم
إذا قال ذكرت عاداً وعموداً فهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى أى أن الدواء غير موثوق به وهذا
قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون ضد المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا
يقبل على نفعه كونه نافعاً ولا شك في أن الطبيب المجرب أشد اعتقاداً في الادوية من غيره فتكون
الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التدأوى من العباد
وإزهاذ هذا مستندهم لأنه يبقى الدواء عندهم شيئاً موهوماً لا أصل له وذلك صحيح في بعض الادوية
عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظراً
واحداً فيرى التدأوى تعاقباً في الأسباب كالسكى والرقى فيتركه توكل (السبب الرابع) أن يقصد

العبد يترك التداءى استغفاه المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليحرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم المثل فالمثل بيتي العبد على قدر إيمانه فان كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء وان كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فخرج كالمذهب البرز لا يريد ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود تحترقا وفي حديث من طرقت أهل البيت ان الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبر احتسبه فان رضى اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تمضون ولا تنفون وقال ابن مسعود رضى الله عنه تجد المؤمن أصح شيئا قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصح شيئا جسما وأمرضه قلبا فلما عظم القضاء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واعتصموا وليناوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة يضيها ولا يتركها للطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا أن صلاتهم قعودا ملا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة في الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة كتبوا الصدى صالح ما كان يعمل فانه في وثاقى ان أطلقته أبدلتها خيرا من له وود ما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس فقبل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى أن يحكروها شيئا وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداءى وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداءى لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداءى منها وكان يداءى الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلى من قعود ولا يستطع أعمال البر من الامراض فتدأى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات بهب من ذلك ويقول صلاته من قعوده المرض باحالة أفضل من التداءى للقوة والصلاة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء قائما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء الباريد سئل عنه لم أخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصر بين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لتعليمه بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب الا اذا كان ألمه غالبا مدحشا وقال سهل رحمه الله على الاجسام رحمة فعمل القلوب عقوبة (السبب الخامس) أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فبى المرض اذا حال تكفيرها فترك التداءى خوفا من أن يصرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحى والمليئة بالعبد حتى تمشى على الارض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة وفي الخبر حرقى يوم كفارة سنة فقبل لانها تذهب سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحى في جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محوما فلم تكن الحى تقارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طايفة من الانصار فكانت الحى لا تزالهم ولما قال صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كرميته لم يرض لثوابا دون الجنة قال فلقد كان من الانصار من يمتن العبي وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يرض بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال

باب ارحمه فقال تعالى كيف ارحمه فيما به ارحمه أى به أكفر ذنوبه وأزيد درجاته (السبب السادس) أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفاً من أن يعاجله زوال المرض فتعاقده الغفلة والبطر والطغيان وطول الأمل والتسويات في تدارك الفأنت وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي وألقها أن تدعو الى التمتع في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال للريح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله بعبد خيراً لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو زلة وقد روى أن الله تعالى يقول الفقر سبني والمرض قبدي أحبس به من أحب من خلتي فإذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فأى خير يزيد عليه ولم ينبغي أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لأناس كيف كنت بعدى قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله ورجل فأنت في عافية وان كنت قد عصيته فأى داء أدوم ان العصبية ما عوفى من عصي الله وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة الطب بالعراق في يوم عيدهما هذا الذى أظهره قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيدهم فقال كل يوم لا يعصى الله ورجل فيه فهو لنا عبد وقال تعالى من بعد ما أراكم تتجنون قيل العوافى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون أنا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث أربع مائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحتمل له جسم ولم يضرب عليه عرف فاذعى الربوبية لعنه الله ولوأخذته الشقيقة يوماً لثقلته عن الفضول فضلاً عن دعوى الربوبية وقال صلى الله عليه وسلم أكثر وامن ذكر هادم الذنات وقيل الحى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للتسوية وقال تعالى أولايرون أنهم يقتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يقتنون بأمراض يجتنبون بها ويقال ان الصدا ان مرض مرضتين ثم لم ينجب قال له ملك الموت يا غافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم يجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوماً أن يروى روعة أو يصاب بيلة حتى روى أن عمارين ياسر تزوج امرأه فلم تكن تمرض قطقتها وأن النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امرأه فحكي من وصفها حتى هتم أن يتزوجها فقبل وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة في فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والأوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال صلى الله عليه وسلم البسك عني من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فليطير الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر الحى خط كل مؤمن من النار وفي حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهيد يوم القيامة غيره فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ آخر الذى يذكر ذنوبه فحزنه ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ رأوا انفسهم ضريداً فيها لامن حيث رأوا التداوى نقصاناً وكيف يكون نقصاناً وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم

بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال

فلو قال قائل انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء وتوجب التوكل بترك الدواء فيقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الجمامة والقصد عند تبسغ الدم فان قيل ان ذلك أيضاً شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينهي عن

في اهلا كههم فهذه امور دقيقة في لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده
 أكثر ما سمعته وعظمت العباد والازهاد في مثل هذا كثيرا وانما شرف العلم وقصبلته لاجل ذلك فان
 قلت في ترك التدوي فضل كذا كرت فلم يترك رسول الله صلى عليه وسلم التدوي لئلا الفضل
 فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خوف على نفسه طغيان العافية وغلبة
 الشهوات واحتياج الى ما يذكروا الموت لغلظة الغفلة واحتياج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن
 مقامات الراضين والمتوكلين أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى في الادوية من
 لطائف المنافع حتى صار في حقهم هووما كالرقى أو كان شغله بحالة تمتعه عن التدوي وسكان
 التدوي يشغله عن حاله لضفة عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التدوي وكل
 ذلك كالات بالاضافة الى بعض الخلق وقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذا كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته على وتيرة
 واحدة عند وجود الاسباب وقد هافتها فلم يكن له نظير في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن
 كان هذا مقامه لم تقصر الاسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت
 كالأنهى أيضا فنقص بالاضافة الى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والمذهب
 أو كل من الحرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدبر والمذهب عنده
 وكان لا يمكنه تسليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لانخوفه على نفسه من امساكه فانه كان
 أعلى رتبة ممن أن تفره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فأبى أن يقبلها فكذلك يستوى عنده
 مباشرة الاسباب وتركها لثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواجر باعنى سنة الله تعالى
 وترك خصا لا منه فيما عسى اليها حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخال الاموال فان ذلك يعظم
 ضرره نعم التدوي لا يضر الامن حيث رؤية لدواءنا فنادون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه من
 حيث انه يقصده الصحة ليسعان به على المعاصي وذلك مبنى عنه والمؤمن في غائب الامر لا يقصد
 ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء فاعيا بنفسه بل من حيث انه جعله الله تعالى سببا للشفع كما لا يرى
 الماء صروا ولا تخشعوا فحكم التدوي في مفعوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة
 على الطاعة وعلى المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتمتع المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي
 أوردناها أن ترك التدوي قد يكون أفضل في بعض الاحوال وأن التدوي قد يكون أفضل
 في بعض وأن ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك
 ليس شرط في التوصل الى التارك الوهومات كالسكى والرقى فان ذلك تعق في التدبيرات لا يلبق
 بالتوكلين

بيان أحوال المتوكلين في اطهار المرض وكتمانها

اعلم أن كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى المقامات لان الرضا
 بحكم الله والصبر على بلاءه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكتمانها اسلم عن الآفات ومع هذا فلاظهار
 لا بأس به اذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار ثلاثة * (الاول) * أن يكون عرضه
 التدوي فيحتاج الى ذكره الطبيب فيذكره لاني معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه
 من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطيب وأجاءه وكان أحد بن خبيل يخبر
 بأمراض يجدها ويقول انما أصف قدرة الله تعالى في * (الثاني) * أن يصف لغير الطبيب
 وكان من يقتدي به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يعلم منه حسن الصبر في المرض بل

حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيذكرها لها أن يحدث به كما يحدث بالنعيم قال الحسن
المصري إذا حمد المرض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى * (الثالث) * أن
يظهر بذلك عجزه وانتقاره إلى الله تعالى وذلك بحسن من تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز
كما يرى أنه قبل لعل في مرضه رضي الله عنه كفاً نت قال بشر فتنظر بعضهم إلى بعض كأنهم
كروا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال الحمد لعل الله فأحب أن يظهر عجزه وانتقاره مع ما علم به من القوة
والضراوة وتأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه
عليه السلام وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء
فسل الله تعالى العافية فهذا النبات يرحس في ذر المرض وإنما بشرط ذلك لأن ذكره شكاية
والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرته في تحريم السؤال على الفقراء الأضرورة ووصير الإظهار شكاية
بقربة السخط وإظهار الكراهة لعل الله تعالى فإن خلاص قريته السخط عن النبات التي ذكرناها
فلا يوصف بالتعظيم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يؤهم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه
تضعف وزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التدأوى توكل فلا وجه في حقه للإظهار
لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الأقسام وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل
في معنى قوله نصبر جميل لا شكوى فيه وقيل لعقوب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك قال مر
الزمان وطول الأحران فأوحى الله تعالى إليه تفرغت لشكواي إلى صادي فقال يا رب أيوب البك
وروي عن طاوس ومجاهد أنهما قال لا يكتب على المريض أن ينف في مرضه وكانوا يكرهون أن ين المرض
لأنه إظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما أصاب إبليس إلهه الله من أيوب عليه السلام إلا
أنينه في مرضه فجعل الأتين خطه منه وفي الخبر إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا
ما يقول لعوده فإن حمد الله وأثنى بحمد الله وان شكى وذكر شراً قال كذلك تكون وإنما ذكره
بعض العباد العبيدة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض اغتنى بآيه فلم
يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج اللهم منهم فضيل وهيب وبشر وكان فضيل يقول اشتجى أن مرض
بلا عواد وقال لا أكره العلة إلا لاجل العواد رضي الله عنه وعنهم أجمعين كل كتاب التوحيد والتوكل
يعون الله وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والله سبحانه
ونعالي الموفق

﴿ كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس من ربيع المنهيات ﴾

من كتب احياء علوم الدين ﴿

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي تزه قلبه أولياته عن اللذات إلى زخرف الدنيا ونصرتني * وصني أسرارهم من
ملاحظة غير حضريه * ثم استقلها للكوف على بساط عزته * ثم تجل لهم بأسمائه وصفاته حتى
أشرفت بأناؤه معرفته * ثم كشف لهم عن سمات وجهه حتى احترقت بنار محبته * ثم احتجب
عنها بكنهه جلالة حتى تاهت في بدهاء كبريائه وعظمته * فكلمنا اهترت لملاحظة كنهه الجلال فشبها
من الدهش ما غيّر في وجه العقل وبصيرته * وكلمنا همت بالانصراف آتية فزودت من سرادات
الجمال صبرا أيها الأيسر عن نيل الحق يجهله وعجلته * فبقيت بين الرذ والقبول والصد والوصول
غرق في بحر معرفته وعجزت فنبأ رجبته * والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكال نبوته * وعلى آله
وأصحابه سادة الخلق وأئمة * وقادة الحق وأزمته * وسلم كثيرا * أما بعد فإن المحبة لله هي

الغاية القصوى من المقامات * والذروة العالما من الدرجات * فابعد ادراك المحبة مقام الاوهو
ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة بمقام الاوهو
مقدمة من مقدماتها كالطوبة والصبر والزهو وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فمخل القلوب
عن الايمان بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انك ربعض العلماء امكانها وقال
لامعنى لها الا المواطبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة في حال الامع الجنس والمثال ولما انكروا
المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن
هذا الامر وضمن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم
بيان أن لا مستحق للعبه الا الله تعالى ثم بيان أن أعظم الذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان
سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب القوية لحب الله تعالى ثم بيان
السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الانهم عن معرفة الله تعالى ثم بيان
معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة الله تعالى ثم بيان معنى
الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانساط في الانس ثم القول في معنى الرضا بيان فصلته ثم بيان
حقيقته ثم بيان أن الدماء وكراهة المعاصي لا تنافسه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات
وكلت الصبين متفرقة فهذه جميع بيانات هذا الكتاب

﴿بيان شواهد الشرع في حب الله تعالى﴾

اعلم أن الامة مجمعة على أن الحب لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض مالا
وجوده وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعد
ذلك يطيع من أحب ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين
آمنوا واشتدوا به وهدى الله على انبياء الحب واثبات الثغوات فيه وقد جعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو زر الغنوي: يا رسول الله ما الايمان
قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله
ورسوله أحب اليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من أهله
وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم
واخوانكم الآية وانما جرى ذلك في معرض التهديد والانكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمحبة فقال أحبوا الله لما بعدكم به من نعمه وأحبو في حب الله ما يابى ويروى أن رجلا قال يا رسول الله
انني أريد أن أحب الله فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقير فقال اني أحب الله فقال استعد للبلد وعن عمر رضي
الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش فدنط به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نزل الله قلبه لقد رأيت به بن أبوه يقدونه
بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور أن ابراهيم عليه
السلام قال للملك الموت انجاءه لقيض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى اليه هل
رأيت محبا يكره لقاء جيبه فقال بأملاك الموت الان فاقبض وهذا لا يجده الا بعد حب الله بكل قلبه
فأد اعلم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا
صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم أرزقني حبك وحب من أحببك وحب ما تقرتني اليه حبك واجعل
حبك الى من الماء البارد وجاء أعزاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى
الساعة قال ما عددت لها انقال ما عددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال

له رسول الله صلى الله عليه وسلم المزمع من أحب قال أنس فأرأت المسلمين فرحوا بشئ بعد
الاسلام فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله
ذلك من طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا
زهدها والمؤمن لا ياهو حتى يضل فإذا تفرغوا عن الدنيا قال أبو سليمان الداراني أن من خلق الله خلقا
ما يشغلهم الخنا ومن أفاضلهم النعم منه فكيف يشغلون عنه بالدنيا ويرى أن عيسى عليه
السلام مرت بثلاثة نفر قد خلعت ألبانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغكم ما أرى فقالوا الخوف
من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولا وتعبيرا
فقال ما الذي بلغكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيك ما ترشحون ثم جاوزهم
إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولا وتعبيرا كأن على وجوههم المراتي من الدور فقال ما الذي بلغ
بكم ما أرى قالوا حب الله عز وجل فقال أنتم المقربون أنتم المقربون وقال عبد الواحد
ابن زيد مرتب رجل قائم في السجدة قلت أمانتكم بالبر فقال من شغله حب الله لم يجد البردوع سري
السطى قال تدعى الأم يوم القيامة بأبياتها عليهم السلام فيقال يا أئمة موسى ويا أئمة عيسى ويا
أئمة محمد خير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنزع فرحا
وقال هرم بن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الأقبال
إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفكرة وهي تحصره في الدنيا وتروجه
في الآخرة وقال يحيى بن معاذ صفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال
فكيف حبه وحبه يدعش العقول فكيف وذهوده ونسي مادونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب
عبدى أنا وحقت لك محبة فبقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ متقال خذلة من الحب أحبابي
من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهى إلى مقم بضائك مشغول بضائك صغيرا
أخذتني البك وسر بلتي جمعة قك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال ستر
وتوبه وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتمسكتني في رياضك ملازما لأمرك
ومستغفرا بقولك ولطاف شاربي ولا حظ طائر في فكيف انصرف اليوم عنك كبير أو قد اعتدت هذا
منك صغيرا إلى ما بقيت حولك ذنبة وبالضراعة إليك هممة لاني محبك وكل محب بحبيبه مشغوف
وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر
وذلك أمر ظاهر وانما الغرض في تحقيق معناه فليست شغل به

في بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم أن الطالب من هذا الفصل لا يتكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها
واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى * فأقول ما ينبغي أن يتحقق أنه
لا يتصور رجعة الأبعد معرفة وإدراك الإلزام الإنسان الا بمعرفة ولذلك لم يتصور أن يتصف
بالحب جماديل هو من خاصية إلى المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك
ولا يشاؤه بلذته وإلى ما يتنافى به وينافره يؤلمه وإلى ما لا يؤثر فيه باللام والذات فكل ما في إدراكه
لذته وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يتلوهن
استغراق المولدة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فإذا كل لذته محبوب عند الملتذ به ومعنى
كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة
عن ميل الطبع إلى الشيء الملتذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة

الطبع عن المؤلم المتعب فإذا قوى سمي مقنا هذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته
 * (الأصل الثاني) * أن الحب لا كان تابعا للأدراك والعرفة انقسم إلى محالين بحسب انقسام
 المدركات والحواس فكل حاسة ادراك النوع من المدركات ولكل واحد منها لذته في بعض المدركات
 والطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلهذا العين في الابصار وادراك
 البصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذا الاذن في النعائم الطيبة والزينة ولذا الشم
 في الروائح الطيبة ولذا الذوق في الطعوم ولذا اللسان في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات
 بالحواس ملذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة فسمي الطيب محبوبا
 ومعلوم انه لاحظ العين والسمع فيه بل للشم فقط وسمي النساء محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر
 واللسان دون الشم والذوق والسمع وسمي الصلاة قرة عين وجعلها مانع المحبوبات ومعلوم انه ليس
 تحتضى بها الحواس الخمس بل حسن سادس منظمته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذا الحواس
 الخمس تشارك فيها الهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال
 ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتقبل في الخيال فلا يجب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما تميز
 به من الحس السادس الذي يميز عنه اما بالقل أو بالتور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا
 مشاحة فيه وهيات البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد ادراكا من العين
 وجمال المعاني المدركة بالقل أعظم من جمال الصور الظاهرة لا يبصر فتكون المحالة لذة القلب
 بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع
 السليم والقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للعب الا للميل الى ما في ادراكه لذة كما ياتي تفصيله فلا
 يتكرر اذا حب الله تعالى الامن تعديه القصوري في درجة الهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا
 * (الأصل الثالث) * أن الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل
 يتصور أن يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور
 أن يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى الحب سوى ادراكه ذاته والحق أن ذلك متصور
 وموجود فثبت أسباب المحبة وأقسامها وبيانها أن المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى
 حبه لنفسه أن في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو
 الملائم للحب وأي شيء أتم ملامته من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من
 عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت
 ولا مجرد الخد من سكرات الموت بل لاختطاف من غير ألم وأمت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به
 وكان كارهه لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الانقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى بسلامة
 فمحبوه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالحلاك والعدم
 محمق ودوام الوجود محبوب وكان دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لان الناقص
 فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم
 محمق في الصفات وكمال الوجود كما أنه محمق في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن
 دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن يتبدل لسنة الله تبدلا فانذا
 المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه فالأعضاء محبوبة
 وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه أيضا آلة

في دوام الوجود وكأله وكذا سائر الاسباب * فالإنسان يحب هذه الاشياء لاعتناها بل لارتباط
 حظه في دوام الوجود وكأله بها حتى أنه يحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله
 لانه يخافه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نفسه نوع بقاء له فلفظ حب له بقاء نفسه يحب بقاءه من
 هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لا يفر عن الطمع في بقاء نفسه ابدانهم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان
 طبعه باقيا على اعتداله أثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه
 المحقق وكذلك حب له لا قربة وعشرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قوا بسببهم
 متجملًا بكم لهم فان العشرة والمال والاسباب الخارجة كالجنح المسك لا للإنسان وكالوجود
 ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكامل ذاته ودوام ذلك كله
 والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الاسباب * السبب الثاني الاحسان فان الانسان عبد
 الاحسان وقد جلست القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لغاير عني يدا فيه قلبي اشارة الى أن حب القلب الحسن اضطرار
 لا استطاع دفعه وهو حيلة وقطرة لا سبيل الى تغييرها وهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبى
 الذى لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من أمثال المال
 والهوى وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكالوجود وحصول الحفظ والى هياتها
 الوجود الا ان الفرق أن أعضاء الانسان محبوبة لانها كمال وجوده وهى عين الكمال المطلوب
 فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سبب الكمال الذى يكون سببا
 في دوام صحة الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذى هو سبب الصحة اذ الصحة
 مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ
 محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام
 والشراب محبوب لذاته نافع محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والذات نافع محبوبة لانها وسيلة الى
 الطعام فاذا رجع الفرق الى تفاوت الرتبة والافضل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكان من
 أحب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب
 مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد وينتظر اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة
 الاحسان ونقصانه * السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لا لحظ يناله منه واما ذاته بل تكون
 ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقى البالغ الذى يؤثر بدوامه وذلك حب الجبال والحسن فان كل
 جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين الذة والذة محبوبة
 لذاتها لا لغيرها ولا تظن أن حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة
 لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال أيضا لذته فيعوز ان يكون محبوبا لذاته
 وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة او ينال منها حظ
 سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبه الخضرة والماء الجاري والطباع
 السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش
 المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتفرج عنه الغيوم والهجوم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراه
 النظر فلهذا الاسباب ملذة وكل لذية محبوب وكل حسن وجمال فلا يتخلو ادراكه من لذة ولا احدث
 ككون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله
 كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال * (الاصول الرابع) * في بيان معنى

الحسن والجمال اعلم أن المحيوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما فطن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشرباً بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإصباح وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس بمصور ولا متخيلاً ولا متشكلاً ولا متأنقاً لا مقدراً فلا يتصور حسنه واذ لم يتصور حسنه لم يكن في أدراكه لئلا يعلم يكن محبوباً وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وإنما تجازى البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا نرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء ان لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم إلى حسن وقبح فامعنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يلحق يعلم المعاملة لا الطنب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء بحاله وحسنة في أن يحضر كاله اللائق به الممكن له فإذا كان جميع كماله الممكنة حاضرة فهو غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو ونيسر كزفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره فحسنة فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء فان قلت فهذه الأشياء وان لم تدرك جميعها يحسن البصر مثل الأصوات والطعوم فانها لا تتفك من ادراك الحواس فما بقي محسوسات وليس بشكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بأدراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال وهذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة برادها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خصال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الحسن بل يدرك بنور البصرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وأيد ذلك وأن الامر كذلك أن الطباع محبوبة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم حتى أن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرته مذهبه والذهب عنه ويتخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرته وأرباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهد رجلاً يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ويفضله على غيره أو يحب علياً رضى الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له فلا يتبعهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم

وغيره فعلوم أن من يحب الصديق رضي الله تعالى عنه مثلاً ليس يجب عظمه وجمه وجلده وأطرافه
 وشكله اكل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صفة قاهي الصفات المحودة
 التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقية تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك
 الصفات ترجع حملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهوانه
 يجمع خلال الخبر يتشعب على هذه الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومعلمهما من جملة البدن
 جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى
 يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب
 ذلك حباً فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع حملتها الى
 كل العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى أن الصبي الخفي وطبعه اذا اردنا
 أن نجيب اليه غائباً وحاضراً حياً أو يتالم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم
 والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حب
 الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف
 المحاسن والمقاص التي لا تدرك بالحواس بل بالوصف الناس حاتمياً بالسعفاء ووصفوا خالداً بالشجاعة
 أحبهم القلوب حياض روياء وليس ذلك من نظرائي صورة محسوسة ولا عن حظنا له الحب منهم
 بل اذ احسن من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير قلب حبه
 على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأى الديار فاذا ليس حب
 الانسان مقصوراً على من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى
 المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتندرك
 الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فن حرم البصيرة الباطنة
 لا يدركها ولا يلتذها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس
 الظاهرة كان حبه للعاني الباطنة أكثر من حبه للعاني الظاهرة فشتان بين من يحب متصوفاً
 على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة في السبب
 الخامس في المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأ كد المحبة بينهما لاسباب جمال
 أو حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم في اعمارهم فاما تعرف منها اتلف وماتساكر
 منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضاً
 من عجائب اسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود
 نفسه وكاله وبقاء وجهه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقاءه ودفع المهلكات
 عنه وجهه من كان محسناً في نفسه الى الناس وان لم يكن محسناً اليه وجهه لكل ما هو جميل في ذاته
 سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة فوجهه لمن ينه وينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت
 هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كالوكان للانسان ولد جميل الصورة حسن
 الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوباً بالجمال غاية الحب
 وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بمحبة قوة هذه الخلال في نفسه اهان كانت هذه
 الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات فليس الآن أن هذه
 الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه

وبيان أن المستحق للصبة هو الله وحده

وتعالى

وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك الجهل وقصوره في معرفة الله تعالى وحب
الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتباع لأن محبوب
المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحبة المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل
فلا يتجاوز إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه
وايضاحه بأن ترجع إلى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها مجمعة في حق الله تعالى بجملة
ولا يؤجد في غيره إلا أحادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخييل وهو مجاز
محض لاحقيقة له ومهم ما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من
استحالة حب الله تعالى بتحقيقا وبأن أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى فأما السبب
الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكاله ودوام وجوده وبفضه طلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع
كاله فبهذه جبلة كل حي ولا يتصور أن يتفكر عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه
وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكال وجوده من الله
والى الله وبالله فهو المحترق الموجد له وهو الملقى له وهو المسك للوجوده بخلق صفات الكمال وخلق
الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية إلى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له
من ذاته بل هو محض ومحض وعدمه لا فضل الله تعالى عليه بالابجاد وهو هالك عقب وجوده لولا
فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا نضل الله عليه بالتكامل لخلقته وبالحاجة فليس في
الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف
ذاته ووجود ذاته مستقام من غيره فبالضرورة يجب التمسك لوجوده والمديم له ان عرفة خالقا لم يوجد
وغيره قائم بقاءه وقوامه بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يجبه فهو له بنفسه وبه والمحبة ثمرة
المعرفة فتعتمد ما بعد اتمامها تضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله
تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا هذفتها وكيف يتصور أن يحب الانسان نفسه ولا
يجب ربه الذى به قوام نفسه ومعلوم أن المثل بجزء الشمس لما كان يجب الظل فيجب بالضرورة
الاشجار التى بها قوام الظل وكل ما فى الوجود بالاضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة إلى
الشجر والنور بالاضافة إلى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن
وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة إلى أوهاى
العوالم اذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها ووجودها هو خط المحض اذ انكشف لارباب
القلوب انكشافا أظهر من مشاهدة الابصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع
المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورها ايضا حاصل
من قدرة الله تعالى ولكن الفرض من الامثلة التفهم فلا يطلب فيها الحقائق فاذا ان كان حب
الانسان نفسه ضرور يا تحب لمن به قوامه أو لا ودوامه تانى فى أصله وصفاته وظاهره وباطنه
وجوده وأعراضه أيضا ضرورى ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلائه اشغل
بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالفه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته
وهو عالم الشهادة الذى يشاركه الهائم فى التسعير والاتساع فيه دون عالم المكنوت الذى لا يبطأ
أرضه الا من يقرب إلى شبه من الملائكة فيطرق به بقدر قربته فى الصفات من الملائكة وبقصر عنه
بقدر انحطاطه إلى حضوض عالم الهائم * وأما السبب الثانى وهو حبه من أحسن البه فواساه
بماله ولا يظفه بكلامه وأمدته بمعنونه وانتدب لنصرته وقبأ أعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه

وانتهى وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه واولاده وأقاربه فانه محبوب لالحبال عنه
وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الله تعالى فاه ليعرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى
فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبده فلست أعدها ذلك ليس يحيط بها حصر حاصل كما قال تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر وكنا نقصر الان على بيان
أن الاحسان من الناس غير متم ولا بالاجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنقرض ذلك فمن أنتم عليك
بجميع خزانته وممكنك منها لتصرف فيها كيف تشاء فانك تطلق أن هذا الاحسان منه وهو غلط
فانه انما احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذى
أنتم تخلفه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذى حبك اليه وصرف وجهه
اليك وأتى في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من
ماله ومهما سأل الله عليه الدوامى وقررت في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه في أن يسلم اليك ماله كان
مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذى اضطره لك وصخره وسلط عليه
الدوامى الباعثة المرفقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد
مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو
بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كتبت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا ينص ولا يحسن من
الانسان الا الى نفسه أما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يسذل ماله الا لغرض له
في البذل اما أجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنفعة والاستعداد او الشاء والصيت والاشتهار
بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما أن الانسان لا ياتي ماله في الجرادا
لاغرض له فيه فلا ياتيه في بد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت
فلست مقصودا بل يدك آتاه في القمض حتى يحصل غرضه من الذكر والشاء أو الشكر والثواب
بسبب قبضك المال فقد استغنى عنك في القبض للوصول الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه
ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرحم عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل من ماله
لاجلك أصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسلط الله
الدوامى عليه فلا قدرة له على مخالفة فهو جارى مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير
الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامثال لما رسمه ولا يقدر على مخالفة
ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى
سأل الله الدوامى عليه وأتى في نفسه أن خطه دينه ودنياه في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض
عما بذله خطأ هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكلا لا يعد البائع محسنا لانه يبذل بموضع هو أحب عنده
بما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والشاء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن
يكون ميناة ولا بل الحظوظ كلها أعراض تستحق الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان
في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وخط يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو
الذى أنعم على العالمين احسانا الهام ولا جهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه تعالى عن الاغراض فلفظ
الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال ومتنع امتناع الجمع بين السواد
والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطمع حب المحسن فينبغي
أن لا يحب المعارف الا الله تعالى اذا الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره
فليسحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته * وأما السبب الثالث وهو

حكيم المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فانه اذا بانك خير
ملك عابدا عدل عالم رقيق بالناس تلتطف بهم متراضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض يبعد عنك
وبانك خير ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا يبعد عنك فانك تجد في قلبك فرقة
بينه ما تجد في القلب ميل الى الاول وهو الحب وفرقة عن الثاني وهو البغض مع أنك آس من خير
الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه
محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره
أصلا الا من حيث يتعاقب منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمفضل على جميع اصناف
الخلق في أول ما ييجادهم وثانيا بتسكينهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضرورتهم وثالثا بتزويدهم
وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في هئطان حاجاتهم وان لم تكن في هئطان الضرورة وراعا بتجميعهم
بالزوايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضرورتهم وحاجاتهم ومثال الضروري
من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس
الحاجبين وحرمة الشفتين وتلوذ العينين الى غير ذلك مما لو لم تكن ضرورية ولا ضرورة ومثال
الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة للدواء والعمم والقواكه
ومثال المزاي والازوائد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذا ائذ القوا كذا ولا طعمة
التي لا تنعم بعددها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات
بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذرة العرش الى منتهى القرش فاذا هو المحسن فكيف يكون
غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق المحسن وخالق المحسن وخالق
الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره ايضا جاهل بحضوره من عرف ذلك
لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لخطيئته
منه ورا ادراك الجمال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم الى جمال الصورة
الظاهرة المدركة بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول
يدركه البصائر والباطن والباطن يختص يدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم الاظاهرا
من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب
ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوى الكرام السنية والا خلاق المرضية فان ذلك
متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه
نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه المذلة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فن
يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقي رضى الله تعالى عنه أو الشافعي رحمة الله عليه فلا
يحجم المحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم
على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا لا تعال آثار صادرة عنها واد القوا بها في رأى حسن
تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه
الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم
أشرف وأعجم جلالا وعظمة كان العلم أشرف واجمل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة
كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم
وأشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه به فاذا جمل صفات
الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعنا رجع الى ثلاثة أمور * أحدها علمهم بالله ولا ينكته وكتبه

ورسله وشرائع اياته * والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة
 * والثالث تنزههم عن الرذائل والنجاسات والشهوات الغالبة الصارفة عن سبيل الخير الجاذبة الى
 طريق الشر وعمل هذا يجب الانبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب
 هذه الصفات الى صفات الله تعالى (أما العلم) فآين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط
 بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب
 الخلق كله فقال عز وجل وما أوتيتم من العلم الا قليلا بل لواجتمع اهل الارض والسماء على أن
 يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشر ذلك ولا يحيطوا بشئ من
 علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلاق كلهم في تعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه
 البيان فان كان جمال العلم وشرفه أسرا محبوا وكان هو في نفسه زينة وكلا للوصوف به فلا ينبغي
 أن يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف أعلم اهل زمانه
 واجعل اهل زمانه اسما لئلا يحسب بسبب العلم الأجهل ويترك العلم وان كان الأجهل لا يتخلو عن علم
 ما يتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلاق أكثر من التفاوت بين علم اهل الخلاق
 واجهالهم لان العلم لا يفضل الأجهل الا بعلوم معدودة متناهية تصدور في الامكان أن نألفها الأجهل
 بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية
 لها ومعلومات الخلق متناهية (وأما صفة القدرة) فهي أيضا كمال والجزء نقص فكل كمال وهما
 وعظمة ومجدوا استيلاء فانه محبوب وادراكه لذيق حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شعاعا على
 وخالد رضي الله تعالى عنه ما وغيرهما من الشعاع وقد رتبوا واستيلاءهما على الاقران فيصايف
 في قلبه اهتزازا وفرحوا وارتياحوا ضرور يا مجيد دلالة السماع فضلا عن المشاهدة وروى ذلك حيا
 في القلب ضرور بالانصاف به فانه نوع كمال فانسب الآن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فأعظم
 الاشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم لشهوات وأقهرهم لثبات النفس وأجهمهم
 للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه
 وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا
 ولا ضررا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العي والسان من الخرس وأذنه من الصمم وبطنه من
 المرض ولا يحتاج الى غذا يهرع عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به
 قدرته من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها
 وصواعقها ومعادنها ونبتاتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه
 من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه ونفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسمايه
 والممكن له من ذلك ولولسלט بعضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه فليس
 للعبدة قدرة الابتسكين مولا كما قال في أعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكناك في الارض فلم
 يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتسكين الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة
 الى أجسام العالم وجميع الولايات التي يخطي بها الناس من الارض غيرة من تلك المدرة ثم تلك القدرة
 أيضا من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل أن يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرة وسياسته
 وتمكينه واستيلاءه وكل قوته ولا يجب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو
 الجبار القاهر والعلیم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما على قبضته
 وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة

وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يعمي بخلقها ولا يسه لغوب ولا فتور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر الا وهو اكرم من آثار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستبلاء فان كان يصور أن يجب قادر لكل قدرته فلا ينفق الحب بكمال القدرة سواء أصلا * وأما صفة التزه عن العيوب والتفائض والتقدس عن الرذائل والعيث فهو أخدم موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانباء والصديقون وان كانوا مستزينين عن العيوب والعيث فلا يتصور كمال التقديس والتزه الا لا واحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يتخلص من نقص وعن تفائض بل كونه عاجز مخلوقا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه الله وليس في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدا مضطرا لغيره قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المفرد بالكمال التزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجود التقديس والتزه في حقه من التفائض بطول وهو من أسرار علوم المكشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضا ان كان كالا رجلا محبوبا فلا تهم حقيقة الله وكمال غيره وتزهره لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه نقصا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار ولا نسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل لكل وانما تتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجبل محبوب والجبل المطاق هو الواحد الذي لا نثله الفرد الذي لا ضلته الحمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج من قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفذ من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الا في الذي لا أول لوجوده الأبدى الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحجم امكان العدم حول حضرته القوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجباد والحيوان والنبات المتفرد بالعزة والجبروت التوحيد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تميز في معرفة جلاله العقول وتبحر في وصفه الالسنه الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالهز عن معرفته ومنتهى شؤ الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كمال سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سيد المصدقين رضي الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحان من لم يجعل الخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فليت شعري من يكرامكان حب الله تعالى تحقها ويحبه بحجاز أنتكران هذه الاوصاف من أوصاف الجلال والحمد ونعوت الكبر والخاص أو ينكر كون الله تعالى موصوفاها أو ينكر كون الكبر والجلال والبهاء والعظمة محبوبا بالاطبع عنده من أدركه فسبحان من أخيب من بصائر العيان غيره على جماله وجلاله أن يطلع عليه الامن سميت له منه الحسن الذي هم عن نار الجبابر معبدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتبعون وفي مسارب المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم من الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أود الأوثام الى من عدى في غير نوال لكن يعطى الربوبية حقها وفي الزبور من أظم من عدى لجنه أنوار لولم اخلق جنه ولم اتارالم أكن أهلا أن اطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد تخلوا فلقوا لوشاخ النار وزجوا الجنة فقال لهم مخلوقا فتم ومخلوقا رجوتهم ومرة يقوم آخرين كذلك فقالوا لعبد حباه وتطعيها

لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقامعكم أمرت أن أقم وقال أبو حازم اني لا أستحي أن أعبد الله لثواب
والعقاب فأكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكون
أحدكم كالاجير السوء ان لم يعط أجر لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل * وأما السبب الخامس
للعب فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل أميل ولذلك ترى
الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم
بالعالم أكثر منه بالخريف وأنس العار بالجار أكثر من انسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة
وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصناه في باب الاخوة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه
واذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون في معنى يظهر كنسبة الصبي للصبي في معنى
الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كاتري من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة
جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجنونة فما
تعارف منها اتلفت وماتت كرمها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا
السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى
معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة
حتى يعرف عليه السالكون لطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه
مزوجا في الصفات التي أمر فيها بالاقتران والتعلق بأخلاق الروبية حتى قبل تخلقوا بأخلاق الله
وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان والطف
وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك
من محامد الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه وتعالى لاجبني طلب القرب بالمكان بل
بالصفات وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الأدي في التي
يؤمى بها قوله تعالى وبسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي اذ بين انه أمر ربي أن يخرج عن حد
عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ولذلك أسجد له ملائكته
ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة
واليمر من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون أن لاصورة
الا بصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبها وجسمها وصورها تعالى الله رب العالمين عما يقول
الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال يا رب
وكيف ذلك قال مرض عبيد فلان فلم تعده ولوعده وحدثني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا
بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب العبداني بالنوافل حتى
أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا
موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحرب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهري الى
غالبين مسرفين جاوزهوا حدة المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وفضل
النصاري في عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وقال آخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال
آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتشبيه واستحالة الاتحاد والحلول واتضع
لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل أبا الحسن النوري ص هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد
في قول القائل

لازلت أنزل من وداك منزلا * تبهر الالباب عند نزوله

فلم يزل يعدو في وجده على اوجة قد قطع قصبا وبقى اصوله حتى تشقت قدماه وتورمنا ومات من ذلك وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هي المعلومة من اسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقعا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لان ادناها فكان العقول المقبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما ان المعقول الممكن عند العجيان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يجب غير لما شاركه اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا يفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شرك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شرك له في ذلك وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا تنطبق النقصان الى حمة كما لا تنطبق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا اهل المحبة ولكال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه أصلا

بيان ان اجل الذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان

يؤثر عليها لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة

اعلم ان الذات تابعة للادراكات والانسان جامع للجملة من القوى والفرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها المقضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الفرائز ما ركبت في الانسان عشايل ركبت كل قوة وغريزة لا من الامور ومقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشنج والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الفرائز اعم ولذة بالاضافة الى مدركتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهى لقوله تعالى افن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى الصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامى فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطالب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متمثلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم واقفاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية ولتسم تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناطرة قد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والافالسة التي فارقت الانسان بها التأميم بها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان تدم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فتعضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقضى سائر الفرائز هو لذتها وليس ينبغي ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شئ خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ خفيف يغم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التجدي بالعلم والتجسس به في الاشياء الخفية فالعالم بالعب بالشرع ينجى خسة لا يطيق السكوت فيه من التعليم وينطق لسانه بذكر ما يعمله وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته فان العلم من اخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اتنى عليه بالذكاوة وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الشئ كمال ذاته وكامل علمه فيجيب نفسه ويأخذ به ثم ليست لذة العلم بالحرارة والخطابة كلذة العلم بسياسة الملك وتديبر امر الخلق ولذا لذة العلم بالنعو والشعر كلذة العلم بالهة تعالى وصفاته وملائكته وملكوته السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر

شرف المعلوم حتى ان الذي يعلم باطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجده لذة وان جهله تقاضاه طبعه
 أن يقبض عنه فان علم باطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك اللذة عنده
 وأطيب من عليه باطن حال فلاح أو حاتك فان اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه
 في أمور الوزارة فهو أشهى عنده والذمن عليه بأسرار الرئيس فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك
 والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيّب عنده والذمن عليه باطن أسرار الوزير
 وكان ثمّحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشدّ وحبّه له أكثر لان لذته فيه أعظم فهذا
 استنبان أن اللذة لاراف أشرفها وأشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل
 والاكمل والاشرف والا عظم فالعلم به اللذة العلوم لالحال وأشرفها وأطيّبها وليت شعري هل في
 الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومرتّبها ومبدئها
 ومعيدا ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن تكون حفرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال
 أعظم من الحفرة الابنية التي لا يحيط بمبادئ جلالها وبمجايب أحوالها وصف الوافعين فان كنت
 لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية
 المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات ولذا هو أطيّبها وأشهاها وأحرى
 ما تشتهي به النفوس عند الاتصاف به كالها وجمالها وأجد ما يعظم به الفرح والارتياح
 والاستبشار وهذا تبين أن العلم لذّي وأن اللذة العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره في
 مملكته من منتهى مرشده الى تخوم الارضين فينبغي أن يعلم أن لذة لمعرفة أقوى من سائر اللذات
 أعنى لذة الشهوة والنضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع وأولاً كمخالفة لذة
 الوقاع لذة السماع ولذة المعرفة لذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المتغلم
 من الجماع لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل للفائق الجمال لذة النظر الى
 مادونه في الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فان الخير بين النظر الى
 صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم
 أنها لذّ عنده من الروائح الطيبة فكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمرّ اللاعب بالشطرنج على
 اللعب وترك الاكل فليعلم به أن لذة الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق
 في الكشف عن ترجيح اللذات فتعود وتقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس الخمس والى
 باطنة كلذة الرياضة والغلبة والكرامات والعلم وغيرها فليست هذه اللذة للعين ولا للذنف ولا للاذن
 ولا لللس ولا للذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة
 البجاج السمين واللوز بيج وبين لذة الرياضة فوهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان الخير
 خيس الهمة ميت القلب شديد الهمة اختار العلم والجلالة وان كان على الهمة كامل العقل
 اختار الرياضة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أيا ما كثيرة فاخياره للرياضة يقبل على
 انها لذّ عنده من المطاعم الطيبة نعم الناقص الذي لم تكل معانها الباطنة بعد كالصبي أو كالأذى
 ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يعد أن يؤثر لذة المطاعم على لذة الرياضة وكان لذة الرياضة
 والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعفة فلهذا معرفة الله تعالى ومطالعة جمال
 حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية اللذمن الرياضة التي هي أعلى اللذات الغالبة على
 الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وانه أعتد لهم ما لا عين رأت
 ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعاً فانه لا محالة

يؤثر التنبل والتفرد والفكر والذكرو بنحس في بحار المعرفة وينترك الرياسة مستقرها الخلق الذين
 يرؤسهم لعله يغناه رياسته وفناءه من عليه رياسته وكونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصور الخلق
 عنها وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها
 أنهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام
 ملكته من أعلى عليين الى أسفل السافلين فانها خالية عن المزاومات والمكدرات متسعة للتواريدين
 عليها لا تقصير عنهم بكرها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذ اخرج النظر عن
 المقدرات فلانها لغيرها فلا يزال العارف بمطالعها في جنة عرضها السموات والارض يرتع
 في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها انما رة هذه الجنة غير
 مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا تقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى
 ومحلها الروح الذي هو سر رباتي سماوي وانما الموت يغير لحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها
 ويخليها عن جنسها فأما ان بعد مهافلا ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم
 يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلغوا بهم من خلفهم الآية ولا تظن
 أن هذا مخصوص بالمتوفى في المعركة فان العارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد
 يمتني في الآخرة أن يرذالي الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يمتنون
 لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع اقطار ملكوت السموات والارض مسدان
 العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى أن يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة
 جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير أن يتسبب بعضهم
 على بعض أصلاً لانهم متفاوتون في سعة منتهائهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرتهم وسعة معارفهم
 وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى
 في ذوى السكالم من ذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمية ولا لصية ولا لمعوية وأن لذة
 المحسوسات والشهوات تكون لذوى السكالم مع لذة الرياسة ولكن يؤثرن الرياسة فأما معنى
 كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سماواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا
 يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن
 هذه القوة فكما أنه لا يمكن اثبات رجحان لذة الواقع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا
 رجحان على لذة شم البنفسج عند العذبة لانه قد اصفى الصفة التي هي اندرك هذه اللذة ولكن من سلم من
 آفة الغنى وسلم حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا أن يقال من ذاق عرف
 ولعبري طلاب العلوم وان لم يثقلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استشعروا رائحة هذه اللذة عند
 انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فانها أيضاً معارف وعلوم
 وان كانت معلوماً غير مشرفة شرف المعلومات الالهية فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه
 وقد انكشف له من أسرار ملك الله والوالتشي البسر فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف
 من الفرح ما يكاد يطير به ويتجيب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسوره وهذا مما لا يدرك
 الا بالذوق والحكمة فيه قليلة الجدوى فهذا القدر يسبك على أن معرفة الله سبحانه ألد الاشياء وانه
 لالذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني "ان الله عباد ليس يشغلهم من الله خوف النار ولا رجاء
 الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخي له أخبرني بأى ما يحفظ
 أى شيء هاجك الى العبادة ولا تقطاع عن الخلق فسكت وقال ذكر الموت فقال وأى شيء الموت

فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأى شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأى شيء هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحبته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة فكذلك جميع هذا وفي احبار عيسى عليه السلام اذ ارأيت القنى مشغوقا يطلب الرب تعالى فقد الهاء ذلك مما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركهما الساعة بين يدي الله تعالى يا كلان وبشر بان قلت فانت قال علم الله فله رغبتي في الاكل والشرب فأعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة ومليكان عن يمينه وشماله يقسمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حضرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شغف بصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف قلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي صيد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبه فأتا به النظر اليه الى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري رابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجبر السوء بل عبدته حبه وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما
أحبك حنين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذلك
فاما الذي هو حب الهوى * فتشغلي بك كك من سواكا
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك لي المحب حتى أراكا
فلا الحمد في ذاك لى * ولكن لك الحمد في ذاك

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لا حسانه اليها وانعامه عليها يحفظونه العاجلة ويحبها هو أهل له الحب الجمال وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما كان من ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد فعل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني أقول يا رب يا الله فأجد ذلك على قلبي أنقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا يتأدى جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالمجارة أي يخرج كلامه عن حذوقهم فيرون ما يقول جنونا أو كثر اقتصد الصارفين كلهم وصله ولفاؤه فقط فهي قرّة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها واذا حصلت انخفت الهوم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بشعبيها فلو اني في النار لم يحس بها لاستغراقه ولومرض عليه نعيم الجنة لم يلفت اليه لكال نعيمه وبلوذه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لم يفهم الاحباب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأى معنى لوجه الله تعالى به صاده وذكر انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي أهواؤه مفرقة * فليست جمع مذكراتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذصرت مولائي
تركك للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا ديني ودنياي

ولذلك قال بعضهم

* وهجره أعظم من ناره ووصيله أطيب من جنته وما أراد ولهذا الاشارة للذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو أن الصبي في أول حركته وعينه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألد من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستغرق معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيتركها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والسكر وهي آخر لذات الدنيا وأعلىها وأقواها كما قال تعالى اعلوا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر بالآبئ ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستغرق معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم يقرب الاربعين وهي الغاية العليا كما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويستغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يصنعون على من يترك الرياسة ويستغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تمضروا منا فاننا نضلكم كما تمضرون فسوف تعلمون

بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم أن المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المخيلة والاجسام المتلونة والمتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بحجم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انساناً ثم غرض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كما ينظر اليها ولكن اذا فزع العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرتبة تكون موافقة للتخييلة وانما الافتراق بمنزلة الموضوع والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً وهو كضئ يرى في وقت الاسفار قبل ان تنشأ ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا تفرق احدي الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجهة أو الصدر مثلاً استحق أن يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المختبرات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل أيضاً في الخيال لمعرفة اادراكها درجتان احداهما أولى والثانية استكمال لها بين الاولى والثانية فمن التفاوت في مزيد الكشف والاضاح ما بين الخيال والمرئي فيسمى الثاني أيضاً بالاضافة الى الاول مشاهدة وبقائه ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانه غاية الكشف وكما أن سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد الخيال فكذلك لم يقضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محبوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات ومغالب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونها حجاباً بطول ولا يلق هذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام لن راني وقال تعالى لا تدركه الابصار اى في الدنيا والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملونة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فيها ما تراكبكم

عليه الخبث والصدأ صار كالرآة التي تفسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح
والتنظيف وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبدأ بالأبدان نعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الزين
والطبع ولم يخرج عن قبول التركة والتنظيف يعرض على النار عرضا يشيع منه الخبث الذي هو
متدنس به ويكون العرض على النار قدرا الحاجة الى التركة وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق
المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف سنة ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا وبصحبها غيرة
وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم نجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور
عنها فاذا اكمل الله تطهيرها وتركتها وبلاغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعده الشرع
من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مهم لم يطلع الله عليه أحد من خلقه
فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يستخلص بصفاته وتقائه عن الكدورات حيث
لا يرهق وجهه غيرة ولا قرة لان فيه بطل الحق سبحانه وتعالى فيبطل له تجليا يكون انكشاف تجليته
بالاضافة الى ما عليه كان انكشاف تجلي المرأة بالاضافة الى ما تحيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي
نسمي رؤية فاذا الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور ونحسب
بجهة ومكان فان ذلك مما تعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة
من غير تخيل وتصوير وتقدري شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا
بعينها هي التي تستكمل في الآخرة الكشف والوضوح وتتقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في
الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الامن حيث زيادة الكشف والوضوح كاضربنا من المثال في
استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال
تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح الى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لانها هي بعينها لا تفرق
منها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرتبة هي الخصلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه
الاشارة بقوله تعالى يسعي نورهم بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا انعم لنا نورنا ان تمام التورلا يؤثر
الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي
البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة ثمرة والحب زرع طوم لا نواة في أرضه كيف
يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا
تكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة
فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف باختلاف الثبات بالاضافة الى اختلاف البذر
اذ تختلف المحالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام ان
الله يتجلى للناس عامة ولا يكر خاصة فلا ينبغي أن يظن أن غيري بكم ترجمن هو دونه ويحسد من لذة
النظر والمشاركة ما يجده أبو بكر بل لا يجده الا عشره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشرة ولما
فضل الناس بسر وقر في صدره فضل المحالة بتجلي انفراد به وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياضة
على المعلوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض
وسائر الامور الالهية على الرياضة على المنكوح والمطعم والمشررب جميعا فكذلك يكون في
الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعم والمنكوح
وهؤلاء بعينهم هم الذين حالمهم في الدنيا ما وضعفنا من اشارة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار
الربوبية على لذة المنكوح والمطعم والمشررب وسائر الخلق مشغولون به. ولذلك لما قيل رابعة

ما تقولين في الجنة فقالت الجارح المذارق بعت أنه ليس في قلب التفات الى الجنة بل الى رب الجنة
وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراد في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا لا يجد لذة النظر في
الآخرة اذ ليس بسأف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحدا ما زرع ولا يبشر المرء
الاعلى ما مات عليه ولا عوت الاعلى ما عاش عليه في صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط
الأنه يتقلب مشاهدة تكشف الغطاء فتضاعف اللذة به كتنضاعف لذة العاشق اذا استبدل
بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي
فن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا انعم الجنة بقدر حب الله تعالى
وحب الله تعالى بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر النمرع عنها بالايان فان قلت
فلذة الرؤيا كان لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كان اضاعتها لان لذة المعرفة في الدنيا
ضعيفة قضا عفتها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم أن هذا
الاستحقاق للذة المعرفة صدر من انخلوع عن المعرفة فن خلاص المعرفة كيف يدرك لذتها وانطوى
على معرفة ضعيفة وقلبه مشغور بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فالعارفين في معرفتهم وفكرتهم
ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدل عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه
اللذة مع كمالها انسية لها أصلا الى لذة القيام والمشااهدة كمالا نسبة لذة خيال المعشوق الى رؤيته
ولاللذة استنشاق روائح اطعمة الشهية الى ذوقها ولا لذة لمس باليد الى لذة الوجود واطهار عظم
التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت
بأسباب أحدها كمال جمال المعشوق ونقصاته فان اللذة في النظر الى الاجل أكل لجمال واشتاق
كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاد من اشتد عشقه كالتذاد من ضعف شهوته وحبسه
والثالث كمال الادراك فليس التذاد بمؤبة المعشوق في طلبة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد
كالتذاد بداركه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل
كادرا كهماء التجرد والرائع اندفاع العوائق المشوشة والالام الساعقة لقلب فليس التذاد الصحيح
الفارغ المتبرك فلنظر الى المعشوق كالتذاد انخاف المذخور والمرضى المتألم والمشغول قلبه بهم
من المهمات فقد رعا شقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث
يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنا بيزؤذبه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه
الحالة لا يخلو عن لذة تمام مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انتهكها السر وأشرق بها
النصوء وانذفع عنه المؤذيات وبقي سلبا فارغا وجمعت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ
أقصى الغايات فانظر كيف تنضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى اليانسية يعتد بها فكذلك فافهم
نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنا بيزؤذبال
الشغوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة
والحب مثال لصور النفس في الدنيا ونقصاتها عن الشوق الى المآل الأعلى والتفات الى اسفل السافلين
وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياضة والتفات الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت
في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها ألينة نعم قد تضعف هذه
العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يهت به العقل وتغلب لذته بحيث
يكاد القلب ينظر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض عن الشواغل
والافكار والخواطر ما بشوشه وينقصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة القانية فلا تزال

هذه البذرة منقصة الى اللوت وانما الحياة الطبيعية بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة ملي الحيوان لو كانوا يهلون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يجب لقاء الله تعالى فيجب الموت ولا يكره له الامن حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فالاعانة بكنهه جلال الله بحال فكما كثرت المعرفة بالحق وبصفاته وآفاله وبأسرار ملكه وقوت كثر النعم في الآخرة وعظم كانه كل كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تسكن وتكثر وتنسج في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانتفاع عن صلاتي الدنيا والتبرج للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا يحاله فمن أحب الموت أحبه لانه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغالى منتهى ما يسره ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجبه عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتعت أحبوا البقاء وان ضاقت فمتموا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوي العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوي النقصان كالم تسكن الرياسة ألذ من المطاعم عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية بحالها القلب والوعين في الآخرة فاعلم ان الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المقلبة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه من أن يلتفت الى أن رؤيته تخلف في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذا سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وطرف لا نظرية ولا حكم له والحق فيه أنه القدرة الازلية واسعة فلا يجوز أن نخضع علمها بالقصور عن أحد الامرين هذا في حكم الجوارف أما الواقع في الآخرة من الجائر فن لا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يتحقق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع يجري على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الطواهر الا للضرورة والله تعالى أعلم

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم أن أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم حباً لله تعالى فان الآخرة معناها القيد على الله تعالى ودرك سعادته لقاءه وما أعظم نعم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمسك من دوام مشاهدته أبداً لا يأبى من غير منقص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الأت هذا النعم على قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وانما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا يتفك عنه مؤمن لانه لا يتفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك يتفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين * أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلاً ما لم يفرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزأبه من قلبه مشغولة بغيره بقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصوب فيه والى هذا التفريد والتجريد

الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم . وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أى لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى أ رأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم أنض الله عبد في الأرض الهوى ولذلك قال عليه السلام من قال لا اله الا الله خلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط . ومن هذا حاله فالدينيا محبة لانها مأمعة له من مشاهدة محبوبه وموئنه خلاص من المعين . وقدوم على المحبوب فاحال من ليس له الا المحبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه حتى من المعين . ومكن من المحبوب وروح بالأمن . أبدأ بالأب فاحداً سبب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل والمال والولد والاقارب والعقارب والوالد والبساتين والمنتزهات حتى ان المتفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فيقدر ما أنس بالدنيا فينقص انسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كأنه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا يضيق به قلب ضربه فالدنيا والآخره ضربتان وهما كالشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافاً واضحاً من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليها بما دام الخوف والرجاء فاذ كرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخليّة القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم ينشعب منه الخوف والرجاء وينشعب منها التوبة والصبر عليها ثم يخرج ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميع طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لتزول معرفة الله وجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شرط الايمان كاذ كرناه في أول كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستبلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بما يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الخشيش وهو الشرط الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء والها الاشارة بقوله تعالى السه يصعد الكلام الطيب أى المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة تركها كخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وانما الأول علم العمالة وغرضه العمل وغرض العلم العمالة صفة اء القلب وطهارته لتضع فيه جلية الحق وتترين بعلم المعرفة وهو علم المكشوفة . ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما أن من كان معتدلاً المزاج اذا أبصر بالجل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت اللذة فالذبة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب بالالفكر الصافي والذكر الدائم والجدد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم يعرفون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالافعال ثم يعرفون منها

الى الفاعل والى الاثر الاشارة بقوله تعالى ولم يكفربك أنه على كل شئ شهيد وقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم صرفت ربك قال صرفت ربى وربى ولولا ربى ما عرفت ربى والى الثانى الاشارة بقوله تعالى سترهم اياتى فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق الا بقوله عز وجل ولم ينظر وافى ملكوت السموات والارض ويقول تعالى قل انظروا ما ادا فى السموات والارض وقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن عند الاصر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر فى آيات خارجة عن المحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم أن الطريق الاعلى وهو الاستعداد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حديقهم أكثر الخلق فلا فائدة فى ايرادها فى الكتب وأما الطريق الاسهل الادنى فأكثره غير خارج عن حد الادفاهم وانما قصرت الافهام عنه لاعتراضها من التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحفظ النفس والمال من ذكر هذا اتساعه وكثرة واشتغالها بأبوابه الخارجة عن المحصر والنهاية اذ ما من ذرة من أعلى السموات الى تحوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكال حكمته ومهنته جلالة وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فالحوض فيه انقراض فى ببحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتنقل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرضى الى مثال واحد على اليجاز ليق التنبية لجنته فنقول أسهل الطريقين النظر الى الافعال قلت تكلم فيها ولتركا لاله فى تمام الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أفعالها وأحقها وأصغرها وانتظر فى عجائبا فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعنى بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيهما من حيث الجسم والعظم فى الشمس فالشمس على ما ترى من صغر حجمها مثل الارض مائة وثلاثون مرة فانتظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلسها الذى هي مركزه فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي فى السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع فى الكرى خلقه فى فلاة والكبرى فى العرش كذلك فهذا انظر الى ظاهرا للاضخاص من حيث المقادير وما أحقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما صغر الارض بالاضافة الى الصارفة قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض ومصدق هذا عرف بالشاهدة والتجربة وعلم أن المكشوف من الارض عن الماء كجربة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الأدنى المخلوق من التراب الذى هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجرى مجراه فأنظر فى البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف فأنظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القمل الذى هو أعظم الحيوانات اتخلق لخرطومه مثل خرطوم حماره على شكله الصغرى سائر الاغصان كما خلقه للقبيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضائه الطاهرة فأنبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبره باطنه من أعضاء الغذاء ولا يده مادية فى سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والمضامة ما ركب فى سائر الحيوانات هذا فى شكله وصفاته ثم انظر الى هدائه كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفته أن غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف أنبت

له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدّد الرأس وكيف هداه الى
مسام بشرية الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يفرز فيه الخرطوم وكيف
عله المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقة مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى
باطنه وينتشر في سائر أجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده بيده لعمله حيلة الحرب
واستعداداته ولته وخلق له السمع الذي يسمع به كيف حركة البدن وهي بعد بعيدة منه فيترك المص
ويهرب ثم اذا سكنت اليد يود ثم انظر كيف خلق له حذقتين حتى يصر موضع غذائه فيقصده مع
صغر حجم وجهه وانظر الى أن حذقة كل حيوان صغير لم تحتل حذقة الاجفان له غيره
وكانت الاجفان مصدلة لمرآة الحذقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب بدن منتظر الى
الذباب قتراره على الدوام عسج حذقته بيده وأما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحذقته الاجفان
حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحذقة ويرمي به الى أطراف
الاهتداب وخلق الاهتداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين
وتسبكها عند هيئان الغبار فينظر من وراء شبك الاهتداب واشتبها كما يمنع دخول الغبار ولا يمنع
الابصار وأما البعوض فخلق لها حذقتين مصقلتين من غير أجفان وعملها كيفية لتصفيل البدن
ولا جل ضعف ابصارها تراها تنهات على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا
رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المنظم الى الموضع
المضي فلا يزال يطلب الضوء ويرمي نفسه اليه فاذا اجازوه رأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم
يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يجترق ولعلك تظن أن هذا نقصان واجهلها
فأعلم أن جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الأدمي في الاكباب على شهور الدنيا صورة
الفراس في التفات على النار اذا تلوح الأدمي أنوار الشهورات من حيث ظاهرها صورتها ولا يدري أن
تحتها القمم الناقع القائل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى أن ينفس فيها و يتقدها و يهلك هلاكاً موبداً
فليت كان جهل الأدمي كجهل الفراس فانها باعترافها بظاهرها الضوء ان احترة تتخلصت في الحال
والأدمي سقي في انوار أبد الأباد ومدة مدبرة ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول
اني مسك بجحر كم عن النار وأنتم تنهاقون فيها تنهات الفراس فهذه لمعة بحبيبة من عجائب صنع الله
تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الآقون والآخرون على الاحاطة بكنهه
عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جليلة من ظاهرها صورته فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها
الا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبت أعجوبة وأعجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل
وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتاً ومن الشجر وبعمريشون وكيف
استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحداهما ضياء وجعل الآخر شقاء ثم لو تأملت عجائب
أحرها في تناولها الأزار والانوار واحترازها عن الجباب والاقذار وطاعتها الواحد من جملتها
هو أكبرها شصاً وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه
ليقتل على باب المنفك كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها عجبا آخر العجب ان كنت بصيراً في نفسك
وفارغاً من هم طسك وفرجك وشهورات نفسك في معاداة أقرانك ومرواة أخوانك ثم دع عنك
جميع ذلك وانظر الى بناتها يوتن من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل السادس من فلانين
يتناسل مستدبراً ولا يربعوا ولا يختصبال مستدسا تخافية في الشكل السادس من المهندسين عن
ذكرها وهو أن أوسع الاشكال وأحوال المستدرة وما يقرب منها فان الرابع يخرج منه زوايا

ضائعة وشكل النمل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيق الزوايا بقبي فارغة ثم لوثناها
مستديرة لبعث خارج البوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة
ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تراص الجملعة منه بحيث لا يبقى
بعدا اجتماعها فرجة الا المستدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى الخلق على صغر
جرمه ولطافة قدره ولطافه وعنايه لوجوده وما هو محتاج اليه ليتنابيحته فسبحانه ما أعظم شأنه
وأوسع لطفه وأمنانه فاعتبر بهذه الالعة اليسيرة من مخدرات الحيوانات ودع عنك عجائب
ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه
ولان نسبة لما أحاط علما الى ما أحاط به العلماء والانباء والاسماء لا أحاط به علم الخلائق كعلمهم الى
ما لا تأثر الله تعالى بعلمه بل كل ما مرزاه الخلق لا يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر
في هذا ومثاله زداد المعرفة الخاصة بأسهل الطريقين وبزيادة المعرفة زداد المحبة فان كنت طالبا
سعادة لقاء الله تعالى فانفذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العرفى بالذكر الدائم والفكر اللازم ففصلك
تخطي منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا شتر اكهم في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم
في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت أسبابها أو كثر الناس ليس لهم من الله
تعالى الا الانصافات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقوها وحفظوها ورجعوا تخيلوها معاني يتعالى عنها
رب الأرباب ورجعوا بطولها على حقيقتها ولا تخيلوها معاني فاسد ابل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق
واستغلوها بالعمل وتركوا البحث وهو لا هم أهل السلامة من أصحاب اليقين والتمثيلون هم الضالون
والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال الاصفاف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من
المقربين فروح ورجحان وجنة نعم الآية فان كنت لاتفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت
الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثليات كون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام
لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومخامد خصاله ولكن العوام يعرف علمه بمجلا
والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وأعجابه به وجهه له أشد فان من رأى تصنيف
مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا بحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه
وأعجب تضاعف لا بحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن
الشعر فحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعبته ازداد به معرفة وازداد له حبا
وكذا سائر الصناعات والفنائل والعلمى قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن
لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بمجمله ويكون له يحبه ميل بمجل والبصير اذا فنش عن
التصنيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا بحالة لان عجائب الصنعة والشعر
والصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم يجعله صنع الله تعالى وتصنيفه والعلمى
يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطلع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعض مثلامن
عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويخبر فيه له ويزداد بسببه لا بحالة عظيمة الله وجلاله وكما صفاته في
قلبه فزاد له حبا وركا اذ ادعى اعاجيب صنع الله اطلعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله
وازداد به معرفة وله حبا ويزداد هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى ببحر لا ساحل له فلا جرم
تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصائه وما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي

ذكرناها للعب فان من يحب الله مثلاً لكونه محسناً اليه منعاً عليه لم يحبه لذاته ضعفت محبته
ان تغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والثناء وأما من يحبه لذاته
ولانه مستحق للعب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه
فهذا أو أمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة
الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه)

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف
وأسبقها الى الانهال وأسبغها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه
وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلها المعنى لان نفسه الابدال وهو اذا اراد ان ياتنا انساناً يكتب
أو يخط مثلاً كان كونه حياً عندنا من أظهر الموجودات خبايته وعلمه وقدرته وارادته للخطاطة
أجل عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه ومحبته
ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طول
واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيواناً فإنه جلي
عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من
الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وارادته الا بتخاطبه وحركته فلونظرنا الى كل
مافي العالم سواء لم نعرف به صفة فاعليه الادليل واحد وهو مع ذلك جلي وأصح وجود الله تعالى
وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد به بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة
من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر وبار وهوا وجوهر وعرض
بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في
حركتنا وسكناتنا وأظهر الاشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركتنا بالعقل
والبصرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي
العالم شواهدنا طقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرها ومحررها كما هو ادعى على علمه
وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا
وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسننا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور
في الوجود شئ داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فاتها تنادي
بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بانها تاتوا بها محتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك
أولاً تركيب أعضائها واتلاف عظامها ولحومها وأعصابها ومنابت شعورها وتشكل أطرافها وسائر
أجزاء الظاهرة والباطنة فانا نعلم أنهم تألف بانفسها كما نعلم أن بدن الكاتب لم تتحرك بنفسها
ولكن لما لم ينق في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف
عظم ظهوره فانتهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا لله سببان
* أحدهما خفاؤه في نفسه وخوضه وذلك لا يخفى مثاله * والاخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن
الخفاش يصير بالليل ولا يصير بالنهار لانغفاء النهار واستناره لكن لشدة ظهوره فان يصير الخفاش
ضعيف سيرة نور الشمس اذا أشرفت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لمتابع ابصاره
فلا يرى شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة
الالهية في نهاية الاشرار والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشد عن ظهوره ذرة

من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه فسمجان من احجب باشراف نوره واخفى
عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتجرب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان
بأضدادها وامع وجوده حتى أنه لا ضده عسرا إذا كان فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون بعض
أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الامر ومثاله نور الشمس
المشرق على الأرض فانا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث في الأرض ويزل عند غيبه الشمس
فلو كانت الشمس دائمة الاشراف لا غروب لما كان الظن أنه لا هيئة في الاجسام الا ألوانها وهي
السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء
فلان ذلك وحده ولكن لما غابت الشمس وأطلبت المواضع أدركت تفرقة بين الحالين فعلمنا ان
الاجسام كانت قد استضاءت بضوء وانصفت بصفة فارتفعت عند الغروب فمرقنا وجود النور بعده
وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعصر شديد وذلك لما شهدنا الاجسام متشابهة غير مختلفة
في الظلام والنور وهذا مع أن النور أظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر
في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استنهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى
هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانتهت السموات والأرض
وبطل الملك والملكوت ولأدرك ذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به
وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الاشياء على
نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال بسبب خلافه فلا جرم أورتت شدة الظهور خفاء فهذا هو
السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منه فانه في حال اعتدال امره لا يرى
الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له
فلا وجود لها باحقيقته وونه وانما الوجود لواحدا الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله
فلا يشغرف شئ من الافعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض
وحیوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره تجاوزا له الى غيره كمن
نظرف شعرا انسان أو خطفه أو تصنيغه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لان
حيث انه جبر وعصف وزاج مر قوم على بياض فلا يكون قد نظرف الى غير المصنف وكل العالم
تصنيف الله تعالى فنظر اليه من حيث أنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث
انه فعل الله لم يكن ناظرا الى الله ولا عارفا بالله ولا محبا لاله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى
الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه ذنبي
في التوحيد وانه فني عن نفسه واله الاشارة بقوله من قال كتابنا فنحن اعنا فنينا بلا نحن فهذه امور
معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن
ايضا حواها بيانها بعبارة مفهومة موصلة للقرض الى الافهام أو باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم
أن بيان ذلك لغيرهم بما لا يعيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانهم اليه
أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبسدر
فيه غيرة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق فيهم يشبهه وانه قد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها
فيسقط وقعها من قلبه بطول الانس ولذلك أدارأى على سبيل النجاة حيوانا غريبا ونباتا غريبا
أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة بحيا النطق لسانه بالمعرفة طاعة فقال سبحان الله وهو يرى
طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها اشواهد قاطعة لا يحس بشهادتها طول

الانس بها ولو فرض أنك مه بلغ عاقلنا ثم انقشعت ضشاوة عينه قامت بصيرة الى السماء والارض
والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة تخلف على عقله أن ينهر لنظم تبعه
من شهادة هذه الهائب لخالفها فهذا أو مثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد
على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فاناس في طلبهم معرفة
الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب حمارة والجلليات اذا صارت
مطلوبة صارت معنابة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فانتخى على أحد * الاعلى أنك مه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محجبا * فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق ألا يتصور الشوق الا الى
محبوب ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار
والنظر بأنوار البصائر وبطريق الاخبار والآثار أما الاعتبار فيكنى في اثباته ما سبق في اثبات
الحب فكل محبوب يشاق اليه في غيبته لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشاق اليه فان الشوق
طلب وتشوق الى أمر والموجود لا يطلب ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شيء أدرك من وجهه
ولم يدرك من وجهه فاما لا يدرك أصلا فلا يشاق اليه فان من لم يرتضيا ولم يسمع وصفه لا يتصور
أن يشاق اليه وما أدرك كماله لا يشاق اليه وكال الادراك بالرؤية فن كان في مشاهدة محبوبه
مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك
من وجهه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه
وتبقى في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو اتقى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفة حتى نسه
لم يتصور أن يشاق اليه ولوراه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فعنى شوقه تشوق نفسه الى
استكمال خياله فكذلك قدر اه في طلبة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال
رؤيته وتتمام الانكشاف في صورته باشراف الضوء عليه (والثاني) أن يرى وجهه محجوبا ولا يرى شعره
مثلا ولا سائر ما حسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه
يعلم أن له مضافا و أعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى أن ينكشف له ما لم يرها قط
والوجهان جميعا متمصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما انضج
للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكذلك من وراء ستر رقيق فلا يكون متصفا
غاية الانضاج بل يكون مشوبا بشوائب الضلالت فان الخيالات لا تغتر في هذا العالم عن التخليل
والحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للعارف ومنقصات وكذلك يضاف اليها شواغل الدنيا
فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتتمام اشراف الصلبي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة
يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما
انضج انضاجا تاما الثاني أن الامور الالهية لانهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها
وتبقى امور لانهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب
عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى أن يحصل له أصل العرفه فيعلم يحصل مما
بقى من المعلومات التي لم يعرفها أصل لا لمعرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينهى
في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان

ابراهيم بن آدم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن به
 قلبه قبل لقاءك فأعطني ذلك فقد أضرتي القلق قال فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه وقال
 يا ابراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاءي وهل يسكن المشتاق
 قبل لقاء حبيبته فقلت يا رب تهت في حيك فلم أدر ما أقول فأعقرني وعلني ما أقول فقال قل اللهم
 رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن في الآخرة
 * وأما الشوق الثاني فيشبهه أن لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته أن ينكشف
 للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن
 ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بأنه بقي من الجلال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه
 لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة ~~الأنه~~ تشوق إلى استكمال الوصول مع حصول أصل
 الوصول فهو يجد ذلك شوقا لا يذوقه لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون لطاف الكشف والنظر
 متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعم والذة متراثلا أبدا لا يأتى وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعم
 شاعلة عن الاحساس بالشوق إلى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل
 فيه كشف في الدنيا أصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعم واقعا على حد لا يتضاعف ولكن
 يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم ليس بين أيديهم وبأيامهم يقولون ربنا أعظم
 لنا نورا محمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه بأتمام النورهما تزود من الدنيا أصل النور ويجعل أن
 يكون المراد به اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة إلى مزيد لا يستكمل والاشراق
 فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقبوس من نوركم قبل ارجعوا وراكم فالشمس انورا بدل
 على أن الانوار لا بد وأن تزود أصلها في الدنيا ثم يزود في الآخرة اشراقا فاما أن يتجدد نور فلا والحكم
 في هذا رجم الظنون فخطر ولم ينكشف لنا فيه بعد ما يورث به ففسأل الله تعالى أن يزيدنا علما وهدى
 ويرينا الحق حقان هذا القدر من أنوار البصائر ككاشف لحقائق الشوق ومعانيه * وأما شواهد
 الاخبار والآثار فكثير من أن تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول
 اللهم اني أسألك الرضاء بعد القضاء ويرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق
 إلى لقاءك وقال أبو الدرداء لكعب أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى طال
 شوق الاراد إلى لقاءي واني إلى لقاءهم لأشد شوقا قال ومكتوب إلى جانبها من طبنبي وجدني ومن
 طلب غيري لم يجدي فقال أبو الدرداء اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي
 أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ أهل أرضي اني حبيب لمن أحبني وجليس لمن
 جالسني ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحمني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني
 ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه الا قبلته لنفسه وأحبته حبا لا يتقدمه أحد من خلقه من
 طبنبي بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدي فأرفضوا بأهل الأرض ما أنت عليه من غرورها
 وهلاوي إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وأنسوا بي أو أنسكم وأسارع إلى محبتكم فاني خلقت طيبة
 أحباي من طيبة ابراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها
 بجلاي وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين ان لي عبدا من عبادي
 يصرفني وأحبهم ويشاقونني وأشقاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم وينظرونني وأنا أنظر إليهم فان
 حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علمهم قال راعون الظلال
 بالنهار كإراعي الراعي الشقيقتهم ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب

فأذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلخل حبيب بحبيبه نصيوا الى
أقدامهم واقترشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الى بانعامي فبين صاوخ وبك وبين متأوه
وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد يعين ما يعملون من أجلي ويسعى ما يسكنون من
حبي أول ما أعطيهم ثلاث أفداف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كأخبر عنهم والثانية لو كانت
السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم ففترى من
أقبلت بوجهي عليه يعلم أحدا ما أريد أن أعطيه وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى
اليه يا داود اذ لي كم تزد كراجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين
الى الذين مصفهم من كل كدر ونهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خراف ينظرون الى واني لأخجل
قلوبهم بسدى فأضعها على سمائي ثم ادعوا غيباء ملائكتي فإذا اجتمعوا سجدوا لي فأقول اني لم ادعكم
لنصبكم والى ولكني دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين الى وأباهي بك أهل الشوق الى فان
قلوبهم لتضي على سمائي للملائكة كاتفي الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين
من رضواني ونعها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت أبنائهم موضع نظري الى الارض
وقطعت من قلوبهم طرقا ينظرون به الى بزادوني في كل يوم شوقا قال داود يارب اذن أهل محبتك
فقال يا داود انت جيل لبنا فان نه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فإذا
أنيتهم فأقرهم مني السلام وقل لهم ان ربكم بقرتكم السلام وبقول لكم اني لأتسألون حاجة فأنكم
أجباي وأصفياي وأولياي أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم فأنهم داود عليه السلام فوجدهم
عند مدنين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا
ليستقروا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكمكم لا بلغكم رسالتي ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا
أسماهم بخوفه وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم بقرتكم السلام وبقول
لكم اني لأتسألون حاجة ألا تادوني أسمع صوتكم وكلامكم فأنكم أجباي وأصفياي وأولياي أفرح
لفرحكم وأسارع الى محبتكم وأنظر اليكم في كل ساعة تنظر الوالدة الشفقة الرقة قال فبغت الدموع
على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاعقرنا ما قطع قلوبنا عن
ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامن علينا
بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفجبرئ على
الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فأدم لنا زوم الطريق اليك وأنعم بذلك المنة علينا
وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت
علينا بالتفكير في عظمتك أفجبرئ على الكلام من هو مشغول بعظمتك متفكر في جلالك وطولنا
المدون من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أولياك وكثرة تمتك
على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاعقر لنا نقصنا
في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجبرئ
المدعي سيده انه أمرنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا تهتدي به في الظلمات من اطباق السموات
وقال الآخر قد علمت أن تقبل علينا وتدعنا ضدنا وقال الآخر نسألك بتمام نعمتك فيما وهبت لنا
وهضمت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامن علينا بالنظر الى جمال وجهك
وقال الآخر أسألك من ينهم أن تعني عيني عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة
وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أولياك فامن علينا بأشعة قال القلب بك

من كل شيء دونك فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبكم إلى ما أحببت فليأفارق كل واحد منكم صاحبه وليخذ نفسه سرياً فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي فقال داود يا ربهم يا لوهاذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم وإن هذا منزل لا يناله إلا من رضى الدنيا وأهلها ولم يستقبل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نظراتناظر بعينه إلى الشيء وأربه كرامتي في كل ساعة وأقر به من نور وجهي إن مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشقيقة ولدها وإن عطش أو رويته وأذيقه طعم ذكري فإذا فعلت ذلك به يا داود بحيث نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها إلا به بقر من الاشتغال بي يستعجلي القدم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره فلورأيته يا داود قد ذابت نفسه ونحل جسمه ونهشت أعضاؤه وانحل قلبه إذا سمع بك رأى أباهي به ملائكتي وأهل سمائي يزدادون عباداً وعزتي وجلالي يا داود لا أقعد منه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا وفي أخبار داود أيضاً قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما ضركم إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى يعيون قلوبكم وما ضركم ما زوبت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق إذا التسم رضائي وفي أخبار داود أيضاً ان الله تعالى أوحى إليه تزعجك أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حب الدنيا لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي محالصة وخالط أهل الدنيا بما لطقت قلبك فيه ولا تقلد بسك الرجال أما ما استبان لك أنما وافق محبتي فمسل به وأما ما أشكل عليك فقلدني به حقاً على أني أسارع إلى سياستك وتقويمك وأكون قائمك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد وإني قد خلقت على نفسي أني لا أائب إلا بعد أن عرفت من طلبته وأرادته اللقاء كنفه بين يدي وأنه لا عني به عني فإذا كنت كذلك زعت الذلة والوحشة منك وأسكن الغنى قلبك فاني قد خلقت على نفسي أنه لا يطمئن مبدئ إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها أضف الأشياء إلى لا تضاد عملك تسكون متعباً ولا ينفع بك من يصحبك ولا تجد معرفتي حداً فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطتك ولا تجد للزيادة مني حداً ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبهم وأرادتهم عندي أجمع لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمني بين عينيك وانظر إلى بصرك قلبك ولا تنتظر بعينك التي في رأسك إلى الذين يحببت عقولهم عني فأمر جواهرها وسخت بانقطاع نواحي عنها فاني خلقت بعزتي وجلالي لا أفتح نواحي بعدد خلقي في طاعتي للتجربة والتسويق تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريد عندي لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها يا داود لأن تخرج مريداً من سكرة هو فيها تستنفذها فكيف عندي جهيدا ومن كتبه عندي جهيدا لا تسكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحبب نفسك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي أقطع شهوتك لي فأما أبحث الشهوات لصعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فأما تنقص حلاوة مناجاتي وأما عقوبة الأقوياء عندي في موضع المنازل أني ما يهل اليهم أن يحبب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي وزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً يحجبك بسكرة عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استمعن عن ترك الشهوات بأدما الصوم وأياك والتبصرة في الإفطار فان محبتي للصوم أدامانه

ياد اود تحب الى بعد اداة نفسك امنعها الشبهوات أنظر اليك وتري الحب بيني وبينك مرفوعا
 اذ اريك مداراة لتقوى على ثوابي اذ امننت عليك به وانى أحبسه منك وأنت متمسك بطاعتي
 وأوحى الله تعالى الى داود ياد اود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفق بهم وشوقى الى ترك
 معاصيهم لما توشقوا الى وتقطعت أوصالهم من محبتي ياد اود هذه ارادني في المدبرين عني فكيف
 ارادني في المقيبلين علي ياد اود اخرج ما يكون العبداني اذا استغنى عني وأرحم ما كون بعدي
 اذا برعني وأجل ما يكون عندي اذا رجع الى فهذه الاخبار وتطارها بما لا يحصى تدل على إثبات
 المحبة والشوق والانس وأما تحقيق معناها فكشف بما سبق

بيان محبة الله للعبد ومعناها

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولنقدم
 الشواهد على محبة فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
 صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رزق سبحانه صلى من ادعى انه حبيب
 الله فقال قل فليبعذ بك يذوقكم وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله
 تعالى عبد المبرورة نب والنائب من الذنب كن لاذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا
 أحبه تاب عليه قبل الموت فلم يضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد
 الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة طهارة الذنوب فقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
 ويغفر لكم ذنوبكم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي
 الايمان الا من يحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله
 ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى
 أحبه فإذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث وقال زيد بن اسلم ان الله
 يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من ألقاظ المحبة خارج
 عن الحصر وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن
 ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا أن الاحسان موافق
 للنفس والجمال موافق أيضا وأن الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصرة والحب
 يتبع كل واحد منهما فلا يتحصن بالبصر فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون هذا المعنى أصلا بل
 الاسمي كلها اذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى ان اسم
 الوجود الذي هو أهم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ماسوى الله
 تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما
 الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشعر في اسم الجسم اذ معني الجسممة وحقيقتها
 متشابهة فيهما من غير اشتقاق أحدهما لان يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحد هما
 مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه وهذا التابع على سائر الاسماء أظهر كالعلم
 والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق والخلق وروايع الله انما وضع هذه الاسماء
 أولا للخلق فان الخلق أسبق الى القول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخلق بطريق
 الاستمارة والتعويض والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما
 يتصور في نفس ناقصة فانها ما وافقها تستعبد بنيله كالاتدنية له وهذا محال على الله تعالى فان
 كل كمال وجهال وجهه وجلال يمكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وازلا ولا

يُصَوِّرُ تَجَدُّدَهُ وَلَا زَوَالَه فَلَا يَكُونُ لَهُ إِلَى غَيْرِهِ نَظَرٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ غَيْرُهُ بَلْ نَظَرُهُ إِلَى ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ فَقَطْ
وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِذْ ذَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ الْمُهَنْجِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا قَرِئْتُ عَلَيْهِ
قَوْلَهُ تَعَالَى بِحَبْمٍ وَبِحَبُونَةٍ فَقَالَ بِحَبْمٍ فَهُوَ لَيْسَ بِحَبٍّ الْأَنْفُسَةُ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ الْكُلُّ وَأَنَّ لَيْسَ
فِي الْوُجُودِ غَيْرُهُ فَنَ لَا يَحِبُّ الْأَنْفُسَةُ وَأَفْعَالُ نَفْسِهِ وَنَفْسَانِيَّةُ نَفْسِهِ فَلَا يَحِبُّ زَوْجَهُ ذَاتَهُ وَتَوَابِعَ ذَاتِهِ
مِنْ حَيْثُ هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِذَاتِهِ فَهَذَا لَا يَحِبُّ الْأَنْفُسَةَ وَمَا وَرَدَ مِنَ الْإِلْتِمَاطِ فِي حُبِّهِ لِعِبَادِهِ فَهُوَ مَوْجُودٌ
وَيَرْجِعُ مَعْنَاهُ إِلَى كَشْفِ الْحِجَابِ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَرَاهُ بِقَلْبِهِ وَإِلَى تَمْكِينِهِ إِيَّاهُ مِنَ الْقَرَبِ مِنْهُ وَإِلَى إِرَادَتِهِ
ذَلِكَ فِي الْأَزَلِ فَيَهْلِكُ مَنْ أَحْبَبَهُ أَزَلًى مِمَّا أَضْيَفَ إِلَى الْإِرَادَةِ الْأَزَلِيَّةِ الَّتِي اقْتَضَتْ تَمْكِينَ هَذَا الْعَبْدِ
مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ هَذَا الْقَرَبِ وَإِذَا أَضْيَفَ إِلَى فِعْلِهِ الَّذِي يَكْشِفُ الْحِجَابَ عَنْ قَلْبِ عَبْدِهِ فَهُوَ حَادِثٌ
يَحْدُثُ بِحُدُوثِ السَّبَبِ الْمُتَقَضِّي لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالْتَوَافُلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ فَيَكُونُ
تَقَرُّبُهُ بِالْتَوَافُلِ سَبَبًا لِمُغْنَاهُ عَنْهُ وَارْتِفَاعِ الْحِجَابِ عَنْ قَلْبِهِ وَحُصُولِهِ فِي دَرَجَةِ الْقَرَبِ مِنْ رَبِّهِ فَكُلُّ
ذَلِكَ فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَلِطْفِهِ بِهِ فَهُوَ مَعْنَى حُبِّهِ وَلَا يَفْهَمُ هَذَا الْإِتِمَالُ وَهُوَ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ قَرَّبَ عَبْدَهُ مِنْ
نَفْسِهِ وَأَدْنَى لَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ فِي حُضُورِ سَاطِطِهِ لِمَلِكِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ أَمَا لِنَصْرِهِ بِقُوَّةٍ أَوْ لِيَسْرَتِهِ بِمَشَاهِدَةٍ
أَوْ لِيَسْتَشِيرَهُ فِي رَأْيِهِ أَوْ لِيَهَيِّئَ سَبَابَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ فَيَقَالُ أَنَّ الْمَلِكَ يَحْبُو بِكَوْنِ مَعْنَاهُ مِيلَهُ إِلَيْهِ
فِيهِ مِنَ الْمَعْنَى الْمُوَافِقِ لِلْمُلَاحَظَةِ وَقَدْ قَرَّبَ عَبْدًا وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ لِأَلَّا يَنْتَفِعَ بِهِ وَلَا
لِلْإِسْتِجَادِ وَلَكِنْ لِيَكُونَ الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ مَوْصُوفًا مِنَ الْأَخْلَاقِ الرِّضِيَّةِ وَالْخُصَالِ الْحَمِيدَةِ بِمَا يَلِيقُ بِهِ
أَنْ يَصْكَوْنَ قَرِيبًا مِنْ حُضْرَةِ الْمَلِكِ وَافِرًا لِحُظٍّ مِنْ قَرَبِهِ مِمَّا أَنَّ الْمَلِكَ لَا غَرَضَ لَهُ فِيهِ أَصْلًا فَذَا رَفَعَ
الْمَلِكُ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَقَالَ قَدْ أَحْبَبَهُ وَإِذَا اكْتَسَبَ مِنَ الْخُصَالِ الْحَمِيدَةِ مَا اقْتَضَى رَفْعُ الْحِجَابِ بِقَالَ
قَدْ تَوَصَّلَ وَحُبِّ نَفْسِهِ إِلَى الْمَلِكِ حُبَّ اللَّهِ الْعَبْدَانِ يَكُونُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي لَا بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ وَنَحْنُ نَصْصُ
تَمَثُّلُهُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي شَرْطٌ أَنْ لَا يَسْبِقَ إِلَى فَعْلِكَ دُخُولُ تَغْيِيرِهِ عَلَيْهِ عِنْدَ تَجَدُّدِ الْقَرَبِ فَإِنَّ الْحَبِيبَ هُوَ
الْقَرِيبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْقَرِيبُ مِنَ اللَّهِ فِي الْعَبْدِ مِنْ صِفَاتِ الْهَيْئَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالشَّيْطَانِ وَالْخُفَّاقِ
بِكَلَامِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي هِيَ الْأَخْلَاقُ الْإِلَهِيَّةُ فَهُوَ قَرِيبٌ بِالصِّفَةِ لَا بِالْمَكَانِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ قَرِيبًا قِصَارَ قَرِيبًا
فَقَدْ تَغْيِيرُهُ بِمَا نَظُنُّ هَذَا أَنَّ الْقَرَبَ لَمْ يَتَجَدَّدْ فَقَدْ تَغْيِيرُ صِفَتِ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ جَمِيعًا إِذَا صَارَ قَرِيبًا بَعْدَ أَنْ
لَمْ يَكُنْ وَهُوَ بِمَحَالٍّ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا تَغْيِيرُهُ عَلَيْهِ بِمَحَالٍّ بَلْ لَا يَزَالُ فِي نَعْوَتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ عَلَى مَا كَانَ
عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْأَزَالِ وَلَا يَنْكَشِفُ هَذَا الْإِتِمَالُ فِي الْقَرَبِ بَيْنَ الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ الشَّخْصَ فَإِنَّ الشَّخْصَ قَدْ تَغْيِيرُهُ
بِضَرْفٍ كُهُمَا جَمِيعًا وَقَدْ يَكُونُ أَحَدُهُمَا بَابًا فَيَتَحَرَّكُ الْآخَرُ فَيَحْصُلُ الْقَرَبُ بِتَغْيِيرٍ فِي أَحَدِهِمَا مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ
فِي الْآخَرِ لِقَرَبِ الصِّفَاتِ أَيْضًا كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّلِيدَ يَطْلُبُ الْقَرَبَ مِنْ دَرَجَةِ اسْتِزَادَةِ فِي كَالِ
الْعِلْمِ وَجَمَالِهِ وَالْإِسْتِزَادَةُ فِي كَالِ عِلْمِهِ غَيْرُ مَتَحَرِّكٍ بِالْزُّوْلِ إِلَى دَرَجَةِ تَلِيدِهِ وَالتَّلِيدُ مَتَحَرِّكٌ مَتَرَقٍ
مِنْ مَضْيَعِ الْجَهْلِ إِلَى ارْتِفَاعِ الْعِلْمِ فَلَا يَزَالُ دَائِبًا فِي التَّغْيِيرِ وَالتَّرَقِّيِ إِلَى أَنْ يَقْرُبَ مِنْ اسْتِزَادَةِ
وَالْإِسْتِزَادَاتِ غَيْرُ مَتَغْيِيرٍ كَذَلِكَ يَفْهَمُ أَنَّ يَفْهَمُ تَرَقِّيَ الْعَبْدِ فِي دَرَجَاتِ الْقَرَبِ فَكُلُّهَا صَارَ كُلُّ صِفَةٍ
وَأَنْتُمْ عُلَمَاءُ وَاحِدَاتُ الْإِمْرُورِ وَأَنْتُمْ قُوَّةُ قَهْرِ الشَّيْطَانِ وَقَعِ الشَّهَوَاتِ وَأُظْهِرْ زَاهِدَةً مِنَ
الرِّذَالِ صَارَ أَقْرَبَ مِنْ دَرَجَةِ الْكَمَالِ وَمَتَّهِ السَّكَالِ لِلَّهِ وَقَرَّبَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِقَدْرِ كَالِهِ نَعْمَ
قَدْ يَقْدِرُ التَّلِيدُ عَلَى الْقَرَبِ مِنَ الْإِسْتِزَادَةِ عَلَى مَسَاوَاتِهِ وَعَلَى مَجَاوِزَتِهِ وَذَلِكَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فَانَّهُ
لَا يَهَابُ لِكَمَالِهِ وَسُلُوكِ الْعَبْدِ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ مُسْتَوَاهُ وَلَا يَنْهَى إِلَّا إِلَى حُدُودٍ فَلَا مَطْمَعَ لَهُ
فِي الْمَسَاوَةِ غَيْرَ دَرَجَاتِ الْقَرَبِ تَتَفَارَقُ تَقَاوُلًا لِهَيْئَتِهِ أَيْضًا لِأَجْلِ انْتِفَاءِ الْهَيْئَةِ عَنْ ذَلِكَ الْكَمَالِ فَذَا
حُبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ تَقَرُّبِهِ مِنْ نَفْسِهِ بِدَفْعِ الشُّوَاعِلِ وَالْمَعَاصِي عَنْهُ وَتَطْهِيرِ بَاطِنِهِ عَنْ كُدُورَاتِ الدُّنْيَا وَرَفْعِ

الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه قلبه وأما محبة العبد لله فهو ميلة الى درك هذا الكمال الذي هو مفاس عنه فاقوله فلا جرم يشتاق الى ما فاته وإذا أدرك منه شيئاً يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت محبة الله للعبد أمر مائتس فيم يعرف العبد أنه حبيب الله تعالى قول يستدل عليه بعلا ماته وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبد ابتلاه فإذا أحببه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره وبحول بينه وبين غيره قبل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حماراً فتركه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر إذا أحب الله عبد ابتلاه فان صبر اجتنابه فان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يتليك فاعلم انه يريد يصانك وقال بعض المريدين لا ستأذه قد طولت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بحبوس سواء فأثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيك عبد احتي يلووه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبد اجعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره ونهيه وقد قال اذا أراد الله بعد خير ابصره بمحبوب نفسه فأخص علاماته حبه الله فان ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوا فهو أن يتولى الله تعالى أموره ظاهراً وباطنه سره وجهه فيكون هو المشير عليه والمدير لاسره والمزين لخلقه والمستمع لجوارحه والمسدد لظواهره وباطنه والجاعل همومه هما واحداً والمبغض للذنب في قلبه والموحد له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكشف له عن الحب بينه وبين معرفته فهذا أو أمثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله فانها أيضاً علامات

حب الله للعبد

القول في علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم أن المحبة يتبناها كل أحد وما سهل الدعوى وما عازر المعنى فلا ينبغي أن يفتر الإنسان بتأليب الشيطان وخدع النفس مهما اذعت محبة الله تعالى ما لم يتجتها بالعلامات ولما طالعها بالبراهين والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفاقتة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة فتها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوا بالاولى يجب مشاهدته ولقائه وإذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محبا للموت غير فارغه من الحب لا يشغل عليه السفر من وطنه الى مستقر محبوه ليقسم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة أحب الى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فتقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا اتناحب الله بفعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً وقال مزوجل يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله حريء والباطل خفيف وهو مع خفته ونيء فان حفظت وصييتي لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدرك وان ضيعت وصييتي لم يكن غائب أبغض اليك من الموت ولن نجزه وروى عن اسماعيل بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد الا تدعو الله فغلا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني أقسمت عليك اذا لقيت العدو عندا فلقني رجلاً شديداً بأبيه شديداً جرحه اقاتله فيك

ويقاتلي ثم يأخذني فيجدهم اني وأذني ويقر بطني فإذا قتلتك عندا قلت يا عبد الله من جددك أنتك
وأنتك فأقول فيك يا رب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيتك آخر النهار وان
أنفه وأذنه لمعتان في خيط قال سعد بن المسيب أرجو أن يبر الله آخر قصته كما أزرأوله وقد كان
الشورى وبشر الحافي بقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه
وقال ابو بيطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكم أنه توقف فقال لو كنت صادقا لا حبيته وتلاقوه
تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتبين أحدكم
الموت فقال انما قاله لفرز زل به لان الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب القرار منه فان قلت
فمن لا يحب الموت فهو لي بصور ان يكون محبا لله فقد قول كراهة الموت قد تكون حب الدنيا
والتأسف على فراق الامل والمال والولد وهذا في كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو
الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون مع حب الامل والولد شائبة من حب الله تعالى
ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان أبا حذيفة عتبة بن ربيعة بن
عبد حمس لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولا عاتبة قريش في ذلك وقالوا انك متعيلة من عتائل
قريش لمولى فقال والله لقد أنكته اياها وانى لا علم انه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله
فقالوا كيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن
ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فليستظر الى سالم فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه
فحببه ويحب أيا غيره فلا حرج بكون نعيه بقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفرار
الدنيا عند الموت على قدر حبه لها وما السبب الثاني للكرهية فهو ان يكون البعد في ابتداء
مقام المحبة وليس بكره الموت وانما يكره مجلته قبل أن يستعد لقاء الله فذلك لا يدل على ضعف
الحب وهو كالحب الذي وصله الخبر بقدم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدمه ساعة ليهي له داره
وبعد له أسبابه فبقائه كيهو فارغ القلب من الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية لهذا
السبب لا تنافي كمال الحب أصلا وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق القلب في الاستعداد ومنها أن
يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويتجنب اتباع الهوى
ويعرض دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقرا بالله بالنوافل وطالب باضده مزايما
الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالاشارة فقال
يجعون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة فهم يفتون على متابعة الهوى فحبوه ما يهواه بل يترك الحب هوى نفسه هوى محبوبه
كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى • فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قبح الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي أن زليخا لما آمنت وترجى بها يوسف
عليه السلام انفردت عنه وتحت العباداة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا
فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليل اسوقت به الى النار وقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل أن
أعرفه فماذا عرفته فما أبت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره أمرني
بذلك وأخبرني انه يخرج منك ولد من وجاعه ما تبين فقالت أما اذا كان الله تعالى أمرك بذلك
وجعلني طريقا اليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت اليه فادامس أحب الله لا يعضيه ولذلك
قال ابن المبارك فيه

نعمى الله وأنت تطهر خبي • هذا المعنى في الفعل بددع

لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا

وأترك ما أهوى لما قد هو به * فأرضى بما رضى وان سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب إشارة على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار محبوبا وإنما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبة الله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه وإذا أحببه الله تولاه ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهوته فلا يخذه الله ولا يكلمه إلى هواه وشهوته ولذلك قال تعالى والله أعلم بأعدائكم وكنى بالله وليا وكنى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد أصل المحبة فأقول انه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيجوز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى أن نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيجده في مصيبة تركها إلى أن أتى به يوم ما غده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله فلم يخرج به بالمصيبة عن المحبة نعم فخرجه بالمصيبة عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حباً متوسطاً فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب الباطن وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضل إذا قيل لك أنتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فا حذرا لمقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يحقق بشيء من ذلك ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفرغه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فن أحب شيئا أكثر بالضرر ورقة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلمنا حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه فان من يحب انسانا يحب قلب محبته فالمحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق باسمه وذلك ليس شركة فيها الحب فان من أحب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يفذوكم به من نعمه وأحبوا لله تعالى وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فاعما أحب الله ومن أكرم من بكرم الله تعالى فاعز بكرم الله تعالى وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلالة النجاة في سنن الارادة فأدمنت قراءة القرآن ليلانا ثم لحقتني فترة فانقطع عن السلاة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعجك تجبني فلم تجفوت كلاني أما تدرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي بحبة القرآن فعادوت إلى حالي وقال ابن مسعود لا تنبغني أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل رحمه الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وبغض الدنيا أن لا يأخذ منها

الازدادوا بلغة الى الآخرة ومنها أن يكون انسه بالخلة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيو اطلب على التهجيد ويقيم هذه الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلة بالحب والتتم بمناجاته في مكان النوم والاشتغال بالحديث المذعنه وأطيب من مناجاة الله كيف تفتح عنه قبل لاراهم من أدهم وقد نزل من الجبل من ابن أقياب فقال من الانس بالله وفي أخبار داود عليه السلام لا تستأنس الى أحد من خلقي فاني انما أقطع عني رجلين رجلا استبطأ ثوباني فاقطع ورجلا نسيتي فرضي بحاله وعلامة ذلك أن أكله الى نفسه وان أدعته في الدنيا حيران ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطاً عن درجة محبته وفي قصة بر خ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ان ربحا نيم العبد هو الى ان فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يهيبه نسيم الاسعار فيسكن اليه ومن أحيان لم يسكن الى شيء وروى أن عابدا لله تعالى في قبضة دهر اطراو لا تنظر الى طائر وقد عيش في شجرة بأوى البها وبصر عندها فقال لوجوئت مسجدى الى تلك الشجرة فكنت أنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فأوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لا حظك درجة لاتبها شيء من حملك أبدا فاذا اعلامه المحبة كمل الانس بمناجاة المحبوب وكمل التتم بالخلة به وكمل الاستيعاش من كل ما ينقص عليه الخلة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس مضمير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحرق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب حلة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به وهم اعلم عليه الحب والانس صارت الخلة والمناجاة قوة عينية يدفع بها جميع المحوم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تذكر على سمعه مما اراد مثل العاشق الوهان فانه يكلم الناس بالسانه وأنسه في الباطن بذ كرجبيه فالحب من لا يطمئن الا بحبوه به وقال قتادة في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذ كالله لا يذ ك الله تطمئن القلوب قال هت اليه واستأنست به وقال الصدوق رضي الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغلة ذلك من طلب الدنيا وأوحشته من جميع البشر وقال مطرف بن أبي بكر الحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنبه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها اناذاه وجود لمن طابني وقال موسى عليه السلام يارب ابن أنت فأفصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بحب بؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها أن لا يتأسف على ما فوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان الله عباد الجوهه والطمانا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم اذ كان ملك ملائكتهم ناما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل لهم وما فاتهم فحس تدبيرهم وحق المحب اذ ارحم من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوه وبشتغل بالعتاب ويسألوه يقول رب بأى ذنب قطعت بك عني وأبعدتني عن حضرك وشغلتني بنفسى وبمناجاة الشيطان فيستخرج ذلك منه صغائر ذروقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوة سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم يرا الحب الى المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرة

ويذكر قوله وعسى أن نكرهوا شيئاً وهو خير لكم ومنها أن ينقسم بالطاعة ولا يستقها أو يسقط عنه تعها كما قال بعضهم كابد الليل عشرين سنة ثم تسعت به عشرين سنة وقال الجند صلامة الحجة دوام النشاط والدور بشهوة تترد به ولا تفرق له وقال بعضهم العمل على الحجة لا يذله القصور وقال بعض العلماء والله ما اشتيتي بحب الله من طاعته ولوليد بغير الوسائل فكذلك هذا وأمثاله موجود في المشاهدات فإن العاشق لا يستقل السعي في هوى معشوقه ويستلخدمته بقلبه وإن كان شاقاً على يده ومهما عجز يده كان أحب الأشياء إليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشغل به فلهكذا يكون حب الله تعالى فإن كل حب صارعاً لياقهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوه أحب إليه من التكسل ترك التكسل في خدمته وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حال هذه في الحجة فقال سمعت يوماً محباً وقد خلا بمحبوه وهو يقول أنا والله أسبكت بقاى كله وأنت معرض عني بوجوه كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فأبش تنق على قال يا سيدي أملكك ما أملك ثم أفن عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف يعبد لعبد فكل هذا بسببه ومنها أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحيماً بهم شديد على جميع أعداء الله وعلى كل من يغارف شيئاً مما يكرهه كما قال الله تعالى أشداه على الكفار ورحمهم بينهم ولا تأخذة لومة لائم ولا يصرفه عن النصف لله صارف وبه وصف الله أولياءه أذ قال الذين يكفون ينجي كما يكاف الصبي بالشيء وبأوون إلى ذكرى كما بأوى النسر إلى وكرة وبنضمون لحارمى كما بنضب النمر أذ حد فانه لا يبالى قل الناس أو كثروا فأنظر إلى هذا المثال فإن الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه أصلاً وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فان أم أخذ معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فاره بكى ومهما وجد ضحك ومن نازعه فيه أبضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه هذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تتم في الآخرة بقدر حبه أذ يخرج شرابه بقدر من شراب المقر بين كما قال تعالى في الأبرار لنبي أعيم ثم قال يسعون من رحيق محتوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومن أجه من تسنم مينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الأبرار لشوب الشراب الذي هو للقرابين والشراب عبارة عن جملة نعم الجنان كما أن الكلب عبر به عن جميع الاحمال فقال ان كلب الأبرار لنبي عاين ثم قال يشهده المقربون فكان أمانة عاؤ كلهم انه ارتفع إلى حيث يشهده المقربون وكما أن الأبرار يجدون المزيدي طاهم ومعرفهم بقرهم من المقر بين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلفهم ولا يشك الا كنفس واحدة كالأول خلق نعبده وكما قال تعالى جزاؤنا فاق أى وافق الجزاء أم حالهم فقبل الخالص بالصراف من الشراب وقبول المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وإن الله لا ينظلم مثقال ذرة وإن كان ذلك حسنة يضاعفها وإن كان مثقال حبة من خردل أتيناها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجاؤه لنعيم الجنة والخور العين والقصور ممكن من الجنة ليمتوا منها حيث يشاء فلعلب مع الولدان ومتسع بالنسوان فهناك نتهيت لذته في الآخرة لانه إنما يعطى كل إنسان في الجنة ما تشبهه نفسه وتلذذته ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يلقب عليه إلا حبه بالاخلاص والصدق أنزل في مقعد

صديق عند مليك مقتدر فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعون في الجنان مع الخور العين والولدان والمقيمون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها تقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون ولجاسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البهائم وعلو لذوى الآبواب ولما قصرت الأرقام عن ذلك معنى عظيم عظم أمره فقال وما أدراك ما علو كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ومنها أن يكون في حبه خاتماً متضاماً تحت الهيبة والتعظيم وقد فطن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل أدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن أدراك الجمال يوجب الحب وتخلص المحبين بخوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الأعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين إذ سمع قوله تعالى ألا بعد الشؤد إلا بعد المدين كما بعدت ثمود وإنما تعظم هيبة البعد خوفاً في قلب من ألف القرب وذاقة وتنعم بحدث البعد في حق المبعدين شيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يجنى إلى القرب من ألف البعد ولا يسكن لخوف البعد من لم يمكن من يساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قد قمنا أن درجات القرب لانهائية فمارحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قرباً ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماء فهو مغبون ومن كان يومه مشراً من أمسه فهو ملعون وكذلك قال عليه السلام انه لغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة وإنما كان استغفاره من القدم الأول فإنه كان بعداً بالإضافة إلى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على التفرق في الطريق والاتفات إلى غير المحبوب كما روى ان الله تعالى يقول ان أدنى ما أمتنع بالعالم اذا أثر شهورات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لئلا يندبنا جاني فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعوام فأما الخصوص فيجبهم من المزيد مجرد الدعوى والحب والكون إلى ما ظهر من مبادئ اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذو اولاد اقدم الرخصة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم بن آدم قال يقول وهو في سياحته وكان على جبل

كل شيء منك مفقود ۞ روى الأعراض عنا

قد وهناك ما فاق ۞ تذهب ما فات منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوماً وليلة وطيرأت عليه أحوال ثم قال سمعت الندام من الجبل يا ابراهيم كبن عبد افكنت عبداً واسترحت ثم خوف السلوة عنه فان الحب يلزمه الشوق والطلب الخشيت فلا تفر من طلب المزيد ولا يسكني الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجوعه والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله المكربة واستدرجته أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فقف مع الرجاء وبتريجس النظر أو بظنية الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكان من أوصاف الله تعالى ما يظهر فقطضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزوة الاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبداد به بانقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو المقت والسو عنه مقدمة هذا المقام والأعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام المذكور ملاله لوظائف الارادة أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه

الاسباب دليل على التعلل عن مقام الحب الى مقام المقتنعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الخذر منها بصفا المراقبة دليل صدق الحب فان من أحب شيئاً خاف لعمالة فقدرة فلا يتخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن قوته وقد قال بعض العارفين من عبد الله الى بحض المحبة من غير خوف هلك بالبطر والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاء ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالحب لا يتخلو عن خوف والخائف لا يتخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة وبعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلاً من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فانما الخوف بعدله وحقه وقعه على القلب فقد روي في بعض الاخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الابدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقوله وولده قلبه وبقى شاخصاً سمعة أيام لا ينفع شيء ولا ينفع به شيء فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يارب انقصه من الذرة بعضها فأوحى الله تعالى اليه انما أعطيناه جزاً من مائه ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك أن مائه ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فأخرت اجابتهم الى أن شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيما سألت أعطينتهم كما أعطيتهم فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف صديق فها ما أصابه من ذلك فقال سبحانك يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيت فأنه جنة الجزء وبقى معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وجهه ورجأوه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف

قريب الواحد ذو سر محمدي بعيد * عن الاحرام منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب * كأن فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه وجلت * عن الابصار الا للشهيد
برى الايام في الاوقات يغيرى * له في كل يوم ألف عبيد
وللاحابيب افراح بعيد * ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتاً يشير بها الى أسرار أحوال العارفين وأن كان ذلك لا يجوز اظهاره وهي هذه الايات

سرت بأنا في الغروب قلوبهم * لحوا يقرب الماحد المتفضل
هراب يقرب الله في ظل قدسه * تجول بها أرواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والهي * ومصدرهم منها الماهو اكل
تروح بعز مفرد من صفاته * وفي حلال التوحيد تمتشي وترقل
ومن بعد هذا ما تلقى صفاته * وما كتبه أولى لديه واعدل
سأكتن من علي به ما يصونه * وأبدل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطي عباد الله منه حقوقهم * وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن الرحمن سراً يصونه * الى الهة في السر والصور انجل

وأمثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها انحربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال أربعين يوماً انحربت الدنيا لانهم فيها

ويطلت الاسواق والمعاش بل لولا كل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقتوا لالسنة والاقلام
من كتبها انفسهم من العلوم ولكن الله تعالى فيها هو شر في الظاهر أسرار وحكم كأن له في الخير
أسرار وحكم لا تنتهي لحكته كالآفة لقدوته ومنها كتمان الحب واحتجاب الدهوى والتوقى من
اظهار الوجود المحبة تعظيم المحبوب واجلاله وهيبته منه وغيره على سر فان الحب سر من أسرار
الحبيب ولأنه قد يدخل في الدهوى ما يتجاوز حد الغنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الاقراء وتعظيم
العقوبة عليه في العقبي وتجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون الحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه
وقضطرب أحواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير تحمل أو اكتساب فهو معذور لانه مقهور
وربما تشعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالتقدير على
السكران يقول

وقالوا قرب قلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان في جبري
فأنى منه غير ذكركم بخاطر * يهيج نار الحب والشوق في صدرى

والعاجز منه يقول

يخفى نبيدى الدمع أسرار * ويظهر الوجود عليه النفس

ويقول أيضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتم
وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به كأنه أراد من يكثر التعريض به
في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محفوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل * ودخل
ذو النون المصري على بعض اخوانه من كان يذكر المحبة فقرأه مبتلى بلاء فقال لا يجبه من وجد ألم ضربه
فقال الرجل لكنى أقول لا يجبه من لم يتهم بضربه فقال ذو النون ولكنى أقول لا يجبه من شهر نفسه
بجبه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه فان قلت المحبة تنتهي المقامات واظهارها اظهار الخير فلماذا
يستنكرها علم أن المحبة محدودة وظهورها محمود أيضا وانما الذموم التطاهر ما يدخل فيها من
الدهوى والاستكبار وحق المحب أن يتم على حبه الخفى أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغي
أن يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينسب أن
يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط بما ارادته اطلاع غيره فترك في الحب وقادح فيه كما ورد
في الانجيل انا تصدقت قصدت في حيث لا تعلم شيئا لك ما صنعت يمينك فالذى يرى الخفيات يجزيك
علانية واذا صمت فاقسل وجهك وادمن رأسك لئلا يعلم بذلك غيرك فاطهار القول والفعل كله
مذموم الا اذا طلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه * حتى
أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استهمله فيه فأخبر بذلك معروفا الكرخى رحمه الله فتبسم ثم قال
يا أخى له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيت من مجانينهم وما يكرهه الظاهر بالحب
بسببه أن المحب كان عارفا وعرف أحوال الملائكة في جهنم والآنم وشوقهم للآلام الذى به
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يستنكف من
نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعانه من أخس المحبين في ملكه وإن حبه أنقص من حب كل محب
لله * قال بعض المكشفين من المحبين عبيد الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح
على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أننى عند الله شيئا فذكر أشياء من مكشفات آيات
السموات في قصة طوبى قال في آخرها نبأ بلغت صفات الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شئ

قلت من أنتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ما هاتمنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خسر على قلوبنا
 قط سواء ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعالي قوهم تهالكن حق عليه الوعيد تخفينا غصه في جهنم
 فإذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحي منه حق الحياة خسر لسانه عن التطاهر بالدعوى ثم
 بشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واجهامه وترداته كالحكي عن الجنيد انه قال مرض استأذنا
 السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا الحاسب فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة
 مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال لي أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وعضني
 على ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السرى فأخبرته فتبسم ثم قال قاله الله ما أبصره قلت
 يا أستاذنا وتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السرى مرة لو شئت أقول ما يبس جلدى على
 عظمى ولا سل جسدى إلا حبه ثم عضني عليه وقتل الغشبة على أنه أفصح في غلبة الوجود ومقدّمات
 الغشبة فهذه مجامع علامات الحب وثمراته • ومنها الاتس والرضا كإساقى وبالحيلة جميع بحاسن
 الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يبشره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق ثم قد
 يحب الله لا حسنة اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين
 القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عامّة وخاص فالعوام لا يزالون في دوام
 احسانه وكثرة نعمة فلم يتالكروا ان ارضوه الا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فأما
 الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة
 وأسماء الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذا سقّ عندهم المحبة بذلك لانه اهل لها ولو ازالهم جميع
 النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك بليس على نفسه يحكم الغرور والجهل
 فيظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو بليس بها نقا فإوراء وسبعة
 وخرضه عاجل حظ الدنيا وهو ينظر من نفسه خلاف ذلك كهلء السوء وقراء السوء او تلك بضاه
 الله في أرضه • وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يادوست أي باحبيب فقيل له قد لا يكون
 حبيباً فكيف تقول هذا فقال في اذن القائل سراً لا يتخلو ما ان يكون مؤمناً أو منافقاً فان كان
 مؤمناً فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقاً فهو حبيب ابليس وقد قال أبو تراب الغشبي
 في علامات المحبة آياتا

لا تتقدم فلحبيب دلائل • ولديه من تحف الحبيب وسائل
 منها تمنعه بمز سلالته • وسروره في كل ما هو قاعل
 فالنفع منه عطية مقبولة • والفقر اكرام ورجاجيل
 ومن الدلائل ان ترى من عزمه • طوع الحبيب وان الخ العاذل
 ومن الدلائل ان يرى متبسما • والقلب فيه من الحبيب بلايل
 ومن الدلائل ان يرى متفهما • لكلام من يخفى لديه السائل
 ومن الدلائل ان يرى متشفا • متعظاً من كل ما هو قاتل
 وقال يحيى بن معاذ

ومن الدلائل ان تراه مشعرا • في خرقتين على شطوط الساحل
 ومن الدلائل حزنه ونحيبه • جوف الظلام فإله من عادل
 ومن الدلائل ان تراه مسافرا • نحو الجهاد وكل فعل فاضل
 ومن الدلائل زهده فيما يرى • من نار ذل والنعم الزائل

ومن الدلائل أن تراه باكيا * أن قد رآه صلى قبيح فعاثل
ومن الدلائل أن تراه مسلما * كل الأمور إلى الملك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا * بملكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل فضحك بين الوري * والقلب يحزون كقلب النائل
بيان معنى الانس بالله تعالى

قد ذكرنا أن الانس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على الحب
بحسب نظره وما يقبل عليه في وقته فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجبال
واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنهه الجلال انبعث القلب إلى الطلب والزعج له وهاج اليه ونسبي
هذه الحالة في الاتراح شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة
الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجبال الخاضع المكشوف غير
ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشار القلب بما لاحظته فيسبى استبشاره أنسا وان كان نظره إلى
صفات العز والافتقار وعدم المبالاة وخطر أماكن الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار
فيسبى تألمه خوفا وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها
لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجبال حتى أنه إذا غلب وتجرّد عن
ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذلك ومن هنا ينظر بعضهم حيث
قل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضرا قال من يشتاق وهذا
كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الأماكن من مزايا اللطاف ومن غلب عليه
حال الانس لم تكن شهوته إلى الأفراد والخلوة كما حكي أن إبراهيم بن أدهم زل من الجبل فقيل له
من ابن أقيمت فقال من الانس بالله وذلك لأن الانس بالله يلزمه التوحش من غير الله بل كل
ما يعوق عن الخلوة فيكون من انقل الاشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه
مكث دهر الاسمع كلام أحد من الناس الا أخذه الغشيان لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب
وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من أنسى
بذكروا وحشني من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشافا وبني مستأنسا ومن
سوى مشوحشا وقيل لراية عجم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وأنسى بين لمزل وقال عبد
الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو دقت حلوة
الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة فقلت يا راهب ما أقل ما تنجده في الوحدة
قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يدق الصد حلوة قال الانس بالله
تعالى قال اذا صفوا الوء وخلصت المعاملة قلت ومتى يصفوا الوء قال اذا اجتمع لهم فصار هيا واحدا
في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلق فكيف أرادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست
بسواك عنك فان قلت فما علامة الانس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاينة الخلق
والتميز بهم واستهتاره بعذوبة الذكرفان طالت فهو كمن يفر في جماعة ويجمع في خلوة وغرب في حضر
وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور ويخالط بالبدن منفردا بالقلب مستغرق بعذوبة
الذكر كما قال في كرم القوجهم في وصية هم قوم هجمهم العلم على حقيقة الامر فباشر واروح اليقين
واستأنسا ما استوصر المترفون وأنسا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بآداب ان أرواحها
معلقة بالجل الأعلى اولئك خلفاء الله في أرضهم والدعاة إلى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته

وهذه شواهدهم وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لطنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جمال المدرجات بالباطرأكل من جمال البصرات ولذة معرفتها الغلب على ذوى القلوب ومنهم أحد بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجندوعلى أي الحسن النورى والجامعة حدث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الاعلى القشور فظن أنه لا وجود الا للقشور فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشور مجرد وراء الباطن المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشوره يظن أن الجوز خشب كله ويستعمل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الانس بالله لا يجوز به بطلال * وليس يدركه بالحوال محتمل
والآنسون رجال كلهم نجيب * وكلهم صفوة لله عمال
بيان معنى الانبساط والادلال الذى ثمره غلبة الانس *

اعلم أن الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينقصه خوف التغير والحب فانه يشر نوعا من الانبساط فى الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منسكرا للصورة لنافيه من الجرأة وقلة الحيلة ولكنه محتمل من أقيم فى مقام الانس ومن لم يقم فى ذلك المقام وينشبهه به فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة رخ الاسود الذى أمر الله تعالى كلمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبنى اسرائيل بعد أن قُطِرَ اسبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقى لهم فى سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أعطيت عليهم ذنوبهم سر اترهم خبيثة يدعوته على غير يقين ويأمنون مكبرى ارجع الى صيد من عبادى يقال له برخ قتل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم عشي فى طريقه اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود فى شكلة قد قد رها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمى برخ قال فأنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسقى لنا فخرج فقال فى كلامه ما هذا من فعلك ولا هذا من حلك وما الذى بدالك أنقص عليك عيونك أم عائدت الريح عن طاعتك أم نفدت ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا أنك تمنعنا من تخشى القوت فتجمل بالعقوبة قال فارجح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأنت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب قال فارجح برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف انصفتي لهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى اليه ان برخا يصحكنى كل يوم ثلاث مرات * وعن الحسن قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي فى وسطها اخص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمر البصرة فأخبر بذلك فبعث الى صاحب اخص قال فأتى بشيخ فقال يا شيخي ما بال اخص لم يحترق قال اتى أقسمت على ربى عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضى الله عنه اتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون فى أمتى قوم شعثه رؤسهم دنسة تسامهم لو أقسموا على الله لأبرههم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل ينطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اتى أقسمت على ربى عز وجل أن لا يحرقنى بالنار قال فاعزم على النار أن تطفا قال فعزم عليها فطفئت * وكان أبو حفص عشي ذات يوم فاستقبله رستاق مدهوش فقال له أبو حفص ما أصابك فقال ضل حمارى ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعبرتك

لا اخطو خطوة ما لم ترتد عليه حمارة قال فظهر حمارة في الوقت ومر أبو حفص رحمه الله • فهذا أمثاله
يجري للمزى الانس وليس لغيرهم أن يتشبههم قال الجنيد رحمه الله أهل الانس يقولون في كل ما هم
ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجحدون
المزبد في أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه أشار القائل

قوم تخالجهم زهو يسدهم * والعبد زهو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته حماسوا له * يا حسن رؤيتهم في عزماناهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على
هذه المعاني لو فطنت وفهمت بجميع قصص القرآن تنبيهات لا ولي البصائر والابصار حتى يتطروا
اليها بعين الاعتبار فاعلموا عند ذوى الاعتبار من الاسماء فأقول القمص قصة آدم عليه السلام
وإدليس أما تراهما كيف اشتركا في اسم العصية والخالفة ثم تباينا في الاجتناب والعصية أما إبليس
فأبليس عن رحمة وقيل أنه من المبدين وأما آدم عليه السلام فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم
اجتنابه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الأعراس من عبد والاقبال
على عبد وهما في العبودية سمان ولكن في الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى
فأنت عنه تلهى وقال في الآخر أما من استغنى فأنت له تصدى وكذلك امره بالنعوذ مع طائفة فقال
عز وجل وإذ جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وأمره بالأعراس عن غيرهم فقال وإذا
رأيت الذين يجوفون في آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الله كرى مع القوم الظالمين وقال
تعالى وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فكذلك الانسياط والادلال يحتمل من بعض
العباد دون بعض فن انسياط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك فتضل هامن تشاء
وتهدى من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم على ذنب وقوله
انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا يظن لسانى وقوله اننا نخاف أن يفرط علينا وأن
يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى أقيم مقام الانس بلا طغى ويحتمل
ولم يحتمل لبؤس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبط والهبة فغوب بالعين في بطن
الحوت في طلبات ثلاث ونودى عليه الى يوم القيامة لولا أن تداركه نجمة من ربه لتبذ بالعراء وهو
مذموم • قال الحسن العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يتقدي به وقيل لما صبر
لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكتطوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف
الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال
تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى
عليه السلام من الفضليين ولادله سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حيا وهذا انسياط منه لما شهد من اللطف في مقام الانس وأما يحيى بن زكريا عليه السلام
فأنه أقيم مقام الهبة والجلاء فلم ينطق حتى انتهى عليه خاتمه فقال وسلام عليه وانظر كيف
احتل لأخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من أول قوله تعالى إذ قالوا
ليوسف وأخوه أحب الى آياتنا الى رأس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه فتفاوت أربعين
خطبة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم
يحتمل العزير في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قيل محى من ديوان النبوة وكذلك كان لعالم
ابن باعوراه من أكابر العلماء فكل الدنيا بالدين فلم يحتمل لذلك وكان أصعب من المسرفين وكانت

معصيته في الجوارح ففعا عنه فقد روي أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام يا رأس العالدين
ويا ابن حجة الزاهدين إلى كم يصنعي ابن خالك أصف وأنا أعلم عليه مرة بعد مرة فوعزني وجلاني
أش أخذته عصفا من عصفا في عليه لا تركه مثله لمن معه ونكلا لمن بعده فنادى خل أصف على
سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا كتيبا من رمل ثم رفع رأسه
وبده نحو السماء وقال الهى وسيدى انت انت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تنب على وكيف استغفر
إن لم تصمني لا عودت فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا أصف انت انت وأنا أنا استقبل التوبة
وقد نبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه وفي
الخبر أن الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشقى على الملكة كم من ذنب واجهته به عقوبته
لأن قد أهلك في دونه أمة من الأمم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على
ما سبقت به المشقة الأزلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين
خلوا من قبل فأفي القرآن شيئا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه فتارة يعرف
الهمم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتارة يعرف
الهمم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يعرف
الهمم بإفعاله المخوفة والمرجوة فيقول له أعدائه وفي أنبيائه فيقول ألم تركب قبل ربك
بعاد ارم ذات الجناد ألم تركب قبل ربك بأصحاب القليل ولا يدور القرآن هذه الأقسام الثلاثة
وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقدسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع
عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وإنزال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بثلاث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن منتهى
التقديس أن يكون واحد في ثلاثة أمور لا يكون حاصله من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله
لم يلد ولم يولد ولا يكون حاصله من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولم يولد ولا يكون
أصله ولا فرعاً من هو مثله ودل عليه قوله لم يكن له كفواً أحد وجميع جميع ذلك قوله تعالى قل هو
الله أحد وجملة تفصيل قول لا اله الا الله فهذه أسرار القرآن ولا تنتهي أمثال هذه الأسرار
في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه تواروا القرآن
والتمسوا غرائب فيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طالع في أحاديثه فكره
وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قادر مليك قادر ربه خارج عن حد استطاعة
البشر وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والاخبار فكن حريصاً على استنباطها ليكشف
لأن فيه من العجايب ما تستحق معه العلوم المخرفة الخارجة عنه فهذا ما أردنا ذكره من معنى الانس
والانسياط الذي هو غرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم

في القول في معنى الرضاء بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم أن الرضاء ثمة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المؤمنين وحقيقته غامضة على الاكثرين
وما بدخل عليه من التشابه والاهام غير منكشف الا لمن علم الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه
في الدين فقد أنكر منكرون تصورات الرضاء بما يخالف الهوى ثم قالوا ان أمكن الرضاء بكل شيء لانه
فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي واتخذ بذلك قوم فرأوا الرضاء بالنجور والفسوق
وتركوا الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولوا انكشف هذه الأسرار لما اقتصر على
سماع ظواهر الشريعة لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهم في الدين

وعليه التأويل فلنبدأ بيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية
تصوره فيها بخلاف الهوى ثم نذكر ما ينظر أنه من تمام الرضا وليس منه ترك الدعاء والسكوت على
المعاصي

بيان فضيلة الرضا

﴿أما من الآيات﴾ قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا الصديق الله تعالى وقال تعالى
ومساكن طيبة في جنت عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنت عدن كإرفع
ذكره فوق الصلاة حيث قال إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذ كر الله أكبر فكان أن
مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية
مطلب سكان الجنان وفي الحديث إن الله تعالى يحب المؤمن يقول سلوى فيقولون رضا نسوا الله
الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقة وأما رضا الله تعالى
عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مجاز كنهه في حب الله العبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقة
أنه نقص أفعالهم الخلق عن ذكره ومن يقوى عليه فيستقل بأدراكه من نفسه وعلى الجلبة فلا تربية فوق
النظر إليه فأناسا لوال الرضا لانه سبب دوام النظر فكانهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأمانى
لما ظفروا بنعم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع
الجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث
تحف من صندوب العالمين أحدها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلهما فذلك قوله
تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فتريد ذلك على الهدية
فضلا وهو قوله تعالى سلام قولنا من ربهم والثالثة يقول الله تعالى إلى منكم راض فيكون ذلك
أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أى من النعيم الذى هم فيه فهنا
فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد (وأما من الأخبار) فقد روى أن النبي صلى الله عليه
وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علمنا إيمانكم فقالوا نصبر على البلاء
ونشكر عند الرضا ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر أنه قال حكا
علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء وفي الخبر طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كافا فراضى به
وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من
العمل وقال أيضا إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر أحبته فان رضى اصطفاه وقال أيضا إذا
كان يوم القيامة أتت الله تعالى لطائفة من أمته أجنحة فيطربون من قبورهم إلى الجنان يسرحون
فيها ويستمعون فيها كيف شأوا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسبا
فتقول لهم هل جئتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا
فتقول للملائكة من أمته من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول لشدناكم الله حدثنا
ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتنا كانتا فينا قبلنا هذه المترلة بفضل رحمة الله فيقولون
وما همافقولون كاذبا خلونا تسخى أن نصعبه ورضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحسن لكم
هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تشفروا بشواب فقركم
والأفلا في أخبار موسى عليه السلام أن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمر الدنيا فقلنا يرضى
به ضناقل موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرى
عنهم ويشهد لهذا ما روى عن نينا صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل

فليطبر ما لله عز وجل عنده فان الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه وفي أخبار داود عليه السلام ما لأوليائي والهم بالدين ان الهم بذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان تحبني من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يعقون وروى أن موسى عليه السلام قال يا رب دلي على أمر فيه رضاك حتى أعلمه فأوحى الله تعالى اليه ان رضائي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلي عليه قال فان رضائي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام أي رب أي خلقك أحب إليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سألني قال فأى خلقك أنت عليه سألني قال من يستغفر في الأمر فاذا قضيت له سخط قضائي وقدروى ما هو أشد من ذلك وهو ان الله تعالى قال أنا الله لا اله الا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليخذ رياسواي ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى قدرته المقدار ودرت التدبير وأحكمت الصنع في رضى فله الرضا منى حتى يلقياني ومن سخط فله السخط منى حتى يلقياني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوي لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل لمن لم يزل قال لم وكيف وفي الأخبار السالمة أن نبيا من الانبياء شكك الى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشرين فيا أجيب الى ما أراد ثم أوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدوك عندي في أم الكلب قبل أن أخلق السموات والارض وهكذا سبق لك منى وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعبد خلق الدنيا من أجلك أم تريد ان أبدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزى وجلالى لشيئ نلج هذا في صدرك مرة أخرى لا يحولك من ديوان النبوة وروى أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل أحدهم رجلاه على أضلاعه كهسته المدرج فيصعد الى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال لبعض ولده يا أبت أمارى ما يصنع هذا بك لو نسيته عن هذا فقال يا بني انى رأيت ما تروا وعلمت ما لم تعلموا انى تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعم الى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيصيبني ما لا أعلم وقال أنس بن مالك رضى الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين سنين فما قل لي لشيئ فعلته لم فعلته ولا لشيئ لم أفعله لم لا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان اذا خصمتي خصام من أهله يقول دعوه لو قضى شيء لسكان وروى ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود انك تريد أو تريد أنما يكون ما تريد فان سلت لما أريد فكسبت ما تريد وان لم تسلم لما أريد أنعتك فيما تريد ثم لا يكون الاما أريد * (وَأَمَّا الْآثَارُ) فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يمجدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبدالعزيز ما بقى لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضى الله تعالى وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء وقال الفضل ان لم تصلى على تقدر الله لم تصلى على تقدر نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف ولشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لان أحسن حجرة أحرق ما أحرق وأبقت ما أبقت أحب الى من أن أقول لشيئ كان ليته لم يكن أو لشيئ لم يكن ليته كان ونظر رجل الى فرحة في رجل محمد بن واسع فقال انى لا رجلك من هذه الفرحة فقال انى لا شكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وروى في الاسرار لميات أن عابدا عبد الله دهر اطو بلا فارى في المنام فلانة راعية رفيقة في الجنة فسأل عنها الى أن وجدها فاستصافها

ثلاثا بالنظر الى علمها فكان بيت قائما وتبت نائمة ونظلت صائما وتطلت مفطرة فقال أمالك عمل غير
 ما رأيت فقال ما هو الله الا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة
 هي في ان كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء وان كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة وان
 كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهدذه خصيلة هذه
 والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء أحب
 من أهل الارض أن يرضوا بقضائه وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال
 عمر رضي الله عنه ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أورشاء وقال الثوري يوما عند
 رايضة اللهم ارض عنا فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وانت عنه غير راض فقال
 استغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضمعي فتي يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان
 سروره بالصبيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى
 عن الله تعالى وقال أحمد بن أبي الخوارى قال أبو سليمان الداراني ان الله عز وجل من كرمه قدر رضى
 من عبده بما رضى العبد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال ليس مراد العبد من الخلق أن
 يرضى عنه هو ولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبده أن يرضوا عنه وقال سهل خط العبد من
 اليقين على قدر خطهم من الرضا وخطهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي
 صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحبه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل النعم
 والحزن في الشك والسخط
 بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى
 أعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فأما الرضا فلا يتصور رافعا أنى من
 ناحية انكار المحبة فأما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الجسم به فلا يخفى أن الحب يورث
 الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين أحدهما أن يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى
 عليه المزم والم يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك الم المومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه أو في حال
 خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يغدو في
 شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بآلم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يخطئ رأسه
 بجديدة كأنه يتألم به فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ المزين والحمام وهو لا يشعر به وكل
 ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بأمر من الامور مستوفي به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق
 المستغرق لهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد تصيبه ما كان يتألم به أو يفتن له لولا عشقه ثم لا يدرك خمه
 وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل
 القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في
 الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا تصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم كما يقوى
 حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذلك اقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بتو بالبريرة
 وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا حلال في تنكشف له شيء منه قد سيره بحيث
 يدهش وينشئ عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روى أن امرأة فزع الموصل عثرت فاقطع ظفرها
 ففحصت فمطل لها ما تحدين الوجع فقالتان لذة نوابه ازالنا عن قلبي مرة ورجعه وكان سهل
 رحمه الله تعالى به على يعاج غيرهما ولا يعاج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب
 لا يوجع وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك الم المومثاله لكن يكون راضيا به بل واعتافه من بداله
 أعنى بعقله وان كان كارها بطبيعته كالذي يلتمس من الفصاد القصد والحجامة فانه يدرك ألم ذلك الا انه

راض به وراض فيه ومتقلد من الفصا دبه نية بفعله فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الرح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمره سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما أصابه دابة من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي أدخله فوق ما فاته رضى به وورع فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجزى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبه ورضاه لالعنى آخر وراه فيكون مراد حبيبه ورضاه بحبوا باعنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد توأصفها المتوأمصون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة النظاهرة بالبصر فان نظرا الى الجمال فها هو الجلد ولحم ودم مشعون بالآقدار والأخيات بدايته من نقطة مذرة ونهايته حفة قدرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظرا الى المدرك للجمال فيسمى العين الخمسة التي تظلم فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبير والصغير صغيرا والبعد قريبا والقبح جملا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فنأين يستحيل ذلك في حب الجمال الا الى الأبدى الذي لا منتهى لك لكاله المدرك بعين البصيرة التي لا يعترها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة ترقى الله تعالى مستعدة بالموت فريد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار وشهد بذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البني من يرى ثواب الشدة لا يشتهي الخمر منها وقال الجنيد سألت سريرا السقطى هل يجد الحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم أحببت كل شئ يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في شربة فنادى ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتعنته فقلت له لم ضربت فقال لا في عاشق فقلت له ولم سكنت قال لأن معشوقى كان مجذبا في شظري فقلت فلو تطرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة فخر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى اذا نظرت أهل الجنة الى الله تعالى ذهب عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثم أعانته سنة لا ترجع اليهم فاطنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلالة هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصيدت عبادان في بدايتي فاذا برجل أحمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعه في جحرى وأنا ردد الكلام فلما أفاق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بيتى وبين ربي لوطعنى اربا ربا ما ازددت له لاحبا قال بشر فإريت بعد ذلك نية بين عبدو بين ربه فأنكرتها وقال أبو عمر ومحمد بن الأشعث ان أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشفطهم جماله عن الاحساس بآلم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة أبدين لاستنهارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رايت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدينة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من آلم التفريق أجمل

قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتي التي ترحل

ثم يقر بالمدينة بطنه وخمر متافسألت عنه وعن أمره فقيل لي انه كان يهوى فى بعض الملوك حجب عنه يوما واحدا وروى أن تونس عليه السلام قال لجبريل دلتى على أعبد أهل الارض فدلته على رجل قد قطع الجذام بديه ورجليه وذهب بصره فسمعه وهو يقول الهى متعتى بهما ما شئت أنت وسلبتني

ما شئت أنت وأقيمتي فيك الأمل يارب يا رسول و يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان يحدث بهذا
الغلام حدث فأت الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سورا ألبامنه فقيل له في ذلك
فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضيته به وقال مسروق كان رجل بالبادية
له كلب وجما رو يدك فالدك يوقظهم للصلاة والحمار يقولون عليه الماء ويميل لهم خباءهم والكلب
يحرسهم قال بقاء العلب فأخذ الدك فزفوا له وكان الرجل صاخفا قال عسى أن يكون خيرا ثم جاءه
ذئب ففارق بطن الحمار فقتله فزفوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد
ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فتنظروا فإذا قد سبي من حولهم وبقواهم قال وإنما
أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمر والديكة فكانت الخيرة طولا في هلاك
هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فإذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال
• و يروي أن عيسى عليه السلام مر برجل أحمى أرض مقعد مضروب الجنين بفالج وقد تشرط له
من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أي شيء من
البلاء أراه مصر وفاغتك فقال يا روح الله أنا خير من لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته
فقال له صدقت هات يدك فناول يده فآذاهوا أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله
عنه ما كان به فصعب عيسى عليه السلام وتعبه معه وقطع عروة من الزبير رجلاه من ركبتهم من أكلة
خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي أخذ مني واحدة وإمك لأن كنت أخذت لقد أقيمت ولئن كنت
ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورد ذلك البلية وكان ابن مسعود يقول الفقير والغني مطيئان ما بالي
أيها ركب أن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان الغني فإن فيه البذل وقال أبو سليمان المدايني قد
نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فإلى منه الامتثال الرجوع وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة
وأدخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعازف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال أما الغاية فلا
ولكن مقام الرضا قد نلت له لو جعلني جسر أعلى جهنم بعين الخلائق على إلى الجنة ثم ملأني جهنم ثم جعله
لقسمه ويدلاني خليفته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم أن الحب
قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالمر النار فإن بقي احساس فيغيره ما يصح من لذته في
استشعاره حصول رضا يحبو به بالقباه إياه في النار واستبلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن
كان بعد ما من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء
ونظن أن ما هو عاجز عنه يهزغ عنه الأولياء وقال الروبادي قلت لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي
قول فلان وددت أن جسدی قرض بالمقاريض وإن هذا الخلق أطاعوه مامعناه فقال يا هذا إن
كان هذا من طريق التعظيم والجلال فلا أعرف وإن كان هذا من طريق الاشفاق والتضع للخلق
فأعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه في ملي على ظهره ثلاثين
سنة لا يقوم ولا يقعد قد نال له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف
وأخوه الصلاء فجعل يسكي لما يراه من حاله فقال لم تسكي قال لا في أراك على هذه الحالة العظيمة قال
لا تسكي فإن أحبه إلى الله تعالى أحبه إلى ثم قال أخذت شيتا لعل الله أن ينفعك به وأكرم على حتى
أموت إن الملائكة تزورني فأنس بها وتسلم على فاسمع تسليها فاعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة
أذو سبب هذه النعمة الجسمية فمن يشاهد هذا في بلاءه كيف لا يكون راضيا به قال ودخنا على
سويد بن ثعلبة فعورده فرأنا ثوبا ملني فاطننا أن تحفه شيئا حتى كشف فقال له امرأته أهلي

فذاؤك مانطعك مانسبلك فقال طالت الصبغة ودرت الخرافيف وأصبحت نصوا لاطم
طعما ولا اسبغ شربا منذ كذا فذ كرا يا ما وما سرتني اني نقصت من هذا قلامة ظفر * ولما قدم
سعد بن أبي وقاص الى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له
فدعوه لهذا ولهذا وكان يحباب للدعوة قال عبد الله بن السائب فأنتبه وأاغلام فتعرفت اليه فعرفني
وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذ كرسية قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت
لنفسك فرد الله عليك بصرك فقبسم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري وضاع
لبعض الصوفية ولده صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقبل له لوسألت الله تعالى أن يرذه عليك فقال
اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد أنه قال اني أدنيت ذنبا عظيما
فأتانا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو
قال قلت مرة لشيء كان ليشه لم يكن وقال بعض السلف لو فرض جسمي بالمقاريض لكان أحب
الي من أن أقول لشيء قضاء الله سبحانه ليشه لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد همارجل قد تعدد
خسين سنة قصدده فقال له يا حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال انست به قال لا قال فهل
رضيت منه قال لا قال فاما خبريك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحي منك لآخبرتك
بأن معاملتك خسين سنة مدخولته ومعناه بأنك لم تفتح باب القلب ففترت في الدرجات القرب
بأعمال القلب وانما أنت تعدني طبقات أصحاب الميمن لأن مرديك منه في أعمال الجوارح التي هي
مزيد أهل العجوم * ودخل جماعة من الناس على النبي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه
وقد جمع بين يديه جارة فقال من أنتم فقالوا بحبوك فأقبل عليهم برمهم بالمجارة فتهاربوا فقال
ما بالكم إذ صميت محبتي ان صدقتم فأصبروا على بلائي والشبي رحمه الله تعالى

ان المحبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت مصافير سكران

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقي الله عز وجل مصداقا لعله قد كذبه وذلك أن أحدهم لو كان له
أصبح من ذهب ظل بشرها ولو كان بها شلال ظل يوارها يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله
والناس يتخافون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه وقبل انه وقع الحريق في السوق
فقبل للسرى احترق في السوق وما احترق ذكائك فقال المصلحة ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي
دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الخانوت بقية عمره توبه واستغفارا من قوله الحمد لله فإذا
تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستقبلا بل هو مقام عظيم
من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك مكافئ حب الخلق وخطوطهم كان مكافئ حق حب الله
تعالى وحفظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضا بالآلام التي توقع من الثواب
الموجود كالرضا بالقصد والجماعة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لخطو رواده بل
لكونه مراد المحبوب ورضاه فقد يغلب الحب بحيث يتغمر مراد الحب في مراد المحبوب فيكون
ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبة ورضاه ونفوذا رائدته ولو في هلاك روحه كما قيل

فالجرح اذا أرضك كم ألم * وهذا يمكن مع الاحساس بالآلم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن
ادراك الآلم فالقياس والعجربة والشاهدة الله على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من يقدمه من نفسه
لانه انما يقدمه لنفسه سببه وهو فرط حبه ومن لم يذوق طعم الحب لم يعرف عجايبه فلا محجب عجايبهم
بما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحارث الراقي قال كنت في مجلس بالزفة عند صديق لي وكان
معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فصرى بت بالقصيب وقتن

علامة ذل الهوى * على العاشقين الكبا
ولاسما عاشق * اذ لم يجد مشبكي

فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أنت أدنين لي أن أموت فقالت متراشدا قال فوضع رأسه
على الوسادة وأطبق ففهمض عينيه فمر كناه فانها هومت وقال الجنيد رأيت رجلا متعلقا بك صبي
وهو يتضرع اليه ويظهر له الحجة فالتفت اليه الصبي وقال له متى ذا التفاق الذي تظهرني فقال
قد علم الله أني صادق فيما أوردته حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فالتفت
وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمعوني المحب كان في جبرائيل رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت
الجارية بغلس الرجل ليصلح لها حيا فبينما هو يجرؤ قالت الجارية آه قال فدش الرجل
وسقطت لللعنة من يده وجعل يجرؤ ما في القدر بيده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية ما هذا
قال هذا مكان قولك آه * وحكي من محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شابا على سطح
مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول

من مات عشقا فليت هكذا * لا خير في عشق بلا موت

ثم رمى نفسه الى الارض فخلعه ميتا فهذا أو مثاله قد يصدق به في حب الخلق والتصدق به في حب
الخالق أولى لان البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل
جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجلال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال
الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنفحات الموزونة فالذي فقد القلب لا يد وأن ينكر
أيضا هذه الذات التي لا منة لها سوى القلب **بيان** أن الدعاء غير مناقض للرضا **بيان**
ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبغها والسعي
في إزالة ما لا امر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين
المغترين وزعم أن المعاصي والفيجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا
جهل بالثواب وعقولة عن أسرار الشرع فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى المقامات من الرضا وقد أتى الله تعالى على بعض صاده بقوله
يدعوتن الرضا ورهبا وأما الكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم
على الرضا به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا فرضى به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال
على الشر كفاؤه وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل
وكيف ذلك قال يلفه فيرضى به وفي الخبر لو أن عبدا قتل بالمشرك ورضى بقتله آخر بالمغرب كان
شريكا في قتله وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافقة في الخيرات وتوفي الشرور فقال تعالى وفي ذلك
فلتنافاس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاحد الانبياء في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو
يبغيها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه
الله القرآن فهو يقوم به آتاه الله ليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتاني هذا لفعلت مثل
ما يفعل وأما بعض الكفار والنجار والذين لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا اتقوا اليهود والنصارى أولياء وقال تعالى وكذلك تولي بعض الظالمين

بعضا وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يغض كل منافق وعلى كل منافق أن يغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرمع من أحب وقال من أحب قوموا ولا هم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام أوئن عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الاسرار المعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بخير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذر في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا بما يتبس على الضعفاء القاصرين من الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاماً من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة بضآن اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكروه من وجه ويرضون به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو أبضا عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه فتكره موبه من حيث أنه مات عدوك وترضاه من حيث أنه مات عدوك وكذلك العصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث أنه فعله واختياره وارانته فيرضى به من هذا الوجه تسليماً للملك الى مالك الملك ورضاً بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث أنه كسبه ووصفه وعلامة كونه بمقتضى عند الله وبغضاً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكرو ومنعوم ولا ينكشف هذا الا بمثل التفرض بحبوا من الخلق قال بين يدي بحبه اني أريد أن أمير بين من يحبني وبغضني وأنصب فيه معيار اصادقاً من انا اطاقوا وهو أني أقصد الى فلان فأؤذيه وأضر به ضرراً يضطره ذلك الى التمس في حتى اذا شئني أبغضته واتخذته عدواً الى فكل من أحبه فأعلم أيضاً أنه عدوي وكل من أبغضه فأعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من التمس الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول أمتدبرك في ابتداء هذا الشخص وضر به وابعاده وأمر نفسك اباه للبغض والعداوة فأنا محب له وراض به فانه رأيتك وتدبرك وفعلك وارانته وأما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضر به استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث أنه حصل على وفق مرادك وتدبرك الذي دبرته فأنا راض به ولولم يحصل لكان ذلك نقصاً في تدبيرك وتوقيفك في مرادك وأنا كاره لقوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف بهذا الشخص وكسبه وعدوان وتهمج منه عليك على خلاف ما يقتضيه جهالك اذ كان ذلك مقتضى أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحبه له لانه مرادك وأنا على موافقتك أيضاً مغض له لان شرط المحب أن يكون الحبيب المحبوب حبيباً وعدو عدواً وأما بغضه لك فاني أراضاه من حيث أنك أردت أن يغضك اذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني أبغضه من حيث انه وصف ذلك البغض وكسبه وفعله وأمته لذلك فهو مقتود عندي لمقتة اياك وبغضه ومقتة لك أيضاً عندي مكروه من حيث أنه وصف وكل ذلك من حيث أنه مرادك فهو مرضي وأما التناقض أن يقول هو من حيث أنه مرادك مرضي ومن حيث أنه مرادك مكروه وأما اذا كان مكروهاً لا من حيث انه فعله ومراده

بل من حيث أنه وصف غيره وكسبه فهذا التناقض فيه وشهد لذلك كل ما يكره من وجه
ويرضى به من وجه ونظار ذلك لا تحصى فإذا تسلبت الله دواعي الشهوة والمصيبة عليه حتى يجزه
ذلك إلى حب المصيبة ويجزه الحب إلى فعل المصيبة يضاهي ضرب المحبوب لشخص الذي ضربه
مثلا ليجزه الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت مصيبته
بتدبيره يشبه بعض المستنوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما يحصل بتدبيره واختياره لأسبابه وفعل الله
تعالى ذلك بكل عبد من عبده أمضى تسلبت دواعي المصيبة عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بإعادة
ومقته فواجب على كل عبد بحسب الله أن يغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادى من أبغده
الله من حضرته وإن اضطرت به قهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته فإنه يعيد مطرود ملعون عن
الحضرة وإن كان بعيدا بإعادة قهره ومطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي
أن يكون مقتيا بفضائل جميع المحبين موافقة للمحسوب بأظهار الغضب على من أظهر المحبوب
الغضب عليه بإعادة وهذا يتقرر جميع ما وردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله
والتشديد على الكفار والتغليب عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث أنه
قضاء الله عز وجل وهذا كله يستفاد من سر القدر الذي لا رخصة في إفشائه وهو أن الشر والخير
كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال
ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال إنهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو
أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مآذون فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد
قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تنفوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان
الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله
تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة
والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب المعينة على الدين غير منافض للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله
تعبد العباد بالدعاء ليسخرج الدعاء منهم صفاء الذكروخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك
جلاء للقلب ومقاراة للكشف وسببا لتواضع الرعايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس
منافضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لإزالة العطش مباشرة مسبب رتبته
مسبب الأسباب فكذلك الدعاء مسبب رتبة الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب
جربا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصينا في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا
لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار الدلاء في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب
على الله تعالى منافض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض
وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حاز أي في معرض
الشكوى وذلك في الصنف فأما في الشفاء فهو شكر والشكر تناقض الرضا بكل حال ودم الأظمة
وعينها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مدامة الصنعة مدامة الصانع والكل من صنع الله تعالى
وقول القائل الفقير بلاء وخنة العيال هم وتعب والاحتراف كذومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل
ينبغي أن يسلم التدبير لغيره وللملكة لهما ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا بأبي أصبحت عبدا
أو فقيرا فإني لأدري أيهما خير لي

بيان أن الفرار من البلاد التي هي مغتان للمعاصي ومذمتها لا يقدر ح في الرضا
اعلم أن الضعيف قد ينظر أن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به

الطاعون يدل على النهي عن الخروج من البلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهم ما قرار من قضاء الله تعالى وذلك بحال بل العلة في النهي عن مغادرة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهدهم فيه لكون هزالا وضرا ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالقرار من الزحف ولو كان ذلك للقرار من الغضا لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وادع عرف المعنى ظهر أن القرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفسار بما لا بد من القرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التفرغ من المعصية ليست مذمومة فيزال الساف الصالح يتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واطهارهم ذلك وطلب القرار منها فقال ابن المبارك قد طغت الشر في القرب فإرأيت بلد اشترى لمن يزداد قبل وكيف قال هو بلد تزدري فيه نعمة الله وتستهقر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها الا شرطا غضبا أو تاجرا لحفا أو أفارا حيران ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من الغيبة لانهم لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستقر ذلك الشخص به وانما قصده بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وقد كان مقامه في بغداد يرقب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان تصدق بـ عشرة دنانير لكل يوم دينار كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاخبار وقال ابن عمر رضي الله عنهما المولى له أن تسكن فقال للعراق قال فما صنع به بلغني أنه ما من أحد يسكن العراق الا قبض الله له قرينا من البلاء وذكر كعب الاخبار يوما العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الماء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فثلاثة أعشاره بالشر وعشرة بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كتاب ما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدبر عبيدة فأتى جلسته الى جانبه وأقبل عليه ثم قال أرى تسكن فقال يزدادنا عرض عنه وقال يا ثانيا أهدم في زى الزهبان فإدا سألتك أن تسكن قال في عش الطلبة وكان يشر من الحارث يقول مثال المتعبد فيغد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقصدوا بي في المقام بها من أراد أن يخرج فاجبرج وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذه البلدة ترفى نفسى قيل وأين تختار للسكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهد وشريهم شرير فهدايل على أن من يلي سادة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيا بما له مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون مترج القلب منها قائلا على الدوام ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا امتزج بالبلاء ودمر الجميع وشمل المظلمين قال الله تعالى واتقوا فتنة الاصبين الذين ظلموا منكم خاصة فاذا اليس في شئ من أسباب نقص الدين ألبتة راضيا مطلق الامن حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فما هي في نفسها فلا وجه لارضائها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لأختار شيئا بل أرى بما اختاره الله تعالى وورفت هذه المسألة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لانه أقلهم فضولا واجتمع ذلك يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف لم قال لم أنتخوف من الفتنة فقال يوسف لكتي لأكره طول البقاء

فقال سفيان لم قال لعلى أصادف يوماً أتوب فيه وأعمل صالحاً فقيل لو هيب أيش تقول أنت فقال
أنا لا أختر شيئاً أحب ذلك إلى أحبته إلى الله سبحانه فقيل الثوري بين عينيه وقال روحانية
ورب الكعبة بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم
قبل بعض العارفين أنك محب فقال لست محباً إنما أنا محبوب والمحبة متعوب وقيل له أيضاً الناس
يقولون أنك واحد من السبعة فقال أنا كل السبعة وكان يقول إذا رآته في قفراً يتم أربعين يوماً
وكيف وأنت شخص واحد قال لا نرى أربعين يوماً أخذت من كل بلد خلقاً من أخلاقهم وقيل
له بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس المحب من يرى الخضر ولكن المحب من يريد
الخضر أن يراه فيحبب عنه وحكي عن الخضر عليه السلام أنه قال ما حدثت نفسي يوماً قط أنه لم يبق
ولي الله تعالى إلا عرفته الأورأت في ذلك اليوم وليلام أعرافه وقيل لا يزيده البسط إلى مرة حدثنا
عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويا محبكم لا يصلح لكم أن تعادوا ذلك قبل غدتنا بأخذ
مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضاً يجوز أن أطلعكم عليه قبل غدتنا عن رياضة
نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي إلى الله فجمعت على فغزمت عليها أن لا تشرب الماء سنة
ولا أدخلك في النوم سنة فوفت لي بذلك وبحكي عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبابريد في بعض مشاهداته
من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفراً على صدره ورقديه رافعا الخصمية مع عقبيه
عن الأرض ضاراً بالذنب على صدره شاخصاً بعينه لا يطفرف قال ثم سجد عند البحر فأطاله ثم قد
قال اللهم إن قوماً يطلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فترضوا بذلك وإن أعوز بك من
ذلك وإن قوماً يطلبوك فأعطيتهم طي الأرض فترضوا بذلك وإن أعوز بك من ذلك وإن قوماً يطلبوك
فأعطيتهم كنوز الأرض فترضوا بذلك وإن أعوز بك من ذلك حتى عتبتوا عشرين مقاماً من
كرامات الأولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي فقال مذ متى أنت هنا قلت منذ
حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال أحدثك بما يصلحك أدخلني في الفلك الأسفل
فدور في المصكوت السفلى وأراني الأرضين ومناجها إلى النرى ثم أدخلني في الفلك العلوي
فطوّفت في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سألني أي شيء
رأيت حتى اهبطت فقلت يا سيدي ما رأيت شيئاً استحسنته فأسألك أيها فقال أنت عبيدي حقا
تعبدني لأجلى صدقاً لا فعلت بك ولا فعلت فذكر أشياء قال يحيى فما لي ذلك وامتلأت به وعجبت منه
فقلت يا سيدي لم لأسأله المعرفة وقد قال لك ملك الملوك سألني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال
اسكت وياك فحزت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواه وحكي أن أبابراب الغشي كان مجبها
بعض الرديد فكان يدينه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجده فقال له أبابراب
يوماً لورأت أبابريد فقال لي منه مشغول فلما أكثر عليه أبابراب من قوله لورأت أبابريد هاج ووجد
المريد فقال ويحك ما صنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأعزاني عن أبي يزيد قال أبابراب فهاج
طبعي ولم أملك نفسي قهلت وياك تغتر بالله عز وجل لورأت أبابريد مرة واحدة كان أنفع لك من
أن ترى الله سبعين مرة قال فهت الفتى من قوله وأنكره فقال وكيف ذلك قال له وياك أمانتي الله
تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبابريد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال
اجملي إليه فذكر قصة قال في آخرها فقتلني نل تنتظره ليخرج النيامن القيصه وكان يأوي إلى
غضفة فيها سماع قال فرساق قد قلبه فوقع على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر إليه فانظر إليه
الفتى فصعق فخر كما فإذا هو ميت فتعوانا على دفنه فقلت لا يزيدي يا سيدي نظره إليك قبله قال لا

ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انك كشف له سر قلبه
فصاعق عن جملة لانه في مقام الضعفاء المرادين بقتله ذلك * ولما دخل الزنج البصرة قتلوا انفس
ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لوسألت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان الله عبادا
في هذه البادية لودعوا على الظالمين لم يصح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن
لا يفعلون قبل قال لانهم لا يجوزون الا ما يجب ثم ذكر من اجابة الله اشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال
ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه أمور ممكنة في انفسها فمن لم يحط بشئ منها فلا ينبغي أن
يخلو عن التصديق والاعيان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وبجانب الملك والملوكوت
كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو زيد
يقول ان امهالك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلفاء ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق
ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مشاهير ومن هو في مثل حالهم لانهم
الامثال فالامثال وقد قال بعض العارفين كوشفت بأربعين حوراء رأيتن يتسعين في الهواء عليهن
تياب من ذهب وفضة وجوهر يتشعشع ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فوقت أربعين يوما
ثم ككوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقت في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فحدثت
ونحضت ميني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سألوك لاحاجة لي بهذا فلم أزل أتفرع
حتى صرقت الله عني ثمان مئال هذه المكشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لا فلاسه عن مثلها فلولم
يقوم كل واحد الاحياء شاهد من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاف مجال الايمان عليه بل هذه
أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة اذناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس
وملاحظة الخلق من جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى
مختصا بمحس الخمول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس
وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق فيفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق
وانكر ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري انكار من انكار ما كان انكشاف الصورة
في الحسبة اذا شكلت ونقبت وصقلت وصورت بصورة المرأة فنظر المنكر الى ما فيه من زرة
حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يجزي صورة من الصورة انكار ما كان انكشاف
المرئي فيها عند نظره وجوهرها وانكر ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات
الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه بنفس المستند ذلك في انكار قدرة الله
تعالى بل اغناشتم روائح المكشفة من سلك شيتا ولومن مبادئ الطريق كقيل لبشر بأشئ بلغت
هذه الميزة قال كنت اكرم الله تعالى حالي معناه اسأله ان يكتم علي ويخفي أمرى وروى انه رأى
الحضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسرته
عليك فقيل معناه سرته امان الخلق وقيل معناه سرته انك حتى لا تلقت أنت الهواص بعضهم انه
قال ألقني الشوق الى الحضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني اياه اعطني شيئا كان أهم
الاشياء علي قال فرأيت فاعلم علي هي ولا همي الا أن قلت له يا أبا العباس علي شيئا اذقلته
حجبت عن قلوب الخليفة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا دابة فقال قل اللهم أسبل
علي كشف سترك وخط علي سرادات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واجنبني عن قلوب خلقك
قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فآزلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى انه صار يحببت
كان يستدل بعين حتى كان أهل الذمة يبضرون به ويستبضرونه في الطرق بحمل الاشياء لهم

لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذلهم ونحوه
فهكذا حال أولياء الله تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والمغرور أنما يطلبونهم تحت
المرقعات والطيبات وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والياسة وغيره الله تعالى على أوليائه
تأني الاخفاء هم كما قال تعالى أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب
أشعث أعز ذى طمرين لا يؤبه له لواء قسم على الله لأزواجه لعله فأن بعد القلوب عن مشام هذه المعاني
القلوب المتكبرة المحبة بأنفسها المستبشرة بعلمها وعلوها وأقرب القلوب إليها القلوب المتكسرة
المستشعرة ذل نفسها المستشعرا اذ اذلوا وهضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهجرت فرفع عليه
مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التقائه الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من أن
يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فذل
هذا القلب برج له أن يستنشق مبادئ هذه الروائح فان قدنا مثل هذا القلب وحررنا مثل هذا
الروح فلا ينبغي أن يطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فن لا بقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا
لأولياء الله المؤمنين منهم فمضى أن يحشرهم من أحب ويشهد لهذا ما روى أن عيسى عليه السلام قال
لبنى اسرائيل أين نبت الزرع قالوا في التراب فقال بئني أقول لكم لا تبت الحكمة الا في قلوب مثل
التراب ولقد انتهى المرادون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة
والخسة حتى روى أن ابن الكروبي وهو استاذ الجند عاه رجل الى طعام ثلاث مرات ثم كان يرذه
ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رذيت نفسي
على الدل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرجى له عظم فيعود ولو
رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا انه قال زلت في محبة تعرفت فيها
بالصلاح فتشنت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست
مرقعتي فوقها وأخرجت وجعلت أمشي قليلا قليلا فطعوني فزعر واضرعتني وأخذوا الثياب
وصفوني وأوجعوني ضربا فصرمت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا
يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه
محبوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتحلل حائل وانما
بعد القلوب شغلها بغيره أو بغيرها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حتى أن شاهد اعظم القدر
من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر
لا أفطروا أقوم الليل لا أنام ولا أجدني قايما من هذا العلم الذي تذكرك شيئا وأنا أصبت به وأجبه فقال
أبو يزيد ولصحت ثلثمائة سنة وقت لي لهما ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لا أنك محبوب بنفسك
قال فلهذا ادواء قال نعم قال قل لي حتى أعلمه قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى أعلم قال اذهب الساعة
الى المزين فألق رأسك ولحييتك واترع هذا اللباس واتر بعباءة وعاق في عنقك بخلاعة مملوءة جوزا
واجمع الصبيان حولك وقيل لكل من صفعتني صفعة أعطيتة جوزة وادخل السوق وطف
الاسواق كلها عند اليهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله يقول لي
مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسجنتها وما
سجت ربك فقال هذا أفعله ولكن دلتني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال لا أطيقه قال
قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بظننه الى نفسه ومرض بنظر
الناس اليه ولا ينبغي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله في لا يطبق الدواء فلا ينبغي أن يتكر

امكان الشفاء في حق من دأب نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلاً فأقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل بل حرم هذا القدر القليل أيضاً وهذه أمور جليلة في الشرع وأختصة هي مع ذلك مستبعدة عند من يعتد نفسه من علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى تكون قلة الشيء أحب اليه من كثرة وحتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وقد قال عليه السلام ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى بشئ من علمه وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدين والأخر للأخرة آثر الأمر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام لا يكمل ايمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا رضى لم يبدخه رضاه في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث آخر ثلاث من أوتيت فقد أوفى في مثل ما أوفى آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في التقى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاولى الايمان فالعجب من يدعى علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يمجده ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عليه وراه الايمان وفي الاخبار ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه انما اتخذ خلقى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون لهم هم غيرى ولا يؤثر على شيتا من خاتى وان حرق بال نار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالناشير لم يجد لس الحديدة إلّا من لم يبلغ الى أن يغلبه الحب الى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوتته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام لأصديق رضى الله عنه ان الله تعالى قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من أميتى وأعطاني مثل ايمان ككل من آمن به من ولد آدم وفي حديث آخر ان الله تعالى لثلاثة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في منها خلق فقال كلها فيك يا أبا بكر وأجمعها الى الله النساء وقال عليه السلام رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعتم أميتى في كفة فبرحتهم ووضع أبو بكر في كفة وحى بأميتى فوضعت في كفة فخرجهم وضع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه الخلة مع غيره فقال لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه

﴿خاتمة الكتاب بكلمات مفترقة تتعلق بالحببة ينتفع بها﴾

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره اتيار المحبوب وقال بعضهم كراهة البقاة في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب فاهل القلوب عن ادراكه وتمتيع اللسان عن عبارته وقال الجنيد رحم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تقل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحبة فقال العارف ان تكلم هلك والمحبة ان سكنت هلك وقال الشبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم • حيك بين الخشام

يارافع النوم عن جفوني • أنت بجامر بي علم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت النى • وهل أنسى فاذا كرمانيت

أموت اذا ذكرك ثم أحبي • ولولا حسن ظني ما حيت

فاحي بالني وأموت شوقاً * فكم احس عليك كم أموت
شربت الحب كأساً بعد كأس * فأنفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عمت
وقالت رابعة العدوية يوماً من يدنا على حيننا فاقنا التخدمة لها حيننا معنا ولكن الدنيا قطعنا
عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله تعالى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم
أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوليته يحفظني وقيل تكلم سمعون يوماً في المحبة فآذا
بطرئزل بين يديه فلم يزل يتقر بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فأت وقال ابراهيم بن آدم هم المني انك
تعلم أن الجنة لا ترن عندي جناح بعوضة في جنب ما كرمته من محبتك وأنت في ذكرك وفرقتني
للتفكر في عظمتك وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحق
يفدو وروح في لاش والعاقل من عيوبه فتاش وقيل رابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه
وسلم فقالت والله اني احبه حباً شديداً ولكن حب الخالق شغلني من حب المخلوقين وسئل عيسى
عليه السلام عن أفضل الاعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال أبو يزيد الحب لا يحب الدنيا
ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهن في لذة وسيرة في تعظيم وقيل المحبة أن
تحو أترك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار
والفرح وقال الخواص المحبة نحو الارادات واحتراق جميع الصفات وال حاجات وسئل سهل عن
المحبة فقال عطف الله بقلب عبد لمشاهدته بعد الفهم للرداد منه وقيل معاملة المحب على أربع منازل
على المحبة والمهيسة والحياة والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين سقيان مع أهل
الجنة في الجنات يرفع عنهم غيرهما قال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه
أقبل عليه وإذا وجد حلاوة الاقبال عليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين
الفتنة وهي تخسره في الدنيا وترزقه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من التقيينات تقول
وهي باكية والدموع على خدحها جارية والله لقد سمعت من الحياة حتى لو وجدت الموت يساع
لاشترته شوقاً الى الله تعالى وحباله قال قلت لها فلي ثقة انت من عملك قالت لا ولكن لحبي
اياها وحسن ظني به أقره عندي وأنا أحبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الي ترك معاصيهم لما تواشوقوا لي وقطعت أوصالهم من
محبي ياد داود هذه ارادني في المدبرين عني فكيف ارادني في القلمين عني ياد داود أوج ما يكون
العبد اني اذا استغنى عني وارحم ما أكون بعد عني اذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي اذا رجعت الى
وقال أبو خالد الصغار اني نبي من الانبياء عابداً فقال له انكم معانير العباد تعملون على أمر لسنا معانير
الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي رحمه
الله أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياد داود كرى لذا كرى وجنتي للطيبين وزيارتي للساقيين
وانا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبياً صدق قوله ومن
أنس بحبيبه رضى فله ومن اشتاق اليه جت في مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره
ويقول واشوقه لمن راني ولا أراه وقال الجنيد رحمه الله بكى نونس عليه السلام حتى همى وقام حتى
انحنى وصلى حتى أقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخصته اليك شوقاً فامني
الملكوعر على بن أبي طالس كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال
المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساس السور والشوق مركبي وذکر الله أنيس والثقة

كزى والحزن رفيق والعلم سلاح والصبر داء والرضا غنيمة والجزع غري والزهد حرقى
واليقين قوى والصدق شفيع والطاعة حسي والجهد خلقي وقرة عيني في الصلاة وقال ذو النون
سبحان من جعل الارواح جنوداً متحدة فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله
تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة فأرواح الغافلين هوائية فلذلك ما لوا الى
الدينا وقال بعض المشايخ رأيت في جبل للكاهن رجلاً سمرا اللون ضعيف البدن وهو يقف من حجر
الى حجر وهو يقول

الشوق والهوى • صيراني كجاري

ويقال الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات
والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا • فلنقتصر عليه
والله الموفق للصواب تم كتاب المحبة والشوق والرضا والانس بملوه كتاب النية والاخلاص والصدق
(كتاب النية والاخلاص والصدق وهو الكتاب السابع من ربيع النيات من كتب احيا علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد الشاكرين • ونؤمن به ايمان الموقنين • ونقر بوحدايته اقرار الصادقين •
ونشهد أن لا اله الا الله رب العالمين • وخالق السموات والارضين • ومكف الجن والانس
والملائكة المقربين • أن يعبدوه عبادة المخلصين • فقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين • فإلهه الا الذين اتخا من شركته المشركين • والصلاة
على نبيه محمد سيد المرسلين • وعلى جميع النبيين • وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين (أما
بعد) فقد انكشف لارباب القلوب بصيرة الايمان وأنوار القرآن أن لا وصول الى السعادة • الا
بالعلم والعبادة • فالتاس كلهم هلكت الا العالمون والعالمون كلهم هلكت الا العالمون والعالمون
كلهم هلكت الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم • فالعمل بغير نية غناء • والنية بغير اخلاص
رياء • وهو لئلق بكفاء • ومع العصيان سواء • والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء • وقد
قال الله تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشواً مغفورا • وقد منالى ما معلومان عمل ففعلناه
هباء منشورا • ولبت شعري كيف يصح نيتهم من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يتخلص من صحح
النية اذ لم يعرف حقيقة الاخلاص أو كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذ لم يتحقق معناه
فالوظيفة الاولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولاً لتحصل المعرفة ثم يصح بها العمل
بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص الذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والاخلاص وشن ذكر معاني
الصدق والاخلاص في ثلاثة أبواب (الباب الاول) في حقيقة النية ومعناها (الباب الثاني)
في الاخلاص وحقيقته (الباب الثالث) في الصدق وحقيقته

(الباب الاول في النية) وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيراً من
العمل وبيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراء بتلك الارادة هي
النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يسكنها فهجرته الى
ماهاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهاده أمتي أصحاب القرش ورب قتل بين الصفيين الله
أعلم بنيتهم وقال تعالى ان يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهم اجل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه

وسلم أن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وأنما نظر إلى القلوب
لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم أن الصديق لعل أعماله لا تحصى تصعد بها الملائكة في صحف
مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بها فوجهي ثم ينادي الملائكة
اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون لا ربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى
إنه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس أربعة رجل آناه الله عز وجل علوا ما لا فهو يعمل بعلمه في ماله
فيقول رجل لو أني أتاني الله تعالى مثل ما آناه لعلمت كإبراهيم في ما أاجر سواي ورجل آناه الله تعالى
مالا ولم يؤنه علمه فهو يضبط بيجهه في ماله فيقول رجل لو أني أتاني الله مثل ما آناه علمت كإبراهيم فيما
في الوزر سواي الأثرى كيف شركة بالنية في محاسن عمله وسواي به وكذلك في حديث أنس بن مالك
ما أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال إن بالمدينة أقواما ما قطعنا وادبا ولا
وطنا وموطئا فيظن الكفار ولا ينفتان فنفقه ولا يهابنا نخشاهم الاشر كون في ذلك وهم بالمدينة قالوا
وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشر كوابس النية وفي حديث ابن
مسعود من هاجر بيني شيئا فهو له هاجر رجل يترجى امرأه منا فكان يسمى مهاجرة أم نفيس وكذلك
جاء في الخبر أن رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قاتل الحارث لأنه قاتل رجلا لبأ أخذ سلبه وجماره
فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث صهابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي
الاعتقال فله ما نوى وقال ابن مسعود رجل يفر معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له وروي في الاسرائيليات
أن رجلا من بني كنانة من رمل في جماعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما قسمت بين الناس
فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك
ثواب ما لو كان طعاما فصدقت به وقد ورد في أخبار كثيرة من هم بمسئلة ولم يعملها كتبت له حسنة
وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نية جعل الله تقري بين عينيه وفارقها أرض ما يكون
فيها من سكن الآخرة نية جعل الله تعالى ضافه في قلبه وخرج عليه ضعة وفارقها أرض ما يكون فيها
وفي حديث ثمامة بن النعمان صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا تخلف بهم بالبداء فقتل يا رسول الله
يكون فهم المسكره الاجبر فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول إنما يقتل المقتولون على النيات وقال عليه السلام إذا التي الصفات زلت
الملائكة كتبت الخلق على نياتهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمة فلان يقاتل عصبية أو أفلا
تقولوا فلان قتل في سبيل الله فن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سمعت كل عبد على مامات عليه وفي حديث الأحنف عن أبي
بكره أن الذي المسلمان يسفون ما قاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال
المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه وفي حديث أبي هريرة من ترجى امرأه على صداق وهو لا ينوي إداؤه
فهو زان ومن أذن دينار وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى
جاء يوم القيامة مع طيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة مع ريح من الجيفة
(وأما الأثر) فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى
والويع محامرت الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكسب سالمين عبد الله إلى عمر بن عبد
العزيز اعمل إن عود الله تعالى العبد على قدر النية في تحت نية ثم عود الله وإن نقصت نقص
بقدره وقال بعض السلفاء على صغر قطعه النية ورب عمل كسر قطعه النية وقال داود

الطائي البرهمنه التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدين الرذلة نيتة يوما الى نية صالحه فذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يعملون النية للعمل كما تعملون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ومادمت تنوي الخير فانت تجبر وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلي على عمل ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب أن باقى على ساعة من ليل أو نهار الا وأنا عامل من جمال الله فقبل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا اقتربت أو تركته فهم يعملون فان الهام بعمل الخير كماله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم أكثر من أن تحسوها وان ذنوبكم أكثر من أن تعلموها ولكن أصبحوا أقوابين وأمسوا أقوابين بفعلكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولا هم بمعصية وانتهت الى غيرهم وقال أبوهريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ وتبسولتكم حتى نعلم الجاهدين منكم والصابرين وتبسولوا أخباركم يسكى ويرذهاو يقول انك ان بولتوا فخصتوا وحتك أسنانيا وقال الحسن انما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات وقال أبوهريرة مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل وقال بلال بن سعدان العبد يقول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى يظفر في عمله فاذا عمل لم يدعه الله حتى يظفر في ريعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيتة فباخرى أن يصلح ما دون ذلك فاذا نى عماد الأعمال النيات فالعمل مقتدر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خيرة وان تعذر العمل بعاق

بيان حقيقة النية

اعلم أن النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب كتنفها اسرار علم وعمل العلم بقدمه لانه أصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرة وفرعه وذلك لان كل عمل اعنى كل حركة وسكون اختيارى فانه لا يتم الا بشئانه أمور علم واردة وقدره لانه لا يريد الا انسان ما لا يعلم فلا بد أن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعث القلب الى ما رآه موافقا للغرض اما في الحال أو في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلازم غرضه ويخالفه بعض الامور فيحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المناق من نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة اذ رآه لشيئ المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسسها وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له فلا يمكنه ذلك لتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له بائنة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه تناول لعدم الرغبة والميل ولقد المداخلة المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة وأعنى به تزويج نفسه اليه وتوجهه في قلبه اليه ثم ذلك لا يتكفيه فكم من مشاهد طعام راغب فيه يريد تناوله عاجز عنه لكونه زمانا خلقت له القدرة والاعضاء المتمرككة حتى يتم به تناول والعرض لا يجرؤ الا بالقدرة والقدرة تنتظر المداخلة الباشئة والمداخلة تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا اجتمعت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد أن يفعل وسلت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالتعبير عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالحرارة الاولى هو

الفرض المطلوب وهو الباعث والفرض الباعث هو المقصد المتوئ والانبعاث هو المقصد والنية
وانتهاض القدرة بخدمة الارادة تعربك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون
بباعث واحد وقد يكون بساعتين اجتماعي فعل واحد واذا كان ساعتين فقد يكون كل واحد بحيث
لوانفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون أحدهما
كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدها معا فخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر
لكل واحد مثالا واسما (أما الاول) فهو أن منفردا الباعث الواحد ويجزى كما اذا اجمعت على الانسان
سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا ضئ عجزه الا عرض الحرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه
ضارا فابتعث نفسه الى الحرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال
نية القرار من السبع لا نية كلف في القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة وترسى العمل بموجبها
اخلاصا بالاضافة الى الفرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره ومما رجته (وأما الثاني)
فهو أن يجمع باعثن كل واحد مستقل بالانهاض لوانفرد ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان
على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافيًا في الحمل لوانفرد ومثاله في غرضنا أن يسأله قريبه الفقير
حاجة فيقضيها لفقره وقربا به وعلم ذلك من نفسه بأن يحضره قريب غني فترغب في قضاء حاجته وقريب غني
فيترغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصار وهو يعلم انه
لنولم يكن يوم عرفة لكان بترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان بتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا
جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنقسم هذا امر اربعة البواعث (والثالث)
أن لا يستقل كل واحد لوانفرد ولكن قوى مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان
يتعاون ضعيفان على حمل مالا يتفرد أحدهما به ومثاله من غرضنا أن يقصده قريبه الغني فيطلب
درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده قريبه الغني فيطلب
فيعطيه فيكون انبعاث داعيته يجمع الباعثين وهو القرابة والفقرو كذلك الرجل يتصدق بين
يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يعثمه مجرد قصد
الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصديق عليه لكان لا يعثمه مجرد اداء على
العطاء ولو اجتمعا ورنا مجموعهما تخرى لك القلب ولنقسم هذا الجنس مشاركة (والرابع) أن يكون
أحد الباعثين مستقلا لوانفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لينفك عن تأثير
بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس أن يتعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولوانفرد
القوي لا يستقل ولوانفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في
غرضنا أن يكون للانسان ورد في الصلاة عادة في الصدقات فاتفق أن حضري وقتها جماعة من
الناس فصار الرجل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم انه نفسه لو كان منفردا لخالى بالتمتع
عليه وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد اداء بجملة عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنقسم
هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما أن يكون رفيقا وشريكا ومعينا وسند كرحمتها في باب
الاخلاص والغرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه
ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لاحكامها في نفسها وانما الحكم للتبوع

في بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعل

السرّ فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يتفكر في مصالح
المسلمين فيقتضى عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيراً من التفكر وقد يظن أن سبب الترجيح
أن النية تدوم إلى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير
خير من القليل بل ليس كذلك فإن نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال
تدوم والعموم يقتضى أن تكون نية خيراً من عمله وقد يقال إن معناه أن النية بحجرتها خير من العمل
بحجرتها دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بلانية أو على الغفلة لا خير فيه
أصلاً والنية بحجرتها خير وظاهر الترجيح للشيء كين في أصل الخبر بل المعنى به أن كل طاعة منتظمة
بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة
خير من العمل أى لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فغناه نية المؤمن من
جملة طاعته خير من عمله الذى هو من جملة طاعته والقرض أن للبعد اختياراً في النية وعلى العمل فهما
عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه وأما سبب كونها خيراً وترجيحها على العمل فلا يفهمه إلا
من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى المقصد وقاس بعض الأناربا بعض
حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالاضافة إلى المقصود فن قال الخبر خير من الفاكهة فأنما يعنى به أنه خير
بالاضافة إلى مقصود القوت والاعتدال ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن الغذاء مقصود وهو الصحة والبقاء
وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها ببعض فالطاعات غذاء للقلوب
والمقصود شفاؤها وقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنمها بقاء الله تعالى فالمقصود لذّة
السعادة بقاء الله فقط ولن يتم بقاء الله إلا من مات محباً لله تعالى عارفاً بالله ولن يحبه إلا من عرفه
ولن يأنس به إلا من طال ذكره فالأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر والفكر والحجة
تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ولن
يتفرغ من شواغلها إلا إذا أقطع عنه شهواتها حتى يصير ما تلا إلى الخير صريده لا فإفراغ الشر
مبغضاً وانما يعمل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة متوقفة على كماله العاقل
إلى المقصود والجماعة عليه بأن سلامته فيها وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فأنما يقوى بالعمل
بمقتضى الميل والمواظبة عليه فإن المواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى
الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرياضة
لا يكون ميله في الابتداء الاضعفان اتسع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياضة والأعمال
المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعصر عليه التزوع وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر
ورجمازال وانحى بل الذى ينظر إلى وجه حسن مثلاً فيميل إليه طبعه ميلاً ضعيفاً لو تبعه وعمل
بمقتضاه فادوم على النظر والمجالة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره
فلا قدر على التزوع عنه ولو نظم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء
عن صفة الميل ويكون ذلك ذراً ودفعاً في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقطع ونهشى
وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي ترادها الآخرة والشرور كلها هي التي تراد
بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس إلى الخيرات الآخرة وانصرافها عن الدنيا به هو الذى يفرقها
لذكر والفكر ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح لا بتبين
الجوارح وبين القلب علاقة حتى أنه يتأثر بكل واحد منهما بما لا آخره فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم
بها القلب وترى القلب إذا تألم بعلمه عجزت عزيمته أعزته أو هجوم أمره خوف تأثر به الأعضاء

وارتعدت القرائص وتغير اللون الآن القلب هو الاصل المتبوع فكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والراعي والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيدها صفاته فالبشرى المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال عليه السلام اللهم اصلي الراعي والريعية واراد بالراعي القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب بالجملة ان تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جبلتها أفضل لانها عارة عن ميل القلب الى الخير وادته له وغرضها من الاعمال بالجوارح ان يعقد القلب ارادة الخير ويؤكده كدنه الميل اليه ليقرب من شهوات الدنيا ويكسب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متحقق من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تأملت فقد تدوى بان يوضع الطعام على الصدر وتدوى بالشرب والدواء والاصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما يريد به ان يسرى منه الاثر الى المعدة فبالاقى عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان تفهم تاثير الطامات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تفتن ان في وضع الجبهة على الارض غرضان من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه يحكم العادة يؤكده صفة التواضع في القلب فان من يحيد في نفسه تواضعا فاذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكيده تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على نديم فاذا مسح رأسه وقبيله تأكيده الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لان من مسح رأس نديم وهو غافل بقلبه أو طأن انه مسح قوائم ينتشر من أعضائه اثار الى قلبه لتأكيده الرقة وكذلك من مسح غافلا وهو مشغول بالهوى بأمراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثار الى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما سوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فقال العباد بغير نية باطلا وهذا معناه هذا انما فعل عن قلة فاذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شر فانه لم يؤكده الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب فمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وهذا ايضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب وهو ميل الى الخير وانصرف عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنة وانما الاتمام بالعمل يزيدنا كيدا فليس المقصود من اراق دم القربان الدم والعمى بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلك اشارة الوجه تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاقب العمل عاقب فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك والتقوى ههنا اعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان قوما بالدين قد شربوا في جهادنا كما تقدم ذكره لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والريعية في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد وانما فارقهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيده هذه الصفات وهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها ليكشف لك أسرارها فلا تطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان قسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات

في القسم الأول المعاصي وهي لا تنفر عن موضعها بالنسبة فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام إنما الأعمال بالنيات فيظن أن العصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يقتاب انسانا مراعاة لقلب غيره أو يطمع فقيرا من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجدا أو يربط الجاهل حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظليما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير لا يترتب على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاصي بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيريات إنما يعرف كونها خيريات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خير إيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان مائلا إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى ما عصى الله تعالى بمصيبة أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يستد بالكلية باب التعلم فمن يظن بالكلية بنفسه أنه عالم وكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل فإن من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزعزعة التي هي وسائهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنيع فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالسلام ولم يجد بعدهم هلة للعلم وقد قال الله سبحانه فاسألوا أهل الذرر أن يعلّموا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يجمل العياهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم السفه والاشارة للمشغولين بالفسق والنجور القاصرين همهمهم على مذاكرة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فإن هؤلاء إذا تعلوا كانوا قاطع طريق الله وانتهى كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكلم على الدنيا ويتبع الهوى ويتابعين التقوى وسخري الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ويوال جميعه يرجع إلى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بقادنيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيحيوت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا أو ألفي سنة وطوي لمن إدامات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول إنما الأعمال بالنيات وقد قصدت بذلك شرع علم الدين فإن استعمله هو في الفساد فالعصية منه لا مني وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإنما حجب الرياضة والاستتباع والتفكير بعلوم العلم بحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياضة يلبس عيايه وليت شعري ما جوابه عن وهب سيفه من قاطع طريق وأعدله خيلا وأسميا يستعين بها على مقصوده وقول إنما أردت البذل والنساء والتخلق بأخلاق الله الجميلة وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فإن أعداد الخيل والرباط وانقوة للفرقة من أفضل القربات فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو المعاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن النساء هو أحب الإخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى ثلثائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه النساء فليت شعري لحرمة هذا النساء ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظاهر فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعي في سلب

سلاحه لا في أن يمدّه بغيره والعلم سلاح يقا تل به الشيطان وأعداء الله وقد يدعون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى في أن يزال مؤثر الدنيا على دينه وهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز أن يمدّه بنوع علم يتكبر به من الوصول إلى شهادته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقون أحوال من يتردد إليهم فلورا وأمنه تقصير في نفل من الثوائل أنكره وتر كواكرامه وأذرا وأمنه فجور واستحلال حرام هيروه ونفوه عن مجالسهم وتر كواكرامه فضل عن تعليمه لعلمهم بأن من تعلم مسئلة ولم يعمل بها جاوزها إلى غير ما فليس يطلب الآلة الشر وقد تعود جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة فما تعودوا من الفاجر الجاهل * حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد اليه سنيين ثم اتفق أن اعرض عنه أحمد بن حنبل رحمه الله وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغييره عليه وهو لا يذكره حتى قال بلغني أنك طيفت لحاظ دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو أمثلة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا وأمثاله مما يلبس على الأغبياء وأشباع الشيطان وان كانوا أرباب الطبالة والأكام الواسعة وأصحاب اللسان الطويلة والفضل الكثير أعنى الفضل من العلوم التي لا تشغل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع الخطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فاذا قوله عليه السلام إنما الأعمال بالنيات يخص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي إذا الطاعة تنقلب معصية بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصد خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كذا ذكرنا ذلك في كتاب التوبة في القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحبتها وفي تضاعف فضلها أما الأصل فهو أن ينوي بها عباد الله تعالى لا غير فان نوى الزباه صارت معصية أو ما تضاعف الفضل فبكثره النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون لكل نية ثواب أو لكل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين أولها أن يعتقد أنه بيت الله وأن داخله زائر الله فيصديه زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزاراة كرام زائره وإنها أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورباطوا وثالثها التهرب بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترويدات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع تهرب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية أمي القعود في المساجد وربها عكوف أهتم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره ولتذكره كإروى في الخبر من ضد إلى المسجد ليدكر الله تعالى أو يذكركه بأن كماله في سبيل الله تعالى وسادسها أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهي عن منكر إذا المسجد لا يتجول عن بسى في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين فيكون شريك معه في خيره الذي يعلم منه تضاعف خبراته وسابعا أن يستفيد أخاف الله فان ذلك غنية وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معيش أهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها أن يترك الذنوب وجاء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضيه هتك الحرمه وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى

سبع خصال أحاسن مفاد في الله أو رحمة مستنزلة أو علما مستظرفا أو كفة تنله على هدى أو تصرفه
عن ردى أو يترك الذنوب خشية أو حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات
والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتل نيات كثيرة وإنما تنحصر في قلب العبد المؤمن بقدر جرده في طلب
الخير وتشميره له وتفكره فيه فمما ذكره الأعمال وتتضاعف الحسنات في القسم الثالث المباحات
وما من شيء من المباحات إلا ويحتل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي
الدرجات فأعظم خسران من يفعل عنها ويتعاطاها تعاطى الهائم المهمل عن سهو وعقلة ولا ينبغي
أن يستحق العبد شيئا من الخطرات والخطوات والخطات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة أنه لم
فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها
حساب وحرامها عقاب وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد ليسأل
يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كل عنبه وعن ثنات الطيبة بأصبعه وعن لسه ثوب أخيه وفي خبر
آخر من تطيب الله تعالى جاء يوم القيامة ويرجى ما طيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم
القيامة ويرجى أن تن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فإن قلت قال الذي يمكن
أن ينوي بالطيب وهو حظ من حفظ النفس وكيف يتطيب الله فأعلم أن من يتطيب مثلاً يوم
الجمعة وفي سائر الأوقات يتصور أن يقصد التمتع بثلث الدنيا أو يقصده تطهيرا لغيره بكثرة المال
ليصده الاقربان أو يقصده رياء لخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودده إلى
قلوب النساء الأجنبية إذا كان مستحلاً للنظر إليهن ولا موارخ لا تخصي وكل هذا يجعله التطيب
معصية فذلك يكون انتن من الجيفة في القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ والتنعيم فان ذلك ليس
بمعصية إلا أنه يسأل منه ومن توفش الحساب عذب ومن أتى شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه
في الآخرة ولكن يتقص من نعم الآخرة بقدره وناهيك خسرانا بأن يستعمل ما يفي ويخسر زيادة
نعم لا يفي وأما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
وينوي بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائر الله لا طيب الرائحة وإن
يقصده ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحته وإن يقصده دفع الروائح الكريهة
عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مجالطيه وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المتقربين إذا اعتابوه بالروائح
الكريهة فيعصون الله بسببه فن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية
كما قيل إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم قالوا حلون هم
وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم إشارة إلى أن
التسبب إلى الشر وإن يقصده معاملة ما عه لتركه فظننه ذكاً أو يسبل عليه درك مهمات
دينه بالفسق فقد قال الشافعي رحمه الله تعالى من طاب رجحه زاد عقله فهذا وأما ما من النيات لا يعجز
الفتية عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير فالبينة على قلبه وإذ لم يغلب على قلبه إلا النعم الدنيا
لم تنحصر هذه النيات وإن ذكرت لم ينم عنها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس
ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فاقس بهذا الواحد ما عداه ولهذا
قال بعض العارفين من السلف إنني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكل وشربي ونومي
ودخولي إلى الحلاء وكل ذلك بما يمكن أن يقصده التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لقاء
البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فنقصه من الإكل التقوى على العادة
ومن الوقوع تحصين دينه وتطيب قلب أهله والتوصل به إلى الله سبحانه بصله تعالى بعبده فتشكره

أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطعما بكله ونكاحه وأغلب حظوظ النفس الاكل والواقع وقصد
الخبر بما غير منتهى على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي أن يحسن نية مهما ضاع له مال ويقول
هو في سبيل الله وإذا باعته اغتيا به غيره له فليطيب قلبه بأنه سيجعل سيئاته ويستقل إلى دياره
حسنة ولين ذلك بسكوته عن الجواب في الخبر أن العبد ليجلس قنيطل أعماله لدخول الآخرة
حتى يستوجب النار ثم ينشر لهم الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيجيب ويقول يارب
هذه أعمال ما علمنا قط فيقال هذه أعمال الذين اعتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر أن العبد ليرافق
القبامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا ورثم هذا وضرب
هذا فبقص هذا من حسنة ولهذا من حسنة حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت
حسنته ونفى طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكالي النار وبالجملة فأياك
ثم أياك أن تستقر شيئا من حركاتك فلا تتحرز من غرورها وشروها ولا تعد جوابا يوم السؤال
والحساب فان الله تعالى مطعم عليك وشهد وما يلقظ من قول الاله رقيب عتيد وقال بعض
السلف كتبت كتابا وأردت أن أتره من حائط جاري فخرت ثم قلت تراب وما تراب فأترته
ففتعجبى هاتف سيعلم من استغف تراب ما بقي غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري
فأراه مغلوب الثوب ففرقه فقيده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوءه فسلمه عن ذلك فقال اني لبسته الله تعالى
ولا اريد أن أسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل لتسقى بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك
الله فيقول والله ما عرفك فيقول بلى انت اخذت لبنه من حائطي وأخذت خيطا من ثوبي فهنا
وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من أولى العزم والتهى ولم تكن من المغترين فانظر
لنفسك الآن ودق الحساب على نفسك قبل ان يدق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تحرك
ما لم تتأمل أولا انك لم تحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفتوك به من الآخرة
وبماذا ترجى الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الذين فامض عزمك وما خطر ببالك والا
فامسك ثم راقب ايصافيك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بدله من نية صحيحة فلا
ينبغي أن يكون لداعي هوى خفي لا يطعم عليه ولا يفرتك ظواهر الامور ومشهورات الخبرات
وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز أهل الاعتقاد قد دروي من زكريا عليه السلام انه كان يعمل
في حائط بالطين وكان اجير القوم فقد ماله رغبة اذ كان لا يأكل الا من كسبه فدخل عليه
قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فقبضوا منه ما علموا من سخائه وزهده ونظروا أن الخير في طلب
المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم بالجرة وقد موهوا الى الرغيف لا تقوى به على عملهم فلما كلم
معي لم يكفهم ولم يكفى وضعفت عن عملهم فالصبر هكذا ينظر في البواطن نور الله فان ضعفه عن
العمل نقص في فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص في فضل ولا حكم لفضائل مع الفرائض وقال
بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل فاكنتي حتى لقي أصابعه ثم قال لولا أني أخذته بدن
لأحببت أن تأكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فان
أجابته فأكل فقلبه وزر وان لم يأكل فقلبه وزر واحد وأراد بأحد الوزر النفاق وباللثاني تعريضه
أخاه لما بكره ولعله فكذلك ينبغي أن يتقصد العبد نية في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يجهم الا بنية فان لم
تحضر النية توقف ان النية لا تدخل تحت الاختيار ^{في} بيان أن النية غير داخل تحت الاختيار
اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتعيين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم انما
الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجاربه أو أكله نويت أن ادرس لله أو أبحر لله

أو أكل لله ويظن أن ذلك نية وهيات فذلك حدث نفس وحدث لسان وفكر وانتقال من
 خاطري إلى خاطري والنية بمنزلة من جميع ذلك وإنما النية انتجات النفس وتوجهها وميلها إلى مظهرها
 أن فيه غرضها إما عاجلاً وإما آجلاً والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه وإكتسابه بغير الإرادة بل
 ذلك كقول الشبان نويت أن أشتي الطعام وميل إليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا
 وأحبه وأعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طارئ إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه
 وتوجهه نحوه إلا باكتساب اسماءه وذلك بما قد رغب عليه وقد لا يقدر عليه وإنما انبعت النفس
 إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل
 من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد فانتوجه
 القلب إذا كان فارغاً غير مصروف عنه بفرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والمدعى
 والصوارف لها أسباب كثيرة ياجتمع ويختلف ذلك بالأنحاء وبالآحوال وبالآمال فإذا غلبت
 شهوة النكاح مثلاً ولم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد بناو لا دنياً لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن
 إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا يابث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم
 يطلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضلها لا يمكن أن ينوي
 بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية نعم طريق
 اكتساب هذه النية مثلاً أن يقوى أولاً إيمانه بالشريعة ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى
 في تكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنغرات من الولد من ثقل المؤنة وطول
 التعب وغيره فإذا فعل ذلك ربما انبعت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فصره تلك الرغبة
 وتحرر أعضاءه لمباشرة العقد فإذا انتهت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث
 الغالب على القلب كان نوايا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويرزده في قلبه من قصد الولد
 وسواس وهذا بان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا
 يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى أن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس
 تحضرني بنية وإنما بعضهم أمر أنه وكان يسرح شعره أن هات بالمدرى فقالت أجيء بالمرأة نسكت
 ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرأة نية فتوقفت حتى
 هياها الله تعالى ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثوري ألا تشهد جنازته
 فقال لو كان لي نية لفعلت وكان أحدهم إذا سئل هملاً من أعمال البر يقول أن رزقني الله تعالى نية
 فعلت وكان طاوس لا يحدث الابنة وكان يسئل أن يحدث فلا يحدث ولا يسئل فيبتدئ فقيل له
 في ذلك قال أنقصون إن أحدث بغير نية إذا حضر نية فعلت وحتى أن داود بن الحبر لما صنف كتاب
 العقل جاءه أحد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أجرد صغيراً ورده فقال مالك قال فيه أسأله ضعاف
 فقال له داود أألم آخرجه على الأسانيد فانظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فأنشئت قال
 أحمد فرد علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلاً ثم قال جزاك الله خيراً
 فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجده نية وقال بعضهم أنا في طلب نية العبادة وجل
 منذ شهر فما بحث لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره
 انصرفت فقال ابنه ألا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لأن النية تسبغ النظر فإذا تغير
 النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا أعمالاً ابنيّة لعلمهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية
 صاغة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا أن النية ليست هي قول القائل

بلسانه نوبت بل هو انبعث القلب مجرى مجرى الفتح من الله تعالى فقد تسمر في بعض الاوقات
وقد تعذرت في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تسمر عليه في أكثر الاحوال اخضرار النية
للغير فان قلبه ماثل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا
وعلمت عليه لم يتسمر له ذلك بل لا يتسمر له في الفرائض الا يجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر
نفسه عقابها وانعم الجنة ورغب نفسه فيها فرجما تنبعت له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته
ونيتته وأما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب
في الدنيا وهذه اعز النيات وأعلاها ويعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عن يتعاطاها ونيات
الناس في انطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقى النار ومنهم من يعمل
اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه
لذاته وجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعد في الآخرة وان كان من
جنس المآلوفات في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرحهما الجنة
فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ
أكثر أهل الجنة البله وأما عبادة ذوى الالباب فانها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حيا لجماله
وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكديات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات الى المنكوح
والمطعم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط
ونواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم ينتعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسمعون ممن يلتفت الى
وجه الخور العين كما يسخر المتمتع بالنظر الى الخور العين من يتنعم بالنظر الى وجهه الصور المصنوعة
من الطين بل أشد فان التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الخور العين أشد وأعظم كثيرا
من التفاوت بين جمال الخور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية
الشهوانية لقضاء الوطرن مخالطة الحسان وأعراضهن من جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام
الخنفساء لصاحبها والفها لها وأعراضها من النظر الى جمال وجوه النساء فهي أكثر القلوب عن
ابصار جمال الله وجلاله يضاهي حبي الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به أصلا ولا
تلقت اليه ولو كان لها عقل وذكر لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب
بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم * حتى أن أحمد بن خضريه رأى ربه عز وجل في المنام فقال له كل
الناس يطلبون مني الجنة الا بأبز يدفانه يطلبني ورأى أبوزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف
الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال الى وري الشبلي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال لم يطالبني على الدعوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما أى خسارة أعظم من خسران
الجنة فقال أى خسارة أعظم من خسران لقاء والغرض أن هذه النيات متقاربة الدرجات ومن
غلب على قلبه واحدة منها رجا لا يتسمر له الدلول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث أهمالا
وأفعالا لا يستنكرها الظاهرون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نيف في مباح ولم تحضر في فضيلة
فالمباح والى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقصة لان الاهمال بالنيات وذلك مثل
العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم ورجما تحضر نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل
ومثل أن يكون له نية في الاكل والشرب والنوم ليربح نفسه ويقوى على العبادات في المستقبل
وليس تنبعت نيتته في الحالين للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لومل العبادة
لمواظبة عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو تركه ساعة بلهو وحديث عا دنشاطه فاهو

أفضل لمن الصلاة قال أبو الدرداء اني لأحجم نفسي بشئ من اللهو فيكون ذلك عوناً لي على الحق
وقال علي كرم الله وجهه رزقوا القلوب فانها اذا اكرهت حمت وهذه دقائق لا يدركها الا سماسة
العلماء دون الحشرة منهم بل الخاذق بالطب قد يعالج المحرور بالجمع مع حرارته ويستعده الناصر
في الطب وانما ينبغي به أن يعيد أولاً قوته ليجتمع له المعالجة بالفتد والخاذق في لعب الشرط يرخي مثلاً
قد ينزل عن الخ والفرس مما نال التسوّل بذلك الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه
وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرينه وبوله دبره حيلة منه لئلا يستجير الى مضيق فيكر عليه
فقهرة فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف
فيها على لطائف من الحيل يستبدها الضعفاء فلا ينبغي للرياء أن يضمر انكاراً على ما يراه من شئ
ولا لتعلم أن يعترض على استاذ به ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالها يسله
لها الى أن ينكشف له اسرار ذلك بأن يبلغ رتبهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق
﴿الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجانه﴾

﴿فضيلة الاخلاص﴾

قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال أله الله الدين الخالص وقال تعالى الا
الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً ولا يشرك بعبادته أحداً تزلت فيه من يعمل لله ويجب أن يحمده عليه وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاث لا يغفل عليهن قلب رجل مسلم اخلص العمل لله وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال ظن أبي
أن له فضلاً على من هودونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انما ناصر الله عز وجل هذه الامة بضغائنا ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الا خلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت
من عبادي وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا تهتموا القلة العمل واهتموا القبول فان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لعاذرين جميل أخلص العمل بجزك منه القليل وقال عليه السلام ما من عبد يخلص
الله العمل أربعين يوماً الا ظهرت نسايع الحكيم من قلبه على لسانه وقال عليه السلام أول من يسئل
يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول يارب كنت أقوم به
آتاه اللب وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان
عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله المال فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول
يارب كنت أصدق به آتاه اللب وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت
بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا
صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت
بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك قال أبو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم
على غزى وقال يا أيها هريرة أول خلق تسعرون أرواحهم يوم القيامة فدخل راوى هذا
الحديث على معاوية وروى له ذلك فيسبح حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها الآية هو في الاسرا تملأ أن عابداً كان بعد الله دهر اطو بلاخاء قوم فقالوا
ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة
لقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحلك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال
وما أنت وذلك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ابن هذان من عبادي قال

فاني لا ترك ان تقطعها فقتاله فأخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس
أطلقني حتى أكلك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه
عليك وما بعد هاتين وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في اقاليم الارض ولوشاء لبعثهم الى اهلها
واسهرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فانباذ لقتاله فقلبه العابد وصرعه وقعد على صدره
فجز ابليس فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى
أقول لك فأطلقه فقال ابليس أنت رجل فقير لاشئ لك انما أنت ككل على الناس يقولونك
ولعلك تحب أن تغفل على اخوانك وتواس جيرانك وتشتغل وتستغنى عن الناس قال نعم قال فارجع
عن هذا الامر ولك عني أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهم ما قانفت على
نفسك وعبائك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللذين من قطع هذه الشجرة التي
يخرس مكانيها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فقال
وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزم مني قطع هذه الشجرة ولا أمر في الله أن اقطعها أنا كون عاصيا
بتركها وماذا كره أكثر من نفع فعاذه على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما
أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك القدر ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا
ففتصبر وأخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال له الى أين قال أقطع تلك الشجرة
فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليقبل به ففعل أول
مرة فقال هيات فأخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالصفور بين رجله وقعد ابليس على صدره
وقال لنتهن من هذا الامر ألا ذبحتك فنظر العابد فاذا الاطاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني
وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن فقال لا لك غضبت أول مرة ولله وكانت نيتك الآخرة
فسيخرفني الله وهذه المرفة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى
الاعباد لكم منهم المخلصين ألا يغفل العبد عن الشيطان إلا بالاخلاص ولذلك كان معروف
السكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي تخلصي وقال يعقوب المكشوف
المخلص من يكتم حسنه كما يكتم سيئانه وقال سليمان طوبى لمن سجد له خطوه واحدة لا يربده الا
الله تعالى وكتب جبرن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى أبي موسى الأشعري من خلصت نية كفاه
الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى أخ له أخلص النية في أعمالك بكفك القليل من
العمل وقال أبواب الضماني تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف
يقول من صفاصني له ومن خلط خلط عليه ورؤي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت أعمالك
فقال كل شئ عمله لله وجده حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنار أبتاهي كفة
الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حر يرؤى فيه في كفة السيئات وكان قد نفق جماري في قمته مائة
دينار فأرايت له ثوبا قتلته موت سنوري في كفة الحسنات وموت جماريس فيها قتل لي أنه قد روجه
حيث بعثت به فإنه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فمطل أجرك فيه ولوقلت في سبيل الله لوجدته
في حسناك وفي رواية قال وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظره ثم الى قودحدث
ذلا لا عني ولاي قال سفبان لم اسمع هذا ما أحسن حاله اذ لم يكن عليه فقد أحسن اليه وقال يحيى
ابن معاذ الاخلاص يميز العبد من العيوب كتمييز اللب من القوث والدم وقيل كان رجل يخرج في زى
النساء فيمضرك كل موضع يجمع فيه النساء من عرس أو ماتم فانفق أن حضر يوما موضع عافيه فجمع
النساء فسرقن درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفقش فكلوا فقتلوا واحدة واحدة حتى

بلغت التوبة الى الرجل والى امرأته معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان تجتنب من هذه القضية لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرّة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرّة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع أبي عبيد القسري وهو يجرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فربه بعض اخوانه من الابدال فسارده بشئ فقال أبو عبيد لا فركا لصاب يسبح الأرض حتى غاب من عيني فقلت لاني صدم ما قال لك فقال سألتني أن اجمع معه قلت لا قلت فهل فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نوبت أن أتم هذه الأرض العسبة فأخاف ان حجيت معه لاجله تعرضت لقتل الله تعالى لاني أدخل في عمل الله شيئا غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة ويروى من بعضهم قال غررت في الصبر فعرض بعضنا لخلاعة فقلت أشتريها فأتيت في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا بعثتني فخرجت فيها فاشترتها فأتيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين قد زلما من السماء فقال أحدهما لصاحبه أكتب الفزاة فأملى عليه خرج فلان منتهزا وفلان مرأيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله فتم نظرائي وقال أكتب فلان خرج تاجرا فقلت اللهم الله في أمرى ما خرجت أن تجبر وما معي تجارة أن تجبر فيها ما خرجت الا للفرز وقال يا شيخ قد اشتريت أسس بخلاعة تريد أن ترجع فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجر انظر الى صاحبه وقال ماترى فقال أكتب خرج فلان غاريا الا أنه اشترى في طريقه بخلاعة ليرجع فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى وقال سرى السقطى رحمه الله تعالى لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصها ما خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سبع مائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز وقال العلم يذو العزل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه محبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الامال الصالحون ومنعه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسى مراد الله من عمل الخلائق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبدا اعتقوا فلما اعتقوا علموا فلما علموا أخلصوا واستغاثهم الاخلاص الى ابواب البر أجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى أصلين فعمل منك وبك وفعل منك لم تقرضي ما فعل وتخلص فيما فعل فإذا أنت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

﴿بيان حقيقة الاخلاص﴾

اعلم أن كل شئ يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفاعل المصنف الخالص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرت ودم لبنا خالصا سائغا لشاربين فانما خلوص اللب أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرت ومن كل ما يمكن أن يعتريه به والاخلاص يضاده الاشتراك ليس مخلصا فهو مشترك الا أن التشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده التشرك في الالهية والتشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فطمع القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مختلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتعريف قصد التقرب الى الله تعالى من جميع الشوائب كما أن الحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثة بجزء الراء فهو معرض للهلاك ولست انتسكهم فيه اذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات وأقل اموره ما ورد في الخبر من أن المرأى يدعى يوم القيامة بأربع أسام يا مرأى يا مخدع يا مشرك يا كافر وانما انتسكهم لأن فيهم انبعث لقصد التقرب ولكن اعترج هذا الباعث باعت آخرها من

الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالجملة الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يهتق عبداً ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو ينجح لصح من أجله بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلد أو ليهرب من عدوه في منزله أو يتبرم بأهله وولده أو يشغل هوفه فأراد أن يستريح منه أياً ما أو ليغزو ليأمر الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهينة العساكر وجرحها ويصلي بالليل وله عرض في دفع الناس عن نفسه به ليراقب أهله أو رجليه أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يتكفه من المال أو ليكون عزيزاً بين العشيرة أو ليكون عقاره وماله محروساً يعز العلم عن الاطماع أو اشتغل بالدرس والوظة ليتخلص من كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتسكن حرمته واثرة عندهم وعند الناس أو لينال به رتقاً في الدنيا أو كتب مصحفاً ليحوز بالمواظبة على المكتوبة خطه أو يحج ماشياً لينجف عن نفسه الكراء أو توضحاً لينتظف أو يتبرد أو اغتسل لتطيب رائحته أو روى الحديث ليعرف بعاقب الأسناد أو اعتكف في المسجد لينجف عليه كراه المسكن أو صام لينجف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليتفرغ لا يشغاله فلا يشغله الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع إرامه في السؤال عن نفسه أو يعود من بعض العبادات مرض أو يشرع جنازة ليشيع جناز أهله أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوفاء فهما كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى ولكن انضاف إليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فخرج عمله من حد الإخلاص وخرج عن أن يكون خالص الوجه تعالى وتطرق إليه الشرك وقد قال تعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك وبالجمل كل حظ من حظوظ الدنيا تسترجه إليه النفس ويميل إليه القلب قل أم كثيراً إذا تطرق إلى العمل تكذب به صفوه وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته فلما غفلت فعل من أفعاله وعبادة من عباداته من حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك قيل من سلم له من حمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجاً وذلك لعمرة الإخلاص وعسرتة القلب عن هذه الشوائب بل الإخلاص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الخطوظ أن كانت هي الباعثة وحدها فلا تخفى شدة الأمر على صاحبه فيها وإنما نظرنافياً إذا كان القصد الأصلي هو التقرب والنشأت إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كالسبق في التيقو بالجملة فإما أن يكون الباعث النفسى مثل الباعث الدنيى أو أقوى منه أو أضعفه ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وإنما الإخلاص بتخليص العمل عن هذه الشوائب كلها فلما هو أكثرها حتى يتقدم فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا يتصور إلا من يحب الله مستهتر بالله مسغرق في المحم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يجب الأكل والشرب أيضاً بل تكون رغبته فيه كغيبته في قضاء الحاجة من حيث أنه ضرورة الجمل فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقو به على عبادة الله تعالى ونجى أن لو كنى شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوباً بعنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح التيق في جميع حركاته وسكاته ولو نام مشلاً حتى يرج نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال مسدود عليه الأعلى التدور وكان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكسبت حركاته الاعتبارية صفة همه وصارت إخلاصاً فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقدا كسبت جميع

حركته تلك الصفة فلا تسلم له عبادته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا علاج الاخلاص كسر
 حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يطلب ذلك على القلب فاذا انكسر
 الاخلاص وكمن أعمال يتعب الانسان فيها ينظر انها خالصه لوجه الله ويكون فيها مغرورا لانه
 لا يرى وجهه الا فنهيا كما حكى عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد
 في الصف الاول لا في تأخرت يوما بعد وفصلت في الصف الثاني فاعتزني بخلة من الناس حيث
 رأوني في الصف الثاني فعرفت أن نظر الناس الى في الصف الاول كان مسرني وسبب استراحة
 قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض فلما تسلم الاعمال من امثاله وقل من ينتبه له الامن وفقه الله
 تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى ويدلهم من
 الله ما لم يكونوا يحسبون ويدلهم سيئات ما كسبوا وقوله تعالى قل هل ينسئكم بالآخسين اعمالا
 الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشتد الخلق تعرضا لهذه الفشة
 العلما فان الباعث للآكثرين على ثمر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستيعاب والاستبشار بالمد
 والتناهي الشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول عرضكم لنشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه
 رسول الله صلى عليه وسلم ونرى الواعظ يمين على الله تعالى بتصحيح الخلق ووعظه للسلطين ويفرح
 بقول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعى انه فرح بما يسر له من نصره الدين ولو ظهر من اقرانه من
 هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساء ذلك وخم ولو كان باعنه الذين لشكر
 الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهتم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يجلبه ويقول انما غمك لا يقطع
 الثواب منك لا لانصرف وجوه الناس منك الى غيرك ادلوا تعظوا بقولك لكنك أنت المشاب
 واغتنمك لغوات الثواب مجهود ولا يدري المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الامر أفضل واجزل
 ثوابا واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم حر رضى الله عنه بتسديتي الي بكر رضى
 الله تعالى عنه للامامة كان غمه مجودا ومذموما ولا يستريب ذوين أن لو كان ذلك لكان مذموما
 لان انقياده للحق وتسليمه الامر اني من هو اصلح منه اعود عليه في الدين من تسكفه بمصالح الخلق مع
 ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح حر رضى تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالامر فما بال
 العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد يتخذه بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيجتد نفسه بأنه لو ظهر من
 هو أولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك من نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور
 فان النفس سهلة القماد في الوعد بمثل ذلك قبل زول الامر ثم اذا هاء الامر تغير ورجع ولم يبق
 بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكاييد الشيطان والنفس وطال اشتغاله باضغاثها فمفرقة حقيقة
 الاخلاص والعمل به بحر عميق يفرق فيه الجميع الا الشاد التادرو الفرد القذو هو المستثنى في قوله
 تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التقصد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق بأنواع
 الشياطين وهو لا يشعر
 ببيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص
 قال السوسي الاخلاص فقد روي به الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج
 اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى
 الاخلاص والنظر اليه محب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض
 لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله تعالى الاخلاص أن يكون سكون العبد وحركته لله تعالى خاصة
 وهذه كلمة جامعة تحيط بانقرض وفي معناه قول ابراهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى
 وقيل لسهل أي شيء أشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص

في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا الإشارة إلى أن حظوظ النفس آفة أجلا
وعاجلا والعابد لا يحل تتم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة أن لا يريد العمل الأوجه
الله تعالى وهو إشارة إلى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فأما من يعمل لرجاء الجنة
وخوف النار فهو مختلص بالاضافة إلى الحظوظ العاجلة والاهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما
المطلوب الحق لذو الألباب وجه الله تعالى فقط وهو القائل لا تترك الإنسان الا الحظ والبراءة
من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلي بتكفير من
يدعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم أنما أرادوا به
البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فأما التلذذ بحجر المعرفة
والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا البعد الناس خطا بل يتجنبون منه
وهو لا نوع وهو اعماهم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود الحضرة الالهية ستر وجهها
جميع نعم الجنة لا يستغفرونه ولم يتفقوا اليه فتركهم لحظ وطاعهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط
دون غيره وقال أبو عثمان الاخلاص نسيان رؤى الخلق يدوم النظر إلى الخالق فقط وهذا إشارة
إلى آفة الرياء فقلت ولذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك
فيكتبه فانه إشارة إلى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلق وصفاع الصلاني
وهذا الجمع للقاصد وقال المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق من معاملته الرب وهذا إشارة إلى
مجرد دني الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية
وقال الخواريزمي عيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يجب أن
يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الاسباب المشوشة
للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية العمل من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من أجل
الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلص أن يعانك الله منهما وما قيل الاخلاص دوام
المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والافاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير
النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما اليان الشافي بيان سيد الاقربين والآخرين صلى الله عليه وسلم
ان سئل عن الاخلاص فقال أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد
الاربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا الإشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو
الاخلاص حقا

في بيان درجات الشوائب والآفات المكثرة للاخلاص
اعلم أن الآفات المشوشة للاخلاص بعضها حلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها
قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء والامثال وأظهر مشوشات الاخلاص
الرياء • قلند • منه مثلا فنقول الشيطان له دخل آفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم
نظر اليه جماعة أو دخل عليه داخل فنقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوفاق
والصلاح لا يزدرك ولا يتأبك فتشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء
الظاهر ولا يخفى ذلك على البتة من الرابين • الدرجة الثانية يكون المريد قد فهم هذه الآفة
وأخذ من احذر فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فأنابه
في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك
غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم أن أحسن وعليك الوزران أسأت فأحسن علك بين يديه ففساه
يقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا أعظم من الاول وقد يتعدع به من لا يتعدع بالاول

وهو أيضا عين الرباء ومبطل للاخلاص فإنه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا ليرضى لغيره
 تركه فلم يرض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا يحض
 التلبيس بل المتلبس به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب
 عليه فأما هذا القصد النفاق والتلبيس في اقتدي به ائيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب
 على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به * الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه
 في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والشهادة للغير محض الرباء ويعلم أن
 الاخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلته في الملاء يستحي من نفسه ومن
 ربه ان يتشع لمشاهدة خلقه فتشعازا نداء على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلته على
 الوجه الذي يرتضيه في الملاء يصلي في الملاء كذلك فهذا أيضا من الرباء الغامض لانه حسن
 صلته في الخلوة لتحسن في الملاء لا يكون قد فرق بينهما فالتقاء في الخلوة والملاء الى الخلق بل الاخلاص
 أن تكون مشاهدة الهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على ونيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تسمح
 باساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ونظن أن ذلك يزول
 بأن تستوى صلته في الخلوة والملاء وهما بل زوال ذلك بأن لا يلتفت الى الخلق كالألتفات الى
 الجمادات في الخلوة والملاء جميعا وهذا من شخص مشغول المهتم بالخلق في الملاء وخلصا جميعا وهذا من
 المكابد الخفية للشيطان * الدرجة الرابعة وهي أدق وأخفى أن يتطرب اليه الناس وهو في صلته فيخبر
 الشيطان من أن يقول له أخشع لجلهم فإنه قد عرف أنه تفتن لذلك فيقول له الشيطان تفكر
 في عطية الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن يتطرب الله الى قلبك وهو غافل
 عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ونظن أن ذلك عين الاخلاص وهو عين المكرو والخداع فان
 خشوعه لو كان نظره الى جلالة لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يتخص حضورها
 بحاله حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يلقه في الخلوة كما يلقه
 في الملاء لا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كالأ يكون حضور الهجمة مسيئا فادام
 يفرق في أحواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة هجمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس
 الباطن بالشرك الخفي من الرباء وهذا الشرك الخفي في قلب ابن آدم من ديب التهمة السوداء في العيلة
 الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله
 تعالى وتوفيقه وهذا تهوؤا فالشيطان ملازم للتشمر من عبادة الله تعالى لا يتفل عنهم لحظة حتى
 يجمهم على الرباء في كل حركة من الحركات حتى في كل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة وليس
 الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لا ارتباط نظر الخلق بها ولا استئناس
 الطمع بها فبدعه الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تتركها لو يكون انبعاث
 القلب باطنها لاجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة هامشوا بما خرج من حد الاخلاص يسبيهم وما
 لا يسلم من هذه الآفات كلها فالنفس بخالص بل من يتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة
 يأنس اليه الطمع فالشيطان يرغب فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك
 الخفي في سره هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه وبتبين ذلك في ميله الى أحد
 المسجدين أو أحد الموضوعين اذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطمع وكدورات
 النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لمرى النفس الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة ففيها
 ما يغلب ومنها ما يزل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقدا البصير وعش الالب

ودخل الشيطان وخبث النفس أغضض من ذلك وأدق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم الصبريد قائل آفات الأعمال حتى يخلص منها فإن الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واعتراه بها كنظر السوادى الى حمرة الدنيا والموت واستدارته وهو مشغوش زائف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقذ خبير من دينار يرتضيه الغر النجي فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومدخل الآفات المتطرفة الى فنون الأعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فليتنعم بما ذكرناه مثالا والقطن يغنيه القليل عن الكثير والبلبل لا يغنيه التطويل أيضا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به

اعلم أن العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في أن ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذي لم يرد به إلا الراء فهو عليه قطعاً وهو سبب العقاب وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على أنه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي يتقدح لنا فيه العلم عند الله أن ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لاله ولا عليه وان كان باعث الراء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفسد للعقاب نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي يجر للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب أغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا القول تعالى فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فلينبغي أن يضع قصد الخير بل ان كان غالباً على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوباً سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد * وكشف الغطاء عن هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيدها فادعية الرياء من الهلكات وإنما غذاء هذا الهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من النجيات وإنما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضاً تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر مريح فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان المستصحب بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وان كان أحدهما غالباً لم يخل الغالب عن أثره فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا يتفك عن أثره الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا يتفك عن تأثيره انارة القلب أو تسويده وفي تقريره من الله أو إبعاده فاذا جاء بما يقرب به شرا مع ما بعده شير فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقرب به شرا والآخر بعده شير أو أحداً فضل له لا محالة شير وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تبحها فاذا كان الرياء المحض يحوه الاخلاص المحض عقبيه فاذا اجتمعا جميعاً فلا بد وأن يندفعا بالضرورة ويشهد لهذا الجاع الأمانة على أن من خرج حاجاً ومعه تجارة صنع جهه وأتيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما شاب على أعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته عزيزه وقوة عمله خالص وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المحرك

الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا تشك نفس السقر عن ثواب وما عندى ان الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكفر فيها الغنائم وبين جهة لا غنية فيها او يبعد أن يقال ادراك هذه التفرقة يحيط بالكسبية ثواب جهادهم بل العدل أن يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزيج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما الرغبة في الغنية على سبيل التبعية فلا يحيط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه من لا يلتفت قلبه الى الغنية أصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على أن شوب الربا يحبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنية والتجارة وسائر الحظوظ قد دروي طاوس وغيره من التابعين ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بصطنع المعروف أو قال يصدق فيجب أن يعمد ويؤجر فلم يدرب ما يقول له حتى زلت في أن رجلا قال به فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد وقد صد الاجرو الحمد جميعا وروي معاذ بن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادنى الربا شرك وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمن أشرك في عمله خذ أجره من عملته له وروي عن عبادة الله عز وجل يقول أنا أعني الأغنياء عن الشراكة من عمل لي عملا فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشركي وروي أبو موسى أن اعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمة والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليري مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملاذ في راحلته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر بيتي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث لاتناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد ذلك الا الدنيا فقله من هاجر بيتي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين حرام لافيه من الربا وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشراكة حيث ورد فطلق للتساوي وقد بينا أنه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجح عليه ثواب ثم ان الانسان عند الشراكة ابدأ في خطر فانه لا يدري أى الامرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالاول ذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد أى لا يرجح الغنى مع الشراكة التي أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعد أن يقال من كانت دأبه المدينة بحيث تركه الى مجرذ الغزو وان لم يكن غنية وقد روى غزواته من الكفار احداها غنية والاخرى فقيرة فقال الى جهة الأغنياء لاعلاء كلمة الله والغنية لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله أن يكون الامر كذلك فان هذا خرج في الدين ومدخل للباس على المسلمين لان أمثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الاعلى التدوير فيكون تأخير هذا في نقصان الثواب فاما أن يكون في احتياطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن أن الباعث الاقوى هو قصد التقرب الى التقوى يكون الاغلب على سيرة الحظ النفسى وذلك مما يجنى غايه الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلبا يستحقه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الزوال والقبول خائفا أن تكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذى بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لا اعتد بما ظهر من عمل وقال عبد العزيز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وجمعت ستين حجة فادخلت في شيء من أعمال الله تعالى الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب

الشیطان أو في من نصيب الله لئنه لا ي ولا على ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والربا فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذا المقصود أن لا يقوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقهاء كان يخدم اباسعيد الخزاز ويخفف في اعماله فتكلم ابوسعيد في الاخلاص بوماريد اخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطلبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحاجات واستنصر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبة نفسه بتحقيق الاخلاص وانه يهزم عنها في أكثر اعماله فتركها فقال ابوسعيد لا تفعل اذا الاخلاص لا يقطع المعاملة فواطلب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فياقلت لك انك ترك العمل وانما قلت لك أخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

﴿الباب الثالث في الصدق وفضيله وحقيقته﴾

﴿فصلية الصدق﴾

قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وان الكذب يهدي الى العيور والعيور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً * وبكى في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الانبياء به في معرض المدح والثناء فقال واذ كرفي الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً لله وقال واذ كرفي الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وقال تعالى واذ كرفي الكتاب ادريس انه كان صديقاً لله وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرضى رأيت منصوراً المديني في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم أؤمل فقلت له احسن ما توجه العبد الى الله ماذا قال الصدق وأقبح ما توجه به الكذب وقال ابوسليمان اجعل الصدق مطبقك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبك وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقاً فقال له لو كنت صادقاً لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكافي قال وجدنا دين الله تعالى مبنياً على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا بحجة الله تعالى ولم يكونوا لها صادقين وأوحى الله الى داود عليه السلام با داود من صدقي في سر يرتد صدقه عند المخوفين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبي ورمى نفسه في دجلة فقال الشبي ان كاصدا قال الله تعالى نبيه كايحي موسى عليه السلام وان كان كاذباً قاله تعالى يفرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا حقت ففيها العباد ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهووى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب من منه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفاً كان صلها بنى اسرائيل يجمعون فيقرونها ويتدارسونها لا تكثر أنفع من العلم ولا مال أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلی من الصبر ولا سبحة أعزى من الكبر ولا دواء البين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا تقرأ دل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياء أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من الغنى ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من

القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت * وقال محمد بن سعد المروزي
إذا طلبت الله بالصدق أتاك الله تعالى مرة أخرى حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال
أبو بكر الوراق أحفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي
النون هل للعبد إلى صلاح أمور وسبيل فقال

قد يقينا من الذنوب حبارى * نطلب الصدق ما إليه سبيل

فدعواي الهوى تحف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقل

وقيل لهل ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه فقال الصدق والسقاء والشجاعة فقبل زدنا فقال
التي والحياة وطيب الغذاء وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
من الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيدي قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم
قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراعاته

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق
في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فإن اصف
بالصدق في جميع ذلك فهو صدق لأنه مبالغة في الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ
في الصدق في شيء من الجملته فهو صادق بالاضافة إلى ما فيه صدقه * (الصدق الأول) * صدق
اللسان وذلك لا يصحكون إلا في الاخبار وأوفاها يتضمن الاخبار وبنه عليه والخبر إما أن يتعلق
بالماضى أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه
فلا يتكلم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن
الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان أحدهما الاحتراز عن
المعارض فقد قيل في المعارض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذا انحذر
من الكذب تفهم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك مما عسى إليه الحاجة وتقتضيه
المصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الخدوع والظلمة
وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاقهم على أسرار الملك فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن
يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به يقتضيه الدين فإذا انطق به فهو صادق وإن كان كلامه
مفهما غير ما هو عليه لأن الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته
بل إلى معناه نعم في مثل هذا الموضوع ينبغي أن يعدل إلى المعارض ما وجد الله سبيلا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفر ورزى بغيره وذلك كي لا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيفسد وليس
هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصح بين اثنين فقال
خبر أراخى خبرا ورخص في النطق صلى وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من أصح بين اثنين ومن كان
له زوجتان ومن كان في مصابح الحرب والصدق ههنا يقول إلى النمة فلا راعى فيه إلا الصدق النية
واراد الخبر فيما صح صدقه وصدقت نيته وتجردت الخبر إرادته صار صادقاً وصدقا كما كان
لفظه ثم التعريض فيه أولى وطريقه ما حكي عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال
لزوجته خذي باصبعك دائرة وضعي الاصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا واحتز بذلك عن
الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأنهم الظالم أنه ليس في المدارف الكمال الأول
في اللفظ أن يحتز عن صريح اللفظ وعن المعارض أيضا لا عند الضرورة والكمال الثاني أن راعى

معنى الصدق في ألفاظه التي يناجيها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض فأن
 قابله إن كان مضر فأن الله تعالى مشغولاً بآماني الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله يا إلهي
 وكقوله أنا عبد الله فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقاً ولو
 طولب اليوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لخرج من حقيقة فأنه إن كان عبد لنفسه أو عبد الدنيا
 أو عبد الشهوات لم يكن صادقاتي قوله وكل ما تقيده العبودية فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام
 يا عبداً للدنيا وقال بينا صلى الله عليه وسلم تمس عبد الدنيا تمس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد
 الخيصة سمى كل من يتقيد قلبه بشيء عبد الله وإنما العبد الحق لله عز وجل من أعترف أولاً عن غير الله
 تعالى فصاخر أو مطلقاً فإذا تقدمت هذه الحجة صار القلب فارغاً حلت فيه العبودية لله فقد قتلته
 بالله وبحبته وتقيداً بطاعته فلا يكون له من ادأ الله تعالى ثم قد تجاوز هذا إلى مقام
 آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يعترف أيضاً عن إرادته لله من حيث هو بل يتقيد بما يريد الله له من
 قريب أو أبعاد فتعني إرادته في إرادة الله تعالى وهذا بعد عتق عن غير الله فصاخر أو مطلقاً وعتق عن
 نفسه فصاخر أو صار مفعولاً لنفسه موجوداً السيد ومولاً له حركة تحركه وإن سكنه سكن وإن
 ابتلاه رضي ليبقى فيه متسع لطلب التماس واعتراض بل هو بين يدي الله تعالى كاليت بين يدي
 الفاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية لله تعالى فالعبد الحق هو الذي وجوده مولاه لأن نفسه وهذه
 درجة المستقيمين وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعد هاتين العبوديتين لله تعالى
 وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقاً ولا صديقاً فهذا هو معنى الصدق في القول (الصدق
 الثاني) في النية أو الإرادة وذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات
 إلا الله تعالى فإن ما زجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذباً
 كأروى بن أبي فضيلة الإخلاص من حديث الثلاثة حين يسأل العالم ما حملت فجاملت فقال فطمت
 كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم أعمل ولكنه
 كذبه في إرادته ونيتة وقد دل بعضهم الصدق صحة التوحيد في القصص وكذلك قول الله تعالى والله
 يشهد أن لا إله إلا أنا وأني لا أشرك بالشيء فكذبوا وقد قالوا انك رسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لأن حيث
 نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر وهذا القول يتقيد
 أخباراً بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أنه يعتقد ما يقول فيكذب في دلالته بقرينة الحال
 على ما في ما قبله فأنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يقظ به فخرج أحد معاني الصدق إلى خلوص النية
 وهو الإخلاص فكل صادق فلا بد أن يكون مخلصاً * (الصدق الثالث) * صدق العزم فإن
 الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه إن رزقني الله ما لا تصدق بجميعه أو بشرطه أو
 إن لقيت عدواً في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتلت وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت
 فيما لم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق فهذه العزيمة قد صادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة
 صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف بضاد الصدق في العزيمة فكان الصدق هاهنا
 عبارة من التمام والقوة كما قال فلان شهوة صادقة وقال هذا المريض شهوة كاذبة مهما لم يكن
 شهوة عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد بطل الصدق وراد به هذا المعنى والصادق
 والصادق هو الذي تصادف عزمته في الخبرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل
 تنصو نفسه أبداً بالعزم المصمم الجازم على الخبرات وهو كمال عمر رضى الله عنه لأن أقدم قنض
 عتقي أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أقو بكر رضى الله عنه فإنه قد وجد من نفسه العزم

الجازم والمحبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصدقة في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى أن يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خفي وراءه لم يقدم ولوذ كره حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر ذكرت حياته أحب اليه من حياة أبي بكر الصدوق (الصدق الرابع) في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسعوا بالعزم في الحال اذا لم تشق في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا ايضا الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روى عن انس أن عمه انس بن النضر لم يشهد بدرامع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتق ذلك على قلبه وقال أول مشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع قال فثم احدث في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو الى أين فقال واهال مرج الجنة اني اجدر بيجهاودن أحد قتال حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقلت لاخته بنت النضر ما عرفت أختي الا بياض فزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فهم من قضى نحبهم ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جديلا يمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه أعيانهم يوم القيامة فكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا أدري قلنسوة عمر أم قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل جديلا يمان اذا لقي العدو فكنا يضر بوجهه يشولك الطمأنينة فقتله فهو في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن خط عاصيا حيا وأخر سياتي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس فمؤدقا لان رزقنا الله تعالى ما لا نصدق فظلوا به فزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء نوره في أنفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوها وتولوا وهم معرضون فاجعهم نفاق في قلوبهم الى يوم يلقونه بما آخفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسعوا بالعزم ثم تكسح عند الوفاء لشدة عجزها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان أقدم تنضرب عنني أحب الى من ان تأمر على قوم فهم أبو بكر اللهم الا أن تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الا أن لا في لا آمن ان ينقل مله ذلك فتتغير عن عزمها اشارة الى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد الخدري رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهود فقالا لي صدقت وعرجا لي السماء في الصدق الخامس في الاعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أسرف في باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الاعمال ولكن بأن يستعير الباطن الى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرنا من ترك الرياء لان المرأى هو الذي يقصد ذلك ويرب واقف على حقيقة الخشوع في صلاته ليس يقصده مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة في نظر اليه براقة تأمينا بين يدي الله

تعالى وهو الباطن قائم في السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال من الباطن اعربا بآهونه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد عشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن متفتحا الى الخلق ولا مريا اياهم ولا يجوا من هذا الا باستواء السريرة والعلاية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر وليس ثاب الاشراك بل يظن به الخبر بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذا اختلفا في الظاهر لباطن ان كانت عن قصد سميت رياء وبغوت بها الاخلاص وان كانت عن غير قصد فيقوت بها الصدق ولذلك قال رسول الله صلى عليه وسلم اللهم اجعل سرى خير من علانيته واجعل علانيته صالحة وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرة افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا

اذا السر والاعلان في المؤمن استوى * فقد عز في الدارين واستوجب الثنا

فان خالف الاعلان سرا قاله * على سعيه فضل سوى الكد والعنا

فما خالص الدنثار في السوق نافق * ومغشوشه المردود لا يقتضى الثنا

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عسدى حقا وقال معاوية بن قرة من بدلتى على بكاء بالليل باسم بالهاير وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن اذا امر بشئ كان من عمل الناس به واذا نهى عن شئ كان من اترك الناس له ولم ارا احدا قط اخبئه سريرة بعلاية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الى عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويكسى وقال ابو يعقوب النهرجورى الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق في الصدق السادس وهو اهل الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادى تطلق الاسم لظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشئ ونمت حقيقة ته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال تعالى ولسكن اليمين آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابو زر عن الايمان فقرا هذه الآية فقبل له سألناك عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الآية ولضرب للصدق مثلا فاما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا ينفذ عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أى غير بالغ درجة الحقيقة اما تراد اذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصغر لونه وترتعد فرائضه ويتغص عليه عيشه ويتعد عليه كله ونومه ويتقسم عليه فكره حتى لا يتقم به أهله وولده وقد نزع عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوف من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند ربان مصيبة عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم أر مثل النار انما هارها ولا مثل الجنة انما طالها التحقيق في هذه الامور عز وجل اول غايتها هذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوى فاذا قوى سمي صادقا فيه فقرة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب أن أراك في

صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بل ارنى قواعده البقيع في ليلة مقمرة فأتاه منظر
 النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سدا لافق يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم
 مغشيا عليه فأفاق وقد اجبر بل صورته الاولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت أن أحدا
 من خلق الله هكذا قال وكيف لورأت أسرا فيل ان العرش لعلى كاهله وان رجله قد مرر قفا فخرم
 الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني كالصغور الصغير فاطمر ما الذي
 يغشاه من العظمة والمهية حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة
 فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بي
 وجبريل بالبالا الاعلى كالجلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقي على ظهر العبير
 وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يلقوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر
 رضي الله عنه لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الناس كلهم حتى في دين الله وقال مطرف ما من
 الناس احدا الا هو احمق فيما بينه وبين ربه الا أن بعض الحق اهن من بعض وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالا يعرف في جنب الله ثم يرجع الى نفسه
 فيبداها احقر حقير فاصدق اذا في جميع هذه المقامات عز محمد درجات الصدق لانهاية لها وقد يكون
 للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ
 ثلاثة انا فتهن قولي وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ
 منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولاً الا علت أنه حق فقال ابن المسيب ما ظننت أن هذه
 الخصال تجتمع الا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الامور ثم قوم من جلة الصحابة قد اذوا
 الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يلقوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة
 عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لاحاد هذه المعاني نعم قد قال أبو بكر الوراق
 الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين
 قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع
 وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس
 ولكنه ذكره كاقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق
 هو المجاهدة وان اختار على الله غيره كالم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتنابكم وقيل أوحى الله تعالى
 الى موسى عليه السلام ان اذا احببت عبدا بقلبك لا تقوم لها الجبال لا تنظر كيف صدقه
 فان وجدته صار اتخذته وليا وجيبيا وان وجدته جزوعا يشكوك في اخلقه خذله ولا ابالي فاذا من
 علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها
 ثم كتاب الصدق والاخلاص يتلوه كتاب المراقبة والمحاسبة والمجد لله

﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن من ربيع التجليات من كتب احياء علوم الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت * الرقيب على كل جارية بما اجترحت * المطلع على
 ضمائر القلوب اذا هجست * الحاسب على خواطر عباده اذا اختلت * الذي لا يعرب عن علمه
 مثقال ذرة في السموات والارض تحركت أو سكنت * الحاسب على النقب والقطيع والقليل
 والكثير من الاعمال وان خفيت * المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت * المتناول بالغو

عن معاصيهم وان كثرت * وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت * وتنظر فيما قدمت
وأخرت * فتعلم أنه لا لزوم لها المراقبة والمحاسبة في الدنيا الشقية في صعيد القيامة وهلك
ويعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقول يضاعها المراجعة لحيات وخسرت * فسبحان
من عمت نعمة كافة العباد وشملت * واستغفرت رحمته الخلاق في الدنيا والآخرة فغفرت *
فتباعدت فضله لتسع القلوب للإيمان وانثرت * وبين توفيقه تقدمت الجوارح بالعبادات
وتأذبت * وبحسن هدايته انجالت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت * وبتأييده ونصرته
انقطعت مكاييد الشيطان وانددت * وبلطف عنايته تترج كفة الحسنات اذا انقلت * وتيسيره
تيسرت من الطاعات ما تيسرت * فبه العطاء والجزاء * والابعاد والادناء * والاسعاد
والاشقاء * والصلاة على محمد سيد الانبياء * وعلى آله سادة الاصفياء * وعلى أصحابه قادة
الانبياء * (أما بعد) فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا
وان كان مثقال حبة من خردل أنبأناها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين ما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يفاد صغيره ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقال تعالى يوم يحصنهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه
والله على كل شيء شهيد وقال تعالى يومئذ يصد الناس أشتنا العروا أعمالهم فيعمل مثقال ذرة خيرا
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم
تجبر كل نفس نفسا ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله
نفسه وقال تعالى وأعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه * فعرف أرباب البصائر من جملة
العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سينا فاشقون في الحساب ويطالبون بمسا قبل الذر من
الخطرات والخطات وتحققوا أنه لا ينجم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة
ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات والخطات في حاسب نفسه قبل
أن يحاسب خفي في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن من قلبه وما به ومن لم يحاسب
نفسه دامت حسرته وطالت في عرصات القيامة وقضائه وقادته الى الخزي والمقت سبائنه فلما
انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجم منه الا طاعة الله وقناعتهم بالصبر والمراقبة فقال عز من قائل
يا أيها الذين آمنوا صبروا وصاروا ورايطوا فراطوا أنفسهم أولا بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة
ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكانت لهم في المراقبة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان
حقيقتها وقصيلها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشاركة
ومراقبة وينبغي عند الخسران المعاقبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق

﴿المقام الأول من المراقبة المشاركة﴾

اعلم أن مطلب المتعاملين في التجارات المشتركة في البضائع عند المحاسبة سلامة المجرى وكان التاجر
يستعين بشريكه فيسلك اليه المال حتى يعبر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما
مطلبه ورجحه تركية النفس لان بذلك فلا حقا قال الله تعالى فداق من ركاها وقد خاب من ساءها
وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذا يستعملها ويستعصرها
فيما يري كسها كاستعين التاجر بشريكه وعلامة الذي يعبر في ماله وكان الشريك يصير خصما منازعا
يجاد في الرجح فيحتاج الى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أرباعته رابعا
فكذلك العقل يحتاج الى مشاركة النفس أولا فيوظف عليها الوطائف ويشترط عليها الشروط

ويرشدنا الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها الحظية فانه لو اهلها لم يبرهنها الا الحياينة وتضييع رأس المال كالعباد الخائن اذا خلا له الجور وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطلبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها القردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء قد حقق الحساب في هذا مع النفس اهتم كثير من تدقيقه في ارباب الدنيا مع انها حقيرة لا بزيادة الى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فصيرها الى التصرم والاقتضاء ولاخير في خير لا يدرى بل شر لا يدرى خير من خير لا يدرى لان الشر الذي لا يدرى اذا انقطع بقي الفرح بانقطعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدرى يبقى الاسف على انقطعه دائما وقد انقضى الخير

ولذلك قيل أشد ألم عندى في سرور * تبين عنه صاحبه انتحالا

فتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطواتها فان كل نفس من أنفاس العرجورة تنفيسه لا عوض لها يمكن أن يشتري بها أكثر من الكثرة لا يتناهى نعيمه ابد الاباد فانقضاه هذه الانفاس ضائعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمى به نفس عاقل فاذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لشارطة النفس كما أن الساجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع التأس من العبارة وطلب الرجوع وهذا اليوم الجديد قد امهأني الله فيه وانسا في اجلى وانعم علي به ولو توفاني لسكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه ما لحافا حسبي انك قد نويت ثم قدر دودت فاليك ان ترضي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهر لا قيمة لها واعلى بانفس أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر أنه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيها عملوه نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فينالهم من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار مالو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بألم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفرح بنها ويشاهد ظلامها وهي الساعة التي عصي الله فيها فينالهم من الهول والفرح ما لو قدم على أهل الجنة لتفص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارعة ليس له فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فصر على خلوها وبناها من غير ذلك ما ينال القادر على الرجح الكثير والملك الكبير اذا امله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغنا وهكذا تعرض عليه خزائن أو فاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدى اليوم في أن تمرى خزائنتك ولا تدعها فارعة عن كدك والى هي اسباب ملكك ولا تميل الى الكسل والدعة والاستراحة فيقول لك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فألم الغيب وحسره لا يطابق وان كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن المسمى قد غف عنك عنه أليس قد فاته ثواب الحسينين أشار به الى الغيب والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذا وصيته لنفسه في أو فاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسلبها اليها فانها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها يتم أعمال هذه التجارة وان لجمعهم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى هذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بحرم والى عورة مسلم أو النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى

يسأل عبده عن فضول النظر كإسأله عن فضول الكلام ثم اذا صر فيها عن هذا فنعم به حتى يشغلها
بمجاهدة تجارتها وروحها وهو ما خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر الى أعمال
الخبر لا لآفته والظفر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاعطاء والاستفادة وهكذا
ينبغي أن يفصل الامر عليها في عضو ولا سيما اللسان والبطن * أما اللسان فلا ينبغي منطلق
بالطبع ولا يؤمنه عليه في الحركة وجنابته عظيمة والغلبة والكذب والتمويه تركية النفس ومذمة
الخلق والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والممارات في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب
آفات اللسان فهو يصد ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد
الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيرات الله فليشترط على نفسه أن لا يخرج اللسان طول
النهار الا في الذكر فليطيق المؤمن ذكر ونظرة عمرة وصمته فكرة وما يلقظ من قول الله رقيب عتيد
وأما اللسان فيكف ترك الشبه وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات وينعمه من الشهوات
ويقصر على قدر الضرورة ويشرط على نفسه انها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع من شهوات
اللسان ليفوتها أكثر مما ناله بشهواتها وهكذا يشرط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك بطول
ولا تقتني معاصي الاعضاء وطاعتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تنكر رعية
في اليوم واليلة في النوافل التي يقدّر عليها ويقدّر على الاستكثار منها ويرتب لها نفسها وكيفية
وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفقر إليها في كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط
ذلك على نفسه اياما او طوعته نفسه في الوفاء بحجها المستقنى من المشاركة فيها وان اطاع في بعضها
بقيت الحاجة الى تجديد المشاركة فيها بقي ولكن لا يخلو كل يوم من مهم جديد وواقعة جديدة لها حكم
جديد ولقمة عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشغل بشيء من أعمال الدنيا من ولايه أو تجارة أو
تدريس أو فناء يخلو يوم من واقعة جديدة يحتاج الى أن يقضى حق الله فيها عليه أن يشترط على نفسه
الاستقامة فيها والالتزام بالحق في مجاريها ويجذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يعظ العبد
الآتي المتمرد فان النفس بالطبع معترضة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ
والتأديب يؤثران في كرفان الذكرى تنفع المؤمنين فهنا وما يجري مجراه هو أول مقام المراقبة مع
النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله التحذير قال الله تعالى
واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وهذا الاستقبال وكل نظري كثره ومقدار لمعرفة زيادة
ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من
المحاسبة وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا صرتم في سبيل الله فبينوا واولى الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا واولى الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه فذكر ذلك
تخييرا وتنبها للاحتراز منه في المستقبل وروى عباد بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله
أن يوصيه ويعظه اذا أردت أن أرتد أسرا فقدر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وان كان ضافا فتنه عنه وقال
بعض الحكماء اذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تمل بفضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان
مكثت الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن اذا ابصر العاقبة آمن
الندامة وروى شدا بن اوس عنه صلى الله عليه أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاخر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ان نفسه أي حاسبها يوم الدين يوم الحساب وقوله أننا
لمدنون أي لمحاسبون وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا قبل أن
توزنوا وتمروا بالعرض الاكبر وكتب الى أبي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب

الشدة وقال لكعب كيف تحدها في كتاب الله قال ويل لذياب الارض من ذباب السماء فعلاه بالدره
وقال الامن حاسب نفسه فقال لكعب يا امير المؤمنين انما الى جنبها في التوراة ما بين حارحرف الامن
حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه
وزن الامور اولاً وقد رواها ونظر فيها وتبهرها ثم اقدم عليها فاشترها

المراقبة الثانية المراقبة

اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال
وملاحظتها بالعين الكاشفة فانها ان تركت طغت وفسدت ولتذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها (أما
الفضيلة) فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه وقال عليه السلام
عبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تعالى أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت
وقال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى وقال الله تعالى ان الله كان عليكم رقيباً وقال تعالى والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهادتهم قاعون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله من تفسيره
فقال كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيباً على فلان بالي
غيره وقال أبو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة
عمله بالعلم وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجبري امرنا هذا
مبنى على اصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهره قائماً وقال أبو عثمان قال
لي أبو حفص اذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك ولا يفر منك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون
ظاهرك والله رقيب على باطنك وحكي أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان
يكرمه ويقدمه فقال لبعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب وبخس شيوع فخذ بعقبة طيور
وتناول كل واحد منهم طائراً وسكنها وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع الى
الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائرهم فوضع الشارب والطائر حتى في يده
فقال ما لك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم أجدهم موضعاً لا يراى فيه أحد اذ الله مطلع على في كل مكان
فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك أن تكرم وحكي أن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام
قامت فغطت وجهه صم مكان لها فقال يوسف مالك السجين من مراقبة جناد ولا أستحي
من مراقبة الملك الجبار ورحي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت له ألا تستحي
فقال من استحي وما يرانا الا الكواكب قالت فأن مكوا بها وقال رجل الجنيديم أستعين على
فض البصر فقال بلك أن نظرت الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيديما
يتحقق بالمراقبة من يخاف على قوت خطئه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من
جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما
يسكن جنات عدن الذين اذاهم وابال معاصي ذكر واعطيتي فراقوني والذين اثنيت اهلهم من
خشيتي وعزتي وجلالي اني لأهم بعباد اهل الارض فاذ انظرت الى أهل الجوع والعطش من
مخافتني صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال أولها علم القلب بقرب الرب تعالى
وقال المرتضى المراقبة مراعاة السر بملاحظة القلب مع كل لحظة ولقطة ويرى أن الله تعالى قال
لما لا تكتبه أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل
مرأيتك لمن لا تقرب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن
لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تتخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يترين القلب بشئ

أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتردد لمعاده وسئل ذوات النور بمن ينال العبد الجنة فقال بحس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومرأية الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسه قبل أن تحاسب وقد قيل

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولأن ما تحفبه منه ينيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب * وأن عهد المناظرين قريب

وقال حمد الطويل لسليمان بن علي عظمي فقال لأن كنت إذا عصمت الله خالبا ظننت أنه رائك لقد اجترأت على أمر عظيم ولأن كنت تظن أنه لا يرالك فقد تكفرت وقال سفيان الثوري عليك المراقبة من لا تتخفى عليه خافية وعليك بالرجاء من يملك الوفا وعليك بالحد من يملك العقوبة وقال فرقد السفياني أن المنافق ينظر فاذم المرء أحدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت مع حمير بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فمررنا في بعض الطريق فأنشد رعله راع من الجبل فقال له ياراعي يعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلمها الذئب قال فأن الله قال فيكي ممر رضى الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتره من مولاه وأعنته وقال اعتقك في الدنيا هذه الكلبة وأرجو أن تعتقك في الآخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه فمن احترز من أمر من الامور بسبب ضربه قال انه يراقب فلانا ويراعى جانبوه يعني بهذه المراقبة حالة القلب بثمراتها من المعرفة وتقرن تلك الحالة أفعالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسر الرقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة الغلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقينا اعني انها خلعت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته قرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى المحبابين فراقبتهم على درجتين * الدرجة الاولى مراعاة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والالجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يسيق فيه منسع إلا للفتات إلى الفرائص ولا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها فانها متصورة على القلب أما الجوارح فانها تنعطل عن الالتفات إلى المباحات فضلا عن المخطورات وإذا انحركت بالبطاعاة كانت كالمتسمة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يبعد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستجيبة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما أحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يصير من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا يحسم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك

فقال لمن عاتبه اذ امرتني فركتي ولا تستبعد هذا فانك تجد نظيره في القلوب العظيمة للملوك الارض حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشغل القلب جميعهم فخير من مهمات الدنيا فيفوض الرجل في الفكر فيه ومشى فربما تجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق قال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فكا كان الاسرى بها حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا او كان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رأيت أحدا وروى عن يحيى بن زكريا عليه السلام أنه مر بأمرأة قد فقها فسقطت على وجهها فقبل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها إلا جدرا وحكي عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بهيد امهم فتقدمت اليه فأردت أن اكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى فقال أنت وحدك فقال معي ربي وملكي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من عقر الله فقات أن الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا الاحتياج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تعزلك الا بما هو فيه ودخل الشبه على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجد ساءا كالحسن الاجتماع لا يعزلك من ظاهره شيء فقال له من أين أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنورك كانت لنا فكانت اذا أردت الصبر رابطت رأس الحمار لتعزلك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة لقاء أبي علي الزوبادي فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا ركه لا قد اجتمع على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطى خرقه وليس على كفتي شيء فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدن مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فاجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت تشدكما بالله الى اردنتماه الى السلام فرفع الشاب رأسه من مراقبته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فغنم من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فأخذ تكليمي ثم طأأ رأسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلبنا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائى فلما كان وقت العصر قلت عطشي فرفع رأسه الى وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا أكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شربا ولا شرا فبنا كان اليوم الثالث قلت في سرى احقهما أن يعطاني لعلني انفع بعظمتهم فرفع الشاب رأسه وقال لي يا ابن خفيف عليك بحسبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبتة على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام فم عنافته درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاحلال والعظيم فلم يسبق فيهم متسع لفيز ذلك * الدرجة الثانية مراقبة الورع من اصحاب البين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدعهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلف الى الاحوال والاعمال الانها مع ممارسة الاحمال لا تتخلوعن المراقبة نعم قلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يجمعون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله في الدنيا مطالعا عليهم فلا يجنحون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالاشهاد فانك في خلوتك قد تعاطى أعمالا فيعزلك صبي أو امرأة تعلم انه مطع عليك فستحجي منه فحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا من اجلال وتعتظم بل عن

حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدعشك ولا تستغرك فانها تخرج الحياء منك وقد يدخل عليك
 ملك من الملوك أو كبير من الاكابر فيستغرك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه مشغلا به لاجل ما منه
 فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع
 حركاته وسكناته وخطراته وخطائنه وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظرا قبل العمل ونظرا
 في العمل أو ما قبل العمل فليظن أن مآظيره وتجزئته بفعله خاطره أهولة خاصة أو هو في هوى النفس
 ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى يتكشف له ذلك بنور الحق فان كان الله تعالى أمضاه
 وان كان لغير الله استغنى من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعزفها
 سوء فعلها وسعها في فضيحتها وانها عذوة نفسها ان لم يشد أركانها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية
 الامور احدى البیان واجب محتوم لا يحصى لاحد عنه فان في الخبر أنه ينشر للعبد في كل حركة من
 حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم أي لم فعلت
 هذا أو كان عليك أن تفعله لولا أنك أوملت اليه بشهواتك وهو أنك فان سلم منه بان كان عليه أن يعمل
 ذلك لولا أنه سئل عن الديوان الثاني قيل له كيف فعلت هذا فان الله في كل عمل شرطاً وحكماً لا يدرك
 قدره ووقته وصفته الا يعلم فيقال له كيف فعلت أو يعلم بحق أم يجهل وتظن فان سلم من هذا اثر
 الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال له لمن علمت أو الوجه الله خالصا فادع بك قولك لا اله الا الله
 فيكون أجرك على الله أو لمراة خلق مثلك نفذ أجرك منه ام حملته لتعال عاجل دينك فقد وفيناك
 نصيبك من الدنيا ام حملته بسهولة وعقولة قد سقط أجرك وحيط ملك وخاب سعيك وان علمت لغيري
 فقد استوجب مقضى وعقابي اذ كنت عبد لي تأكل رزقي وترفعه بعمتي ثم تفعل لغيري أو ما سمعني
 أقول ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يمكنون لكم
 رزقا فان بغوا عند الله الرزق واعمدوه ويحك أو ما سمعني أقول لا اله الا الله الذي الخالص فاذا عرف العدد
 أنه يصعد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب أو عدل لسؤال جوابا وليكن
 الجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التأمل وقد قال
 النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسأل عن كل عينه وعن فته الطين بأصبعه وعن لسه
 ثوب أخيه وقال الحسن كان احدهم اذا أراد أن يتصدق بصدقة نظرت وثبت فان كان الله أمضاه
 وقال الحسن رحم الله تعالى عبدا وقف عندهم فان كان لله مضي وان كان لغيره تأخر وقال
 في حديث سعد بن اوصاه سلمان انني لله ضد همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف
 متان يقف عندهم ليس كخاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا
 العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الاحمال واغوار النفس ومكاييد الشيطان فتى لم يعرف نفسه
 وربه وعدوه ابليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ورضاه في نفسه وهمة
 وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثر من تركيكون الجهل فيما يكره الله
 تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا تظن أن الجاهل يعذر على التعلم فيه بعذر جهات بل
 طلب العلم فرصة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لانه
 يعلم آفات النفوس ومكاييد الشيطان ومواضع الغرور فتبني ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يجتزئ
 منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشمنة فتعوز بالله من الجهل والغفلة فهو رأس
 كل شقاوة واساس كل خسران فحك الله تعالى على كل عبدا أن يراقب نفسه عندهم بالافعال وسعيه
 بالجارحة فيتوقف عن المحرم وعن السعي حتى يتكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى

النفس فيتعبه ويرجز القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذ لم تدفع
اورث الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جرم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث الموار
والمقت فينسخي أن تخضع مادة الشر من منبعه الاول وهو الخطر فان جميع موارءه يتبعه ومهما
اشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم يتكشف له فينكشف في ذلك بنور العلم ويستعيد بالله من
مسكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستغنى بنور علماء الدين
وليفر من العلماء المضلين المبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشد نقداً وحى الله تعالى الى
داود عليه السلام لا تسأل عنى عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتى اولئك قطاع الطريق
على عبادى فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشر والتكالب عليها يحجب عن نور الله تعالى
فان مستضاء انوار القلوب حضرة الربوية فكيف يستغنى بها من استدرها وأقبل على عدوها
وعشيق بعضها ومحبها وهي شهوات الدنيا فتسكن همة المرء أو لا في أحكام العلم أو في طلب عالم
معرض عن الدنيا أو ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله يحب البصير النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع
بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصيرة نافذ
في الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارب ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبداً فاقد العقل الضعيف
الذى سعد الأدي به حتى بعد الى محوه وبحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة أحوال قد اندرست
في هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالنوسط بين الخلق في الخصومات
الناثرة في اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذى هو فقه الدين عن جملة العلوم
وتجردوا الفقه الدنيا الذى ما قصد به الادفع الشواغل عن القلوب ليقترق فقهه الدين فكان فقه
الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفى الخبر انتم اليوم في زمان خيركم نبيه المسارع وسياقك عليكم
زمان خيركم فيه المثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام
اشكل عليهم امر كعب بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة بن محمد بن مسلمة وغيرهم فلم
يتوقف عند الاشتباه كان متبعاً لما هو مهجور أبى وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
قال فاذا رأيت شعاعاً طاعاً وهوى متبعاً وانحجب كل ذى رأى رأيه فعليك بخاصه نفسك وكل من خاض
في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه السلام يا أكرم الأكرام
فان الظن اكذب الحديث وأراد به ظناً بغير دليل كما يستغنى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه
ويتسرع ظنه لصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضى الله تعالى الالههم أن ارنى الحق حقا
وارزقنى اتباعه وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولا تجعله متشابهاً عسى فأنتع الهوى وقال
عيسى عليه السلام الامور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غبه فاتجنبه وأمر
أشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك أن أقول
في الدين بغير علم فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والامان عبارة عن نوع كشف
وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيماً وأراد به العلم وقال تعالى فاسألوا
أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان عليه الاهدى وقال ثم ان علينا بيانه وقال وعلى الله قصد
السبيل وقال على كرم الله وجهه الهوى شرك العصى ومن التوفيق التوقف عند الخير ونعم طارد
الهم البين وعاقبة الكذب التدمر وفى الصدق السلامة رب بعد اقرب من قريب وغرب عن لم
يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يهدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والاحسان

سبب الى كل جبل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخت به سبب سنك وبين الله تعالى انما لك
من دينك ما أصحبت به مثالك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أهلك وان
كنت جازعا على ما أصيب بما في يدك فلا تنزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان
فانما الامور اشياء والمرء يستره ذلك ما لم يكن ليقتونه ويسوءه قوت ما لم يكن ليديره فانما لك من
دينك فلا تكثر من به فرحا وما فاتك منها فلا تنسعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك
على ما خلفت وشغلك لا خرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن
التوفيق التوفيق عند الحيرة * فاذا النظر الاول للراقب نظره في الله والحركة أهى لله أم للهوى وقد
قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيها استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى بشئ من
عمله وإذا عرض له أمر ان أحدهما للدين والآخر للآخرة أثر الآخرة على الدنيا وأكثر ما ينكشف
له في حركته ان يكون مباحا ولكن لا يعبه فتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه * النظر الثاني للراقب عند الشروع في العمل وذلك بتقديد العمل ليقضى حق
الله فيه وبحسن النية في اتمامه وبكل صورته ويتعاطاه على أكل ما يملكه وهذا ملازم له في جميع
أحواله فانه لا يتجول في جميع أحواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على
عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب فان كان قاعدا مشلا فينبغي ان يقعد
مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجلس ما استقبل به القبلة ولا يجلس مترعيا
اذ لا يجالس الملوك كذلك ملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله جلست مرة مترعيا
فسمعت هاتفا يقول هكذا يجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك مترعيا وان كان نيام فنام على اليد
اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الاداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو
كان في قضاء الحاجة فراعته لاداءها وفاء بالمراقبة فاذا اتخذوا العبد اما ان يكون في طاعة أو
في معصية أو في مباح فراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراسته عن الآفات
وان كان في معصية فراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياة والاشتغال بالتفكير وان كان في مباح
فراقبته بمراعاة الادب ثم يشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يتجول العبد في جملة أحواله عن بلة
لا يتله من الصبر عليها ونعمة لا يتله من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا يتفك العبد في كل
حال من فرض الله تعالى عليه ما فعل بلزمه مباشرة أو بحظور بلزمه تركه أو توب حث عليه ليسارع
به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله ومباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته
ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
فينبغي ان يتقيد العبد بنفسه في جميع أوقانه في هذه الاقسام الثلاثة فاذا كان قارضا من الفرائض
وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتزم أفضل الاعمال ليشغل بها فان فاته خير يدبره ويحرقه وقادر
على دركه فهو مغفون والارباح تنال بمزايا الفضائل بذلك يأخذ العبد من دينه لاخره كما قال تعالى
ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة
مضت لا تعب فيها على العبد كيما انقضت في مشقة أو رفاهة وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري
العبد ايعيش اليها أم لا ولا يدري ما يقضى الله فيها ساعة راهنة فينبغي ان يجاهد فيها نفسه
ويراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية لم يصبر على فوات هذه الساعة وان آتته الساعة الثانية
استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول أمله خسين سنة فيطول عليه الغرم على المراقبة
فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر انفاسه فلعلة آخر انفاسه وهو لا يدري فاذا أمكن ان يكون آخر

أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يصكره أن يذكر الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام لا يكون المؤمن طامعا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو ممة لمعاش أو ولدة في غير محرم وما روى عنه أيضا في معناه وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يتخلف فيها للطعم والمشرب فان في هذه الساعة عون له على بقية الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالطعم والمشرب لا ينبغي أن يتخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله مثله من الجانب ما لو تفكر فيه ونظر له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون إليه بعين التصرع والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسفرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى اللباب وقسم ينظرون فيه بعين الوقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضرار اليه ويؤدبهم لو استغفروا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مضطرين لشهوته وهذا مقام الزاهد من قوم يرون في الصنعة الصانع ويرتقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سبيل تذكري أبواب من الفكر تنفخ عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ الحب إذ أرى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العدد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب ان فقت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرم من جلته ويذمونه منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمونه فاعله فيدمعون الطبع والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطباخ والطباخ ولقدرته ولعله هو الله تعالى وان من ثم شيئا من خلق الله تغير اذن الله فقد تم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر هذه المراقبة الثانية مراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك بطول وفيما ذكرناه تنبيه على المتأخر لمن أحكم الأصول

﴿المراقبة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ولذا كفضيلة المحاسبة ثم حقيقتها﴾

﴿أما الفضيلة﴾

فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتتقن نفس ما قدمت لندوه وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ربكم فأنها قبل أن تزول وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أستموص أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فافعله وان كان غيا فائتبه عنه وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظرى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تأسفوا على ما مضى من الأعمال في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرقاذا جبه الليل ويقول لنفسه ماذا علمت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المثقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريك يحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضي الله عنه قال لما عند الموت ما أجد من الناس

أحب إلى من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عرفا نظر
كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة قدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحدثني أبي طهة حين شغلها الطائر
في صلاته فتدبر ذلك جعل حائطه صدقة لله تعالى ند ما ورعاه للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام أنه
حمل خزيمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلمانك ما يكفيك هذا فقال أردت أن
أجرب نفسي هل تذكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه بحاسبه الله وإنما خاف الحساب على قوم
حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة
ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يعبء الشيء بعبءه فيقول والله أنك لتجبنني وإنك لمن حاجتي ولكن
هيات حيل يني وبيتك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول
ماذا أردت هذا والله لا أعذر هذا والله لا أعذر لهذا أبدا إن شاء الله وقال أنس بن مالك سمعت عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول وبيني
وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمر المؤمنين بخروج والله لتتقين الله وليعلمنكم وقال
الحسن في قوله تعالى ولأقدم بالنفس القوام قال لا يأتي المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت
بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والفاجر يعضي قد ما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن
دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبداً قال لنفسه ألسنت صاحبة كذا ألسنت صاحبة كذا ثم ذهبا ثم
خطمها ثم أزمها كآب الله تعالى فكان له قائد أو هذمان معانة النفس كإسباتي في موضعه وقال
ميمون بن مهران التي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شهيج وقال إبراهيم التيمي
مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعاني إكبارها ثم مثلت نفسي في النار
أكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعاني سلاسلها وأغلظها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء
تريدين فقالت اريد أن أرذالي الدنيا فأعمل صالحاً قلت فانت في الأمانة فأعني وقال مالك بن دينار
سمعت أبا جراح يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم
الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ما ذابره بديه رحم الله امرأ نظري في ميكله رحم الله امرأ أنظر في ميزانه
فما زال يقول حتى أسكنني وحكي صاحب لا خنثى بن قيس قال كنت أحميه فكان عاتمة صلاته
بالليل للدعاء وكان يحجي إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا خنثى
ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارك فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن
يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار
في الدنيا مع الشراك في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن غفرتهم منها مالوا
فاتهم فكانت الخيرة طرية فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا ما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل
نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبداً ما هذه المسألة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة
التوفيق فعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران
ليبين له الزيادة من نقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران
طالبه بضمائنه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه القراض ورجحه النواقل
والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملته نفسه الامارة بالسوء
فياحسبها على الفراغ أو لا فان اذا ما على وجهها شكر الله تعالى عليه ورجعها مثلاً وان فوقها

من أصلها طالها بالقضاء وإن اداها ناقصة كلها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل
بمعونتها وتعذيبها ومعاتبها يستوفى منها ما استدركه ما فرط كما يصنع التاجر اشترى بكمه وكما أنه يقبض
في حساب الدنيا من الخيرة والقيام في زيادة والنقصان حتى لا يفتن في شيء منها فيبغى
أن يبقى غنيمة النفس ومكرها فانه خدعة مابسة مكرارة فليطالها أن لا تصحح الجواب عن جميع
ما تكلم به طول نهاره وليستقل بنفسه من الحساب ما سيتولا غير في صعيد القيامه وهكذا عن
نظرة بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكونه انه لم يسكت
وعن سكونه لم يسكن فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر أذى الواجب فيه كان
ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبت عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي
الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الدين أو ما بعضها
قبال الغرامة والضمنان وبعضها برذنيه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد
تحقيق الحساب وغير الباقي من الحق الواجب عليه فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء
ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما بيوما وساعة بساعة في جميع الاعضاء الظاهرة
والباطنة كما نقل من توبة ابن الصمة وكان بالرقعة وكان يحاسب لنفسه غيب يوما فادها وان سبتين
سنة غيب أياما فادها في أحد وعشرون ألف يوم وخمس مائة يوم فصرخ وقال يا ويلتي أني الملك
بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فادها وميت
فسمعوا قولا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الانفاس
وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولوروى العبد بكل معصية جوارح داره لا تملأ داره
في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والمسلكان يحفظان عليه ذلك أحصاء
الله ونسوه

في الرباطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها ما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية
وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يحملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي
وانتسبها لنفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أن كل لقبة
شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر الى غير محرمة ينبغي أن يعاقب العين
بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكى
طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن ابراهيم أن رجلا من العباد كمل امرأة فلم يزل حتى وضع
يده على فخذها ثم ندب فوضع يده على الناحية حتى يست وروى أنه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد
في صومعته فكثرت ذلك زمانا طويلا فأتى شرف ذات يوم فادها وبصرأة فاقنت بها وهتم بها فأخرج
رجله ليتزل بها فادركه الله بسابقة فقال ما هذا الذي أريد أن أصنع فوجعت اليه نفسه وعصمه الله
تعالى فندم فلما أراد أن يعيد رجله الى الصومعة قال هيات هيات رجل خرجت تريد أن تعصى
الله تعالى تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة في الصومعة تصدبها المطار
والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقط فشكر الله له ذلك وأزل في بعض كتبه ذكره
ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريب يقول أصابني ليلة جنابة فأخبت أن أغتسل وكانت
ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فخذتني نفسي بالتأخير حتى أصبح واغسل الماء أو
أدخل الحمام ولا أعني على نفسي فقلت واعجباء أنا أعامل الله في طول عمرى فيجب لله علي حتى فلا أجد
في المسارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل الا في مرة فتي هذه وآليت أن لا أترعها ولا

أعصرها ولا جفها في الشمس ويحيى أن غزوان وأباموسي كأن في بعض مغازيهم ما فتكشفت حاربة
فنظر إليها غزوان فرفع يده فطعم عينه حتى قرت وقال انك الحائطة إلى ما يضر لك ونظر بعضهم نظرة
واحدة إلى امرأه فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارء طول حياته فكان يشرب الماء الحار
لنقص على نفسه العيش ويحيى أن حسان بن أبي سنان مر بعرفة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على
نفسه فقال تسألين عما يبتك لأعابك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضبيغ جاء رباع القيسي
يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا إنه نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فأتبعناه
رسولا وقلنا لا نوقفه لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من أن يفهم مني شيئا أدركته وهو يدخل
المقار وهو يعتاب نفسه ويقول أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك بنام الرجل متى شاء
وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلين أما إن الله على عهدا لا انقضه أبدا
لأوسدك الأرض لنوم حول الأرض حائل ولعل زائل سواة لك أما تسخين كم توخين وعن غنك
لانتبين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكان فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته ويحيى عن تميم الداري
أنه نام ليلة لم يرقم فيها حتى سجد فقام سنة لم يرقم فيها عقوبة الذي صنع وعن طلحة رضي الله تعالى عنه قال
انطلق رجل ذات يوم فترع ثيابه وترعخ في الرضاء فكان يقول لنفسه ذوق نار جهنم أشد حرًا أجفة
بالليل بطالة النهار فبقيها هو كذلك إذا بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأتاه فقال
غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بمن الذي صنعت أما لقد فتحت لك الأبواب
السميما ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لا صحابه تزودوا من أخيك جعل الرجل يقول له يا فلان ادع
لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم معهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على
الهدى أمرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأبهم
وقال حذيفة بن قنادة قبل رجل كيف تصنع بنفسك في شهوراتها فقال ماعلى وجه الأرض نفس
أبيض إلى منها فكيف أعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته
على التراب فقال يا داود سبنت نفسك قبل أن تسمن وعذبت نفسك قبل أن تعذب فالقوم ترى ثواب
من كنت تعمل له وعن وهب بن منبه أن رجلا تعبد زمانا ثم ثبت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين
سنة يأكل في كل سبت إحدى عشرة مرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال منك أنت
لو كان قبلك خير لا عطيت حاجتك فزل إليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي
مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كافي غزاة لنا خضر العدو فصيح في الناس فقاموا
إلى المصافي في يوم شديد البرج وإذا رجل أمامي وهو مخاطب نفسه ويقول أي نفس ألم أشهد مشهد
كذا وكذا فقلت لي اهلك وعمالك فأطعك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك
وعمالك فأطعك ورجعت والله لا عرضك اليوم على الله أخذك وأتركك فقلت لا مقنه اليوم
فرمته فجعل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكسفوا فكان
في موضعه حتى انكسفوا مرات وهو ثابت يقابل فوالله ما زال الداء به حتى رأته صريعا
فعدت وهو بدانيه ستمين وأكثرت من ستمين طعنة وقد ذكرنا حديث أبي طلحة لما اشتغل قلبه
في الصلاة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك وأن عمر كان يضرب قدميه بالردة كل
ليلة ويقول ماذا علمت اليوم وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأه فجعل على نفسه
أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا وكان لا يخفى من قيس لا خافه المصباح بالليل فكان
يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا وكذا وأنكروا وهيب بن الورد شيئا

على نفسه فتفت شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما أريد بك الخير
ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند افطاره خبزاً يغير ملح فقال له لو اكلته لم يجز فقال ان
نفسى لتدعوى الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود لمحامداً في الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولي الحزم
لانفسهم والجب انك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك ولذلك على ما يصدر منهم من سوء خلق
وتقصير في أمر وتخاف انك لتتجاوزت عنهم تخرج أمرهم عن الاختيار ويغوا عليك ثم تحمل نفسك
وهي أعظم عدوك واشتد طغياناً عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلها فان
غابهم أن بشقوا عليك عيشة الدنيا ولوعقت لعلت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم
المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنقص عليك عيش الآخرة في المعاقبة أولى من غيرها
في الرابطة الخامسة في المجاهدة وهو أنه اذا احاسب نفسه فرأها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها
بالعقوبات التي مضت وان رآها تتواني بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي
أن يؤذنها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنوا من الوظائف جبر المافات منه وتدارك ما فرط فهكذا
كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاته صلاة العصر في جماعة بأن
تصتق براض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة احاطت الليلة
وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعقق رقتين وفات ابن أبي ربيعة ركعة النجف فأعقق رقة
وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشياً أو التمسك بجميع ماله كل ذلك مرابطة
لنفسه ومواظبة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسى لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة
على الأوراد فاسبيل معالجتها فأقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل
المجاهدين ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب محبة عبيد من عباد الله يجتهد في العبادة فلاحظ أقواله
ونقصدى به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعتزنت في فترة في العبادة نظرت الى احوال محمد بن واسع
والى اجتاده فعملت على ذلك اسموعا إلا أن هذا العلاج قد تعذر إذ قد قدن هذا الزمان من يجتهد
في العبادة اجتهد الأزلين فينبغي أن يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم
ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد المجهد وقد انقضى عنهم وبقى ثوابهم ونعيمهم أبد الأباد
لا ينقطع في أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم فيجمع نفسه أيا ما قلائل بشوات مكثرة
ثم يأتية الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الأباد فعوذ بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من
أوصاف المجتهدين وفصائلهم ما يجزى رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتم العبادة قال الله
تعالى والذين يؤتون ما آتوا فلوهم رجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا
ينجزهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وروى
أن الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفهم شيئا فغافوه وشوقهم الى
شيء فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لورا في عبادى لكانوا اشتد اجتهاداً وقال الحسن
أدركت أقواماً وصحبت طوائف منهم ما كانوا يقرحون بشيء من الدنيا قبل ولا يتأسفون على شيء
منها ادروا وهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطأونه بأرجلكم ان كان أحدكم
لبعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أسر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً
قط وادركهم عاملين بكل ربهم وسنة فيهم اذا جنهم الليل ققيام على أطرائهم فترشون وحوهم
نجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فيكلك ربهم اذا عملوا الحسنه فرحوا بها ودأبوا

في شكره هاوسا لله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنهم وسألوا الله أن يغفرها لهم والله ما زالوا
كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجا إلا بالمغفرة ويحيى أن قوماد خلوا على عمر بن عبد
العزير يعودونه في مرضه وإذا فهم شاب نأحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال
يا أمير المؤمنين أسقام وأمرض فقال سألتك بالله الأصدقتني فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة
الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها وحلاوها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى
عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأطمأت لذلك نهاري وأسهرت ليلي وقبلت حقير كل
ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال أولئك كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز
فقبل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال
إن في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما أنظرت إلى
السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا إلى
أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فالتفت يمينه ولا يسرة فقبل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق
العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغيا رعبا ركبته عليه خطيئة وقالت
أمرأة مسروقة ما كان يوجد مسروق إلا وسأفاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت
لأجاس خلقه فأنكر رحمة له وقال أبو الدرداء لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله
بالمواجر والسجود لله في جوف الليل وبحالسة أقوام ينتقون أطيب الكلام كما ينتقى أطيب الثمر
وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن
قيس يقول لهم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط
فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له إن الله عز وجل لم يأمر بك بكل هذا فقال إنما أنا عبد مملوك
لا أدمع من الاستكانة شيئا إلا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقدم من
رجليه فكان يصلي جالسا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتجى ثم قال عجبت للخلق كيف أرادوا
بك بدلا منك عجبت للخلق كيف أنست بسؤالك بل عجبت للخلق كيف استنارت قلوبها بذكر
سؤالك وكان ثابت البناني قد حجب إليه الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لاحدا أن يصلي
لك في قبره فائذن لي أن أصلي في قبري وقال الجنيد ما رأيت أعبدا من السري أتمت عليه ثمان
ونسعون سنة ما روى مضطجعا إلا في علة الموت وقال الحارث بن سعد مر قوم براهب فرأوا
ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلّموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملافة
الأهوال وهم فالفون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربه في القوم عن
آخرهم وعن أبي محمد الغازي قال جاور أبو محمد الجري بمكة سنة فلم يتم ولم يتكلم ولم يستند إلى
عمود ولا إلى حائط ولم يمتد جلبيه فعبه عليه أبو بكر الكافى فسلم عليه وقال له يا أبا محمد قد قدرت على
اعتكافك هذا فقال علم صدق باطنى فأعانتى على ظاهرى فأطرق الكافى ومشى مفكرا ومن بعضهم
قال دخلت على فيخ الموصلى فرأيت به قدمه كفيه يسبح حتى رأيت الدموع تتحد من بين أصابعه
فدنوت منه فإذا بدموعه قد خالطها صفرة فقلت ولم بالله يا فتى بكيت الدم فقال لولا أنك خلقتني بالله
ما أخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تحلىني عن واجب حق الله تعالى
وبكيت الدموع على أن لا يكون ما صحت لي الدموع قال فرأيت به بعد موة في المنام فقلت ما صنع
الله بك قال غفرتي فقلت له فإذا صنع في دموعك فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتى الدمع على
ماذا أقلت يارب على تحلىني عن واجب حقك فقال والدمع على ماذا أقلت على دموعي أن لا أصح لي فقال

لي يا فتى ما أردت بهذا كله وعزني وجلالي لقد صعد حائطك أربعين سنة بصحبتك ما فيها خطيئة
 وقيل ان قوما أرادوا سفر الخادوا عن الطريق فأتوها الى راهب متفرد عن الناس فتادوه فأنشرف
 عليهم من صومعته فقالوا يا راهب اننا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق ناومأ راهب الى السماء
 ففعل القوم ما أراد فقالوا يا راهب اننا سألوك فهل أنت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثرنا فان النار ان
 يرجع والعمر لا يعود والطالب حيث فجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق قد اعند
 مليحهم فقال على نياتهم فقالوا أو صنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم
 أرشدهم الى الطريق وأدخل رأسه في صومعته وقال عبد الواحد بن مزيد صررت بصومعة راهب
 من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجني فناديته الثانية فلم يجني فناديته الثالثة فأنشرف على
 وقال يا هذا ما أنا براهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمته في كبريائه وصبره على بلائه ورضى
 بقضائه وحده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لفظه وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع
 لمهابته وفقرك في حسابيه وعقابه فها هو صائم وليله قائم قد أسهر ذكرا النار ومسا لئلا يجار فذلك هو
 الراهب وأما أنا فكلب مقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم فقلت يا راهب
 فما الذي قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا أخى لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها
 لانها جعل المعاصي والذنوب والعاقول من رعى بها عن قلبه وتاب الى الله تعالى من ذنبه وأقبل الى ما
 يقربه من ربه وقيل لداود الطائي "لو سرت لحيتك فقال انى اذا الفارغ وكان أو يس القزني يقول
 هذه ليلة الكرم فيجي الليل كله في ركعة واتا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السعد فيجي الليل
 كله في صعدة وقيل لانا بكتاب صفة الغلام كان لا يتبنا الطعام والشراب فقالت له امه لو رقت
 بنفسك قال ارفق اطلب عيني اذهب قليلا واتم طوبى ومسروق فنام قط الاساجد اوقال
 سيفان الثوري عند الصباح بمجد القوم السرى وعند المات بمجد القوم النقي وقال عبد الله بن داود
 كان أحدكم اذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أى كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن
 الحسن يصلى كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقصر على
 خمسمائة ثم كان يسكى ويقول ذهب نصف عملى وكانت ابنة الربيع بن خيثم تقول له يا أبت ما لى
 أرى الناس ينامون وانت لاتنام فيقول يا ابتاه ان أباك يخاف البيات ولما رأت ام الربيع ما بالى
 الربيع من البكاء والسرور انه يابنى لعلى قلت قبيلا قال نعم يا أمه اقلت فن هو حتى نطلب أهله
 فيعقوا عنك فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحلوك وعقوا عنك فيقول يا أمه هى تقضى ومن هرا بن
 اخنوخ قال سمعت خالى بشر بن الحارث يقول لأمى يا اختى جوفى وخواصرى
 تضرب عني فقالت له امى يا اختى تأذن لى حتى اصلح لك قليل حساء فكف دقيق عندى تعسا هرم
 جوفك فقال لها ويحك اخاف أن يقول من اين لك هذا الدقيق فلا أدري ايش أقول له تبكت امى
 ويسكى معها وبكت معهم قال مرورت امى ما يشر من شدة الجوع وجعل ينشفس نفسا ضعفا
 فقالت له امى يا اختى ليت أمك لم تلدنى فقد والله تقطعت كبدى مما ارى بك ففهمته يقول لها وأنا
 قلت امى لم تلدنى واذا ولدتنى لم يدركك ما عالى قال مرورت امى تبكى عليه الليل والنهار قال الربيع
 أثبت أو يسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست وقلت لا أشغله عن تسبيح فكث مكانه
 حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه
 حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فقلت عيناه فقال اللهم انى اعوذ بك من عين
 نومة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى أو يس فقال يا أبا عبد الله

مالي أرا أنه كأنك مريض فقال وما لائس أن لا يصحون مرضا يطعم المريض وأويس غير
طاعم وينام المريض وأويس غيرنا ثم قال أحمد بن حرب يا عجبا لي يعرف أن الجنة ترين فوقه وأن
النار تسرع تحتك كيف ينام بينهما وقال رجل من النساءك أنيت إبراهيم بن ادهم فوجدته قد صلي
الغشاء فعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى نفسه فلم يثقل من جنب الى جنب الليل كله حتى
طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم يتحدث وضوءا فقال ذلك في صدرى فقلت له رحمك الله
قد نمت الليل كله مضطجعا ثم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة أحيانا
وفي أودية النار أحيانا فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني ادر كنت رجلا كان أحدكم يصلي فيجزع من
أن يأتي فراشه الاحياء او قيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش وزل الماء
في إحدى عينيه فكثت عشرين سنة لا يعلم به أهله وقيل كان ورديا في كل يوم وليلة اقرأ فيه قل هو الله أحد أو تلاي
الف مرة أو أقرأ بين ألف مرة شك الراوي وكان منصور بن المعتمر إذا راى فيه قلت رجل أصيب
بجصية منكسر الطرف مخفض الصوت رطب العينين ان حر كته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت
له أمته ما هذا الذي تصنع بنفسك تنكي الليل عاتمة لا تسكت لعلك تأتي أصيبت نفسا لعلك قنلت
قتيلا فنقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى وقيل لعاصم بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل
ونظمه الموارق فقال هل هو الا اني صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك
خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالها ولا مثل النار نام هارها وكان اذا جاء الليل قال
أذهب حر النار النوم فاني نام حتى يصبح فاذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم فاني نام حتى يمسي
فاذا جاء الليل قال من خاف أدج من هذا الصباح بمحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد
القيس أربعين شهرا فإني لم نام بليل ولا نهرا وروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضي
الله تعالى عنه انه قال صليت خلف علي رضي الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انقلع عن يمينه وعليه كآبة
فكثت حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما
أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصحون شعنا غير اصفر اقبأوا الله سجدا وقياماتلون كتاب الله
يرأون حور بين أقدامهم ويصاهاهم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما بمد الشجر في يوم الرمح وهم ملت
أصابعهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان أبو مسلم النخولي قد علق
سوطا في مسجد يته بتوق به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لا زحفت بك زحفا حتى يكون
الكل منك لامي فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من
دائني وكان يقول انظر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يتأمرؤا به دوتا كلا والله لنزاجهم
عليه زحاما حتى يعلوا انهم قد خلقوا وراهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد عدت ساقاه من طول
القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القمامة قد اما وجد مترابدا وكان اذا جاء الشئ اضطجع على
السطح ليشرب البرد واذا كان في الصيف اضطجع داخل البوت ليجد الحر فلا ينام وانه مات
وهو ساجد وانه مكيان يقول اللهم اني احب لقاءك فأحب لقاءي وقال القاسم بن محمد دوت يوما
وكنيت اذا تقدرت بأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فعدت يوما لها فاذ هي تهلى صلاة
الضحى وهي تقرأ في الله علينا وقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الآية فقالت حتى مللت وهي
كاهي فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت
وهي كاهي تردد الآية وتبكي وتدعو وقال محمد بن اسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا

اعتلت احدي قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال بعضهم
ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وحمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم
غيره الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتجسدين أجسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحن
فالنسبهم نوراً من نوره وكان عامر بن عبد القيس يقول الهى خلقتى ولم تؤمرنى وعينتى ولا تعلنى
وخلقت معى عدواً وجعلته يجيرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولا أراه ثم قلت لى استمسكت الهى
كيف استمسكت ان لم تمسكنى الهى فى الدنيا المموم والاخران وفى الآخرة العقاب والحساب فابن
الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صحبات كان اذا صلى العتمة
وضبع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صباح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر
فاذا مضى الثلث الثانى صباح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان الصبح صباح صيحة
قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال لا تنتظر الى صباحه ولكن انظر الى ما كان فيه
بين الصبحين حتى صباح * وعن القاسم بن راشد الشيماني قال كان زمعة نازلاً عند رنا بالحصب
وكان له اهل وسات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى بأعلى صوته اهل الركب
المعسرون اكل هذا الليل ترقدون اذ لا تقدمون فترحلون فينوابون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا
داغ ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح بحمد اقوم
السرى وقال بعض الحكماء ان الله عباداً أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه
ففسلوا الخلق والا امر اليه فسارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتاً للعسكرة وتوابيت للعظمة
وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبولون ومدبرون وقلوبهم تحول فى الملكوت وتولد بحجوب
الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطائف القوائد وما لا يمكن واصفاً ان يصفه فهم فى باطن
امورهم كالدياج حسناوهم فى الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعوا وهذه طريقة لا يبلغ
اليها بالاشكاف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما انا اسير فى بعض جبال
بيت المقدس اذهبت الى وادهاك فاذا انا بصوت قد صلا واذا تلك الجبال تحييه هادوى عال
فانبت الصوت فاذا انا روضة عليا شجر ملتف واذا انا رجل قائم فيها يرذ هذه الآية يوم تجد كل
نفيس ما علمت من خير يحضر الى قوله ويحذرك الله نفسه قال جلست خلقه اسمع كلامه وهو يرذ هذه
الآية اذ صاح صيحة خر مغشياً عليه فقلت واأسفا هذه الشقائي ثم انتظرت افاتته فافاق ببذساعة
فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من امراض
الغافلين ثم قال لك خست قلوب الخاشعين واليك فرغت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب
العارفين ثم نفخ يده فقال مالي والدنيا وما للدنيا والى عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف نعمك الى
حيبك فاذهبي واياهم فاخذى ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة فى التراب يلبون
وعلى الزمان يغنون فادبته يا عبد الله انا منذ اليوم خلقت انظر فراك فقال وكيف يفرغ من
بادر الاوقات ويناديه يخاف سبها بالموت الى نفسه أيم كيف يفرغ من ذهب ايامه وبقيت انا ما
ثم قال أنت لها ولكل شدة اتوقع زولها ثم لما عانى ساعة وقرأ وبالحلم من الله ما يكونوا يحسبون
ثم صاح صيحة أخرى أشد من الاولى وخر مغشياً عليه فقلت قد خرجت روحه قد فوَّت منه فاذا هو
يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خاطرى هب لى اساءة منى فضلك وجللى بسترى واقف عن
دنوبى بكرم وجهك اذ اوقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثوبه الا كتمتى فقال عليك

بكلام من شفعك كلامه ودع كلام من أوقفه ذنوبه أني هذا الموضع مذهب الله أجاهد ابليس
ويجاهدني فلم يجد عونا عليّ أخرجنى مما أنا فيه غيرك قال ليكفتي ياخذوع فقد عطلت على لسان
وميلت إلى حدثك شعبة من قلبي وأنا أعود بالله من شرك ثم أرجو أن يعفني من خطيئة ويغفر
عليّ رحمته قال قلت هذا وليّ الله أخاف أن اشغله فأعاقب في موضعي هذا فأصرفت وتركته
وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في مسيرتي أعملت إلى شعرة لا استريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف
عليّ فقال لي يا هذا قم فإن الموت لم يمت غم هام عليّ وجهه فأتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة
الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أين بما بعد الموت شمير مثر الحذر ولم
يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر إليك وأملأ قلبي من
الحبة لك وأجرتي من ذل التوبيع فدا عندك فقد أن لي الحياة منك وحان لي الرجوع عن الأعراس
عنا ثم قال لولا حلك لم يسعني أجلى ولولا حقوك لم ينسبط فيما عندك أملي ثم مضى وتركني وقد
انسدوا في هذا المعنى

فحيل الجسم مكتئب القواد • تراه بقنة أو بطن واد
ينوح على معاص فاضحات • يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان حاجت مخاوفه وزادت • فدمويه أعنتني يا حمادي
فانت بما ألقيه علم • كثير الصغ من زلل العباد
وقيل أيضا

ألمن التلذذ بالتواني • إذا أقبل في حلل حسان
منيب فر من أهل ومال • يسبح إلى مكان من مكان
لجعل ذكره ويعيش فردا • ونظف في العبادة بالامان
تلذذه التسلا وقابولي • وذكر بالقداد وبالسان
وضد الموت يأتيه بشير • يشر بالعبادة من الحصان
فقدرك ما أروادو ما تخني • من الراحة في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرية يحتم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية الجاهدة فقبل
له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا قبل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقبل
خسون ألف سنة فقال كيف بهز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني انك لو عشت
عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة
لكنك لم تحك كثيرا وكننت بالرغبة فيه جدير فكيف ومركب قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا
كانت سيرة السالف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فهم ما تمردت نفسك عليك وامتنعت
من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة
من اقتدى بهم فهو أضعف في القلب وأبعد على الاقتداء فليس الخبر كالعائنة وإذا عجزت عن هذا فلا
تفعل عن سماع أحوال هؤلاء فإن لم تكن ابل فعزى وخبر نفسك بين الاقتداء بهم والكون
في ذمتهم وغناهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من
أهل عصرك ولا تعرض لها أن تغرط في سلك الحق وتقع بالنسبة بالاعبياء وتؤثر بخلاف العقلاء فإن
حدثت نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقول
لها يا نفس لا تستعسكي أن تكوني أقل من امرأة فأخس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها

ودنياها ولذا ذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روى عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا وصلت
 العتبة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهى قد غارت النجوم ونامت العيون
 وغابت الملوك أبواها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فإذا طلعت
 الفجر قالت الهى هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنا أم
 ردوتها على فأعزى وعزتك لهذا أدبى ودأبك ما أعزنى وعزتك لو انتهرتنى من بابك ما رجحت لما وقع
 فى نفسى من جودك وكرمك وبرورى عن عجرة أنها كانت تحبى الليل وكانت مكشوفة البصر فإذا كان
 فى السحر ناديت بصوت لها تحزون لك قطع العابدون دجى الليل إلى يستيقون إلى رحمتك وفضل
 مغفرتك فيك يا الهى أسألك لا تغيرك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين وأن ترفعنى لذكرك فى هليين
 فى درجة المقربين وأن تطلقنى بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء
 يا كريم ثم تقترس سجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر * وقال يحيى بن إسحاق
 كتبت أشهر رجاس شعوبة فكنت أرى ما تصنع من الشياخو الكاه فقلت لها حبلى لوانيناها
 إذا خلعت فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذلك قال فانيناها فقلت لها لورقت بنفسك
 وأفصرت عن هذا الكاه شيئا فكان لك أقوى على ما تريد من قال فكنت ثم قالت والله لو دوت إلى
 أبسى حتى تنفد دموعى ثم أبكى ما حنى لاتبقي قطرة من دمى فى جرحه من جوارحى وإلى باليكاه
 وأنى لى باليكاه فلم تزل تزد دوائى لى باليكاه حتى عثى عليها * وقال محمد بن معاذ حدثتني امرأة من
 المعتبدات قالت رأيت فى منامى كانى أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن
 أهل الجنة قيام فقال لى قائل خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التى زخرت الجنان لقدومها فقلت
 ومن هذه المرأة أقبل أمة سوداء من أهل الأبيكة قال لها شعوبة قالت فقلت أختى والله قالت فيخبرنا
 أنا كذلك إذا أقبل بها على تخيبة تطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديت يا أختى أما تزين مكافى من
 مكانك فلودعوت لى مولاك فألحقنى بك قالت فتبسمت لى وقالت لم يأن لقدومك ولحسن
 أحفظى منى اثنتين إلى زى الحزن قلبك وقدمى بحبة الله على هواك ولا يضر لك منى م * وقال عبد
 الله بن الحسن كانت لى جارية رومية وكنت بها مغيبة فكانت فى بعض الليالى نائمة إلى جنبى فأنهت
 فالتفت فلم أجد لها ففت أظلم فأخاذا هى ساجدة وهى تقول بحمك لى الاما فترت لى ذنوبى فقلت لها
 لا تقولى بحمك لى ولكن قولى بحمى لك فقالت لا يا مولاى بحمى لى أخرجنى من الشر لى إلى الاسلام
 وبحمى لى أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام وقال أبوها شام القرشى قدمت علينا امرأة من أهل اليمن
 يقال لها سيرة فترلت فى بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل انينا وشهة فقلت يوما لما دمت لى
 أشرف على هذه المرأة . ذاتنص قال فأشرف عليها فأفادها فتصم شيئا غير أهم إلا تزد طرفها عن
 السماء وهى مستقبلة القبلة تقول خاتمت سيرة ثم غدت بها بنعمت من حال إلى حال وكل أحوالها
 حسنة وكل بلائها عند حاجيل وهى مع ذلك متعززة لهضطك بالتوب على معاصبك قلته بعد
 قلته أترأها تظن انك لا ترى سوء فعلمها وأنت علم خير وأنت على كل شئ قدير * وقال ذو النون
 المصرى خرجت ليلة من وادى كعان فلما علوت الوادى إذا أسودا مقبل على وهو يقول ويداهم من
 الله ما لم يكونوا يحسبون ويسكى فلما قرب منى السواد إذا هى امرأة عليها جبة صوف وبدها كوة
 فقالت لى من أنت غير فرقة منى فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غريب قال
 فكنت لقلوطا فقالت لى ما الذى أنكلك فقلت قد وقع الدواء على داء قد قرص فى فخاها قالت
 فان كتبت صاد قائم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يسكى قالت لا قلت وذلك قالت لان البكاه

راحة القلب فسكت متعباً من قولها وقال أحمد بن علي "استأذنا على عفيفة فحبستنا فلا زمننا الباب
فما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعناها وهي تقول اللهم اني أعوذ بك من جاء بشغلي عن ذكرك
ثم فتمت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعي لنا فقامت جعل الله قرأنا في بيتي المغفرة ثم
قالت لتأمكت طء السلي أربعين سنة فكان لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فغرم نفسها
عليه فأصابه قتي في بطنه فبالت عفيفة اذ ارفعت رأسها لم تعص وباليها اذا عصت لم تعد وقال
بعض الصالحين خرجت يوماً الى السوق ومعها جارية حبشية فاختبستها في موضع ضاحية السوق
ودهمت في بعض حوائجها وقلت لا تبرحني حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم أجد لها في الموضع
فانصرفت الى منزلي وأنا شديد الغضب عليها فلما رأته عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي
لا تقل علي انك اجلسني في موضع لم أرقه ذاكر الله تعالى ففقت أن يخسف بذلك الموضع فبهت
لقولها وقلت لها انت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي اجران وأما الآن
فقد ذهب عني أحدهما * وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها برة تعبدت وكانت
كثيرة القراءة في المصحف فكلما أنت علي آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عنها
من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعلمها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا
يا برة كيف أصبحت قالت أصبحتنا أضيا فأنصحين بأرض غربة ننتظر مني ندعي فحبس فقلنا لها
كم هذا البكاء قد ذهب عناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فأنصرا ههما ما ذهب منهما
في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فزيد هما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت قال فقال القوم قوموا
بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه * وكانت معاذة العدوية اذا جاءها النهار تقول هذا يوم الذي
أموت فيه فأنظف حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي أموت فيها تصلي حتى تصبح *
وقال أبو سليمان الداراني بيت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقت انال الى ناحية من البيت فلم
تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قواني قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن تصوم له
عذو كانت شعوانة تقول في دعائها الى ما أشوقني الى لقاءك وأعظم رجائي لجزائك وأنت الكريم
الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يسل عندك شوق المشتاقين الى ان كان دنا اجلي ولم يقرني
منك حملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل علي فان عفوت فن أولى منك بذلك وان عذبت
فن أصدل منك هنالك الى قدرتي على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالو لها ان لم
أبعدها الى انك لم تزل لي بر الأيام حياتي فلا تقطع عني ترك بعد حماي ولقد رجوت من قولاني
في حماي بحسانته أن يسعني عند حماي بغيره الى كيف أبأس من حسن نظرك بعد حماي ولم تولني
الا ليل في حياتي الى ان كانت ذنوبي قد أحانتني فان محبتك قد أجارتني فتول من أمرى ما أنت
أهله وعد فضلك على من غره جهله الى لو أردت اهانتي لما هديتني ولو أردت فضيحي لم تسترني
فتعني بماله هديتني وأدم لي ما به سترتني الى ما أظنك تزدني في حاجة اقتبت فيها امرئ الى لولا
ما قارنت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك * وقال الخواص
دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسوأت وبكت حتى عبت ووصلت حتى أقعدت
وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيئاً من الغلو فلو ن عليها الامر قال فشهقت ثم قالت
علي نفسي قرع فؤادي وكلم كبدي والله لو ددت أن الله لم يخلقني ولم أكن شيئاً من كورا ثم أقبلت
على صلاتها فاعلم ان كنت من الرابطين المراقبين لنفسك أن تظال أحوال الرجال والنساء من
المتجدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واباك أن تنظر الى أهل عصرك فانك ان قطع أكثر من

في الارض بصلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للعتبروان أردت
 مزيدا فانيك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة
 والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان
 حدثت نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما تبسرا الخيري في ذلك الزمان لكثرة الاموان والآن
 فان خالفت اهل زمانك راو لك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجري عليك الا
 ما يجري عليهم والمصيبة اذا امت طابت فايك ان تشد لي بجمل غرورها وتقدر بترويرها وقل لها
 ارايت لو هيتم سبل جارف يفرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة
 الحال وقد رت انت على ان تغارقهم وتركي في سفينة تظلمين بهامم الفرق فهل يتجمل
 في نفسك ان المصيبة اذا امت طابت أم تتركين موافقتهم وتسهلينهم في صنيعهم وتأخذين حذر
 مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الفرق وعذاب الفرق لا تتبادى الاساعة فكيف
 لا تهربين من عذاب الابد وانت متعززة له في كل حال ومن أين تطيب المصيبة اذا امت ولا هل
 الذار شغل شاغل من الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الصكفار والجماعة اهل زمانهم
 حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون فليكن اذا اشتغلت بجماعة نفسك
 وحملها على الاجتهاد فاستعصمت ان لا تترك معانيها وتوحيها وتقرعها وتعرفها سوء نظرها
 لنفسها معانها تخرج عن طغيانها

(المرايطة السادسة) في توبيع النفس ومعانيها

اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارا بالسوء مبالاة الى الشر فترارة من
 الخبيرة أمرت بتركها وتقو بها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقتها ومعها من
 شهواتها ونظامها من لداتها فان اهماتها جمعت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيع
 والمعابة والعدل والمالمة كانت نفسك هي النفس الاقامة التي أقسم الله بها ورجوت ان تصير
 النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمره عباد الله راضية مرضية فلا تغفل ساعة عن
 تذكرها ومعانيها ولا تشتغل بغيرك مالم تشتغل أو لا بوعظ نفسك أو حي الله تعالى الى عيسى
 عليه السلام يا ابن مريم عظم نفسك فان اقتطعت فقط الناس والافاستحي مني وقال تعالى وذو قران
 المذكرى تنفع المؤمنين وسيلك ان تقبل عليها فتقرر عند حاجتها وغبائها وانها ابدا تنعز
 بظننها وهدايتها وتستند فيها واستنكفها اذا نسبت الى الحق فتقول لها انفس ما أعظم جهلك
 تدعين الحكمة والذكا والفتنة وانت أشد الناس غبا وحقا أما تعرفين ما بين يدك من الجنة
 والنار وانت صائرة الى احداهما على القرب فالك تفرحين وتخصيكن وتشتغلين باللهو وانت
 مطلوبة لهذا انطرب الجسم وعساك اليوم تحتطفين أو غدا أو الزين الموت بعيد او ابراه الله
 قريبا أما تعلمين ان كل ما هوأت قريب وأن البعد ما ليس بات أما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من
 غير تدبير رسول ومن غير مواعدة وموالة وأنه لا يأتي في شيء دون شيء ولا في شئ دون صيف
 ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصمادون الشباب ولا
 في الشباب دون الصبايل كل نفس من الانفس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة فان لم يكن الموت
 فجأة فيكون المرض فجأة ثم يقضى الى الموت فالك لا تستعين للموت وهو أقرب اليك من كل قريب
 أما تتدبرين قوله تعالى اقرب للناس جسامهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم
 محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراتك على معصاة الله

لاعتقادك أن الله لا يراك فأعظم كفرك وإن كان معك باطلاعه عليك فأشد وقاحتك وأقل
حيائك ويحك يا نفس لو واجهك صيد من صيدك بل أخ من أخوانك بما تكرهينه فكيف كان
فضيلك عليه ومقتله قبأي جسارة تتعرضين لقتل الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين أنك
تطيقين عذابه هيئات هيات جرئتي نفسك أن أهلك البطر عن ألم عذابه فاحتبسي ساعة
في الشمس أو في بيت الحمام أو قربى اصبعك من النار ليقين لك قدر طاقتك أم تقترين بكرم الله
وفضله واستغفائه من طاعتك وعبادتك فألك لا تقولين على كرم الله تعالى في معصيتك دنيا فإذا
فصدك عدو فلم تستعطين الخيل في دفعه ولا تنكبينه إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقتك حاجة إلى
شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضى إلا بالدينار والدرهم فالك تزعين الروح في طلبها وتخصيلها
من وجوه الخيل فلم لا تقولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يضر عبدان صبيده فيجعل
الك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب القهسيين أن الله كرم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت
أن سنة الله لا تبدل لها وإن رب الآخرة والدين واحد وإن ليس للإنسان إلا ما سعى ويحك يا نفس
ما أعجب تألق ودعائك بالباطل فانك تدعين الإيمان بلسانك وأمر النفاق ظاهر عليك أي قل لك
سيدك وعولك وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وقال في أمر الآخرة وإن ليس للإنسان إلا
ما سعى فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأهلك وأصبحت
تتكلمين على طلبك تكالب الدهوش المستهزؤ كل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها أراض
المغرور المستعقر ما هذا من علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان المنافقون في الدرك
الأسفل من النار ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وأتظنين أنك إذا ماتت انفلت
وتخلصت وهيئات أفتجيبين أنك تتركين سدي ألم تكوني نطقة من مني غشي ثم كنت حلقة فطلق
فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الوفي فإن كان هذا من اضمارك فأأكفرك وأجهلك أما
تتفكرين أنه ماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أمانك فأفكرتك أنك قد كذبته
في قوله ثم إذا شاء أن يشركه فان لم تكوني مكذبة فالك لا تأخذين حذررك ولو أن يهوديا أخبرك في الذ
أطعمتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وحاهدت نفسك فيه أن كان قول الأنبياء
المؤيدين بالمجربات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يضرك من حدس
وتحسين وطن مع نقصان عقل وقصور علم والجهل أنه لو أخبرك فأقل بأن في ثوبك عقرب بالرميت ثوبك
في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أن كان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل
عندك من قول صبي من جملة الأغبياء أم صار حردتهم وأغلاهاوا أنك لها وز قومها ومقامها
وصددها وسمومها وأفاعها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحسب بالها الأيوما وأقل منه
ما هذه أفعال العقلاء بل لو أنكشف للها ثم حالك لضكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس قد
عرفت جميع ذلك وأمنت به فألك تسوقين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يمتطقك من غير مهلة
فماذا أمنت استسهال الأجل وهيك أنك وعدت بالأمهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة
في حضيض القبة يغرق وقد رص على قطع القبة بها أن ظننت ذلك فأعظم جهلك أرأيت لو سافر
رجل ليتفقه في الفرية فأقام فيها سنين منقطلا لبطا بعد نفسه بالثقة في السنة الأخيرة عند رجوعه
إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تفقه النفس مما يطعم فيه بمدة قربة أو حسنة
أن مناصب الفقهاء تتال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب أن الجهد في آخر العمر نافع
وأنه موصل إلى الدرجات العلاء فعمل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان أوحى اليك

بالامهال فالمانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا يجزك عن مخالفة
 شهواتك لما فيها من التعب المشقة أنت تظن ان وما ياتيك لا تسرفه مخالفة الشهوات هذا يوم
 لم يخلفه الله قط ولا يخلفه فلا تكون الجنة قط الا بحقوقها بالمكارة ولا تكون المكارة قط خفيفة على
 النفوس وهذا احتمال وجوده اما ما تملين مذ كم تعدن نفسك وتقولين غدا اغد اقدحاهم الغد وصار
 يوما فكيف وجدته اما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس لابل يجز عن غده
 اليوم فان غدا صه اعجزوا عجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فاذا عجز العبد
 عن قلعها المضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فآخرها الى سنة اخرى مع العلم
 بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا يزيد القالع ضعفا وهما لا يقدر عليه في الشباب
 لا يقدر عليه قط في السبيل بل من العناء باضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والتضيق
 الرطب يقبل الانحاء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا اكدت انبتها النفس لا تفهمين
 هذه الامور الجلية وتركن الى التسويف فما بالك تدعين الحكمة واية حماقة ترد على هذا الحماقة
 وعلقت قولين ما معني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام
 والمشقات فما اشد تعبنا وتلك اقمع اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التمتع بالشهوات
 الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الا باد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهواتك
 فالنظر لحاف في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشارة عليه الطبيب بترك
 الماء البارد ثلاثة ايام ليصح وينشأ بشر به طول عمره واخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا
 ضرما وامتنع عليه شربه طول العمر فامتنع في العقل في قضاء حق الشهوة ابصر ثلاثة ايام ليزين
 طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه ألم المخالفة ثلثية يوم
 وثلاثة ايام يروم جميع حرك بالاضافة الى الابد الذي هو ممتدة نعم أهل الجنة وعذاب أهل النار
 أقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات
 أعظم شدة أو طول مدة أو ألم النار في دركات جهنم فن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق
 ألم عذاب الله ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي أو لحن جني أو ما الكفر الخفي فهو
 ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب وأما الحن الجني فاعتمدك
 على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكروه واستدراج واستغناء عن عبادتك مع أنك
 لا تعبدن على كرمه في لمة من الخبز أو حبة من المال أو كلفة واحدة تسمعها من الخلق بل تتوسلين
 الى عرضك في ذلك بجميع الحيل وهذا الجهل تستعين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحسن من أنس نفسه هوها وتني على
 الله الاماني ويحك يا نفس لا ينبغي أن تترك الحياة الدنيا ولا يترك بالله الغرور فانظر لك نفسك فما
 أمرتك بهم لغيرك ولا تضيعي أو فأنك فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك
 فاعتني بالصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل
 الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها فانفس اما تستعدن للثناء بقدر طول مدته ففهمين له
 القوت والكسوة والخطب وجميع الاسباب ولا تتكلمين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يرفع
 عنك البرد من عرجة ولبدو خطب وغر ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين انبتها النفس ان زهر بر
 جهنم اخف ردا أو اقصر مدة من زهر بر الشتاء ام تظنين أن ذلك دون هذا كلا أن يكون هذا
 كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة في الشدة والبرودة افتظنين أن العبد يخبر عنها بغير سمي هيات

كلا يندفع رد الشتاء بالاجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وردها الا بحسن التوحيد
 وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى في أن عزك طريق الحصن ويسرك أسبابه لاني أن يدفع
 عنك العذاب دون حصنه كأن كرم الله تعالى في دفع رد الشتاء أن خلق النار وهذا الطريق
 استخراجها من بين حديدية وجرحتي تدعي بهارد الشتاء عن نفسك وكأن شره الحطب والجبنة
 ما يستغنى عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعتك
 ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن أحسن قلبه ومن أساء فعلها
 والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعى عن جهلك وقيسى آخرتك بدياك فاخلقك ولا يشكم
 الا كنفس واحدة وكذا أنا أول خالق نعيده وكذا كم تعودون وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلا
 ولا تحو ولا يوحك يا نفس ما أراك الا ألفت الدنيا وأنت بها فصر عليك مفارقتها أو أنت مقبلة على
 مفارقتها توكدني في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة
 وأحوالها فإنت مؤمنة بالموت المفارق بينك وبين محابك أقترن أن من يدخل دار ملك يخرج من
 الجانب الآخر فتهبصره الى وجهه ما لم يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لاجل الى مفارقتها أهو
 معدود من العقلاء أم من الحي أم العالين أن الدنيا دار للملك الملوك ومال فيها الامجاد وكل ما فيها
 لا يصعب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث
 في روعي أحيب من أحببت فانك مفارقه واهمل ما شئت فانك مجزى به ومشم ما شئت فانك ممت
 ويحك يا نفس أما تعلمين أن كل من يلفث الى ملاذ الدنيا وألنس بها مع أن الموت من ورثه فانما
 يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري أو ماتتظن الى الذين
 مضوا وكيف بنوا وعملوا ثم ذهبوا واخلوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم أما ترى بهم
 كيف يجمعون مالا لا يكون وينتجون مالا يسكنون وبأملون مالا يدركون يدي كل واحد فمرا
 مر فوعا الى جهة السماء ومقرة قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق وانت كاس أعظم من هذا
 يجر الواحد نساء وهو مرتحل عنها يتيها ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعاً ما تستعين يا نفس
 من مساعده هؤلاء الخلق على حماقتهم واحسبي انك لست ذات بصيرة تهتدي الى هذه الأمور وانما
 تميلين بالطبع الى التشبه والاقداء فقيدي عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على
 الدنيا واقتدي من القريبين بمن هو عقل عندك ان كنت تعتقد في نفسك العقل والذكاء يا نفس
 ما أعجب أمرك واشد جهلك وأظهر طغيانك عجبك كيف تجهين عن هذه الأمور الواضحة الجلية
 وأهلك يا نفس أسكرتك حب الجاه وأذهلك عن فهمها أو ماتتفكرين أن الجاه لا معنى له الا مبل
 القلوب من بعض الناس البك فاحسبي أن كل من على وجه الأرض بعدك وأطاعك أفا تعرفين
 انه بعد خمسين سنة لا تبقى أنت ولا أحد من على وجه الأرض بعدك وسجد لك وسيأتى زمان
 لا يبقى ذكرك ولا ذكركم ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد
 أو تسمع لهم ركزا وكيف تبعين يا نفس ما يبقى أبداً لا يبقى أكثر من خمسين سنة ان بقي
 هذا ان كنت ملكاً من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك القاب وانتضمت
 لك الانساب وكيف يأتي ادبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلاً عن محلتك
 فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وحبي بصيرتك فانك لا تتركينها ترغفا
 عن خمسة تركها وترغها عن كثرة عناها وتوقان من سرعة فنائها ما لك لا تتردد في قلبها بعد
 أن زهدت فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تتخلو بملك من جماعة من اليهود

والجور يسبقونك أو يزيدون عليك في تعيها وزيتها فأفد الدنيا بسبقك لها ولا الاخساء
 في أجلك وأخس همتك وأسقط رأيك أدر عبت عن أن تكون في زمره المقربين من النبيين
 والصديقين في جوار رب العالمين أبدأ بالدين لتكون في صف النعال من جملة الحق الجاهلين أيا ما
 قلنا فلما حسرت عليك ذخسرت الدنيا والدين فبادري وبحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك
 واقترب الموت وورد النذير فن ذاصلي عنك بعد الموت ومن ذاهبوم عنك بعد الموت ومن ذابترضى
 عنك ربك بعد الموت وبحك يا نفس مالك الأيا م معدودة هي بضاعتك ان تجرت فيها وقد ضعت
 أكثرها فلو بكت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت
 البقية وأحسرت على عادتك أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك
 والدود أئسك والفرع الأكبر بين يديك أما علمت يا نفس أن عسكر الموت عندك على باب البلد
 ينتظرونك وقد آو على أنفسهم كلهم بالآيمان المظلمة انهم لا يرحون من مكانهم ما لم يأخذوك معهم
 أما تعلمين يا نفس انهم يمتدون الرجعة الى الدنيا بما لا يشغلوا ابتدأوك ما فرط منهم وانت في امنيتهم
 ويوم من عمرك لو بسع منهم بالدين بما يخذافرها لا شتره ولو قدر واعليه وانت تضعين يامك في الغفلة
 والبطالة وبحك يا نفس أما تسخين ترين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعلم انفسعين
 من الخلق ولا تسخين من الخلق وبحك اها هو الناظرين عليك انما من الناس بالخير وأنت
 متلطفة بالزائل تدعين الى الله وانت عنه فارتد كرم بالله وانت له ناسية أما تعلمين يا نفس أن
 الذنوب أنتم من العذرة وان العذرة لا تظهر غير هاتلم قطعين في تطهير غيرك وأنت غريبة في
 نفسك وبحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لطنت أن الناس ما يصيبهم بلاء الا بشؤمك
 وبحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لا بليس يقولك الى حيث يريدو يسخر لك ومع هذا تجهين
 بجهلك وفيه من الآفات ما لو تحوت منه رأسا برأس لكان الرجح في يدك وكيف تجهين بجهلك مع
 كثرة خطاياك وزلك وقدر الله باليس بخطئة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة وأخرج
 آدم من الجنة بخطئة واحدة مع كونه نبيه ووصفه وبحك يا نفس ما اغدرك وبحك يا نفس ما
 أوتقك وبحك يا نفس ما اجهلك وما اجرأك على العاصي وبحك كم تعدين قنقنضين وبحك كم تعدين
 قنقندين وبحك يا نفس أنت تغفلين مع هذه الخطايا بعمارة نياك كانتك غير مر بخلة عنها أما تنتظرين
 الى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا ونوا مشيدوا وأملوا بعد افاصح جمعهم برورا بنيانهم قبورا
 وأملهم غرورا وبحك يا نفس أما لك بهم صبرة أما لك بهم نظرة أنتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من
 المخددين هيات هيات ساء ما توهمين ما أنت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابني
 على وجه الارض قمرك فان يطنها ص قليل يكون قمرك أما تخافين اذا باغت النفس منك التراقي
 أن تسد ورسلك مخدرة اليك بسواد اللون وكلح الوجوه بشرى بالعذاب فهل يتفعل حينئذ
 الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والحبب كل الحبب منك يا نفس انك مع هذا تدعين
 البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تقرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بقصصان عمرك وما تقع
 مال يزيد وعمر ينقص وبحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وقبيلين على الدنيا وهي
 معرضة عنك فكمن مستقبل يوما لا يستكملهم وكمن مؤمل لغدا لا يلقاه فأنت تهاهدين ذلك
 في اخوانك وأقاربك وحيروا نك قترين تحسهم عند الموت ثم لا ترحمين عن جهالتك فاحذري أيها
 النفس المسكينة وما إلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره في الدنيا وما حتى يسأل عن عمله
 دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري يا نفس بأي بدن تقفين بين يدي الله وأي لسان تبينين

وأعذني للسؤال جواباً والجواب صواباً واعلمي بقيمة عرك في أيام قصار لا يام طوال وفي دار زوال لذار
مقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعلمي قبل أن لا تهمل آخر جى من الدنيا اختياراً وخروج
الارحار قبل أن تخرج منها على الاضطراب ولا تفرجى بما ساعدك من زهرات الدنيا قرب سرور
مجنون ورب مغبون لا تشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر بفحك ويقرح ويا هو ويا مسرور ويا كل
ويشرب وقد حق له في كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتباراً واسعاً
لها اضطراباً ورفضاً لها اختياراً وطولك للآخرة ابتداءً واولاً تكون في تمن بهز عن شكرها أو في بيتي
الزيادة في ما بقي وينهي الناس ولا ينهي وأعلى يا نفس انه ليس للدين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد
خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فانه يفتنى يا نفس هذه الموعظة وأقبل
هذه النصيحة فان من أعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها راضية ولا هذه الموعظة
واعة فان كانت التساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل
فيها نواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة الخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام والطف
بالإيتام فان لم تزل فاعني أن الله قد طبع على قلبك واقل عليه وانه قد تركت طفلة الذنوب على
ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً
فكل ميسر لما خلق له فان لم يسر فيك جمال للوعظ فاقطعي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبر
هو بالله من ذلك فلا تسبل لك الى القنوط ولا تسبل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك
فان ذلك اغترار وليس رجاء فأنظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها
وهل تسمع منك بدعة رحمة منك على نفسك فان سمعت فاستغنى الدعاء من بحر الرحمة فقد بقي
فك موضع الرجاء فواظبي على التباحة والبكاء واستغنى بأرحم الراحمين واشتغلي الى اكرم
الآكرمين وأدمني الاستغاثه ولا تمل طول الشكايه لعله أن يرحم ضعفك ويشفك فان مصيبتك
قد عظمت وبلبتك قد تفاقمت وغادبك قد طال وقد انقطع منك الحبل وراحت عنك الحال
فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجأ الا الى مولاك فأنزعي اليه بالنصرع
واخشعي في نصرك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الدليل وفيث
الطالب المتلهف ويحب دعوة المضطر وقد أصبحت اليه اليوم مضطراً وتوالي رحمته محتاجة
وقد ضاقت بك السبل وانستدت عليك الطرق وانقطعت منك الحبل ولم تنصع فيك العظات
ولم يكسر لك التوبخ فالمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به برؤف والرحمة واسعة
والكرم فاذن والعفو شامل وقولي بأرحم الرحمن يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم
أنا المذنب المصير أنا الجريء الذي لا اقلع أنا المتكادي الذي لا استحي هذا مقام المتضرع المسكين
والبائس الفقير والضعيف الحقير والخالق الضيق فبصل اغاثني وفرجى وورثي آثار رحمتك
وأذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا أرحم الراحمين اقتد يا بيك آدم عليه السلام
فقد قال وهب بن منبه لما هبط الله آدم من الجنة الى الارض مكث لا ترق له دعة فاطلع الله عز
وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظم منكسر رأسه فأوحى الله تعالى اليه يا آدم ما
هذا الجهد الذي اري بك قال يا رب غظمت مصيبتى وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت
ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي
دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف
لا ابكي على خطيئتي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم ألم أصطفك لنفسى وأحللتك دارى وخصصتك

بكرامتي وحذر تلك سخطي ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي وأسعدت لك ملائكتي
فصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لوملائ الأرض رجالا كلهم
مثلك بعدوني ويسعونني ثم عصوني لا تزلهم منازل العاصين فيكي آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة
عام وكان عبيد الله الجليل كثيرا البكاء يقول في بكائه طول لياليه أيا الذي كلما طال عمرى زادت ذنوبي
أيا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى وأعيدها خطيئة لم تزل وصاحباني طلب
أخرى وأعيدها أن كانت النارك مقبلا وماوى وأعيدها أن كانت المقامع رأسك نهيا وأعيدها
فصيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وقال منصور بن حازم سمعت في بعض الليالي
بالسكوفة عابدا ينادي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك فخالفتك ولا عصيتك إذ
عصيتك وأنا بما كنت جاهلا ولا أعقبوك بترك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سؤلت في نفسي
وعائنتني على ذلك شقوني وغرتني سترك المرخي على فقصيتك يجهي وخالفتك بفعلي في عذابك الآن من
يستغفرني أو يجبل من اعصم أن قطعت حملك عني وأسوأنا من الوقوف بين يديك غدا إذا قيل
للتفنين جوز وأقول للتفنين حطوا أجمع الخفين أجوز أجمع المنقلين أخط وبلي كلما كثرت سني كثرت
ذنوبي وبلي كلما طال عمرى كثرت معاصي فألى متى اتوب إلى متى أهودأ ما آت لي أن استقي من ربي
فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معانة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء
ومقصد هم من المعانة التنبية والاسترعاء في اهل المعانة والمناجاة **هـ** لكن لنفسه مرصيا
وبوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام ثم كتاب الحاسبة والمراقبة يتلوه كتاب التفكير
إن شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

﴿ كتاب التفكير وهو الكتاب التاسع من ربيع الخفيات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي لم يقدر لانهاء عزته نخو ولا قطرا ولم يجعل لمرأى اقدام الاوهام ومرعى سهام الانهزام
الى حي عظمتهم يحمرى بل ترك قلوب الطالبين في بيدها كبرياؤه والهة حيرى كلما اهترت لئيل
مطلوبه اذ تهاجمت الجلال قسرا واداهمت بالانصراف آتية نوديت من سرادات الجمال صبرا
صبرا ثم قيل لها جئني في ذل العبودية منك فكبرا لانك لو تفكرت في جلال الربو يقيم تقدرى
له قدرا وان طلبت وراء الفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله تعالى وأياديه كيف توالى
عليك نمرى ووجدت لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأنى في بحار المقادير كيف فاضت على
العالمين خباياها ورفعا وضرا وعسرا ووسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطبا ونسرا
وابنا وكفرا وعرفانا ونكرا فان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت
أمرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حذافة البشر طلبا وجورا فقد انهرت العقول دون
مبادئ اشراقها وانتكست على أعقابها اضطرا او قهرا والصلاة على محمد سيد المرسلين وان كان
لم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عذرة وذخرا وعلى آله وأصحابه الذين
أصبح كل واحد منهم في سماه الذين يدرا وطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا
(أما بعد) فقد وردت السنة بأن تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحديث في كتاب الله تعالى على
التدبر والاعتبار والتفكر والافتكار ولا ينبغي أن التفكير هو فتح الأنوار ومبدأ الاستبصار
وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والتهويم وأكثر الناس قد عرفوا فضله وربته ولكن
جهلوا حقيقة وغرته ومصدره ومورده ومجرأه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم أنه كيف

يتفكر وفيما اذا تفكروا ماذا تفكروا وما الذي يطلب به أهو امر ادلعيه ام لثمة تستفاد منه فان كان
الثمة فالتا لثمة أهى من العلوم أو من الأحوال أو من ساجيعا وكشف جميع ذلك مهم ومن
تذكر أو لا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

﴿فضيلة التفكر﴾

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه
وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال
فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان ههنا المغرب ارضا بيضاء نورها يياضها
وبياضها نورها ومهارة الشمس أربعين يوما ما خلق من خلق الله عز وجل لم يعص الله طرفة عين قالوا
يا رسول الله فابن الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا لم ولد آدم قال لا يدرون
خلق آدم ام لا وعطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمر الى عائشة رضى الله عنها فكلمنا وبيننا
وبينا حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زيارتنا
حجاب قال ابن عمر فآخبرنا بأعجب شيء رأيناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكيت وقالت كل
امرأة كان محبا أنا في ليلى حتى مس جلده جلدي ثم قال ذر بني اتعبد لي عز وجل فقام الى القرية
قوضا منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم جدد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى
بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد عظم الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى على في هذه السلسلة ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل
للاذاعي ما غلبه التفكر فنهى قال يقرؤهن ويقولهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة
ركب الى أم ذر بعد موت أبي ذر فساء لها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية البيت
يتفكرو عن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضل قال التفكر مرة تركك حسنا ترك
وسميتك وقبل لا برهم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة تخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما
يتأمل يقول القائل

اذ المرة كانت له فكرة * ففي كل شيء له مبرة

ومن طلاس قال قال الخواريزمي لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من
كان منطقتك ذكرا وصحته ففكر او نظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو
ومن لم يكن سكوتة تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو طهو وفي قوله تعالى سأصرف عن
آياتي الذين يشكرون في الارض بغير الحق قال أمتنع قلوبهم التفكر في أمرى وعن أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم خطها من العبادة فقالوا يا رسول الله وما خطها
من العبادة قال النظر في المصنف والتفكر فيه والاعتبار بعنده عجائبه وعن امرأه أة كانت تسكن
البادية قريسا من مكة انها قالت لو تظالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد آذخرها في حجب الغيب
من خير آخر لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عيش وكان لقمان يطيل الجلوس وحده
فكان يمر به مولاة فيقول يا لقمان انك قد عجزت الجلوس وحده فلو جلست مع الناس كان أنس لك
فيقول لقمان ان طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه

ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العباد قال عبد الله بن المبارك يوم السهل بن علي ورواه كاتم الفكر ابن بلنت قال الصراط وقال بشر لوتفكر الناس في عظمة الله ما عصفوا الله عز وجل ومن ابن عباس زكمان مقصدان في تفكيره من قيام ليلة بالقلب وبيننا انوش ربح بمشي اذ جلس ففتح بكسائه فجعل يسي قبل ما يمشي قال تفكرت في ذهاب عمرى وقلة على واقترب اجلي وقال ابو سليمان صودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكير وقال ابو سليمان التفكير في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن المذ كزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكير في الخير يدعو الى العمل به والتدبر على الشر يدعو الى تركه وروي أن الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان أهل العقل لمزوا بهودون بالذ كر على الفكر وبالفكر على المذ كرحى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحاق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قراء تفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويسبي حتى وقع في دار جاره قال قوتب صاحب الدار من فرأه هريانا وبيده سيف ونظر انه لص فلما انظر الى داود رجوع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع العقدة في ميدان التوحيد والتدبر بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال بالهام من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألهه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعنوا على الكلام بالصمت وعلى الاستباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والتدبر قوة والفكر يكشفان عن الخزم والظننة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة تفكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تسمع وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها الشهوة والثالثة القوة وقوامها الغضب والرابعة العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقةها وبيان

بحارها

أعلم أن معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله أن من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالآثار من العاجلة فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالآثار من الدنيا فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فعمل بعمله الى ابصار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني أن يعرف أن الابنق أولى بالآثار ثم يعرف أن الآخرة ابني فيحصل له من هاتين المعرفتتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالآثار ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالآثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتتين السابقتين في القلب لتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكر او نظرا وتأملا وتدبرا أما التدبر والتأمل والتفكير فمعارات مترادفة على معنى واحد ليس بينها معان مختلفة وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان أصل المسمى واحدا كما أن اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه

والسيف يدل دالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزائدة فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبرنهما الى معرفة ثالثة وان لم يقع العبور ولم يمكن الوقوف على العرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لاسم الاعتبار واما النظر والتفكير فقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فن ليس بطلب المعرفة الثالثة لاسيما نظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكر فائدة التذكر ان تكرر المعارف على القلب لترسخ ولا تستعجى عن القلب وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكير والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة تحتاج المعرفة فانما حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا استدادى النتائج وتتمادى العلوم وينمادى الفكر الى غير نهاية وانما تستد طرقي زيادة المعارف بالموت أو بالعوائق هذا الما بقدره على استعمار العلوم ويمتد الى طريق التفكير واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقد هم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استثمارها وتأنفها وإيقاع الازدواج المفضي الى النتائج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون نور الهى في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم التفكير قد تحضر هذه المعارف وتصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الإرادة فكيف من انسان يعلم أن الآخرة أولى بالاشتغال حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراد والتعبير عنه مع أنه لم يحصل معرفته الا عن العرفتين السابقتين وهو أن الابن أولى بالاشتغال والآخرة ابني من الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالاشتغال فرجع حاصل حقيقة التفكير الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة واما ثمرة التفكير فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرة الخاصة للعلم لا غير ثم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذ تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخبرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكير وانه خير من المذكر والتذكر كرات الفكر كذا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من المذكر فاذ التفكير أفضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكرو ساعة خير من عبادة سنة فعمل هو الذي ينقل من المنكارة الى المحاب ومن الرذيلة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا وان أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فان التفكير فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالاشتغال فادرسنت هذه المعرفة بقتنا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والهدى في الدنيا وهذا ما عايناه بالحوال اذا كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة من الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة أعمال الجوارح في أطراح الدنيا والقبال على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات أولاها التذكر وهو احضار العرفتين في القلب وتأنفها التفكير وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح القلب بحسب ما يجتهد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضي بها

الموضع فصار العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنهض الاعضاء للعمل فكذلك زائد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين العرقين كيجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفاً مخصوصاً كما يضرب الحجر على الحديد يضرر بالتخصص فينبعث نور المعرفة كانبعث النار من الحديد ويغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يغير البصر نور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينهض العاجز عن العمل بسبب الظلة للعمل عند دارك البصر ما لم يكن يصير فاذ انمثر الفكر العلوم والاحوال والعلوم لانهاية لها والاحوال التي تتصور أن تنقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مرء أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجارى الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نختفي في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطاً جلياً فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط الجامع فيما يحصل الوقوف على مجارى الفكر

بيان مجارى الفكر

اعلم أن الفكر قد يجرى في أمر يتعلق بالدين وقد يجرى فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع انكار العبد أما أن تتعلق بالعبد وصفاته واحواله وأما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد أما أن يكون نظراً فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى أما أن يكون نظراً في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى وأما أن يكون في أفعاله وملكوته وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو أن حال السائر الى الله تعالى والمستأنس الى لقائه ضاهي حال العشاق فلنخذ العشاق المستهتر منا لنقول العاشق المستغرق المحم بعشقه لا يعدو فكره من أن يتعلق بعشوقه أو يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما أن يفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليقنع بالفكر فيه ومشاهدته وأما أن يفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضغفاً لذنه ومقوراً لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتزده عنها وفي الصفات التي تقر به منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشاق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعاً لغيره فحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره بحبه وبومهما كان تفكره محصوراً في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبة أصلاً فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليزال المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو المقصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد منهما مكروه عند الله وأحسب ان يقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات الخفيات والمهلكات التي يحملها القلب وذكرنا تفصيلاً في ربيع المهلكات والخفيات والطاعات والمعاصي تقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من تلكا التفكير في ثلاثة أمور الاول التفكير في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فرب شيء لا يظهر

كونه مكروه هابل يدبر بدقي النظر والثاني التفكير في أنه ان كان مكروها فطريق الاحتراز عنه والثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في المستقبل فيتركه أو قارنه فيما مضى من الأحوال فيضاج إلى تداركه كذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاري التفكير في هذه الأقسام على مائة والعبد مدفوع إلى التفكير أمافي جميعها أو في أكثرها وشرح أحاد هذه الانقسامات بطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والصفات والمهلكات والصفات الخبيثات فلندكر في كل نوع مثالا ليقبس به المرید سنارها وينفض له باب التفكير وينسج عليه طريقه * (النوع الأول المعاصي) * ينبغي أن يفكر الإنسان صبيحة كل يوم بجميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم يبدنه على الجملته هل هو في الحال ملابس لمصيبة بها فتركها أو لا يسها بالامس فيتداركها بالترك والتسليم أو هو متعرض لخافي نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب ونزكية النفس والاستهزاء بالغير والممازاة والممازحة وانغوص فيما لا يعين إلى غير ذلك من المكاره فيقرر أو لا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منه ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد أو بأن لا يجالس الا صالحا فيما ينكر عليه مهما تنكلم بما يكرهه الله والأفصح هجره في نفسه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون التفكير في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصحى به إلى الغيبة والكذب وتضول الكلام وإلى اللهو والبلدة وأن ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وأنه ينبغي أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالنهي عن المنكر فهما كان ذلك يتفكر في بطنه انه انما يعصى الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقوله الشهوة التي هي سلاح الشيطان عند الله واما بآكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما يمكنه ويتفكر في طريق الحلال ومدخله ثم يتفكر في طريق الخيلة في الاكساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام وان أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في غن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به فهم كذا يتفكر في أعضائه في هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهما حصل بالتفكير حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغى بالمرابة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها * (وأمّا النوع الثاني وهو الطاعات) * فينظر أو لا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤدّيها وكيف يجريها عن نقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة التوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيفكر في الأفعال التي تتعلق بها ما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنتظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على أن أشغل العين بطاعة القرآن والسنة فلم لا أفعله وانا قادر على أن أنظر إلى فلان المظلم بعين التعظيم فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بعين الازدراء فأزجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام مملووف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة أو كفاي أعطيه وقد أنعم الله عليّ به وأودعني لا شكره فاني أكره نعمة الله فبه بتضييعه أو تعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على أن أقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال القراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح

وحرمو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن
أصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما أحببت إليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا
الآن فأنا إلى أبواب الأيتار أخرج مني إلى ذلك المال وهكذا يقتض عن جميع أعضائه وجملة بدنه
وأمواله بل من دوابه وغلثانه وأولاده فان كل ذلك ادواته وأسبابه وقد رعى أن يطيع الله تعالى
بها فيستبسط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها يتفكر فيما رغبه في البدار إلى تلك الطاعات
ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستغفار حتى يزكوها عمله وقس على هذا سائر
الطاعات (وأما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي عملها القلب) فيعرفها ما ذكرناه في ربيع
المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والحب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة
والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن أن قلبه منزوع عنها فيتفكر في كيفية إبعاده
والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس أبدت دائما خيرا من نفسها وتختلف فإذا ذهبت التواضع
والبراءة من الكبر فينبغي أن يجرب عمل حزمة حطوب في السوق كما كان الأولون يجربون به أنفسهم
وإذا ذهبت الحلم تعرض للغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الخيط وكذلك في سائر الصفات
وهذا يتفكر في أنه هل هو موصوف بالصفة المصكروة أم لا ولذلك علامات ذكرناها في ربيع
المهلكات فإذا دلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التي تقع تلك الصفات عنده وتبين
أن منشأها من الجهل والغفلة وخست المدخلة كما لو رأى في نفسه عيبا بالجهل فيتفكر ويقول إنما
علي يدي جارحتي وقد رقت وأرادتني وكل ذلك ليس مني ولا لي وإنما هو من خلق الله وفضله على
فهو الذي خلقتني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وأرادتني وهو الذي حرّك أعضائي بقدرته وكذلك
قدرتي وأرادتني فكيف أعجب بعمل أو بغيري ولا أقوم لنفسي بنفسي فإذا أحس في نفسه بالكبر
قرّر على نفسه ما فيه من الحاققة ويقول لها من نفسي أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك
ينكشف بعد الموت وهم من كانوا في الحال يموت مقرّ بالي الله تعالى بتزوعه عن الكبر وهم من مسلم
يموت شقيا يتجرّح له عند الموت بسوء الخاتمة فإذا عرف أن الكبر مهلك وان أصله الحاققة فيتفكر
في علاج إزالة ذلك بان تعاطى أفعال المتواضعين وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشبهه تفكر
في أن هذه صفة الهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كالسكان ذلك من صفات الله وصفات
الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به الهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالهائم أشبه
وعن الملائكة المقرّبين أبعاد وكذلك يقرّر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك
ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن ينسج له طريق الفكر فلا بد له من تجصيل ما في هذه الكتب
* (وأما النوع الرابع وهو الخبيات) فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر
على النعماء والخوف والرجاء والهدى في الدنيا وإخلاص والصدق في الطاعات وحببة الله وقطيعه
والرضا بأفعاله والشوق إليه والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه
وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعزّزه من هذه الصفات التي هي المقرّبة إلى الله تعالى
فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنه أحوال لا يبرها إلا بالعلوم لا بغيرها إلا أفكار فإذا أراد أن
يكتسب لنفسه أحوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليعصمها على نفسه
وليُعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليحقق عند نفسه أنه متعرض
لمقت الله تعالى حتى يبعث له حال الندم وإذا أراد أن يستتر من قلبه حال الشكر فلينظر في إحسان
الله إليه وأيايه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه على ما شرحتنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك *

نعم الصديقين وأما التزه عن الصفات المهلكات فيجربى مجرى الخروج من العدة في النكاح وأما
 الا تصاف بالصفات الخبيات وسائر الطاعات فيجربى مجرى تهمة المرأة جهازها وتظفيها وجوها
 ومشطها شعرها تصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تربية الرحم وتربى الوجه
 كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين أن كنت من أهل الجالسة
 وإن كنت كالعبدة السوء لا تتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدوئك وانصاب البدن
 بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من أهل الجنة
 ولكن للجالسة أقوام آخرون وأذا عرفت بحال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي
 أن تتخذ ذلك عادة وتكونك صديقا وصاحبا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك البعيدة من الله تعالى
 وأحوالك المقربة اليه سبحانه وتعالى بل كل مر يد فينبغي أن يكون له جريدة ثبتت فيها جملة الصفات
 المهلكات وجملة الصفات الخبيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكتبه
 من المهلكات النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والحب والرياء
 والحسد وشدة الغضب وشدة الطعام وشدة الوقار وحب المال وحب الجاه * ومن الخبيات
 عشرة التندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف
 والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والانشوع له
 * فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فهما كني من المذمومات واحدة فقط عليها
 في جريته ويدع التفكير بها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتزبه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم
 الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فقبل على
 التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يحيط على الجميع وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالخبيات فاذا
 اتصف بواحدة منها كالنوبة والتندم مثل ما خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد
 المشعر وأما أكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي أن يشتتوا في جرائدهم المعاصي
 الظاهرة كأكل الشبهة والطلاق للسان بالغيبة والنميمة والمراءاة الشاء على النفس والافراط
 في معاداة الاعداء وموالاته الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان
 أكثر من يعتد نفسه من وجوه الصالحين لا يتفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يظهر
 الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعامة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس قد قلب عليهم
 نوع من المعصية فينبغي أن يكون تفقد هم لها وتفكيرهم فيها لا في معاصهم بمعزل عنها مثاله العالم
 الورع فانه لا يتخلى في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما
 بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان
 كلامه مقبولا حسن الوقف في القلوب لم يتفك عن الاحباب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من
 المهلكات وان رذ كلامه لم يتخل عن غيظه وأنفه وخدعه على مر ذقه وهو أكثر من غيظه على مر رذ
 كلام غيره وقد بليس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رذ الحق وأنكره فان وجد
 تفرقة بين أن يرذ عليه كلامه أو يرذ على عالم آخر فهو مغرور وخجعة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح
 بالقبول وفرح بالثناء واستنكف من الرذ أو الاعراض لم يتخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ
 والابراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكافين والشيطان قد بليس عليه ويقول انما
 حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله فان
 كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو

مخدوع وانما يدورون حول طلب الجاه وهو نطق أن مطلبه الدين ومهما اختلف ضميره هذه الصفات
 ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للوقر له المتقدر لفضله أكثر احتراماً ويكون بقلبه أن أشد قرحاً
 واستبصاراً من يفوق موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة وربما ينتهي الأمر بأهل العلم
 إلى أن يتغافروا بتأثير النساء فيشقى على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وان كان يعلم أنه
 مستغفب وغيره ومستغفب منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي
 قد ينظر العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما يكشف ذلك هذه العلامات فتنه العالم عظيمة وهو
 اماماً له واماماً له ولا مطمع له في سلامة العوام فمن أحسن في نفسه هذه الصفات فالواجب عليه
 العزلة والانفراد وطلب الخلو والدافعة فتناوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوى في زمن الصحابة
 رضى الله تعالى عنهم جمعاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مقتنون وكانوا يتدافعون
 القنوى وكل من كان شقي كان يؤذ أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الانس اذا قالوا
 لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندست العلوم من بين الخلق وليلقى لهم ان دين الاسلام مستغفب
 عني فانه قد كان معمر وأقبل وكذلك يكون بعدى ولو مت لم تهتم أركان الاسلام فان الدين مستغفب
 عني وأنا فلتستغفب عن اصلاح قلبي وأما اذا نزلت الى اندراس العلم بغيره يدل على غلبة الجهل
 فان الناس لو حسبوا في السجين وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرئاسة
 والعطو يملهم على كثير القيود وهم حيطان الحصون والخروج منها واشتغال بطلب العلم فالعلم
 لا يندرس مادام الشيطان يحجب الى الخلق الى رياسة الشيطان لا يضطر عن عمله الى يوم القيامة بل
 ينهض لنشر العلم اقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد
 هذا الدين بأقوام لا خلق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي أن تغتر بالعلم بهذه
 التلبينات فيشغل بمخالطة الخلق حتى يترقى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذل
 النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال يثبت النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذنبان ضاربان أرسلاني زينة غنمياً كترافسا دافعا من حب
 الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا يقطع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والحرب من
 مخالطتهم وترك كل ما يزدجهاه في قلوبهم فليكن فكري العالم في التقطن خلفاً بهذه الصفات من قلبه
 وفي استمطاط طريق الاخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقي فاما أمثالنا فينبغي أن يكون تفكيرنا
 فيما يقوى ايماننا بيوم الحساب اذ لو رأنا السلف الصالحون لقالوا قطعنا هؤلاء لا يؤمنون بيوم
 الحساب فإعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً
 طلبه وقد علمنا أن الحرب من النار يترك الشهوات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها
 وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمره العلم
 الا انه يقتدى بنافي الحرس على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموماً لكان السلك العلماء
 أحق وأولى باحتجابه منا فلنا كما كالعوام اذ امنا ما نت معنادون بنافا أعظم الفتنة التي تعرضنا
 لها لو تفكرنا فأسف الله تعالى أن يصلحنا و يصلح بنا ويوقنا للتوبة قبل أن يتوفانا انه الصكر يم
 الطيف بنا النعم علينا فانه مجارى أفكار العلماء والصالحين في علم العاملة فان فرضوا عليها النطق
 التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها الى التفكير في جلال الله عظمته والتعجب بشاهدته بعين القلب
 ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع الخفيات وان تظهر شئ منه قبل
 ذلك كان مدخولاً معلولاً مكذراً مقطوعاً وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون

كالمشاق الذي خلا بمشوقه ولكن تحت ثيابه حبات وعقارب تلدعه مرة بعد أخرى فتنبص
عليه لذة المشاهدة ولا يرق له في كمال التمتع إلا بإخراج العقارب والحبات من ثيابه وهذه الصفات
المدعومة عقارب وحبات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب
والحبات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجارى فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكرهه
عند ربه تعالى * القسم الثاني الفكري في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان * المقام
الاعلى الفكري في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه وهذا ممنوع منه حيث قيل تفكر رافي خلق الله تعالى
ولا تفكر رافي ذات الله وذلك لأن العقول تصير فيه فلا يطبق مد البصر اليه إلا الصديقون ثم
لا يطبقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أن يصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر
انخفاض بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطبقه ألبتة بل يخفت نهارا وانما يرد دليلا ينظر في بقية نور
الشمس اذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الانسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على
النظر اليها ولا يطبق دوامه ويحشى على بصره ولو أدام النظر ونظره المختطف اليها يورث العشى
ويفرق البصر وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والذهش واضطراب العقل
فالصواب انما أن لا يتعرض لمجارى الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فان أكثر العقول لا تحتمله
بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار
والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول
أقوام حتى أنكروه اذ يطبقوا سماعه ومعرفة بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا ان قيل
ثم انه يتعاطى ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسمًا مشغولًا
مقدورًا وجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدس في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحكماء من العوام
ان هذا اوصاف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين أن الجلال والقوة العظيمة في هذه الاعضاء
وهذا لان الانسان لا يعرف الانفسه فلا يستعظم الانفسه فكيف ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم
العظمة فيه ثم غابته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالس على سريره بين يديه غلمان يمشون أمره
فلا جرم غابته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل
له ليس تخالفتك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنك ذلك وقال كيف يكون خالتي أنقص
منى أن فيكون مقصوص الجناح أو يكون زفنا لا يقدر على الطيران أو يكون لي أن لا وقدره لا يكون
له مثله وهو خالتي ومصوري وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلم
كفار ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فيسكروني ولكن أخبرهم عنى
بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخطرًا من هذا الوجه اقتضى أجاب الشرع
وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجارى الفكر فيه لئلا تعدل إلى المقام الثاني وهو النظر في أفعاله
ومجارى قدره ومجائب صنعته ويدفع أمره في خلقه فأنه يتدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه
وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى تفاديه مشيئته وقدرته فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطبق
النظر إلى صفاته كما اننا نطبق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم
نور الشمس بالإضافة إلى نور القرو وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر
في الآثار يدل على المؤثر لا لما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا
أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لا طلة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود
ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الأشياء ببلانه القيم بنفسه كما أن

قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فهو يمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يضيء قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نهر بانوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله تعالى ﴿بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى﴾

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلق الله وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان الجرم اذا لذلك لنفد البحر قبل ان يتعدى عشر عشرة ولكن اشير الى حل منه ليكون ذلك كالمثال لماعده فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكنها التفكير فيها وهم من الموجودات التي لا تعلمها كما قال الله تعالى ويخلق ما لا تعلمون سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال ونشكركم فيما لا تعلمون والى ما يعرف اصلها وجلتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي مقسمة الى ما أدركه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكبرسي وغير ذلك ويحال الفكر في هذه الاشياء بما يضيئ ويغضب فلنعد الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجؤم مدرك بفيومها وأمطارها وتلوجها ورعد هاورقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانتشعب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهياته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تترك ذرة في السموات والارض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة او حكمة اوعشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكير في هذه الآيات كما قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الابصار وكما قال تعالى ومن آياته من أول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية التفكير في بعض الآيات ﴿فن آياته﴾

الانسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنفسي الاماري التي توقف على عشر عشرة وأنت غافل عنه فيامن هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف أطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كآله العزيز فقال وفي انفسكم أفلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قدرة فقال قتل الانسان ما اكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم انشأه أنشده وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وقال تعالى ألم يك نطفة من منى ثم نكاحا علقة فلقن فسوى وقال تعالى ألم يخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكنين الى قدر معلوم وقال أولم ير الانسان أن خلقناه من نطفة فاذا هو خصم مبين وقال انما خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاطين طين ثم جعلناه

نطفة في قوارمكين ثم خلقنا النطفة علة الآية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليمسح
 له نظره بترك التفكير في معناه فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قدرة لو تركت ساعة
 ليصير بها الهواء فسدت وانفنت كيف أخرجه ارب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين
 الذر واللائني وألقى الالة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع
 وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الخيض من أعماق العروق
 وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحليب وعذاه حتى غاورا وكبر وكيف
 جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علة حواء ثم كيف جعلها مضفة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي
 متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوراق واللحم ثم كيف ركب من الصوم
 والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فذكر الاربعة والسمع والبصر والانف والقلم وسائر المنافذ
 ثم هذم البدن والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة
 من القلب والمعدة والكبد والطحال والارئة والرحم والمثانة والمعاء كل واحد على شكل مخصوص
 ومقدار مخصوص لعل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام أخر فركب العين
 من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لوقفت طبقة منها وأزلت صفة
 من صفاتها طلت العين عن الابصار فلو ذهبت الى أن نصف ما في أحاد هذه الاعضاء من البهايم
 والآيات لانقضي فيه الامعار فانظر الآن الى النظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها من
 نطفة رقيقة ضعيفة ثم جعلها اقواما للبدن ومهادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فله صغير
 وكبير وطويل ومستدير ومخوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة
 يجعله يده وبعض أعضائه مفترقا للثمة في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظما كثيرا
 بينها فاصل حتى تتيسر بها الحركة وقد ذكر شكل كل واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة فيها ثم
 وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار وأنها من أحد طرفي العظم وأصلقه بالعظم الآخر
 كالرباط له ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرات غائرة فيه موافقة لشكل
 الزوائد لتدخل فيها وتطبق عليها فصار العبدان أراد تحريك بجزء من بدنه لم يتبع عليه ولولا المفاصل
 لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق نظام الرأس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين
 عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى بهكرة الرأس كائنا من فها ستة
 شخص القحف وأربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة
 تصعل للظنن وبعضها حادة تصعل لاطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبة بالرأس
 وركبها من سبع خرزات مجوفة مستديرات فيها مخريقات وزيادات ونقائصات لينطبق بعضها
 على بعض ويطول ذكروجه الحكمة فها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة الى
 منتهى عظم العنق من أربع وعشرين خزة وركب عظم العنق من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بنظام الصدر
 وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام الجوز وعظام الفخذين والساقين والاصابع
 الرجلين فلان طول يد كمد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون
 عظما سوى العظام الصغيرة التي حشيت بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة
 خفيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عدد هافان هذا علم قريب يعرفه
 اطباء والمشركون وانما الغرض أن ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها وديرها وخالف

بين أشكالها وأقدارها وخصص لها هذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحد كان وبالاعلى
 الانسان يحتاج الى قلعه ولونقص منها واحد كان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها
 ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها
 ومصورها فاستان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لغيره كالغضام وهي الضلالت
 خلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسع وعشرين عضلة والعضلة من حكة من لحم وعصب
 ورباط وأعشية وهي مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع
 وعشرون عضلة منها هي لغيره كحذقة العين وأجفانها لونها نضرة واحدة من جلته الاختلاف أمر العين
 وهكذا السلك عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة
 والشرايين وعددها ومناياها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول فلفكر بحال في أحاد
 هذه الأجزاء ثم في أحاد هذه الأعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظري الى عجائب أجسام البدن
 وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى
 بدنه وصفاته فتري به من العجائب والصنعة ما يقضي به الحب بكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قدرة
 فتري من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكته في أوضاعها
 وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت
 مشارفها ومغاريها فلا تظن أن ذرة من ملكوت السموات تتفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقه
 وأنقى صنعا وأجمع عجائب من بدن الانسان بل لانسبة لجمع ما في الارض الى عجائب السموات
 ولذلك قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسوها وأغشى ليها وأخرج ضحاها
 فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها أولا وما صارت اليه ثانيا وتأمل انه لو اجتمع الجن والانس
 على أن يخلقوا النطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما أو عروفا أو
 عصبيا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقه
 بعد أن خلق الله تعالى ذلك لهزوا عنه فالحب منك لو نظرت الى صورة انسان مصورا على حائط تأني
 النقاش في تصويره حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كأنه انسان عظيم تعجبك
 من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك يحمله مع انك تعلم أن تلك الصورة
 انما قامت بالصنغ والقلم واليد وما الحائط وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشئ من ذلك ليس من فعل
 النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصنغ والحائط على ترتيب مخصوص
 فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القادرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاص
 والتراتب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصورها وقسم
 أجزائها المشابهة الى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها
 وباطنها ورب عروقها وأعصابها وجعلها تجري لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سمعية
 بصرية عالة ناطقة وعان لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والراس جامعا
 لحواسها ففتح العينين وزين طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها ثم جعلها بالاجفان لتسترها
 وتحفظها وتصلحها وتفتح الأقدام عنها ثم أظهر في مقدار عديمة منها صورة السموات مع اتساع
 أشكالها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها ثم شق أذنيه وأودعها ما من المحيط سمعا ويدفع الهواء
 عنها وحوطها بصدفه الاذن لجمع الصوت فترى ما الى صماخها ولصص يديها الهوام اليها وجعل
 فيها تحريكات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها يطول طريقه فيقتبه من النوم صماخها اذا

فصدها دابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منبره وأردع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطامحه وأغذيته وليستشيق بمنفذ المخزن روح الهواء غذاء قلبه وترويجاً لحرارة باطنه وفتح القم وأودعه اللسان ناطقاً ترجماناً ومعباً في القلب وزين القم بالأسنان لتسكون آلة الطحين والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متناسبة الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على القم فتسد منه ذهوليتهم حروف الكلام وخلق الخنصرة وهما ما خرج من الصوت وخلق اللسان قدرة الحركات والتقطعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثيراتها ثم خلق الخنجر مختلف الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر وروخاونه والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض فيجرد الصوت في الظلة ثم زين الرأس بالشعر والأصداغ وزين الوجه بالحنة والحاجبين وزين الحاجب رقة الشعر واستعوس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر لكل واحد فعل مخصوص ففطر المعدة لتضع الغذاء والكبد لاحتالة الغذاء إلى الدم والطحال والمرارة والكلى لتخدمة الكبد فالطحال يخدمها يجذب السوداء عنها والمرارة تخدمها يجذب الصفراء عنها والكلى تخدمها يجذب المائية عنها والمثانة تخدم الكلى بقبول الماء منها ثم تخرجه في طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق البدن وطوَّههما لتتعدا إلى المقاصد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ووضع الأربعة في جانب الإبهام في جانب ليدور الإبهام على الجميع ولواجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجه آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليهم من بعد الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدر وأعليه أن هذا الترتيب صلحت اليد القبض والإعطاء فإن بسطها كانت له طبقاً تضع عليها ما يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب وإن ضمها ضمًا غير تام كانت مغرفة له وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الأنف على رؤسها زينةً للأنامل وعماداً لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالنظر الذي هو أخس الأعضاء لو عدهم الإنسان وظهر به حكمة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقدِّم أحد مقامه في حكم بدنه ثم هدى اليد إلى موضع الحلك حتى تمت إليه ولوى النوم والغفلة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحلك إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغطاء والنشأ وامتد البصر إليه لكان يرى الخطيب والتصوير يظهر عليها شيئاً فشيئاً ولا يرى المصور ولا آلتها فهل رأيت مصوراً أو قاعلاً لا يمس آلته ومصنوعة ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فجاءه ما أعظم شأنه وأظهر به أنه ثم انظرهم كمال قدرته إلى تمام رحمته فإنه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هدهد السبيل حتى تنكس وتحرَّك وخرج من ذلك المضيق وطلب النفذ كأنه عاقل يصبر بما يحتاج إليه ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هدهد إلى التمام الشدي ثم لما كان بدنه ضعيفاً لا يتحمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين القنطرة والدم سائفاً خالصاً وكيف خلق الشدين وجمع فيهما اللبن وأثبت منهما حلتين على قدر ما ينطبق عليهما من الصبي ثم فتح في حلة الشدي ثقباً ضيقاً جداً حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد المص

تدريجاً فان الطفل لا يطبق منه الا القليل ثم كيف هداه لا متصاص حتى يستخرج من ذلك المصقب
الابن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته ورافته كيف أخر خلق الاسنان الى تمام
الحولين لانهم في الحولين لا يتغذى الا بالابن فيستقي عن السن واذا كبر لم يرافقه اللبن الضعيف
ويحتاج الى طعام غلظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فأثبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها
ولا بعد فاسنانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات اللينة ثم حن قلوب الوالدين عليه
للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزاً عن تدبير نفسه فلم يسلط الله الرحمة على قلوبهما كان الطفل
أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتميز والعقل والهداية حتى يبلغ
وتكامل فصار مراعياً ثم شايأتم كهلاً ثم شيخاً اما كفوراً وشكوراً مطيعاً وعاصياً مؤمناً وكافراً
تصدق قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً انا خلقنا الانسان
من نطفة أمشاج نبتله لعنائه سمعاً وبصيراً انا هديناه السبيل اما شكر او كفر فانظر الى
اللطيف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تهرك محابب الخضره الربانية والجذب كل الجذب من يرى
خطأ حسناً أو تشاح حسناً على حائط فيسخره فيصرف جميع همه الى التفكير النقاش والخطا
وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقدر عليه ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول ما أحذقه وما أكل
صنعه وأحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يظفر عن صانعه ومصوره فلا
تدهشه عظيمة ولا يحير به جلاله وحكمته فهذه نذرة من محابب يدك التي لا يمكن استقصاؤها فهو
أقرب بحال لتفكره وأجلى شاهد على عظمته خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول بطنك وفركك
لا تعرف من نفسك إلا أن يجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجوع وتضرب فتقاتل والهائم
كلها تشاركك في معرفة ذلك وانما خاصة الانسان التي هجبت الهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر
في ملكوت السموات والارض ومحاسن الآفاق والانفس أهملها يدخل العبد في زمرة الملائكة
المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقرراً بمن حضره رب العالمين وليست هذه النذرة
للهائم ولا لانسان رضى من الدنيا بشهوات الهائم فانه شتر من الهائم بكثير اذ لا قدرة له على
ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطاه وكفر نعمته الله فيها فأولئك كالانعام بل هم اضل
سبيلاً واذا عرفت طريق التفكير في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقررك ثم في أنهارها وبحارها
وجبالها ومعادنها ثم ارفع منها الى ملكوت السموات ~~في~~ أما الارض ~~في~~ فمن آيات الله أن خلق الارض
فراشاً ومهاداً وسلك فيها سبلاً فجاء وجعلها دلولاً للمشوى في مناصكها وجعلها قارة لا تعزل
وأرسي فيها الجبال وأتادها تمنعها من أن تميد ثم وسع أكافها حتى عجز آدميون عن بلوغ جميع
جوانبها وان طالت أعمارهم وكثر تقواهم فقال تعالى والسماء بنيناها بأيدٍ وانالموسعون والارض
فرشناها فنعم المهادون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناصكها وقال
تعالى الذي جعل لكم الارض فراشاً وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الارض ليتفكر في عجائبا
فظهرها مقراً للحياء وبطنها مرقداً للموات قال الله تعالى ألم يجعل الارض كفناً لحياهم وأموالنا
فانظر الى الارض وهي مينة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبت عجائب النبات
وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشواخ
المصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها فقبح العيون وأسأل الانهار تجري على وجهها وأخرج من
الحجارة السابية ومن التراب الكدر ماء رقيقاً عذاباً فيزال لا يجعل به كل شيء حتى فأخرج به
فدون الاشجار والنبات من حب وعنب وقصب وزيتون ونخل ورقان وفواكه كثيرة لا تحصى

مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارابع بفضل بعضها على بعض في الاكل تسقي عبا
واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها باختلاف بنورها واصولها فحقى كان في النواة
تختلفة مطوقة بغلاف الرب ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبل مائة حبة ثم انظر
الى ارض البوادي ونفس ظاهرها وباطنها تراها تزايا متشابهة فاذا اُنزل عليها الباء اهتزت وربت
واُنبتت من كل زوج بهيج الوان مختلفة ونباتات متشابهة وغير متشابهة لكل واحد طعم وريح ولون
وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبائع
النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوى
وهذا يبيحي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قبح الصفراء من أعماق العروق
وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يفتح البلم والسوداء وهذا يستحيل البها وهذا يصني الدم وهذا
يستجمل دما وهذا يضرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف فلم تثبت من الارض ورقة ولا نبتة
الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كلها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربته
الى عمل مخصوص فالخيل تؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والمذبل وبعض ذلك
يستتبت بث البذر في الارض وبعض يفرس الاقصان وبعض يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر
اختلاف اجناس النبات وانواعه ومنافعه واحواله وبجائيه لانقصت الايام في وصف ذلك
فكذلك من كل جنس نبتة بسيرة تدلك على طريق التفكر فهذه عجائب النبات ومن آياته الجواهر
المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض في قطع متجاورات مختلفة فانظر الى
الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروز والعل وغيرها بعضها
منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والخاص والحصا والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروز
والعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات والنقود
والخى منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلمها الملع ولا يحتاج
اليه الا لتطبيب الطعام ولو خلعت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق
بعض الاراضي سجة يجورها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستعمل لما لم الحاصرها
لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطيبا للطعام كذا اذا كثرته فيتهنأ عيشك وما من جماد ولا
حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيئا منها عبثا ولا لعل ولا لاهل بل خلق
الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بحلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عبيس ما خلقناهما الا بالحق ومن آياته اصناف
الحيوانات وما انقسمها الى ما يطير والى ما يمشى وانقسام ما عيشى الى ما عيشى على رجلين والى
ما عيشى على اربع وعلى عشر وعلى مائة كذا هدى بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور
والاشكال والاعلاق والطباع فانظر الى طيور الجوارى وحوش البر والى الهائم الاهلية تزيها من
الجبائيل الا تشك معني عظيمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان يستصحي
ذلك لو اردنا ان نذكر عجائب البقعة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صغار الحيوانات
في بنائها يهتاف جمعا غداها وفي الفها الزوجها وفي اذخارها نفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي
هدايتها الى حاجاتها ثم تقدر على ذلك قري العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فطلب أولا موضعين
متقاربين بينهما نرجة بمقدار ذراع فادونه حتى يمكنه ان يصل بالخطبين طرفه ثم يبتدئ وباقي
العاب الذي هو خيطه على جانب ليل تصق به ثم يمد والى الجانب الاخر فيحكم الطرف الاخر من الخيط

ثم كذلك يترد ثانياً واثباتاً ويجعل بعد ما ينهمامتنا سبباً تناسيباً هندسياً حتى اذا احكم معاد القبط
ورتب الخميوط كالسدى اشتغل بالهجرة فيضع الجمعة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم
العقد على موضع التقاء الهجرة بالسدى ويراعى في جميع ذلك تناسباً هندسياً حتى يجعل ذلك شبكة يقع
فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصداً لوقوع الضئيل في الشبكة فاذا وقع الصيد بادى الى اخذه
وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق
نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكسافى الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمى بنفسه اليه فأخذه ولف
خيطه على رجله وأحكمه ثم أكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من الجائبات ما لا يحصى
أقترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكونت بنفسه أو كونه آدمي أو عله أو لا هادى له ولا معلم
أفئدتك ذو بصيرة في انه مسكين ضعيف عاجز بل القيل العظيم شخصه الظاهرة قوة عاجز من أمر
نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحر كته وهاديشه وبجائبات
صنعتة لظاهرة الحكم وخالفه القادر العليم فالصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق
المدر ورجلاه وكال قدرته وحكمته ما تنبئ فيه الابواب والعقول فضلاً عن سائر الحيوانات وهذا
الباب أيضاً لا يحصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط
تعب القلوب منها لانها بكثرة المشاهدة تم اذ رأى حيواناً غريباً أو دوداً تجد تعبها وقال سبحان
الله ما أعجبه والانسان أعجب الحيوانات وليس يتعب من نفسه بل لو نظرت الى الانعام التي ألقيها
ونظرت الى أشكالها وصورها ثم الى منافعتها وفرائدها من جلودها وأصوافها وأبوابها وأشعارها
التي جعلها الله لباساً لخلقها وأكلها لهم في ظعنهم وأقامتهم وآنية لاشربهم وأوعية لأغذيتهم
وصوانها لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها لأغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة
للافعال قاطعة للبادى والمقازات البعيدة لاكثر المناظر التعب من حكمة خالقها ومصورها فانه
ما خلقها الا ليعمل بحيط بجميع منافعتها سابق على خلقها ياها فصبهان من الامور مكتشفة في عله من
غير تفكير ومن غير تأمل وتبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد
استخرج بأقل القليل ما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحده فالخلق الانواع
لغيره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالجز من معرفته جلاله وعظمته في هذا الذي يصح ثناء
عليه بل هو كائن على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالجز من معرفته فنسأل الله تعالى أن
يكرمنا بآياته وينه ورأفته وهو من آياته البصار الحقيقة المكتشفة لأفطار الارض التي هي قطع
من البحر الاظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجلال من الماء
بالاضافة الى الماء بكرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم
الارض في البحر كالاحيطال في الارض فانتسب احيطال الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة
الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض وما فيها فتأمل الآن عجائب البحر فان عجائب ما فيه من
الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعة الارض
ولعظم البحران فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن انها جزيرة فيزل الركاب
عليها فرس ياتهم بالتمران اذا اشتعلت فتصرك وتعلم انها حيوان وما من صنف من اصناف حيوان
البر من فرس أو طير أو بقر أو انسان الا وفي البحر أمثاله وأضعافه وفيه اجناس لا يعدلها نظير
في البر وقد ذكرت أوصافها في مجلدات وجميعها أقوام غرائب الركوب والجزر وجمع عجائبه ثم انظر كيف
خلق الله الاول وذرعه في صدفة تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الضرورت تحت الماء وانما

هونبات على هيئة شجر نبت من الجمر ثم تأمل ما عدها من الغنم وأصناف النفائس التي تقيدها
 البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها
 التجار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم
 عزف الملاحين موارد الرياح ومهايا ومواقفها ولا يستقصي على الجملة عجائب صنع الله في البحري
 مجلدات وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية فطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف
 سيال مشف متصل الاجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سر ديع القبول للتقطيع كأنه منفصل
 مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو
 احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها البذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في تحصيلها لولم يكن ذلك
 ثم لو شربها ومنع من اخراجها البذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الآدمي
 كيف يستعظم الدنيا والدرهم ونفائس الجواهر ويفعل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى
 شربها أو الاستغناء عنها بذل جميع الدنيا فما تأمل في عجائب المياه والانهار والابار والبارقيات
 منسجم للتفكير ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن
 جلال بارئها معربة عن كمال حكيمة فيها منادية أرباب القلوب بنفحاتها قاتلة لكل ذى لب أما
 نرائي وترى صورتي ورتبي وصفاي ومنافعي واختلاف حالتي وكثرة فوائدني أنظن اني كوزنت
 نفسي أو خلقني أحدهم من جنسي أو ما نسختني أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فقطع بها
 من صنعة آدمي عام دارمر يد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات
 وجهي بالقلم الالهي الذي لا يدرك البصائر انه ولا حركته ولا اتصاله بحمل الخط ثم يتفك قلبك
 عن جلالة صناعه وتقول النطفة لا رباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمني
 في نظلة الاحشاء مغسوة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التطيط والتصوير على وجهي فينقش
 النفس حديق وأخافني وجهتي وخذى وشفتي فترى النقوش يظهر شيئا فشيئا على التدريج
 ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجة ولا خبر منها الا لام والالاب
 ولا النطفة ولا للرحم أنما هذا النقاش بأعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها
 مرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر صلي أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يتم ظاهر
 النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من
 خارج فان كنت لا تتعجب من هذه البهائم ولا تفهمها أن الذي صور ونقش وقدر لا نظره
 ولا يساويه نقاش ولا مصور كأن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين القاء من المباشرة
 والتباعد ما بين الفطن فان كنت لا تتعجب من هذا تعجب من عدم تعجبك فانه أعجب من كل عجب
 فان الذي أحيى بصرك مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه
 فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشتى وأسعد وفقه بصائر أحابيه فشاهده وفي جميع
 ذرات لعالم وأجزائه وأعي قلوب أعدائه واحجب عنهم بعزوه وعلاؤه فله الخلق والامر والامتنان
 والفصل والاطف والفرار والرحمة ولا معقب للقضائه ومن آياته الهواء الطيف المحبوس
 بين مقعر السماء ومحبذ الارض لا يدرك بحس اللس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين
 شخصه وجملة مثل الجواهر والطيور بحقيقة في جو السماء ومستقيمة سبحانه في اجزائها كما تسبح
 حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فاذا
 حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نسيما يدي رحمة كما قال سبحانه وأرسلنا الرياح

لواقع فصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنباتات فتستعد للجماء وان شاء جعله عذابا على
الصائغ من خلقه كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرنا في يوم خمس مستمر تنزع الناس كانهم
أعجاز نخيل منقر ثم انظر الى لطيف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فارق النفوخ بعامل
عليه الرجل القوى ليغمسه في الماء فيجزعنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيربس فيه
فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوة مع لطافته وهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على
وجه الماء وكذلك كل يخوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا
ينفصل من السطح الداخل من السفينة تسبق السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء
اللطيف كالذي يقع في بئر فينزل بذيول رجل قوي متمتع عن الهوى في البئر فالسفينة بفقرها تشبث
بأذيال الهواء القوى حتى تتمتع من الهوى والغوص في الماء فصباح من علق المركب الثقيل في الهواء
اللطيف من غير علاقة تشاهد عقدة ثم تنظر الى عجائب الجوز وما يظهر فيه من القيوم والرمود
والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والارض وقد اشار
القرآن الى جملة ذلك في قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا مابين
بينهما وأشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض
وحيث تعرض للرمود والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر
بعينك وتسمع الرعد بأذنك فالهبة تشاركك في هذه المعرفة فارفع من حضيض عالم البهايم الى عالم
الملائكة لقد فقت عينك فادركت ظاهرها فقبض عينك الظاهرة وانظر بعينك الباطنة
تري عجائب باطنها وعرايب أسرارها وهذا ايضا باب بطول الفكر فيه اذا لمطعم في استقصائه
قتل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجمع في جوصاف لا كدورة فيه وكيف تخلقه الله تعالى
اذا شاء ومتى شاء وهو مخاونه حامل لواء الثقل وعمسك له في جوا السماء الى ان يأذن الله في ارسال
الماء وتطبع القطرات ككل قطرة بالقدر الذي اراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاء فترى
السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متصالة لا تترك قطرة منها قطرة ولا تنصل واحدة
بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم
حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلواجتمع الاولون والآخرون على ان يتحققوا منها قطرة أو يعرفوا
عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة لبحر حساب الجن والانس من ذلك فلا يعلم عددها
الا الذي أوجدها ثم ككل قطرة منها عرفت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير
ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط الهى لا يدرك بالبصر الظاهر
انها رزق الدودة القلانية التي في ناحية الجبل القلاني تصل اليها عند عطشها في الوقت القلاني
هذا مع فاني انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من الغائب
التي لا تمسح كل ذلك فصل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من خلقه فيه شرك
ولا مدخل بل ليس المؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا الهيمان
للبياحين الا الجمل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلة فيقول الجاهل الغرور انما ينزل
الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ونظن ان هذه معرفة انكشف له ويفرح بها
ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء
المصبوب في أسافل الشجر الى أعلى الاعنان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى أسفل ثم ارتفع الى
فوق في داخل تجاويف الاشجار وشدا فسبحا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينشرف جميع أطراف

الاوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة ويجري الهائي تجاوب عروق شعبة صفار يروي منه العرق الذي هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكثير الممدود في طول الورقة عروق صفار فكان الصكبير نهر وما انتشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواقي أصغر منها ثم ينتشر منها خبوط عنكبوتية دقيقة تخرج من ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فحصل الماء في أجزائها سائر أجزاء الورقة فيغذيها وينهاويزنها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر أجزاء الفواكه فان كان الماء يترك قطبته الى أسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك يجذب جاذب في الذي سفر ذلك الجاذب وان كان ينتهي بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته نجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر وأصغر ثم انظر كيف عظم الله امر السموات والعبود في كتابه فاما سورة الارستقل على تخمينها في مواضع وكمن قسم في القرآن بها كقوله تعالى والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء ذات الحيك والسماء وما بناها وكقوله تعالى والشمس وضحاها والقمرا تانلها وكقوله تعالى فلا قسم بانفس الجوار الكنس وقوله تعالى والنجم اذا هوى فلا قسم بمواقع العبور وانه لقسم لو علمون عظم فقد علمت ان عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاقربون والآخرين وما قسم الله بها فاطنك بما قسم الله تعالى به واحال الارزاق عليه واضافها اليه فقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأتني على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبل لمن قرأ هذا الآية ثم مسح بها سئلته أي تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فأي نسبة لجميع العار والارض الى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات صلاب شد محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكواكب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال سبحانه وبنينا فوقكم سبعة اشداد وقال انتم اشد خلقا ثم السماء بناها رفع سمكها فسواها فاذا نظرت الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظن ان معنى النظر الى الملكوت بآن تعد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان الهائم تشاركن في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن بعينه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يخطئ أحد بشئ من علمه الا بما يشاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول فاجل أهم العاقل فكرك في الملكوت فمسي يقض تلك أبواب السماء فتقول قلبك في أفتارها الى ان تقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما رجحت ان تبلغ رتبة عرش من الخطاب رضى الله عنه حيث قال رأى قلبى ربى وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وأدنى شئ اليك نفسك ثم الارض التي هي مقر ثم الهوا المكشف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجوق وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع يكوها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخران السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما فينبئك وبين هذه المناظر العظيمة والمسافات الشاسعة والعبات الشاهقة وانت بعد

لأنهم من العتبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى
معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه فعيماذا أنفكروا إلى ماذا ألتطمع فأرفع الآن رأسك
إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دوراتها وطلوعها وغروبها وشمسها وأقمرها واختلاف
مشارعها ومغاربها ودورها في الحركة على الدوام من غير توقف في حركتها ومن غير تغيير في سيرها بل
تجري جميعا في منازل مرتبة بحسب مقتدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطوبها الله تعالى على السجود
للكعب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها ببعضها عييل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض
وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها ببعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة
الحل والنور والاسد والانسان وما من صورة في الأرض والأشياء مثال في السماء ثم انظر إلى مسير
الشمس في فلكتها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر - ضرهاله خالقها ولولا طلوعها
وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأظلمت الظلام على الدوام أو انضاء على
الدوام لا كان لا يتغيرت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم
سباتا والنهار عايشا وانظر إلى ابلاجه الليل في النهار والنهار في الليل واذا خاله الزيادة والنقصان
عليها على ترتيب مخصوص وانظر إلى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف
بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها
بردها وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القبط وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان
وتجانب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشر جزء من أجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر
واعتقد على الجلبة أنه ما من كوكب من الكواكب الا والله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره
ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب
التي يتبنيه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك اذا ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة
وأمر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس
التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر
الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويدور بجوارها وقد اتفق الناظرين على
أن الشمس مثل الأرض مائة وثلاثين مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها ثم الكواكب التي
تراها أصغر مماثل الأرض ثمان وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل
الأرض وهذا تعرف ارتفاعها وبعدها إذ للبعد صارت ترى صفاء ولذلك أشار الله تعالى إلى بعدها
فقال رفع سمعكم انصتوا لها وفي الأخبار ان ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام فإذا كان
مقدار كوكب واحد مثل الأرض أضعا فافانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي
الكواكب تسير كوزة فيها إلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن
تدرك سرعتها لكن لا تشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع أول جزء
من كوكب إلى تمامه يسير وكذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك
في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف صبر
جبريل عليه السلام من سرعه حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم
فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام فانظر
إلى عظم مضطها ثم انظر إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورته مع اتساع
أكسافها في حدة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فتري جميعا فانهذه

السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد
 زرعها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالجيب منك أملك تدخل بيت
 حتى تقراه من فوقها بالصبح ممزها بالذهب فلا ينقطع نبعك منه ولا تزال تدركه وتصف حسنه طول
 عمرك وأنت أبدا تنظر الى هذا البيت العظيم الى أرضه والسقف والى هوائه والى عجائب أمتعته
 وضرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تهتد فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فإهذا البيت دون ذلك
 البيت الذى تصفه بل ذلك البيت هو أضاجره من الأرض التى هى أخس أجزائه هذا البيت ومع هذا
 فلا تنظر اليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذى انغرد بنائه وتربيته وأنت قد نسيت نفسك
 وربك وبيت ربك واشتغلت بطنك وفرحك ليس لك هم إلا شهواتك وأحشمتك وغاية شهواتك أن
 تملأ بطنك ولا تقدر على أن تأكل عشر مائتا كلبه هجمة فتكون الهجمة فوقك بشهر درجات وغاية
 حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون
 خبايا المعتقدات عليك وان صدقوك فى مودتهم أياك فلا يملكونك ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا
 ولا موتا ولا حياتا ولا نورا وقد يكون فى بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على
 جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وعقلت عن النظر فى جمال ملكوت السموات والأرض ثم عقلت
 عن التمتع بالنظر الى جلال ممالك الملكوت والملك وما منك ومثل عقلك الا كمثل الخلة تخرج من
 جحرها الذى حفرت فى قصر مشيد من قصور الملك ربيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري
 والغلمان وأنواع الذخائر والتفائس فانها اذا خرجت من جحرها واقبت صاحبها لم تعذب لو قدرت
 على النطق إلا عن بياها وغذاها وكيفية أذخارها فأما حال القصر والملك الذى فى القصر فهى بمنزل
 عنه ومن التفكير به بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذاها وبيتها الى غيره وكما عقلت
 الخلة من القصر وعن أرضه وسقفه وحيطاته وسائر بنيانه وعقلت أيضا عن سكانه فانت أيضا
 غافل من بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه
 الخلة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه الخلة منك ومن سكان بيتك نعم
 ليس للخلة طريق الى أن تعرفك وتعرف بحجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك
 قدرة على أن تجول فى الملكوت وتعرف من بحائبه ما الخلق فانزلون عنه ولتقبض عنان الكلام عن
 هذا الخط فانه مجال لا آخر له ولو استقصينا أحوال طويله لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا
 بمعرفته وكل ما عرفناه قليل زرحمير بالاضافة الى ما عرفه جلة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل زر
 حقير بالاضافة الى ما عرفه الانبياء عليهم الصلوة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه
 محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الاتياء كلهم قليل بالاضافة الى ما عرفته الملائكة المقربون
 كاسرافيل وجبريل وغيرهما من جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا أضيف الى علم الله سبحانه
 ونعالى لم يستحق أن يسمى علما بل هو الى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسيحان من
 عرف عباد ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاد الجبل التى
 تجول فيها فكر المتفكرين فى خلق الله تعالى وليس فيها فكر فى ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر
 فى الخلق لا محالة لمعرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله
 تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع
 على غريبة غريبة من تصنيفه وأشعره فتزداد به معرفة فتزداد بحسنه له توفيرا وتعظيما واحتراما حتى
 ان كل كلمة من كتابه وكل بيت عجيب من آيات شعره يزيد محلا من قلبك يستدعى التعظيم له فى نفسك

فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا ينتهي أبداً وإنما الكل عسده منها بقدر ما رزق فلتقتصر على ما ذكرناه ولننصف إلى هذا ما فصلناه في كل الشكر فانا نطرنأ في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو أحسان النيا وانعام علينا في هذا الكتاب نظرنأ فيه من حيث أنه فعل الله فقط وكل ما نطرنأ فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموقف ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضلها من يشاء ويهديها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بحلال الله تعالى وعظمته واشتد به ومن نظرها قاصراً لنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بسبب الاسباب فقد شقي وارتنى فتعود بالله من الضلال ونسأله أن يجنبنا ضلّة أقدام الجبال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته * ثم الكتاب التاسع من ربيع النحيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه يتلو كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه (كتاب ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربيع النحيات وبه اختتام كتاب احياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قسم بالموت رقاب الجبابرة وكسره ظهور الاكاسره وقصر به آمال القباصره * الذين لم تزل قلوبهم من ذكر الموت نافره حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافره * فتقلوا من الفصور إلى القبور ومن ضياء المهور إلى ظلمة العبود ومن ملاعبة الجوارى والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان * ومن التمتع بالطعام والشراب إلى التمزق في التراب * ومن انس العشرة إلى وحشة الوحدة ومن المتجّع الزيت إلى المصرع الويل * فانظر هل وجدوا من الموت حصاناً وعزا * واتخذوا من دونه جأياً وحرزاً * وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا * فبجان من افرد بالقمهر والاستسلام واستأثر باستحقاق البقاء وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من القناء * ثم جعل الموت مخلصاً للبقاء وموعداً في حقهم لقاء * وجعل القمر سبباً للاشقياء * وحسباً خفياء عليهم إلى يوم الفصل والقضاء * فله الانعام بالثتم المتظاهره * وله الانتقام بالنقم القايره * وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخره * والصلاة على محمد ذي المجازات المتظاهره * والآيات الباهره * وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً (أما بعد) فخير بين الموت مصرعه والتراب مصيغه * والدود أنيسه * ومنكره وتكبر جليسه * والقمير مقره * وبطن الارض مستقره * والقيامه موعده * والجنة أو النار مورد * أن لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له والاستعداد للأجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعرج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حول الا حوله ولا انتظار الا روى الله * وحقيق بأن يفتن نفسه من الموتى وراها في أصحاب القبور * فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت * ولن يتيسر الاستعداد لشي الا عند تذكركه على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنهايات عليه * ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامه والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكركه على التكرار * وملازمته بالافتكار والاستبصار * ليكون ذلك مستغنياً عن الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرجيل * فابقى من العمر الا القليل * واخلى عنه غافلون * اقرب الناس حساسهم وهم في غفلة معرضون * ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين

الشرط الأول في مقدمته وتوايه الى تفتحة الصور وفيه ثمانية أبواب
الباب الأول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في ذكر طول الأمل وقصره الباب
الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستحب من الأحوال عند الموت الباب الرابع في وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده الباب الخامس في كلام المختصين من الخلفاء
والأمراء والصالحين الباب السادس في أقوال العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى تفتحة الصور الباب الثامن فيما عرف من
أحوال الموتي بالمكاشفة في المنام

الباب الأول في ذكر الموت والترغيب في الاكثار من ذكره
اعلم أن المنهمك في الدنيا المكسب على غرورها الحب لشهواتها يغفل قلبه لا يحاله عن ذكر الموت فلا
يذكره وإذا ذكره كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم قل ان الموت الذي تفترون منه
فانه ملائكم فيم تزدون الى عالم الغيب والشهادة فينبذكم بما كنتم تعملون ثم الناس امامهم كما واما
تائب مبتدئ اعترف منته أما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فبذره للتأسف على دنياه
ويشتغل بمذمته وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعدا وأما التائب فانه يكثر من ذكر الموت لينبذ به
من قلبه الخوف والخشية فينتام التوبة ويرى بكرة الموت خيفة من أن يحتطفه قبل تمام التوبة
وقبل اصلاح الزاد وهو مذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره
لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس بكرة الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره
ونقصه وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشغولا بالاستعداد للاقائه على وجه برضاه فلا يعد
كارها للاقائه وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا يشغل له سواه والا تلقى بالملك في الدنيا
وأما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعدا للاقائه بحبيه والمحب لا ينسى قط موعدا لقاء الحبيب
وهذا في غالب الامر يسبغ بجي الموت ومحب بحبه ليتخلص من دار العاصيين وينتقل الى جوار
رب العالمين كزوى من حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم اللهم ان
كنت تعلم أن الفقراء أحب الى من الغني والسقم أحب الى من الصحة والموت أحب الى من العيش
فسهل على الموت حتى ألقاك فاذا التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت
وتجنبه وأعلى منه مارتبة من فوض أمره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون
أحب الاشياء اليه أجمع الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا
وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال في ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر
الموت التباين عن الدنيا تنفص عليه نعيمه ويكثر عليه صفو لفته وكل ما يكثر على الانسان
الاذات والشهوات فهو من أسباب النجاة

في بيان فضل ذكر الموت كثيرا كان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما من ذكر هادم اللذات معناه نصوابة ذكره اللذات حتى
يتقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم
ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد
قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة فوائسب هذه الفضلة كلها أن ذكر الموت
يوجب التباين عن دار القرور ويتقاضى الاستعداد للأخرة والنفقة عن الموت تدعو الى الانهماك
في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تفتحة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن
الذي لا يزال فيها في عناه من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانها فالموت إطلاق له من هذا

العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حق المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا بالهم والصغائر فاموت بظهره منها ويكفرها بعد اجتنبها الكبار وأقامته الفرائض قال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس قد استعلى فيه الصلح فقال شوبو اجلسم بذكركم ذكر الذات قالوا وما مذكر الذات قال الموت وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكره من ذكر الموت فإنه يمحس الذنوب ويزهدي الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كني بالموت مفرقا وقال عليه السلام كني بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يعتذون ويضحكون فقال إذا ذكروا الموت أما الذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكركم صاحبكم للموت قالوا ما كنا نذكره معك بذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك وقال ابن عمر رضي الله عنهما أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكر الموت وأشداهم استعدادا له أولئك هم الأيكاس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ﴿وَأَمَّا الْآخِرُ﴾ فقد قال الحسن رحمه الله تعالى قطع الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعر واني أحدا وسلوني إلى رب سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من أخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تبتى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضومه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فينذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يمشون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال إبراهيم التيمي شيئا قطع اعني لمدة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب بن عرفة الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى الناس كأن قاتلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما زاهم إلا الوهيين وقال أشعث كما ندخل على الحسن فأغماها النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضي الله عنها إن امرأاة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قسوة قلبها فقالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلداه دما وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تغلم أو صاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه وقال الحسن ما رأيت قاطلا قط إلا أصبحت من الموت حذرا وعليه حزنا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظمي فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آتاك أحد إلى آدم إلا ناني الموت وقد جاءت نوبتك فبكي مر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبر أبي داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستدعي بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارقت الموت قلبي ساعة واحدة لقد قال مطرف بن عبد الله بن النضير إن هذا الموت قد نقص على أهل النعم فعمهم فاطلبوا تعجبا لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنيسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعته عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هارون أعجبين الموت قالت لا قلت قالت لو عصيت آدم بماما اشتهيت لقاء فكيف أحب لقاءه وقد عصيته

﴿بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب﴾

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وعقوبة الناس عنه لقطة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس

يدركه قلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينعذد الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ
العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفاز مخطرة
أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا سار ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل
فرحه وسروره بالدنيا ويتكسر قلبه وأنجح طريق فيه أن يتكبر كراهته وأفرانه الذين مضوا قبله
فتندد كموته ومصارعهم تحت التراب وتندد كصورتهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف يحيا
التراب الآن حسن صورتهم وكيف تبددت أجزاءهم في قبورهم وكيف أرموا النساء هم وأبنوا
أولادهم وضعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومحاسنهم وانقطعت آثارهم ففهم ما ند كرجلا
رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتندد كرشاطه وترزده وتأمل له العيش والبقاء
ونسائه الموت واتخذاه جمانة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الصلح والاهو
وعقلته مما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتزدد والآن قد نهتدت
رجلاه ومفاصله وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يصحك وقد أكل التراب
أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشرين في وقت لم يكن ينهه وبين الموت
الاشمرو هو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فأنكشف له صورة الملك وقرع
سمعه النداء أما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وعقلته كفعلهم ويستكون عاقبه
كما قبهم قال أبو الدرداء رضي الله عنه إذ ذكرت الموتى فعدت نفسك كأحدكم وقال ابن مسعود رضي
الله عنه السعيد من عطف بغيره وقال عمر بن عبد العزيز ألا تزون أنكم تظهرون كل يوم غاديا أو راجعا إلى
الله عز وجل تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الاحجاب وقطع الأسباب
فلا زمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول القابر ومشاهدة المرضى هو الذي يحدذك الموت
في القلب حتى يظلم عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعده وتبقي من دار
الغرور والأفالد كبطاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التعذير والتنبية ومهما طاب قلبه
بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقتها نظرا بن مطيع ذات يوم إلى داره
فأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور
لقرت بالدنيا أهنا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

﴿الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته﴾

﴿فضيلة قصر الأمل﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تتحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت
فلا تتحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن تحدث لسفكك فأك بك يا عبد الله لا تدري
ما اسمك غدا روي عن علي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال أن أشد ما أخاف عليكم خصلتان
استماع الهوى وطول الأمل فأما استماع الهوى فإنه يصعد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم
قال ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض وإذا أحب عبد الله أعطاه الأيمان ألا إن الدين أبناء
والدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قدر تخلت مولية
إلا أن الآخرة قدر أخلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في يوم
حساب ليس فيه عمل وقالت أم المذرظلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشيته إلى الناس
فقال أي الناس أمانتكم من الله قالوا وماذا الذي يارسل الله قال تجمعون ما لنا كلون وتأمون
ما لا تدركون وتنبون ما لا تسكنون قال أبو سعيد الخدري اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت

وليدة بانه دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تنجبون من اسامة المستري
الى شهر ان اسامة لطوبى لامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان شفى
لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لت لمة
الاظننت انى لا أسبغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بنى آدم ان كنتم تقولون فعدوا انفسكم من
الموتى والذى نفسى بيده ان ماتوا صدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج بهريق الماء فيمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله ان الماء
منك قريب فبقول ما يدري لعل لا يبلغه وروى انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاثة أعود فغرز عودا
بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال
هذا الانسان وهذا الاجل وذلك الامل بتعاطا ابن آدم ويحمله الاجل دون الامل وقال عليه
السلام مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان اخطأته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود
هذا الهرم وهذه الختوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الختوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل
وهذه الختوف شوارع اليه فاما أسره اخذه فان اخطأته الختوف قتله الهرم وهو ينظر الامل
وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مريعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا
الى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال اندرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان للخط
الذى فى الوسط وهذا الاجل يحيط به وهذه الاعراض للخطوط التى حوله تنبئ به ان اخطأه هذا تنبئ به
هذا وذلك الامل يعنى الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هرام ابن آدم وبنى
معه اثنتان الحرص والامل وفى رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شجا أول هذه الامة باليقين والزهد وبهاك آخر هذه الامة بالظن
والأمل وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمساقين بها الارض فقال عيسى اللهم
انزع منه الامل فوضع الشيخ المسعاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام
فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذا قالت لى نفسى الى متى تعمل وأنت شيخ كبير
فأقبلت المسعاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لا بذلك من عيش ما بقيت فقبلت الى مسهاتى
وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله
قال قصر وامن الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستعبروا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وسلم
يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ
بك من أمل يمنع خير العمل والآخرة قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجيئ نخشيت على ذهاب
عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تمنوا يعيش ولا قامت بينهم
الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولا ههما مامشى المسلون
فى الطرق وقال الثورى بلغنى أن الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنأ العيش وقال أبو سعيد بن
صبر الرحمن انما امرت الدنيا بقلة عقول أهلها وقال سليمان الفارسي رضى الله عنه ثلاث
أعجبني حتى أضحكتمنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يفكر عنه وضاحك مل فيه
ولا يذرى أساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنننى حتى ابتكسنى فراق الاحبة محمد
وحزه وهول الطلع والوقوف بين يدي الله ولا أدري الى الجنة يؤمرى أو الى النار * وقال بعضهم
رايت زرار بن أبي أوفى يمد موفته فى المنام فقلت أى الاعمال بلغ منكم قال التوكل وقصر الامل
وقال الثورى الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغايظ ولا لبس القباة وسأل الفضل

ابن فضالة ربه أن يرفع عنه الامل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فردعه عليه الامل
 فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد ألا تفعل ففعل فقال الاسرأجل من ذلك
 وقال الحسن الموت معقود بنواصيك والدينا تطوى من وراءك * وقال بعضهم أنا صكر رجل
 ما ذعنقه والسيف عليه ينتظر منى تضرب عنقه وقال داود الطائي لو أملت أن أعيش شهرا
 لا أبني قدأنت عظميا وكيف أو مل ذلك وأرى القبايع تقضى الخلائق في ساعات الليل والنهار *
 وحكي انه جاء شقيق البجلي الى استاذ له يقال له أبو هاشم الرماني وفي طرف كسانه شيء مصور
 فقال له استاذ ايش هذا معك فقال لوزات دفعها الى أخى وقال أحب أن تفطر عليها فقال
 يا حقيق وأنت تحدث نفسك انك تنجى الى الليل لا تلتك أبدا قال فأغلقت في وجهي الباب ودخل *
 وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل سفر زادا لا يحاله فترود السفر كم من الدنيا الى الآخرة
 التقوى وكونوا كمن جاب ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترعبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد
 فتسفلو قلوبكم وتتقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يبسى
 بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطافات المنايا وكما رأيت ورايتهم من كان بالدينا معتبرا وانما
 تقر عين من وثق بالعبادة من عذاب الله تعالى وانما يفرح من آمن أهوال القيامة فأما من لا يدأوى
 كلما ألباهه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعود بالله من أن أمركم بما ألهمني عنه نفسي
 فقصر صفقتي وأظهر عيبي وتبدو مسكنتي في يوم يذوق فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد
 عنيت بأمر لوعنت به النجوم لا تكدرت ولوعنت به الجبال لذابت ولوعنت به الأرض
 لتشققت أما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائررون الى احدهما وكتب رجل الى
 أخ له أما بعد فان الدنيا حلم والآخرة بقطة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام
 والسلام وكتب آخر الى أخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللتنقص
 في كل يوم منه نصيب وللإبلا في جسمه ديب فبادر قبل أن تشأى بالرحيل والسلام وقال الحسن
 كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمه خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول
 فجعل أمه بين عينيه وأجله خلف ظهره * وقال عبد الله بن سفيان سمعت أبا يقول أيها المغتر يطول
 صحته أما رأيت ميثاق من غير سقم أيها المغتر يطول المهلة أما رأيت ما خذنا فط من غير عدة انك
 لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذلك أبالصحة تقترون أم بطول العافية تمحرون
 أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تبحرون ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعك ثروة مالك ولا
 كثرة فاحشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفرغ ثم قال رحم
 الله عبد الله لما بعد الموت رحم الله عبد الله لما نظر لنفسه قبل زول الموت وقال أنوز كيا التمي بينما
 سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذا في حجر منقور فطلب من يقرأه فأني يوهب من منبه فاذا
 فيه ابن آدم أنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لذهبت في طول أملك ولرعت في الزيادة من ملك
 ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك عند انك لو قد زلت بك قدمك وأسلك أهلك وحشمتك
 وفارقك الولد والقريب ورفضك الولد والنسب فلا أنت الى دنياك عائدا ولا في حسناتك زائد
 فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فيكي سليمان بكاشد اوقال بعضهم رأيت كتابا من محمد
 ابن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو أما بعد فاني
 أحذرك معقولك من دارمهلك الى دار اقامتك وجزاء أعمالك قصير في قرار باطن الأرض بعد
 ظاهرها فإيا نيك منكرو نكير فيقعد انك وينتهرك فان يكن الله معك فلا بأس ولا رحمة ولا

فأفان يكن غيرة لنا عاذنى الله وبالكم من سوء مصرع وضيق مضيق ثم تملككم صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها باحت الاسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وحج بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فبالت شعري ما حالي وحالي ثم يذني هذا ما هدم الذات وأسلى عن الشهوات ونصر عن الأمل وأفظ النائمين وحذر النافلين أماننا الله وأياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك وقههما من قلوب المتقين فاما نحن به وله والسلام * وخطب عمر بن عبد العزيز بحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انكم لم تتخلوا وعشائول تتركوا سدى وان لكم معاد يجمعكم الله فيه الحكم والفصل فيما بينكم فغاب وشقي غدا بعد أخرجكم الله من رحمته التي وسعت كل شيء وخفته التي عرضها السموات والأرض وانما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى باع قليلا بكثره فاني باين وشقوة بسعادة الآتون انكم في أسلاب المال كمين وسخلف بعدكم الباقرن الآتون انكم في كل يوم تشيعون غدا بوارحالي الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمه فتنعونه في بطن صيد من الأرض غير موسى ولا محمد قد دخل الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وائم اللهاني لا قول مقاتلي هذه ولا علم اندأ حذكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ولكن ساسن من الله عاذلة أمر فيها بباطهته وأهني فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يدي حتى بليت دمعه لحته وماعاد الى مجلسه حتى مات * وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للوت منذ ثلاثين سنة فلواتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيئا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت أن ينزل بي ولواتاني ما أمر به بشيء ولا نهيت عن شيء ولا لي على أحدث شيء ولا احد هندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تفصك ولعل أكفناك قد خرجت من عند القصار وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فأنشد ففقدنا حبة وهي تدفن فثقت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد فصر عليه البعيد ومن طال أمه ضعف عمله وكل ما هوأت قرب واعلم يا أخي أن كل شيء يشغل عن ربك فهو عليك مشؤم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور وانما يندمون على ما يخلفون ويشرحون بما يقتضون فاندب عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتلون وفيه يتأفسون وعليه عند القضا يتختمون وروى أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غير هذا قال معروف وأنت فخذت نفسك أن تصلي صلاة أخرى تعود بالله من طول الأمل فانه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبه ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها القضاء وكتب على أهلها الظن عنها فكم من عاشر موثق مما قبلت يخرب وكم من مقيم مقبض مما قبلت يظن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من الثقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كتي فلال قلص فذهب بينا بين آدم في الدنيا بينا فس وهو قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورواه يوم حقه قلبه آثاره ودينه وصبر لقوم آخرين مصانه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انما تسر قليلا وتخزن طويلا * وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه كان يقول في خطبه أن الوضوء الحسنة فوجوهم الجهنون ينسبهم ابن الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالخططان أس الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعف بهم الدهر فاصبحوا في طلبات القبور والوفاة الواحش العجايب

﴿بيان السبب في طول الأمل وعلاجه﴾

اعلم أن طول الأمل له سببان أحدهما الجهل والأخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها ونشها وانها أولذاتها وعلاقتها تل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كرم شيئا دفعه عن نفسه والآنسان مشغوف بالأماني الباطلة فينسى نفسه أديما بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر نزول البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار وأجدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فبهاوعن ذكر الموت فلا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف وعنده نفسه وقال الايام بين يديك الى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبرت نقول الى أن نصير شيئا فاذا صار شيئا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار ومجارة هذه الضبعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي شمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق بأنعام ذلك الشغل عشرة اشغال أخرى وهكذا على التدرج يؤخر يوما بعد يوم وبفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى أن تحطفه النوبة في وقت لا يجتنبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياهم من سوف يقولون واخرنا من سوف والمسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعو الى التسوف اليوم هو معه غدا وانما يزيد بطول المدة قوة ريسوا وظن أنه يتصور أن يكون للناقص في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيات فابفرغ منها الا من اطرحها

فما قضى أحد منها الباتنة * وما انتهى ارب الا الى ارب

وأصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والآنس بها والنفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحب من أحببت فانك مفارقتها أو الما الجهل فهو أن الآنسان قد يقول على شاب أنه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عموا الكنا أو قل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب أكثر فالى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فاما يقع فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استنعاره واشتغال بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعاه الى طول الأمل والى النفلة عن تقدير الموت القريب فهو أديا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقعه فيه وهو أديا يظن أنه يشمع الجنائز ولا يقدر أن تشمع جنازته لان هذا قد تكررت عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه فلم يلفه ولا يتصور أن يالته فانه لم يرقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعده هذه هو الأول وهو الآخر وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وأن تحبل جنازته ويدن في قبره ولعل الهن الذي يغطي به الحدة قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري قدسوفة جهل محض وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فمدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القارب الطاهرة وأما حب الدنيا فانهلاج في اخراجه من القلب شديده وهو الداء العضال الذي أصاب الأولين والآخرين وعلاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر ومجاهدته من عظيم العقاب وخزبل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يحوم عن القلب حب الخفير فاذا رأى حقارة الدنيا

ونفاسة الآخرة استتكتف أن يلتفت إلى الدنيا كما هو وإن أعطى ملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر ومنقص فكيف يفرح بها أو يتبرح في قلبه جميع الأيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أماناً كان مستعداً فقد فاز فوزاً عظيماً وأماناً كان مغروراً بطلو الأمل فقد خسر خسراناً مبيناً فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليندر أنها كيف تناكها الديدان والحالة وكيف تنقث عظامها ولينفكر أن الدود يبدأ بمجد قته البعني أولاً واليسرى في على يده شيء الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك ينفكر فيما سئره من عذاب القبر وسؤال متكررونيكروني الحشر والنشر وأحوال القيامة وفرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعو الى الاستعداد له

﴿بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره﴾

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون فبهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبداً قال الله تعالى يؤذ أحدهم لو بمر ألف سنة ومنهم من يأمل البقاء إلى المهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورأوه وهو الذي يجب الدنيا جبا شديداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وان التفت زقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجود في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فانا جمع ما يكتفيه لسنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يتدبر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمه إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا لنهاره وأما الغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا بزرز غدا فان يكن غداً من آجالكم فستأني فيه أرزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا بالآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمه ساعة كقال نيسابني الله عليه وسلم يا عبد الله اذا أصبحت فلا تتحدث نفسك بالمساء وانما أمسيت فلا تتحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول لعلي لا أبلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حقيقة ايمانه فقال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها أخرى وكأنقل عن الاسود وهو جيشي انه كان يصلي ليلاً وياتنت بينما وشجا لا فقال له قائل ما هذا قال انظر ملك الموت من أي جهة يأتي فلهذا مراتب الناس ولكل درجة عند الله وليس من أمه مقصور على شهر كمن أمه شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيراً ربه ثم يظهر اثر قصر الأمل في المدايرة إلى العمل وكل انسان يدعي انه قصير الأمل وهو كاذب وانما يظهر ذلك بأعماله فانه يعتنى باسباب ربحها لا يحتاج إليها في سنة فيقبل ذلك على طول أمه وانما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فلم يستعد الموت الذي يرده عليه في الوقت فان عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يصيبع نهاره بل استوفى منه حظه واخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب من الغد وما يكون فيه ثقل هذا اذا مات سعدوتم وان عاش مريض حسن الاستعداد وولادة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مره بذليل لكن الموت على بالك يا مسكين

فان السير حثيث وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك الأبيادة العمل اعتنا بالكل نفس أمهلت فيه

(بيان المبادرة الى العمل وحذرافة التأخير)

اعلم أن من له اخوان غائبان ينتظرون قدوم أحدهما في غد ينتظرون قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد الذي يقدم الى شهر أو سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فلا استعداد نفعه قرب الانتظار في انتظار مجي الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو ينتظر السنة بكلا لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبادري لنفسه متساعف تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ما احتظرا أحدكم من الدنيا الاغنى مطغيا أو قرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هربا مقيدا أو موتا مجبرا أو الدجال قاله دجال شر غائب ينتظر أو الساعة أو الساعة آدهي وأمر * وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اعظم خمسا قبل خمس شيأك قبل هرمك وخمأك قبل سفكك وضمأك قبل تفرك وفراخك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ أي انه لا يفهمهما يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادبج ومن ادبج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجه الموت بجافيه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنس من أحكامه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أنتكم النية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة الموعود وابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا كالحبي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا كمثل ثوب بشق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخرق في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب ذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صدحكم ومستكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود رضي الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم في برذائه أن يهديه بشرح صدره للإسلام فقال ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقبل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم الصابي عن دار الفروور والابابة الى دار الخلود والامستعداد للموت قبل نزوله وقال البستي الذي خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملا أي أيكم أكثر الموت ذكر أو أحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناذير ينادي أيها الناس الرجل الرجل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدي العسكر نذير للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يسأخر في الموت وقال بعضهم غولي بني تميم جلست الى طاهر بن عبد الله وهو صلى فأوجز في صلاته ثم أقبل على فقال أرحتني بما جئتكم فاني أبادر قلب وما تبادر قال ملك الموت رحمتك الله قال فتمت عنه وقام الى صلاته ومرة داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروجه نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في أعمال الخير لا الآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل أن يأتبك الامر ويحك بادري قبل أن يأتبك الامر حتى كرزك مستئين مرة فاصبر ولا يراني وكان الحسن يقول في مواعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرنون بها الى الله عز وجل رحم الله أمر أنظر الى نفسه وبكى على عباد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما اعتد لهم عذابا في الانفاس

آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك * واجتهد أبو موسى
الاشعري قبل موته اجتهد اشديداً قبل له لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرقيق قال ان الخليل
اذ أرسلت فقارب رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجلى أقل من ذلك قال فلم
يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لأمراة شذى رحلت فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء
على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوماً صريحين فانتبهوا وعلوا أن الدنيا ليست لهم
بدار فاستبدلوا واستعدوا الموت فقد أنظلكم وترحلوا فقد جذبكم وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها
الساعة لجذيرة بقصر المدة وإن غائباً يجذبها الجديان الليل والنهار حري بسيرة الابه وان قادما
يجل بالفوز أو الشقة المستحق لافضل العدة فالتقى عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته
فان أجله مستور عنه وأهله خادع له والشيطان موكل به يمينه التوبة ليسوقها وزين اليه المعصية
لمرتكها حتى تهجم منيته عليه أعقل ما يكون عنها وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت
أن ينزل به نياها حاضرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترد به أيامه إلى شقة جعلنا الله
وأيامكم من لا ينظر نعمه ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يجلب به بعد الموت حسرة انه سمع الذم
وانه يبده الخير دائماً فقال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فنتمم أنفسكم قال بالتمهات
واللذات وترى بصرته قال بالتوبة وارتبتم قال شككم حتى جاء أمر الله قال الموت وغررتم بالله الفروع
قال الشيطان وقال الحسن تصبروا وتشدوا وانما هي أيام قلائل وانما أنتم ركب وقوف بوشك أن
يدعى الرجل منكم فجيئ ولا يلتفت فانتقلوا يصالح ما يحضركم وقال ابن مسعود ما منكم من أحد
أصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مر محل والعارية مؤداة وقال أبو عبيد الباغي دخلنا على
الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا بكم الله بالسلا م وأحلتنا يا كمدار المقام
هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم وانقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخير وحكم الله ان تسمعوه هذه
الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من رأى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد رآه فادباراً راحلماً يضع
لبنته على لبنته ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم شمر اليه الوحا الوحا لجا لبعاء علم تعرفون
أنتم ورب الكعبة كاتكم والامر معارحم الله عبد جعل العيش عيشاً واحداً فكل كسرة وليس
خلقوا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبسكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابغى الرحمة حتى
يأتيه أجله وهو على ذلك * وقال حاصم الاحول قال لي فضل الرقاشي وأسااتله با هذا لا يشغلك
كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك وتهم ولا تنقل أذهب ههنا وههنا فيقطع عنك النهار
في لاشئ فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع ادراكاً من حسنة قد حثت
لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستصعب من الاحوال عنده
اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت يجردها
لكان جذرباً بان تنفض عليه عيشه وشكره عليه سروره ويقارقه سهوه وعقلته وحققه بأن
يطول فيه فيصكره ويعظم له استعداده لاسما وهو في كل نفس يصده كقال بعض الحكماء
كرب يبدى سواك لا تدرى متى يشاك * وقال لقمان لابنه يا بني أمر لا تدرى متى يلقاك استعدله
قبل أن يغيثك والحب أن الانسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس الله وفانتظراً أن يدخل
عليه جندى فيضرب به خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس يصدد
أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات التزع وهو عنه غافل فالهذاسب الا الجمل والغرور وعلم أن
شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فاعلم يعرفها اما بالقياس الى

الآلام التي أدركها أرباب الاستدلال بأحوال الناس في الترع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي
 شهده فهو أن كل عضو لروح فيه فلا يحس بالآلم فإذا كان فيه الروح فالمدرك للآلم هو الروح فهما
 أصاب العضو جرح أو حريق سرى الا ترى الروح فبقدر ما يسرى الى الروح يتألم والمؤلم يفرق على
 الجسم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الآلم فان كان في الآلام ما يسائر نفس الروح
 ولا يلاقي غيره فإعظم ذلك الآلم وما أشده والنزع عبارة عن مؤلم تزل بنفس الروح فاستغرق جميع
 أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن الا وقد حل به الآلم فلو أصابته شوكة
 فالآلم الذي يجده انما يسرى في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضوع الذي أصابته الشوكة وانما يعظم أثر
 الاحتراق لان أجزاء النار تفرص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى في جزء من العضو المحترق ظاهرا أو باطنا
 الا وتصيبه النار فتحسها الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء الجسم وأما الجراحة فانما تصيب
 الموضوع الذي منه الحديد فقط فكان لذلك آلم الجرح دون آلم البار فإلم النزع يحس من نفس الروح
 ويستغرق جميع أجزائه فانه المتزوع المحذوب من كل عرق من العروق ومصب من الأعصاب وجزء
 من الاجزاء مفصل من المفصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه
 وآلمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالناسير وقرض بالمقاريض لان قطع
 البدن بالسيف انما لم يمت له لقيه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستثبت
 المضروب ويصبح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة آلمه لان
 الكرب قد بالغ فيه ونصاعده في قلبه وبلغ كل موضع منه فهذه كل قوة وضعف كل جراحة فلم يترك
 له قوة الاستئنة أما العقل فقد ضسه وشوشه وأما اللسان فقد أبكه وأما الاطراف فقد ضعفها
 و يود لو قدر على الاستراحة بالآتين والصباح والاستغائة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة
 سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوار أو غرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه وارتدحتي كأنه ظهر
 منه القرب الذي هو أصل نظرنه وقد جذب منه كل عرق على حياله فالآلم منتشر في داخله
 وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى أعالي أجفانه وتنقلش الشفتان وتنقلش اللسان الى أصله
 وترتفع الانثيان الى أعالي موضعهما وتخضر أنامله فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه
 ولو كان المجذوب مرقا واحد الك أن آلمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لامن عرق واحد
 بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبدأ أولا قدماه ثم ساقاه ثم يخذاه ولكل
 عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغها الى الخلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها
 ويغلق دونه باب التوبة ويضبط به الحسرة والتدماة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة
 العبد ما لم يفرغ وقال بجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
 أحدهم الموت قال اني نبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدوله صفحة وجهه ملك الموت فلا
 تسأل من طعم مرارة الموت وكربه عند ترداد في سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول اللهم دون عنى محمد سكرات الموت والناس انما لا يستغيثون منه ولا يستغيثونه لجهلهم به
 فان الأشياء قبل وقوفها انما تترك نور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الأبناء عليهم السلام
 والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحوارين ادعوا الله تعالى أن يموت علي
 هذه السكرة بمعنى الموت فقد خفت الموت مخافة أو تقضى خوفا من الموت على الموت وروى أن نفرا
 من بني إسرائيل مروا بقبرة فقال بعضهم لبعض لودعوا الله تعالى أن يخرج لكم من هذه القبرة
 ميتا لأنونه فدعوا الله تعالى فاذا هم رجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور

فقال يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا أعطي أحد أيمون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى انه عليه السلام كان يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والنصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغضته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدة فقال ان أهون الموت بمنزلة حكة في صوف فهل تخرج الحكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني أعلم ما يلقي مامنه عرق الا وبألم الموت على حديه وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لا ف ضربة بالسيف أهون علي من موت على فراش وقال الا وراعي يا غدا ان الميت يجد ألم الموت ما لم ينعم من قرة وقال شداد بن اوس الموت أقطع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من تشمير بالناشير وقرص بالمقاريض وغني في انقذ ورؤوا ان الميت تشمير فأخبر أهل الدنيا بالموت ما تنفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم من أيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يسلفها بعمله شد عليه الموت لينبغ بسكرات الموت وكر به درجته في الجنة واذا كان لكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجدته فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت النجاة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروى من مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لما توابواذن الله تعالى لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشئ الا مات وروى لو ان قطرة من ألم الموت وضعت على جمال الدنيا كلها لذابت وروى أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسوف ودج في صوف رطب ثم جذب فقال اما انافذ هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالصفيحة رحين يلقى على الحقل لا يموت فيستخرج ولا يخير فطير وروى عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسليط القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرها لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب علي إليك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كف من كثير الشوك ادخل في خوف رجل وأخذت كل شوكه يعرق ثم جذب به رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذوا بقي ما بقي وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام فارتقي وأقارئك الى يوم القيامة بهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فاحالنا ونحن المنهم مكمون في المعاصي ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث **الاولى** شدة التزعج كما ذكرناه **والثانية** مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب فلورأي صورته التي قبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة ثم يلقى رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي قبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم

التفت فاذا هو رجل أسود قائم الشعر منتن الرائحة سود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لم يلب النار والمدخنات فتشئ على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يأت القاهر عند الموت الا بصورة وجهك لكان حسبه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيوراً وكان اذا خرج أغلق الابواب فألقى ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي رجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه منته بجاء داود فراه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أحباب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مر بمجمعة فغضبها برجله فقال تكلمى بإذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا وأنا أجالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سريري ملك الموت فزال مني كل عضو على حباله ثم خرجت نفسي اليه فبالت ما كان من تلك الجوع كان فرقة وبالت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فبهذه الداهية تلقاها العصاة ويكفهاها المطيعون فقد حكى الانبياء بحجة دسكرة التزعزوع دون الروعة التي يدركهم ان يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولورأها في منامه ليلة لتغص عليه بقية عمره فكيف يرؤيته في مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه في أحسن صورة وأجلها فقد روى عن عمره عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيوراً وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فخرج ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها رها فقال أنا رها فقال أدخلنيها من هو ملك هاهنا ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن ترثي الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض مني فأعرضت ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا بصورة تلك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الخافطين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يراى له ملكاه الكتابان عمله فان كان مطيعاً قال له جزاك الله عنا خير افر ب مجلس صدق اجلسنا وعمل غير صالح احضرتنا وان كان فاجر قال له لا جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس سوء اجلسنا وعمل غير صالح احضرتنا ولا جزاك الله عنا خيراً اقل ذلك فخص به من الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبداً ﴿الداهية الثالثة﴾ مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تنكذت قواهم واستسلمت الغرور أجرواحهم ولن يخرج أجرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت يا حدى البشر بين اما البشر يا عدو الله يا ناراً وأبشر يا ولى الله يا الجنة ومن هذا كان خوف أرباب الابواب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك بذلك ان المؤمن اذا خرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب لقاء الله وروى أن حذيفة بن اليمان قال لا ين مسعود وهو لبايه من آخر الليل قم فانظر رأى ساعة هي قيام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحراء فقال حذيفة أعود بالله من صباح الى النار ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكى خزانعالي الدنيا ولا جزعاً من فراقكم ولكن أنتظر احدى البشرين من ربي بخنة أم بنار وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا رضى عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فائتني بروحه لأريه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فيترك ملك الموت ومعه خمسمائة

من الملائكة ومعهم قضبان الریحان وأصول الزعفران كل واحد منهم بمشرفة إشارة سوى إشارة صاحبه وقوم الملائكة صنفين لخروج روحه معهم الریحان فإذا انظر اليهم يبلس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فقول له جنوده مالك يا سيدنا فقول أ ماترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أن كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما وقال الحسن لا راحة للؤمن الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى في يوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فإذا دخل عليه الحسن قبل له هذا الحسن فرقع طرفه اليه ثم قال يا اخواناه الساعة والله أ فارقمكم الى النار أو الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخواناه عليكم السلام الى النار أو بعفو الله وتغني بعضهم أن سقى في التزع أبدأوا لبعث لثواب ولا عقاب . * يخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لا تقي هذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره وإعادته

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدى والسكون ومن لسانه أن يكون خافيا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اربوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه وبست شفتاه فهي من رحمة الله فذر لته وأذاعظ عظيم الخوف واحمر لونه وأربدت شفتاه فهو من عذاب الله فذر لته بهو أما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي سلامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فأنها تهمدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد قال عثمان إذا حضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زادة الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم رد كروهم فانهم يرون ما لاترون ولقنوههم لا اله الا الله وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحية فوجد طرف لسانه لا صفا يحسكه يقول لا اله الا الله ففطره بكلمة الاخلاص وبنى للقلن أن لا يلج في التلقين ولكن يتلطف فرجما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤذى الى استغفاله التلقين وكرهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا سبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغورا بالدينا ملتقنا لها مناسغا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقها وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا أن يتفضل الله تعالى بالقبول وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن بالله ودخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال أخبرني كيف خلتك بالله قال أغرقتني ذنوبي وأشرقت علىهلكة ولكني أرجو رحمة ربى فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتهت في قلب عبدي مثل هذا الوطن الا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شابا به

حدة وكان لهام غظه كثير او تقول له يابني انك يوم افاذ كرومك فلما نزل به امر الله تعالى اكبت عليه وانه وجعلت تقول له يابني قد كنت احذر لك مصرعك هذا واقول انك يوم افاذك بائنه اني ربا كثير المعروف واني لا رجو ان لا يعدمني اليوم بعض معرفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب بهرقى فاحضر فقالت له امه يابني توصي بشئ قال نعم خائفي لا تسلبني فان فيه ذكر الله تعالى فاعل الله برحمتي فلما دفن رؤى في المنام فقال اخبروا امي ان الكلمه قد نفعني وان الله قد عقر لي * ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال ان يذهب بي قالوا الى الله قال فما رحمتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال ابو المعتمر بن سليمان قال ابى لما حضرته الوفاة يا معتمدتي بالرخص لعل ابقي الله من زوجي وانا احسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكروا عبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

سليمان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الخيال عنها

قال اشعث بن اسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عيان من في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالشرق ونفس بالمغرب ووقع الويا بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتسكون بين اصبعي هاتين وقال قد دحيت له الارض فتركت مثل الطشت بين يديه فبناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل وقال سليمان داود عليهم السلام ملك الموت عليه السلام مالي لا اراك تعذل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك باعلم منك انما هي صحف او كتب تاتي الي فيها اسماء * وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا ثياب لبسها فم تخبه فطلب غير ما حتى لبس ما اعجبه بهدمرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تخبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاءه ابليس فتغنى في مغزوه فتغنى فلاء كبرائهم ساروسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرائهم رجل رث الهمسة فلم يرد عليه السلام فأخذ بطام دابته فقال ارسل البجام فقصده تعاطيت امر اعظما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على بطام دابته فقال اذكر ما قال هوسر فادنى له رأسه فساروه وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى أهلي وأقضى حاجتي وأردعهم قال لا والله لا ترى أهلك وتغفلك أبدا بقبض روحه فصرخ كأنه خشية ثم مضى فأتى عبدا مؤمنا في تلك الحال فلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي اليك حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساروه وقال انا ملك الموت فقال أهلا ومرحبا بمن طالبت قبتيه علي فوالله ما كان في الارض غائب أحب الي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة اكبر عسدي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر لي أي حال شئت أن اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى أنوضأ وأصلي ثم اقبض روحي وأنا ساجد قبض روحه وهو ساجده وقال ابو بكر بن عبيد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل ما لا فلا اشرف على الموت قال لبنه اروني اصناف أموال فأتى بشئ كثير من الخيل والابل والارقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرأه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي - وولم انا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فلم يله حتى أفرقه قال هيها انقضت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك قبض روحه * وروى أن رجلا جمع ما لا تأوي ولم يدع صنما من المال الا اتخذوه وابني قصر او - عمل عليه بابن وثقب وجع عليه حراسا من غلمانهم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع إحدى رجله على الأخرى وهم

يا كلون فلفارغوا قال يا نفس انهي لسنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل
إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه خلالة يشبهه بالساكين ففرغ
الباب بشدة عظيمة فرأه أفرعه وهو على فراشه فوثب إليه الغلمان وقالوا ما شأناك فقال ادعوا لي
مولايكم فقالوا لي الملك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم ففرغ الباب
قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنني ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب
ووقع على مولاهم الذل والتضع فقال قولوا له قولنا وقولوا له تأخذه أحدنا فدخل عليه وقال
اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج ورحلت فأمر بماله حتى وضع بين
يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى أن أتحنى لربى فأنطق الله
المال فقال لم تسبى وقد كنت تدخل على السلاطين بى ويزد المتحنى عن باهم وكنت تسبى المشتمات
بى وتجلس مع السلاطين الملوك بى وتتفقنى في سبيل الشر فلا امتنع منك ولوا تفقتى في سبيل الخير ففعلت
خلقك وابن آدم من تراب فتطلى بى ومنطقى باهم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب من
منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما فى الأرض مثله ثم عرج إلى السماء فقالت
الملائكة لن كنت أشد رحمة من قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأتى فلاة من الأرض
فأثبتها وقد ولدت مولودا فرحمتها الغربتها ورحمت ولدها الصغرة وكونه في فلاة لا تمتعه به باقالت
الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان
الطيب المياشاه * قال عطاب بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة
فيقال قبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد لغرس الغراس وسبك الأزرار وبني
الذمان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل
بيت ثلاث مرات فمن وحده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فادأقبض روحه
أقبل أهله برنة وبكاء فأتى الملك الموت بعضا في الباب فيقول والله ما أكلت لمرزقا ولا أنفقت
له عمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لي فيكم لمودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحد قال الحسن فوالله
لو يرون مقامهم يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم وليكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بينا جبار
من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا بعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب
بيته فنار إليه فرعا مضيا فقال له من أنت ومن ادخلك على دارى فقال أما الذى ادخلنى الدار فربها
وأما أنا فالذى لا يمنع منى الجبابر ولا أستاذ على الملوك ولا أخاف صولة المستطنين ولا يمنع منى
كل جبار متبذو لا شيطان مر بدأ فسقط في بئر الجبابر وارتد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع
رأسه إليه مستجدا يا متدلا له فقال له أنت إذا ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت مهمل حتى أحدث
ههنا قال هيهات انقطع مددك وانقضت أنفاسك وتفتت ساعاك فليس لي تأخيرك سبيل
قال فإني أن ذهب إلى عهك الذى قدمته وإلى بيتك الذى مهدته قال فإني لم أقدم عملا صالحا
ولم أهد بيتا حسنا قال فإني نظى زاعة الشوى ثم قبض روحه فميط ميتا بين أهله فن بن صاوخ
صاوخ قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء النقلب كان العبد على ذلك أكثر وعن الامش من خبيثة
قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم
النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر إلى كأنه يريدنى قال
فإنه إذا أراد أن يتخلصني منه فتأمر الرمح حتى تحملني إلى اقصى الهند ففعلت إلى مع ذلك ثم قال
سليمان لملك الموت بعد أن أناه ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي قال نعم كنت أعجب

منه لا في كبت أمهات أن اقضه بأقصى الهند في ساعة قريفة وكان عندك فجيئت من ذلك
 الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده
 (وفاته رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حياة وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله صبرة
 للتأخرين ونصرة للمستبصرين اذ لم يكن احدا اكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونصحه وكان
 صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء ميثقه وهل أخره لحظة بعد حضور ميثقه لا
 بل أرسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الانام فجندوا بروحه الزكية الكريمة
 ليتقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد
 صدق في جوار الرحمن فاشد مع ذلك في التزعزعه وظهور آئنته وترادف قلقه وارتفع خيشه وتغير لونه
 وعرق جبينه واضطر بتي الانقباض والانساط شماله ويمينه حتى يكي لمصرعه من حضرة والتعب
 لشدة حاله من شاهده منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه
 أهلا وعشيرا وهل سمعته اذ كان الحق نصيرا والخلق بشيرا ونذيرا هيات بل امثل ما كان به ما موردا
 واتباع ما وجدته في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله والقام المحمود والخوص المورود
 وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالحجب انا لا نضربه وللسنا على
 ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فبا لنا لا نلتصق بمصرع محمد سيد
 المرسلين وامام المتقين وحبيب العالمين لعلنا نطق اننا نخلدون اوتوههم انا مع سوء أفعالنا
 عند الله مكرمون هيات هيات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا نجو منها الا المتقون
 فحسن الورد مستيقنون والصدور عنها متوهمون لا بل طلنا انفسنا ان كل ذلك لعلنا نطيق
 منتظرين فأنحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الاوارها كان على ربك حكما
 مقضيا ثم نجحى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثا فلينظر كل صيد الى نفسه انه الى الظالمين اقرب
 أم الى المتقين فانظر الى نفسك بعد أن تنتظر الى سيرة السلف الصالحين فقلدك انواع ما وقعوا منه
 الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من أمره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين
 واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب الى جنة المأوى قال ابن
 مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عائشة رضي الله عنها حين
 ذنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله أو أكرم الله نصركم
 الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصيكم بكم الله اني لكم منه نذير مبين أن لا تعملوا على الله في بلاده وعياده
 وقد نانا الاجل والنقلب الى الله والى سدة المنتهى والى جنة المأوى والى الكس الاوفى فأقرؤا
 على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدى مني السلام ورحمة الله وروى أنه صلى الله عليه وسلم
 قال لجبريل عليه السلام عند موته من لأمتي بعدى فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني
 لا أخذله في أمته وشهه بأنه أسرع الناس خروجا من الارض اذ ابشوا وسيدهم اذ اجعوا وأن
 الجنة محترمة على الامم حتى يدخلها أمته فقال الان قرئت عني وقالت عائشة رضي الله عنها امرنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة أبار ففعلنا ذلك فوجد راحته فخرج
 فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعاهم وأوصى بالانصار فقال أما بعد ما بعثتم المهاجرين فانكم
 تريدون وأصبحت الانصار لا تريد على هبتها التي هي عليها اليوم وان الانصار غيبتي التي أوبت اليها
 فأكرموا كرمهم يعني محبتهم وتجاوزوا عن مسيئتهم ثم قال ان عبدا خيرا بين الدنيا وبين ما عند الله

فاختاروا عند الله فيكي أوبكر رضى الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 على رسلك يا أبابكر سدا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لأعلم امرأ أفضل
 عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة رضى الله عنها قبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومى
 وبين سمري وغري وجمع الله بين ربي ورفيقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن ويده سواك
 فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يحبه ذلك فقلت له أخذه لك فأومأ رأسه أي نعم فناولته إياه فأدخله
 في فيه فأشدد عليه فقلت أليته لك فأومأ رأسه أي نعم فليته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل
 فيها يده ويقول لا اله الا الله أن الموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرقيق الاعلى الرقيق الاعلى فقلت
 اذا والله لا يتخارنا وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الانتصار أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم زاد ثقلأ طافوا بالمسجد فدخل العباس رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم
 فأعله بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعله بمثل ذلك ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعله
 بمثله فقيده وقال ها قتنا ولوه فقال ماتقولون قالوا تقول نخشى أن نموت ونصاح نساؤهم لاجتماع
 رجائهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فنار رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرج متوكئ على
 الفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يحضر جلجلى حتى جلس على
 أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني انكم تخافون
 على الموت كأنه استنكار منكم الموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتبني اليكم أنفسكم
 هل خلدتني قبلي فمن بعث فأخلف فيكم إلا في لاحق بري وانكم لاحقون به واني أوصيكم
 بالمهاجرين الا أولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصران الانسان لاني
 خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجري بأذن الله فلا يحل لكم استبطاء امر على استبجاله
 فان الله عز وجل لا يجل لجهلة أحد ومن غالب الله عليه ومن خادع الله خدعه فهل سمعتم ان توليتم
 أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان
 من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم عن أنفسهم
 وبهم الخصاصة إلا في أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا
 ولا تستأثروا عليهم إلا اوائى فرط لكم وأنتم لاحقون في الأوان موضعكم الخوض حوضي أعرض مما
 بين بصري الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب السكوتر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد
 وأحلى من الشهد من شرب منه لم ينظما أبدا حياءؤه القؤلؤ ويطعواؤه المسك من حرمة في الموقف
 غدا حرم الخبز كله إلا في أحب أن يردعه على غدا فليكشف لسانه ويده الا بما ينبغي فقال العباس يا نبي
 الله أوص بقريش فقال إنما أوصي بهذا الامر قرشا والناس سبع لقريش زهم لهم زهم وفاجرهم
 لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير التعم وتبذل القسم فاذا
 بز الناس زهم أثمهم واذبحوا الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا ما كانوا
 يكسبون وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يكره رضى الله
 عنه سل يا أبابكر فقال يا رسول الله ذنا الانجل فقال قد ذنا الاجل وتذلي فقال له نك يا نبي الله ما عند
 الله فليت شعري من منقلبنا فقال الى الله والى سدة المنهى ثم الى الجنة المأوى والقرودس الاعلى
 والكاس الاوى والرفيق الاعلى والخط والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يني عسلك قال رجال من
 أهل بيتي الا في قال فاني قال نعم فكفنتك قال في ثيابي هذه وفي حلة بما تنفوي في لباس مصر فقال
 كيف الصلاة عليك منا ويكنى وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتوني

وكتبتوني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي
 على الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأتى ملائكة في الصلاة على فأقول من يدخل
 على من خلق الله ويصلي على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة
 بأجمعها يصلي الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أخواجافصلوا على أخواجاف زمره وسلاوا
 تسليوا ولا تؤذوني بتركية ولا صيحة ولا زينة وليد أمنسكم الامام وأهل بيتي الا في فالا في زمر
 النساء ثم زمر الصبيان قال فن دخلت القبر قال زمر من أهل بيتي الا في فالا في مع ملائكة كثيرة
 لاترونهم وهم يرونكم قوموا فاذعوني الى من يعدي وقال عبد الله بن زمرة جاء بلال في أول شهر
 ربيع الأول فاذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر يصلي بالناس فخرجت
 فأتى بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فهم أبو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر
 وكان رجلا صليما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال أن أبو بكر يا الله ذلك
 والمسلون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول
 الله ان أبا بكر رجل رقيق القلب اذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال انك تنكح صويحبات يوسف
 مروا أبا بكر فليصل بالناس قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله
 ابن زمرة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لو لا أني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر
 ما فعلت فيقول عبد الله اني لم أر أحد أولى ببلال منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك
 ولا صرفته من أي بصر الارغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا من سلم الله
 وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا
 الا أن يشاء الله فيفسدونه ويسفون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر أمر الله والقضاء قضاء وعصمه
 الله من كل ما تخوف عليه من أمر الدنيا والدين وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي
 مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم
 وحوادثهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم تكن على
 مثل حالتنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجني عنى هذا الملك
 يستأذن على فخرج من في البيت ضري ورأسه في حجرى فجلس وتعت في جانب البيت فناجى الملك
 طويلا ثم انه دعاني فأعاد رأسه في حجرى وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل
 أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك الا بآذن فان لم تأذن لي أرجع وان أذنت لي دخلت وأمرني أن
 لا أقضيك حتى تأمرني فاذأ أمرت فقلت اكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة
 جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجئنا وكأنا
 ضربنا بصخرة ما نختار اليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظا ما لذلك الامر وهيبة ملائ
 أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم ففرقت حبه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله
 عز وجل يقر عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ولكن أراد أن يزيدك
 كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في امتك فقال أجدني وجها
 فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما عذلك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن عني
 وأخبره فخرج فقال جبريل يا محمد ان ربك البك مشتاق ألم يهلك الذي يريد بك لا والله ما استأذن
 ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا الا ان ربك مع شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا

تبرح اذا حني بجي وأذن للنساء فقال يا فاطمة ادني فأصابت عليه فذاهاها فرفعت رأسها
وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدني مني رأسك فأصابت عليه فذاهاها فرفعت رأسها
وهي تنضح وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجبا فساأنا بعد ذلك فقالت أخبريني وقال
اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله أن يلقني في أول أهلي وأن يجعلك معي فصكت
وأذنت انبها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا
يا محمد قال ألحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا أمان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن أحد
تردده عنك ولم ينهي عن الدخول على أحد الا بآذن غيرك ولصكن ساعتك أمامك وخرج قالت
وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض أبدا طوى الوحي
وطويت الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقي
لا والذي بعث محمد بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يجبر اليه في ذلك كلمة ولا يمثل أحد من
رجاله لعظم ما سمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقيمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى
أضهر رأسه بين يدي وأسكت بصدري وجعل يغمي عليه حتى غلب وجهته ترشح رشحاً ما رأيت
من انسان قط جعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت راحة شيء أطيب منه فبكيت أقول له اذا
أفاق باني أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج
بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه فنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى أهلنا فكان أول
رجل جاءنا ولم يشهده أخى يشهه الى أبي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعي أحد
وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أخى عليه قال بل الرقيق الاعلى كان
الخيرة تعاد عليه فاذا اطلق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ماصليهم جميعا
الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضي الله عنها
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة
رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم
أصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل أبي فالقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقنع الناس حتى ارتفعت الزنقة وسعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الملائكة شوقي فاخفقوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فأتاكم الابدال بعدو وخط آخرون
فلاؤا الكلام بغريبان وبق آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب
بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن آخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يمت ولم رجعت الله عز وجل ولتقطع أيدي وأرجل رجال من المنافقين يمتنون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الموت انما وعده الله عز وجل كما وعده موسى وهو أنيككم وفي رواية انه قال يا أيها
الناس كفوا السننكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوية يسبني هذا وما على فانه أقعد فلم يرح في البيت
وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا من خديده فيصا به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال
أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يعرفوا الا يقول أبي
بكر حتى جاءه العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد
قال وهو بين أظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تحتصمون وبلغ أبابكر

الخبر وهو في بني الحارث ابن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه ثم
أكب عليه فقبله ثم قال بآبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله لبذلك الموت مرتين فقد والله
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يهدى محمدان فمحمد
قدم مات ومن كان يهدى محمد فانه حتى لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل افا ان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم الآية فكان الناس لم يسمعو هذه الآية الا يومئذ
وفي رواية أن أبابكر رضى الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تملآن وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفحل
والمقال فأكسب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي
ويقول بآبي أنت وأمي ونفسي وأهل طيبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء
والنوة فغطت عن الصفة وجلت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلا وعمت حتى صرنا
فيك سواء ولولا أن موتك كان اختار امنتك لجدا لخزناك بالنفوس ولولا انك نهيتم عن البكاء
لانفدنا عليك ماء العيون فاما ما لا نستطيع نفعه ضا فكروا ذكرا محالقا لا يرحان اللهم فابله
عنا أدركنا يا محمد صلى الله عليك ضد ربك ولتكن من بالك فلو لا ما خلقت من السكينة لم يرق أحد
لما خلقت من الوحشة اللهم ابلغ نيك عنا واحفظه فينا * وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت
وصلى وأثنى على أهل البيت بحمدا سمعه أهل المصلى كما ذكروا شيا زادوا فاسكن بحمدهم الاتسليم
رجل على الباب صبت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذاتية الموت الآية ان في الله
خلق من كل أحد وذكر لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فآله فارجوا به فتقوا فاستمعوا له وانكروه
وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء قد صوته فاطمأناهم فلم ير أحد انهم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر
لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله مراء
من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فآله فاطمأناهم فاعلموا فقال أبو بكر هذا الخضر والسبع
عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم واستوفى القفعا عن عمرو حكاية خطبة أبي بكر
رضي الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عناتهم بخطبة جلها الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم مد الله وأثنى عليه على كل حال وقال أشهد أن لا اله الا الله وحده
صديق وعده ونصر عبده وعلب الاحزاب وحده فآله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
وخاتم انبيائه وأشهد أن الكلب كيزل وأن الدين كاشع وأن الحديث كاحدث وأن القول كإ
قال وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونيك وحبيبك وأمينك وخيرتك
وصفوك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك
وركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد فآله الخبر وامام الخبر ورسول الرحمة
الهم تقرب زلفته وعظم رهبانه وكرم مقامه وابشهم مقام محمودا بفضله بالآتون والآخرين
وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فنفائ الدين والآخره وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة
الهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم اناك حميد
محمد أيها الناس انه من كان يهدى محمد افان محمد اقدم مات ومن كان يهدى الله فان الله حتى لم يمت وأن
الله قد تقدم اليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم
ما عنده على ما عنده وقضه الى نوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فنأخذ بهما
صرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يغلبنكم الشيطان بموت

بنيكم ولا يفتنكم عن دينكم وعالجوا الشيطان بالخير تعزوه ولا تستنظروه فليكن بكم وبقتنكم
وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله
صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا و يوم كذا وكذا
وكذا وقال تعالى في كتابه أنك ميت وأنهم ميتون فقال والله لكأني لم أسمع بهما قال الله قبل الآن
لما زل بنا أشهد أن الكذب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت أنا لله وأنا لله
راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نجيب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس إلى أبي بكر
* وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لتسليه قالوا والله ما ندرى كيف تغسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتخبر ده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو تغسله في ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى
ما بقي منهم رجل إلا واضع لحته على صدره نائما ثم قال قائل لا يدري من هو غسلوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعليه ثيابه فاتبعوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبضه حتى إذا
فرغوا من غسله كفن وقال علي كرم الله وجهه أردنا خلق قبضه فنودينا لا تغسلوا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثيابه فأقرئناه فغسلناه في قبضة كما تغسل موتانا مستقيما ما نشاء أن قلبنا لئنا نعضو
لم يبالغ فيه إلا القلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحفنا في البيت كالرجل خارج وهو يصوت بنا رفقوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستفكون فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يترك شيئا ولا ليلدا إلا دفن معه قال أبو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيعته وفرشت ثيابه عليها التي
كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في الكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا نبي
في حياته لئلا يلبس على أئمة ولا وضع قبضة على قبضة في وفاته عبرة تامة وللصلين به أسوة حسنة
* وفي وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه *
لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت
لعمرك ما يفتنى الزراء عن الفتى * إذا حشرحت يوما وضاق بها الصدر
فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي وجاءت مسكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحدا انظروا ثوبي هذين فاعسلوهما وكفوني فيهما فإن الحى إلى الجديد أخرج من البيت وقالت
عائشة رضي الله عنها عند موته

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع الينامي عصمة للأرامل
وقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعوك طبيبيا ينظر إليك
قال قد نظرت إلى طبيبى وقال إنى فعال لما أريد ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه
يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال إن الله فاعلمكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاءك واعلم أن من
صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تفتقرن الله في ذمته فيك في النار على وجهك ولما ثقل أبو بكر
رضي الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضي الله عنه فقال الناس له
استخلفت علينا فظنا أن تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل
إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال إنى موصيك بوصية أعلم أن الله حقاني النهار لا يقبله في الليل وإن الله
حقاني الليل لا يقبله في النهار وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت
موازينهم يوم القيامة بأثامهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل
وإنما أخفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الباطل أن يخفف وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول الثقل

انادون هؤلاء ولا يسلخ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر اهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا
 فيقول القتائل أنا افضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً راجياً
 ولا يلقي يديه الى الهلكة ولا يمتني على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أبجب
 اليك من الموت ولا بذلك منه وان ضعيت وصيتي فلا يكون غائب أبغض اليك من الموت ولا بذلك
 منه ولسيت بمعجزه وقال سعيد بن السبب لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة
 فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فاننا نراك لما بك فقال أبو بكر من قال هؤلاء
 الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه
 رياض وأهبار وأشجار يشاء كل يوم مائة رحمة في قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم
 انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اللهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للتعم وفريقاً للتسليم فاجعلني
 للتعم ولا تجعلني للتسليم اللهم انك خلقت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم جعلت منهم شقياً وسعيداً
 وغنياً ورشيداً فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا تجعلني
 لها معاصي فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان أحد الاشياء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن
 أشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا تبطل شيء الا بانك فاجعل حركاتي في تقوالك
 اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم
 انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك أردت
 بقوم الضلال وضيق به صدورهم فاشرح صدورى للإيمان وزينه في قلبى اللهم انك دبرت الامور
 وجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حياة طيبة وقربنى اليك لذنى اللهم من أصبح وأمسى فقهه
 ورجاؤه غيرك فانت فتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل

﴿وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه﴾

قال عمرو بن ميمون كنت قائماً غداة أصيب عمر ما بين يديه والعبيد الله بن عباس وكان اذ امر بين
 الصفيين قام بينهما فاذا رأى خلا قال استواحي اذ لم يرفهم خلا تقدم فكبر قال ورجعاً قرأ سورة
 يوسف والزلزال أو نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فها هو الا أن كبر فسمعته يقول قتلنى
 أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار العلي بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد عينا أو شيئاً الا
 الاطعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين
 طرح عليه رنسا فلما طعن العلي انه ما خوذ خنجر نفسه وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف
 فقدمه فاما من كان بلى عمر فقد رأى ما رأى وما نواحي المعبد ما يدرون ما الامر غير انهم فقدوا
 صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال
 يا ابن العباس انظر من قتلنى قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة فقال عمر رضي الله عنه
 قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفاً ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم فذكرت أنت
 وأولئك تحمان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رفيقاً فقال ابن عباس ان شئت فعلت
 أى ان شئت قتلناه قال بعد ما تكلموا بالسانك وصلوا الى قبلتككم ورجوا تحكيم فاحتمل الى مته
 فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تقسم مصيبة قبل يومئذ قال فمائل يقول يا أخاف عليه قاتل يقول
 لا بأس فأتى بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه ففرقوا الله ميت
 قال فدخلنا عليه وجاء الناس بشنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى من
 الله عز وجل قد كان لك حصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم في الاسلام ما قد علمت

ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفا فالا على ولالي فلما أدبر الرجل اذا ازاره بمس
الارض فقال زدوا على الفلام فقال يا ابن أخي ارفع ثوبك فانه أبقى لثوبك وأبقى لربك ثم قال
يا عبد الله انظر ما على من الدين تحسبوه فوجدوا ستة وثمانين ألفا وأخوه فقال ان وقي به مال آل
حرفاذه من أموالهم والأفضل في بني عدى بن كعب فان لم تغب أموالهم فسل في قريش ولا تعد لهم
الى غيرهم وأدعنى هذا المال انطلق الى أم المؤمنين عائشة فقل عمر بقرأ عليك السلام ولا تفل أمير
المؤمنين فاني لسبت اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب
عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجد ما قاعدتكي فقال بقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام
ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأثرته اليوم على نفسى فلما أقبل قبل
هذا عبد الله بن عمر فدحا فقال ارفعوني فأسنده رجل اليه فقال ما لذيك قال الذي تحب يا أمير
المؤمنين قد أدنت قال الحمد لله ما كان شئ أهم الى من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل
يستأذن عمر فان أدنت لي فأدخلوني وان ردتني زدوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين
حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قناتو لجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فو لجت
داخل فسمع عنكاهما من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا
الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فمعي عليا وعثمان
والزبير وطه وسعد اوعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شئ كهيئة
التعزية له فان أصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعني به أيكم أمر فاني لم أعزل من عجز ولا خيانة
وقال أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه
بالانصار خيرا الذين تواروا الدار والايان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يدفع عن مسيئهم
وأوصيه بأهل الامصار خيرا فانهم رده الاسلام وجباة الاموال وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم
الافضل من رضا منهم وأوصيه بالارباب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام وأن يأخذ
من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بركة العز وجل وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم
أن يوفي لهم بهداهم وأن يقاتل لهم من ورائهم ولا يكلفهم الا طاعتهم * قال فلما قبض خرجنا به
فانطلقنا مشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فأدخلوه في موضع
هناك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي جبريل عليه السلام ليبيك
الاسلام على موت عمرو بن عباس قال وضع عمر على سريره فتكفاه الناس يطعون ويصلون قبل
أن يرفع وأنا قديم فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكى قالت فاذ هو على بن أبى طالب رضى الله عنه
فترحم على عمرو قال ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله ان كنت لاطن
ليبعثك الله مع صاحبيك وذلك انى كنت كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهب أنا
وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر فاني كنت لأرجو أو لأظن
أن يجعل الله معهما

وفات عثمان رضى الله عنه

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخى عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت
عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة في هذه الخوخة وهي خوخة
في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدى الى دوائيه ما عفتربت حتى
رويت حتى انى لأجدر به بين ثديي وبين كفتي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت أقطرت
عندنا فاخترت أن أقطر عنده فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشيع

عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو ينشط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجمعوا ألباما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمانية من حزن القسيري قال شهدت الدارين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اتروني بصاحبكم الذين ألباكم علي قال بقي معهما كأماهما جلان أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوлис بهاماء يستعذب غير بترومة فقال من يشتري رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين يخبره منها في الجنة فأشترتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعونني أن أشرب منها من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فزيدها في المسجد يخبره منها في الجنة فأشترتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعونني أن أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على شبر بجمعه معه أبو بكر وعمر وأناقضوا له الجبل حتى تساقطت جماره بالخضض قال فركضه برجله وقال اسكن شبرا فاعلىك الأنبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب السكبة ان شهيد وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والد الماء تسيل على خيشه جعل يقول لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعذ بك عليهم وأنت منك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتنى ﴿وفاته على كرم الله وجهه﴾

قال الاصمعي الخطي لما كانت الليلة التي أصيب فيها على كرم الله وجهه أتاه ابن السباع حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متسائل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على عيشه وهو يقول
اشدد حيازك الموت * فان الموت لا يثقا
ولا تنزع من الموت * اذا حل بؤاديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فصر به فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه فجعلت تقول مالي ولصلاة الغداة قتل نوحى أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة وعن شيخ من قريش أن عليا كرم الله وجهه لما ضرب ابن ملجم قال فزت ورب السكبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق الا بالاله الا الله حتى قبض ولما نقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين فقال يا أخى لا شئ يخرجك تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن أبي طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أمك وعلى حمزة وجعفر وهما عمك قال يا أخى اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسن رضي الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقظهم فأتوه قام في أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما تزورون وان الدنيا قد تغيرت وتكررت وأدبر معروفها وان شعثت حتى لم يبق منها الا كصباية الاناء ألا حسبي من عيش كالمري الويل الاترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى وانى لا أرى الموت السعادة والحياة مع الظالمين الا جرما *

باب الخلفاء في كلام المختصرين من الخلفاء والامراء والصالحين ﴿الحضرة معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أعددوني فأتعد فعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال قد كررت بما عاين بعد الهرم والاضطام ألا كان هذا وعين الشباب فضر ريان وبكى حتى علا بكاءه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة واغفر الزلوعه بجلتك على

من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك وروى من شيء من قرئش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه
فروا في جلده فغضونا فحمد الله وأنى عليه ثم قال أما بعد فهل الدنيا أجمع الاما جرت بناور أينا ما
والله لقد استقبلنا زهرتها بمجدتنا وباستلذنا بعيشنا فالبغتنا الدنيا أن نقصت ذلك منا حالا بعد
حال وعروا بعد عرونا فصارت الدنيا وقدورتنا واخلقتنا واستلأمت النأف للدنيا من دار غمها
لها من دار وروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال أيها الناس اني من زرع قد استخصدوني قد
وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي الا وهوشتر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذ في اجلي قول
غسلي رجلا لبيا فان اليبس من الله سبحانه فليغم الغسل وليجهر بالتكبير ثم امد الي منديل
في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقرا ضعة من شعره وأظفاره فاستودع
القراضة اني وفي وأذن وصيني وأجعل الثوب على جلدي دون الكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله
في الخالدين فاذا أدرجتوني في جديدي ووضعوني في حفري فقلوا معاوية وأرحم الراحمين وقال محمد
ابن عقبة لما تزلزل معاوية الموت قال باليتني كنت رجلا من قرئش بدى طوى واني لم آل من هذا الامر
شيئا * ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظروا الى غسل بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم
ضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا أكل من كسب يدي يوما ويوم ولم آل من أمر
الدنيا شيئا فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضروهم الموت يمتنون ما نحن فيه واذا
حضرنا الموت لم نتم ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه كيف تجدك
يا امير المؤمنين قال أحسن كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وترونكم
ما خولناكم وراء ظهوركم الآية ومات وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان أمرأة عمر بن عبد
العزيز كتبت اسمع عرق في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتي ولويساعه من نهار
فلما كان اليوم الذي قضى فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبلة
فسمعته يقول تلك الدار الآخرة تجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
ثم هذا جعلت لا أعلم له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنا ثم هو فلما دخل صباح فوجدت فاذا
هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المؤمنين قال أحذر كم مثل مصر عى هذا فانه لا بد لكم
منه وروى انه لما نقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر اليه قال أرى الرجل قد سقى السم
ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب
هل حسنت بذلك يا امير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعاج يا امير المؤمنين
فاني أخاف أن تهيب نفسك قال ربي خير مذهب اليه والله لو علمت أن شغائي عند شهمة أدنى
ما رفعت يدي الى أدنى فتناولته اللهم خر لعمر في ثنائك فلم يلبث الا أياما حتى مات وقيل لما حضرته
الوفاة سكي فقبل له ما يسبك يا امير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سنا وأظهر بك عدلا نبي ثم قال
أليس أرقف فاسأل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم خلعت على نفسي أن لا تقوم بجنتها
بين يدي الله الا أن بلغنا الله جنتها فكيف بكير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى
مات ولما قرب وقت موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرته ونهيتني فصعبت
ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فأخذ النظر فقبل له في ذلك فقال اني لا أرى خصرة
ما هم بالنس ولا جن ثم قبض روحه الله وحي عن هارون الرشيد انه اتقى الكفانه بيده عند الموت
وكان ينظر اليها ويقول ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانه وفرش المامون رمادا واضطجع
عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت

أن عمرى هكذا قصر ما فعلت ما فعلت * وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهب الدنيا وأقبلت الآخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبنه من يأخذها بما فيها اليه كان يعزأ وقال الجراح عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون بك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعب هذه الكلمة منه وبسطه عليها ولما حكى ذلك الحسن قال أفلها قيل نعم قال مسمى

بيان أفاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين

ومن بعدهم من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين *

لما حضر معاذ رضى الله عنه الوفاة قال اللهم انى قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم تعلم انى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الانهار ولا فرس الاشجار ولكن لظما لظواهر ومكيدة الساعات ومن احمة العلاء بالركب عند حلق الذكرو لما اشتد به التزعزع وزعم عالم بنزعه أحد كان كذا أفاق من غرة ففتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فعزتك أنك تعلم أن قلى يجهك * ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون بليغة أحدنا من الدنيا كذا راكب فلما مات سلمان انظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما * ولما حضر بلال الوفاة قالت امرأته وحزناه فقال بل واطرباه عند انقلى الاحبة محمد وأخيه وقيل ففتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فلم يعمل العاملون * ولما حضر ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يدشرني بالجنة أو بالنار ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما أبكى لذنب أعلم انى آتية ولكن أخاف انى آتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم * ولما حضر حارث بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما بقيت من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء * ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم ففتح عينيه وقال وابعده سفره وأقله زاده * ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسى على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعم وأنى هوذا غوت فقبر اغري سا قال أسكت فانى سألت الله تعالى أن يجعلني حياة الاغنياء وأن يعطيني موت الفقراء ثم قال له لفتنى ولا تعد على ما لم أنكلم بكلام ثان * وقال عطاء بن يسار بتدى ابليس لرجل عند الموت فقال له بخوت فقال ما آمنتك بعد * وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال آتيني كتاب الله تعالى قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين * ودخل الحسن رضى الله عنه على رجل يهود نفسه فقال ان امرأ هذا أوله لجدير أن يتنى آخره وان امرأ هذا آخره لجدير أن يزهدنى أوله * وقال الحريري كنت عند الجندب في حال تزعمه وكان يوم الجمعة يوم النبروز وهو يقرأ القرآن فغم فقلت له في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك منى وهوذا تطوى صحيفتى * وقال روم حضرت وفاة أبى سعيد اخبر أزوه وقول

حين قلب العارفين الى الذكر * وتلمس كارههم وقت المناجاة للسر
أدبرت كؤوس لنا باعائهم * فأغشوا عن الدنيا كاعفاء ذى الشكر
هموهم جزالة بمسكركم * به أهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم فى الارض قتلى بحبه * وأرواحهم فى الجب نحو العلى تسرى
فأعز سوا الا يقرب حبيبهم * وما عز جوا من مس يؤس ولا ضر

وقبل الجنيد أن أباسعد الخضر أن كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن يجب أن تطهر روحه
استنقا * وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال أن اعرفه قبل موتى لحظة * وقيل لبعضهم
وهو في الترفع قل الله فقال إلى متى تقولون الله وأما حترق بالله وقال بعضهم كنت عند عشاء الدنيوري
تقدم فقروا قل السلام عليكم هل هناك موضع نطيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأشاروا إليه
بمكان وكان ثم عين من ماء بخد القبر الوضوء ورزع ماشاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومد رجله
ومات * وكان أبو العباس الدنيوري يتكلم في محله فصاحت امرأة تواجد فقال لها موتى فقامت
المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قدمت ووقعت ممتة * ويحكى عن فاطمة أخت أبي
علي الرندي أن قالت لما قرب أجل أبي علي الرندي وكان رأسه في حجرى فمخضه وقال هذه
أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قاتل يقول يا أبا علي قد بلغناك الزينة القصوى
وان لم تردها ثم أنشأ يقول

وحكك لا تطرت إلى سواكا * بعين مودة حتى أراكا

أراك معني بفنور لحظ * وبالحظ المورد من حياكا

وقيل الجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيت فذكره * وسأل جعفر بن نصير بكران الدنيوري خادم
الشبي ما الذي رأيت منه فقال قال على درهم منقولة وصعدت عن صاحبه بألوف فباعني قلى شغل
أعظم منه ثم قال وشميت للصلاة ففعلت فنسيت تحليل لحية وقد أمسك على لسانه فقمض على يدي
وأدخلها في لحية ثم مات فسكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يقفه في آخر عمره أذب من آداب
الشريعة * وقيل لبشر من الحارث لما احضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القدموم على
الله شديد * وقيل لصالح بن مسمار لا توصي بأنيك وعياك فقال اني لا استحي من الله أن اوصي
هم إلى غيره * ولما احضر أبو سليمان الداراني أناء أصحابه فقالوا أبشر فالتك تقدم على رب حضور
رحم فقال لهم ألا تقولون احذروا فالتك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير * ولما
احضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصفنا فقال احفظوا امراد الحق فيكم * واحضر بعضهم فبكت
امرأة فقال لها ما يبكيك فقال عليك أبكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكت لهذا
اليوم أربعين سنة * وقال الجنيد دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف

تجدد فأنشأ يقول كيف أشكو إلى طيبي ماني * والذي في أماني من طيبي
فاخذت المروحة لا روحه فقال كيف يجدر مع المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول

القلب يحترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له * فما جناه الهوى والشوق والقلق

يا رب ان بك شئ فيه في فرج * فامتن صلي به ما دام في رفق

وحكى أن قوما من أصحاب الشبي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فأنشأ يقول

ان يئنا أنت ساكنه * غير محتاج إلى السرج

وجهلك المأمول جنتنا * يوم يأتي الناس بالجحج

لا تأنح الله في فرجا * يوم ادعومك بالفرج

وحكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت زرع فلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة
وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر مات * وقيل للكافي لما حضرته
الوفاة ما كان عليك فقال لولم يقرب أجلى ما أخبرتك به وقتت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر

فيه غير الله حجة عنه * وحكى عن المعمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاء الحق
فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت بحاسنه فأفاق فقال من التكلم فقلت
أنا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لي اني بكل سخي رفق ثم طمئني * ولما حضرت يوسف بن
اسباط الوفا شهده حذيفة فوجدته فلما قال يا أبا محمد هذا أو ان القلق والجرح فقال يا أبا عبد الله
وكيف لا ألقى ولا أجزع واني لا أعلم اني صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة وأعجبنا هذا الرجل
الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله في شيء من عمله وعن الغازي قال دخلت على شيخ لي
من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارقتني ودخل بعض السابغ
على مشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فصحك ثم قال منذ
ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فأمرتها طرقي وقيل روي عن عند الموت قل لا اله الا الله فقال
لاحسن غيره ولما حضر الثوري الوفا قيل له قل لا اله الا الله فقال ليس ثم أمر ودخل المزي في
الشافي رحمه الله عليه ما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت
من الدنيا راحلا ولا اخوان مفارقا ولسوء علي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى وأردا
ولا أدري أروحي تصير الى الجنة فانهيها الى النار فأمر بها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاعت مذاهبي * جعلت رجائي خوص فوك سلا
تعاطمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فازلت دافعو من الذنب لم تزل * تجودون عفو منة وتصكر ما
ولولاك لم يذو يا بليس طاب * فكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفا سئل عن مسئلة فدمعت عنده وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا
وتسعين سنة هذا يفيض الساعة لي لا أدري أين يفيض بالسعادة أو الشقاوة فاني لي أو ان الجواب فهذه
أقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فتداب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء
وعلى بعضهم الشوق والحب فتسلك كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى
أحوالهم الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قسوة
لانهم يظنون انهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا يحال على الجنائز يحملون أو
يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا يحسبون
فبطل حسابهم وانفرض على القرب زمانهم فلا يخطر عبد الى جنازة الا وقد نفسه محمولا عليها
فانه يحمل عليها على القرب وكان قد ولعه في غدا وبعد غد وروي عن أبي هريرة انه كان اذ رأى
جنازة قال امضوا فانها على الأثر وكان مكحول الدمع حتى اذ رأى جنازة قال اغدوا فاننا را تحون موعظة
بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والاخر لا عقل له وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فغدت نفسي
نفسى بشئ سوى ما هو مفقود له وما هو صائر اليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك
في جنازة يسيى ويقول والله لا تقرصني حتى أعلم الى ما دأمرت اليه ولا أعلم ما دأمت حبا وقال
الاعمش كان شهد الجنائز فلا تدرى من تعزى لحزن الجميع وقال ثابت البناني كان شهد الجنائز فلا
نرى الا مقتعنا كما كان يمشي كان خوفهم من الموت والان لا تنتظر الى جماعة يحضرون جنازة الا
واكثرهم يتحكون و يلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يفكر آقرانه وآقاربه
الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يفكر واحد منهم الى ما شاء الله في جنازة نفسه وفي

حاله اذا حل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسئنا الله تعالى واليوم الآخر والا هوال التي بين أيدينا فصرنا ناهو ونغفل ونشتغل عما ينعيننا فسنال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاءهم على الميت ولوعقولا لبكوا على أنفسهم لا على الميت * نظرا لبراهيم الزيات الى أناس يترجون على الميت فقال لوترجون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه يخاف من أهوال ثلاثة وجهه ملك الموت وقد رأى ومراره الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد آمن * وقال أبو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يرمي على كتفه شعرا فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتي والله هذه الجنائز وانما يقول

ترؤنا الجنائز مقبلات * وتلهو حين تذهب مديرات
كروعة لئله لمعا ردت * قلما غلب عادت راتعات

فن آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابها وسننه في فن الفقه ومن آدابها حسن الطيق بالميت وان كان فاسقا واساءة الطيق بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطيرة لا تدري حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واخدم جيرانه وكان مسرفا على نفسه قضائي كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبتك عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا بائن منا غير ذنب وغير ذنبي خطايا * ويحك أن رجلا من النعمانيين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدبرها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملت الى المصلى فاصلى عليه احد هملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد البكا وفرأته كانت تظفر الجنازة ثم قصد ان يصلى عليها فتشراخ في البلد بان الزاهد نزل لمصلى على فلان بهرج أهل البلد ففصل الزاهد وصلوا عليه ونجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها احد الا امرأته فصلى عليه فانه مغفور له فزاد نجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألهما عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان كل يوم يقيم من مسكوه وقت الصبح يسدل ثيابه ويوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشغل بالفسق والثاني انه كان أبدا لا يخلو بيته من نعيم أو يقيم وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التقدير لهم والثالث انه كان يقيم في اتناء مسكوه في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زوايه من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من امره وعن صلاة بن اشعم وقد قد فن أخ له فقال على قبره

فان نخب منها نخب من ذي عظمة * والا فاني لا اناطك ناجيا

بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والي وترك فضل زينة الدنيا وأمر ما بقي على ما يقين ولم يستعد من أيامه وعقد نفسه من أهل القبور * وقيل لحي كرم الله وجهه ما شئت جاورت المقبرة قال اني أجدهم خير جيران اني أجدهم جيران صدق يكفون الاستغوية كرون الآخرة * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظر الا القبر أنقطع منه * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس

الى قبر وكانت أدنى القوم منه فبكي وبكى وقال ما يبكيكم فلما يبكي البكاء قال هذا قبر أبى
 آمنه فبكت وهب واستأذنت ربي في زيارتها فآذنت لي فاستأذنته أن استغفر لها فأبى علي فأدركني
 ما يدرك الولد من الرقة * وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر حتى يركب حبل لحته
 فسئل عن ذلك وقيل له قد كرا الجنة والنار فلا تبكي وبكي إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول إن القبر أول منازل الآخرة فان تجاوزته صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم يتجاوز
 منه فما بعده أشد * وقيل إن عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذان
 لم تكن تصنعهما قال ذكرت أهل القبور وما حبل بينهم وبينه فأجبت أن اتقرب الى الله هما وقال
 مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرة فتقول أنا بيت الدرد وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الطفلة هذا
 ما أعددت لك فما أعددت لي * وقال أبو ذر الأخرم يوم فقر يوم أوضع في قبرى * وكان أبو الدرداء
 يقعد الى القبور فقل له في ذلك فقال أجلس الى قوم يدركوني معادى وإذا لم يتعاوني * وكان
 جعفر بن محمد يأتي القبور ليلًا ويقول يا أهل القبور مالي إذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله
 بينهم وبين جوابي وكأني أكون مثاهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر * وقال عمر بن عبد
 العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة أفكر في القبر وسأكنه انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة
 في قبره لاستوحشت من قرب بعد طول الانس منك به ولأبت بمتاجول فيه الهوام ويمر فيه
 الصديد وتقرقه الديدان مع قبرا ربح ربحي الا كفان بعد حسن المشقة وطيب الرج وفناء الثوب
 قال ثم شقني شقة ختر مغشاة عليه * وكان يزيد القاشي يقول أما المقبور في حفرة والمخفي في القبر
 بوحدة المستأنس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأى أعمالك استبشرت وبأى أخوانك
 أعطيت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشرت والله بأعماله الصالحة وأعطيت والله بأخوانه
 المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور * وقال حاتم الأصم من
 مر بالمقابر فلم يفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم * وكان بكر العابد يقول يا ماله ليتك
 كنت في عقمان لانسك في القبر حبسًا طويلا ومن بعد ذلك منه رجلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن
 آدم عاذك ربك الى دار السلام فانظر من ابن تحية ان أجته من دنياك واشتغل بالرحلة اليه
 دخلتها وان أجته من قبرك منعها * وكان الحسن بن صالح إذا أنصرف على المقابر يقول ما احسن
 ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلي إذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول
 يا أهل القورمتم فوامواته وما ينتم أعمالكم فوامعلاه ثم يقول غدا أعطاه في القبور غدا أعطاه في القبور
 فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح * وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر ووجهه روضة من رياض الجنة
 ومن عقل عن ذكره وجهه حفرة من حفر النار * وكان الربيع بن خيثم قد حفرت دارة قبر فساكن اذا
 وجدني قلبه فساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لاني أعمل صالحا
 فيمات كنت يرزدها ثم يرز علي نفسه يارب يسع قدر جعلتك فاعل * وقال أحمد بن حرب تنجب الأرض
 من رجل يمد مضجعه وسوى فراشه للثوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك
 شيء * وقال معون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم أقبل
 على فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم
 صرعى قد خلعتهم المثلاث واستحكهم فيهم البلاء وأصابهم الهوام مقيلا في ألبانهم ثم بكى وقال والله
 ما أظلم احدا انعم من صاري هذه القبور وقد آمن من عذاب الله * وقال ثابت البناني دخلت المقابر
 فلما قصدت الخروج منها فاذ بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس

مغمومة فيها * و يروى أن فاطمة بنت الحسن نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت وكانوا رجاء ثم أمسوارزية * لقد عظمت تلك الزايا وجلت وقيل انها صرخت على قبره فسطا طار واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا القسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوته من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يسوا فانقلبوا وقال أبو موسى التميمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها ووجه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله الا الله منسختين سنة فلما دفنت اقام الفرزدق على قبرها فقال

أخاف وراء القبر ان لم تعافني * أشق من القبر انها بأواضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد * غنيب وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول الفلادة ازرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور

قفا بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المصكر من منكم في قبرها * قد ذاق بردا لمن من روحاتها
أما السكون لذى العيون فواحد * لا يستبين الفضل في درجاتها
لوجا وبوك لأخبروك بالسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة * يقضى الى ما شاء من درجاتها
والجريم الطاغى بها متقلب * في حفرة بأوى الى حباتها
وعقارب تسمى اليه فروجه * في شدة التعذيب من لذاتها
ومر داود الطائي على امرأة تنكي على قبر زوجها تقول

هدمت الحياة ولا ثلثها * إذا كنت في القبر قد ألدوكا
فكيف أدوق لطم الكرى * وأنت بمنالك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابناء ليت شعري بأي خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مفسيا عليه * وقال مالك ابن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول

أنت القبور فناديتها * فأين المعظم والمختصر
وأي المدلل بسلطانه * وأي المزكى إذا ما افتقر

قال فتوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفاؤا جميعا فأنحبر * وما تواجبا ومات الخبر
تروح وتقدونات الثرى * فتمسحوا بحسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا * أملك فيما ترى مغبر

قال فرجعت وأنا باك * آيات وجدت مكتوبة على القبور

وجدت مكتوب بأعلى قبر

تناجيك أجدات وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا الغير بلاغته * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت
ووجد على قبر آخر مكتوبا

أبا غانم أمدراك فواسع * وقبرك مغمورا الجواب محكم

وما يقع المقبور عمران قبره * إذا كان فيه جسمه يتهدم
وقال ابن السماك مررت على المقابر فنادت على قبر مكتوب

يمز أقاربى جنبات قبرى * كأن أقاربى لم يعرفوني
ذوو المبرات يقتسمون مالى * وما يألون ان يجدوا ديني
وقد أخذوا سلبهم وعاشوا * فإله أسرع ما نسوي
ووجد على قبر مكتوبا

ان الحبيب من الاحباب يختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يصد عليه القنوط والنفس
أصبحت يا غافلا في النقص منمسا * وأنت دهرك في اللذات منتفس
لا يرحم الموت ذا جهل لغزته * ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقت به * عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم في الاجداث مندرس
ووجد على قبر آخر مكتوبا

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كأفراس الزمان
فلما أن بكيت وفاض دمعي * رأيت ميناى بينهم مكاني

ووجد على قبر طبيب مكتوبا
قيد قلت لما قال لي قائل * قد صار لقمان الى رمة
فأين ما يوصف من طيبه * وحذقه في الماء مع جبه
هيات لا يدفع عن قبره * من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا

يا أيها الناس كان لي أمل * نصبري عن بلوغة الاجل
فلتسئ الله به رجلا * أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينقل

فهذه أبيات كتبت على قبور ولتقصير سكانها من الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر
قبره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد الحق بهم ويعلم أنهم لا يرجون من مكانهم ما لم يلق بهم ولن يتحقق
أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضى له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بعجزها
لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشف لهم حقائق الأمور فأنما حبرتهم على يوم من العمر ليندرك
المقصير به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستريد الموتوف به رغبته فيتضاعف له الثواب فأنهم انما
عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر
على امثالها ثم أنت مضى لها فوطن نفسك على التمسير على تضيقها عند خروج الامر من الاختيار
اذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخطى في الله فإني
يرى الناسم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقول ما يعني الحمد لله
رب العالمين أحب الى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم ترحت ككناؤا بدقنوني فان فلانا قد قام فصلى
ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصلهما أحب الى من الدنيا وما فيها

﴿بيان آقاويلهم عند موت الولد﴾

حق حتى من مات ولده أو قريب من أقاربه أن يتزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر
فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا ينظم عليه تأسيقه لعله أنه لاحق به على
القرب وليس بينهما ما لا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلقن المتأخر
وإذا اعتقد هذا قل حزنه وخزله لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يفي به كل مصاب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقدم سقطاً أحب إلى من أن خلف مائة فارس كلهم يقاتل
في سبيل الله وإنما ذكر السقط تنبيهاً بالآتي على الأعلى والأفالتوب على قدر يحمل الولد من القلب
وقال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزناً شديداً فقبل له ما كان عدله عنده قال
ملء الأرض ذهباً قبله فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيقتسمهم الا كانوا الجنة من النار فقالت امرأة عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم أو أئنان قال أو أئنان ولخص الولد للدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء
وأقرب به إلى الاجابة وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني أصبحت أرجو له ولو أخافك
عليه فحق رجائي وآمن خوفي وقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد عقرت له ما وجب لي
عليه فأعقر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم ووقف أعراي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد
وهبت له ما قصر فيه من ربي فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات زيد بن عمر بن ذر قام أبوه عمر
ابن ذر بعد ما وضع في الحدة فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت
وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذكر متعني به ما متعني ووفيته أجليه وورقه ولم تظله اللهم وقد كنت
أزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه
ولا تعذب فابكي الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى انسان مع الله
حاجة فقد مضينا وتركنا ما نفنناك ونظر رجل إلى امرأة بالصره فقال ما رأيت مثلاً
هذه النضارة وما ذاك الا من قلنا الحزن قالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه أحد فقلت فكيف
قالت ان زوجي خرج مشاة في يوم عيد الاضحى وكان لي صبيان مليحان بلبيان فقال اكبرهما الآخر أزيد
أن اريك فكيف خرج ابني الشاة قال نعم فأخذه وذهب به وما شعر نابه الا متشعطاً في دمه فلما ارتفع
الصراخ هرب الغلام فلما إلى جبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فأت عظاماً من شدة الحر
قالت فأفرقني الدهر كثرى فأما مثل هذه المصائب ينبغي أن تتذكر عند موت الاولاد ليس في بها
عن شدة الحزن فامن مصيبة الاولاد وتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكثر

في بيان زيارة القبور والدعاء لليت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة لا تذكر ولا اعتبار بزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع
الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد روى عن علي
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
فإنها تذكركم الآخرة ثم أن تقولوا هجر أوزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف متنع فلم
يرأى كما كثر من يومئذ وفي هذا اليوم قال أذن في الزيارة دون الاستغفار كما وردنا من قبل وقال
ابن أبي مليكة أنبئت عائشة رضي الله عنها يوم ما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت
من قبر أبي عبد الرحمن قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها
ولا ينبغي أن يتسكك هذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فانه يكثر الهجر على رؤس المقابر فلا
يفي خبر زيارتهن بشرها ولا يتخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظامها والزيارة سنة فكيف

بمحمل ذلك لاجلهم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بدلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصاد
على الدعاء وتزك الحديث على رأس القبر وقال أبو زر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرا القبور
تذكرها الآخرة واضل الموتى فان معالجته جسد خاوم وعظته بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن
يخزنك فان الحزين في ظل الله وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم
وسلووا عليهم فان لكم فيهم عبدة وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبرا أحد الأوقف عليه وسلم عليه
وعن جعفر بن محمد عن أبيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر جدها حمزة في الأيام
فتصلي وتسبيح عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبيه أو أحدهما في كل جمعة تفقر له وكتب
براً وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل لم يموت والمذاهب وهو عاق لهما
فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارئ وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد
وجبت له شفا عتي وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم
القيامة وقال كعب الاحبار ما من قبر يطلع الا تزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يجفوا بالقبر
يضربون باحضهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا
مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه والمستخب في زيارة
القبور ان يقف مستدير القبلة مستقبلاً بوجهه المبت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسح ولا يقبله
فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر رايت مائة مرة أو أكثر تبني الى القبر فيقول
السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي وينصرف وعن أبي امامة قال رأيت أنس بن
مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه اقتنع الصلاة فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
رجل يزور قبر أخيه لم يجلس عنده الا استأنس به ورز عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سعيد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك اتفقهم
سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رز عليه السلام
وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رز عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الحمدري رأيت حاصماً
في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى فقلت أن أنت فقال انا والله في روضة من
رياض الجنة انا ونفر من أصحابي يجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله المزني فتتلاقى
أخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم قال ههنا ههنا قلت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل
تعلون في زيارتنا انكم قال نعم تعلم ما عيشة الجمعة يوم الجمعة كله يوم السبت الى طلوع الشمس قلت
وكيف ذا الذودن الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمته وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقبل له
لواخرت الى يوم الاثنين قال بلغني أن الموتى يعلون يزورهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال
الضحاك من زار قبر اقبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته قيل وكيف ذا قال لمساكن يوم
الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة
على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال أنس الله وحشتكم ورحم غريبتكم ونجاو عن
سيئاتكم وقيل الله حسنا تمك لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فأصرفت
الى أهلي ولم آت المقابر فادعوا كما كنت أدعو فبينما انا اتم اذا بخلق كثير قد جاؤني فقلت ما أنتم وما
حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك قد دعوتنا منك هدية عند انصرافك الى أهلك
قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعونا بها قلت فاني أعود لذلك فاتركها بعد ذلك وقال

يشاردن غالب النجاشي رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير المداء لها فقالت لي يا بشار
 ابن غالب هذا يا ثانياً على أطباق من نور شمعة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعه
 المؤمنين الاحياء اذ ادعو الموتى فاستجيب لهم جعل ذلك المداء على اطباق النور وخم بمناديل الحرير
 ثم أتى به الميت فقيل له هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره
 الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلققه من أبيه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه
 من الدنيا وما فيها وان هذا يا الاحياء لاموات المداء والاستغفار وقال بعضهم مات أخ لي فرائته
 في المنام فقلت ما مكان حالك حيث وضعت في قبرك قال اتاني آت شهاب من نار فلو لا أن
 داعي ادعاني لأريت أنه سيضمر بي به ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والمداء له قال سعد
 ابن عبد الله الا ودي شهدت أباً أمامة الباهلي وهو في الترع فقال يا سعد اذ مات فاصنعوا بي كما
 أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذ مات احدثكم فسقو بتم عليه التراب فليقم أحدكم على
 رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم يسبق يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه
 يستوي قاعاً ثم يسبق يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول أرشدنا ربحك الله ولكن لا تسمعون
 فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وانك ربيبت
 بالله رايوا بالاسلام دنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً والقرآن اما ما فان منكروا وتكبروا بآياتي خذ
 واحداً منيما فيقول انطلق بنا ما بعدنا عند هذا قد اتقن جهنم ويكون الله عز وجل حجيجه وهما
 فقال وجعل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلنيسبها الى حواء ولا بأس بقراءة القرآن على
 القبور ربوي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة
 الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا ان القراءة عند القبر
 بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لا حدياً يا عبد الله ما تقول في مبشرين اسمعيل الحلي
 قال نقة قال هل كتبت عنه شيئاً قال نعم قال أخبرني مبشرين اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء
 ابن الجليل عن أبيه أنه أوصى اذ دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر
 يروى بذلك فقال له أحمد فارجم الى الرجل فقل له يقرأ وقال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد
 ابن حنبل يقول اذ دخلت المقابر فافروا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا أبواب
 ذلك لاهل المقابر فإنه يصل اليهم وقال أبو قتادة أفبليت من الشام الى البصرة فزلت الخندق
 فظهرت وصليت ركعتين بلسلي ثم وضعت رأسي على قبر فمتمت ثم انتهت فاذا صاحب القبر
 يشكيني يقول لقد أدبتني منذ الليلة ثم قال انصكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نفدري العجل ثم قال
 للركعتان الشان ركعتي ما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزي الله عنا أهل الدنيا خيراً أقرهم السلام
 فإنه قديم دخل علينا من دعائهم نوراً من آل الجبال قال قصود من زيارة القبور ولزائر الاعتبار بها
 ولزور الارتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه ولليت ولا عن الاعتبار به وإنما
 يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاءه وكيف يبعث من قبره وأنه على
 القبر سميع بكار وي عن مطرق بن أبي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبة
 فكان اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى الحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فتلقي انها عوبت
 في كثرة آياتها المقابر قالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلبسه الارسوم البلي والى لا في القبور فكان في
 أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني انظر الى تلك الوجوه المتعففة والى تلك الاجسام المتغيرة والى
 تلك الاكفان المدسة فيها لمن نظرة لو أشر بها العباد قلوبهم ما أنكل عمراتها ولا نفس وأشد

تلقيها الا ليدان بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه
فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا قلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري
وقدر خرجت الحدقتان فسالتني الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصددين من
القم وانفتح القسم وتنا البطن فعلا الصدر وخرج الصلب من الصدر وخرج الدود والصددين المناخر
لأيت أعجب مما تراه الآن وسحب الشاة على الميت وأن لا يذكر الا بالليل قالت عائشة رضي الله
عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد انصوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتنا كم
الابحير فانهم ان يكونوا من أهل الجنة تائموا وان يكونوا من أهل النار نخسبهم ما هم فيه وقال أنس
ابن مالك مررت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت
وسر وأبغرى فأتوا عليها خيرا فقال صلى الله عليه وسلم وجبت فسا له عمر من ذلك فقال ان هذا
أنتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أنتم عليه شرا فوجبت له النار أو أنتم شهداء الله في الارض
وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد لم يموت فيثني عليه القومثناء يعلم الله
منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة أن شهدكم أني قد قبلت شهادة عبيدي على عبيدي وتجاوزت عن
علي في عبيدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم أن الناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن الموت هو العدم
وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للغير والشر وأن موت الانسان كوت الحيوات وحفان النبات
وهذا رأي المحدثين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ظن قوم انه ينعدم بالموث ولا يتألم بعقاب
ولا ينقسم بنواب مادام في القبر الى أن يعاد في وقت الحشر وقال آخرون ان الروح باقية لاتنعدم
بالموت وانما المشاب والمعاقبى الارواح دون الاجساد وأن الاجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا
وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الايات والاخبار
أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى
مفارقته الجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح
لاستعملها حتى انها لتبسط باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب
هذه اعمارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد تألم بنفسه بأنواع الحزن
والغم والسكدة وينقسم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتقلب بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح
بنفسها يبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فتعطل بموت الجسد الى أن تعاد
الروح الى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح الى الجسد في القبر ولا بعد أن تؤخر الى يوم البعث والله أعلم
بما حكمه على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت بضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج
يقع فيه وبسدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية
مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استنصاء الاعضاء كلها وكل
الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأتى بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والآلام
الغمر وولدات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل
منها الافراح والغمر ولا بطل منها قولها للآلام والذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم

وللآلام والذات وذلك لا يموت أى لا يندم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن
عن أن يكون آله كما أن معنى الزمانه خروج البدن عن أن تكون آلة مستعمله فالموت زمانه مطلقة
في الأعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروح هو باقية ثم تغير حاله من جهتين احدهما انه سلب
منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه
وسلب منه خيله ودوابه وعلمانه وودوده وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الاشياء
من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن
ينهب مال الرجل وتارة بأن يسيى الرجل عن الملك والمال والألم واحدا في الحالتين وانما معنى الموت
سلب الانسان عن أمواله بازواجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شيء يأنس
به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقتة بل يلتفت
قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قصص كان يلبسه مثلاً ويقر به وان لم يكن
يفرح الا بذكر الله ولم يأنس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته ادخل في بيته وبين محبوبه وقطعت عنه
العوائق والشواغل اذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا أحد وجوهي الخالة بين حال
الموت وحال الحياة والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له في الحياة كما قد ينكشف
للتيقظ ما لم يكن مكشوفاً للنوم والناس نيام فاداموا انقبوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه
من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوى في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع
عليه شواغل الدنيا فاذا انقطع الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر الى سيئته الا ويحسر
عليها تحسراً يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كنى بنفسك اليوم
عليك حسيباً وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعنى
فراق ما كان مطمئناً اليه من هذه الدنيا الثانية دون ما أراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب
الزاد للبلغة فادامه المصداق فمفارقة حقايرته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من
الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يؤذ أن تنقطع ضرورته ليسمقى منه فقد حصل ما كان يؤذه واستغنى
عنه وهذه أنواع من العذاب وقد يعنى عنه ويكون حال المتعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تتم
عند عقبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرجه اعتماداً على أن الملك يتساهل في أمره وأعلى أن
الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبح انفعاله فأخذه الملك بفتنة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها
جميع فواحشه وجناباته ذرة ذرة وخطوبة خطوبة والملك قاهر متسلط وغير عور على حرمه ومنتقم
من الجنحة على ملكه وغير ملتفت الى من ينشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى هذا المأخوذ كيف
يكون حاله قبل زول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتعسر والندم فهذا حال الميت
الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل زول عذاب القبر به بل عند موته تعود بالله منه فان اخفرت
والاقتصاص وهلك السترا أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فلهذا إشارة
الى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد
لذلك شروها للكاتب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من
لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربي فليس لاحد من
علماء الدين أن يكشف من سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه كحال الروح بعد الموت

ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات وأخبار كثيرة * أما الآيات فأوردني الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدكم ربي حقاً فقبل يا رسول الله أتأديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أنهم لا يسمعون لهذا الكلام منهم الا أنهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفة الآيات نص في أرواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر إما محفرة من حفرة النار أو وروضة من رياض الجنة وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتجهل عند الموت من غير تأخر وانما تأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الموت القيامة في مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من أهل الجنة فمن الجنة وان كان من أهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المتعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن أبي قيس قال كأمع علمي في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات غريباً مات شهيداً وفي نيات القبر وغدى وروح عليه رزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت أحداً ما غبطت مؤمناً في الجسد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله وقال يعنى بن الوليد كنت أمشي يوماً مع أبي الدرداء فقلت له ما تحب لن تحب قال الموت قلت فإن لم يميت قال يقل ماله وولده وانما أحب الموت لأنه لا يجبه الا المؤمن والموت اطلاق المؤمن من السجن وانما أحب قلة المال والولد لأنه قلة وسبب اللبس بالدنيا والانس بمن لا يقمن فراقه غاية الشقاء فكل ماسوى اللهو ذكره والانس به فلا يقمن فراقه عند الموت لا بحالة ولهذا قال عبد الله بن عمر وانما مثل المؤمن حين يخرج نفسه أو روحه مثل رجل يأت في صحن فأخرج منه فهو يتفصح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من يخاف من الدنيا وترجمها ولم يكن له انس الا بد كراهة تعالى وكانت شراغل الدنيا تنحسبه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراجه بحبويه الذي كان به أنه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعم والذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما أقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله وراضين بالقتل في طلب مرضاه فان نظري الى الدنيا فقد باها طوعاً بالآخرة والبالغ لا يلتفت قلبه الى الميسر وان نظري الى الآخرة فاشتراه وتسوق اليها فما أعظم فرحه بما اشتراه اذ أهواه وما أقل التفاته الى ما باعه اذ فارقته وتجرد القلب بحب الله تعالى قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه في تغير والقتال سبب للموت فكان سبب الادراك الموت على مثل هذه الحالة فلها أعظم النعم اذ معني النعم أن ينال الانسان ما يريد قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا أجمع عبارة لعاني لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الانسان من مراده كما قال الله تعالى وجعل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعم يدركه الشهيد كما تقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تتدل عليه وكل حديث

يشتمل على التعبير من منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر ألا بشرك يا جابر وكان قد استشهد بأبوه يوم أحد فقال بلى بشرك الله يا جابر فقال إن الله عز وجل قد أحسب أنك وأقده بين يديه وقال تمت على عهدي ما شئت أعطيك فقال يا رب ما عندك حق عبادتك اغتنى عليك أن ترزني إلى الدنيا فأقول مع نيك فأقول فيك مرة أخرى قال له أنه قد سبق مني إليك الها لارجع وقال كعب بن جردج في الجنة يسكني فقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال ابكي لأنني لم أقتل في الله الا قتله واحدة فكنت اشتجى أن أزد فأقتل فيه ثلاثاً واعلم أن المؤمن يتكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة إليه كالسبعين والمضيئ ويكون مثاله كالجبوس في بيت مظلم ففتح له باب إلى بستان واسع الا كلف لا يبلغ طرفه انقضاء فيه أنواع الاشجار والازهار والثمار والطيور فلا يشقى العود إلى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً فقال لرجل مات أصبح هذا من تجلعا من الدنيا وزكها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسره أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ففرق بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى طرفة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه اذا خرج من بطنها ابكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ورجع لم يحب أن يرجع إلى مكانه وكذلك المؤمن يخرج من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فلان قد مات فقال صبري أو مستراح منه إلى المؤمن وبالمستراح منه إلى الفاجر اذا يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب السقيام بنابن عمرو بن حبيان فنظر إلى قبر فإذا اجمعة بادية فأمر رجلاً فوارها ثم قال إن هذه الابدان ليس بضررها هذا الثرى شيئاً وانما الارواح التي تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة ومن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا هو يعلم ما يكون في أهله بعده وانهم ليسكونه ويكفونونه وانهم لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني أن أرواح المؤمنين مرسله تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول ألا أنه لم يقم من الدنيا الا مثل الذباب يموت في جوفها فالحق الله في اخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقصوا موتاكم ببسات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ولذلك قال أبو الدرداء اللهم اني أعوذ بك أن أعمل عملاً اخرى به عند الله بن رواحة وكان قد مات وهو حاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين اذا ماتوا أين هي قال في حواصل طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الارض السابعة وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من نفسه ومن مجله ومن يذليه في قبره وقال صالح المري بلغني أن الارواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ما والشوق إلى الجسد كنس في طيب أو خبيث وقال عبيد بن عمير أهل القبور يتفقون الاخبار فإذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول ألبأ تنكم أم اقدم عليكم فيقولون آنا لله وآنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهدان الرجل ليسر بصلاح ولده في قبره وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قضت تلهاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشرى في الدنيا يقولون انظروا أحكامكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فبسا لونه ما ذافعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه

عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا والله وانما اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية
 بيان كلام القبر لئلا يتوهم كلام الموقى اما بلسان المقال أو بلسان الحال
 التي هي افصح في تفهيم الموقى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول القبر لئلا يتوهم فيه ويحك يا ابن آدم ما فعلتني ألم تعلم اني بيت القنعة وبيت النطفة وبيت
 الوحدة وبيت الدود ما فعلتني اذ كنت تمرني فذاذا فان كان مصعبا اجاب عنه مجيب القبر فيقول
 ارايت ان كان يا امر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتخول عليه خضر او يهود
 جسده نور او تصعد روحه الى الله تعالى والقد اذهو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسر
 الراوى وقال عبيد بن عمير الا بئس من مبيت يموت الا نادته حفرة التي يدفن فيها انابت النطفة
 والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا
 قاتنا اليوم عليك نعمة انا الذي من دخاني مطيعا خرج مسرورا ومن دخاني عاصيا خرج مشبورا وقال
 محمد بن صديق بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب أو اصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموقى
 اها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اها كان لك فينا معتبرا اها كان لك في متقدمنا يا لك فكرة
 امار ايت انقطاع اعمالنا وانك في الهمة فها استندرك ما فالت اخوانك وتناديه بقاء
 الارض اها المتغتر بظواهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض من قرنه الدنيا تلك
 ثم سبق بدأه الى القبور وانت تراه محمولا تراه انا انا انا الذي لا يدله منه وقال يزيد القاشي
 بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطفأ الله فقال اها البعد المنفرد في حفرة
 انقطع عنك الاخلاء والاولون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر
 احتوشته اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فقبي ملائكة العذاب
 من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم منه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال في القيام لله عليه ما نأثرونه
 من قبل راسه فتقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال نطأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم
 عليه فبأثرونه من قبل جسده فتقول الحج والجهاد اليكم منه فقد انصب نفسه واعب بدنه وحج
 وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فبأثرونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكمن من
 صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال
 فيقال له ههنا طميط حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتقرش له فراقا من الجنة وتذارا
 من الجنة ويقص له في قبره مذبصره ويؤتي بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم بعثه الله من قبره
 وقال عبيد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت بعد
 وهو لسمع خطوه وشيعه فلا يكلمه شيء الا قبره يقول ويحك يا ابن آدم اليس قد حذرني وحذرت
 ضيق وقتي وهوى ودودي فاذا اعددت لي بيان عذاب القبر وسؤال المنكر ونكير
 قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره متكسرا راسه فقال اللهم اني اهو ذك من عذاب القبر
 ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبيل من الآخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم
 حنوطه وكفنه فيجلسون متبصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل
 ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا يجب ان يدخل روحه منه فاذا صعد روحه
 قيل اي رب عبدك فلان يقول ارجوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم
 وفيها نعيدكم الآية وان الله لسمع خلق تعالهم اذا اولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما ديتك ومن

نبيك فقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم قال فينهرانه انتهارا شديدوا هو
 آخرتة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان قد صدقت وهو معنى قوله تعالى ثبت الله
 الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يابيه أنت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر
 برحمتك وحنان فيها نعم مقيم فيقول وانت قبشر لك الله بغير من انت فيقول انما عليك الصالح والله
 ما علمت ان كنت لسر بها الى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فإناك الله خير قال ثم ينادى مناد ان
 افرشوا له من فرش الجنة واقضوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويضع له بابا الى الجنة
 فيقول اللهم جعل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى * قال وأما الكفر فانه اذا كان فى قلب
 من الآخرة وانقطع عن الدنيا تزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرايل من
 فطران فيصنونه فاذا خرجت نفسه لشكل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وعقلت
 أبواب السماء فليس منها باب الا يكره ان يدخل روحه منه فاذا صعد روحه بنذوق لى رب عبدك
 فلان لم يقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروهم ما عادت له من الشر انى وعدتها
 خلقتا ثم فيها لعنكم الآية وانه ليسمع خفق لعلهم اذا اولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن
 نبيك وما نبيك فيقول لأدرى فيقال لا دريت ثم يابيه أنت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب
 فيقول أبشر بسخط من الله وبعذاب ألم مقيم فيقول بشرك الله بشرك من أنت فيقول انما علمك
 انك كذبت والله ان كنت لسر بها عن معصية الله بطيئاً عن طاعة الله فإناك الله شر فيقول وانت فإناك
 الله شر انك تقبض له اصم أى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقولوا لم
 يستطيعوا الضرب بها جيل صارت رايافضربه باضرية نصير تراباً ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين
 عينيه مرة يسبعهما من على الارض ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد ان افرشوا له لوحين من نار
 واقضوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويضع له بابا الى النار وقال محمد بن على ما من ميت
 يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسنة ويطلق عن
 سيئانه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر أنه الاثمة بحمرة
 فيها مسك وضرب الريحان فينسل روحه كاتسل الشعرة من البهين ويقال أيها النفس الطمئة
 اخرجى راضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك
 والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر أنه الملائكة بجميع فيه
 جرة فترع روحه انقرا شديدوا يقال أيها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة ومضوطة عليك الى
 هو ان الله عزابه فاذا أخرجت روحه وضعت على قلنا الجرة وان لها شيشا وطوى عليها المسك
 ويذهب بها الى سبعين ومن محمد بن كعب القرظى انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت
 قال رب ارجعون لى اعمل صالحا فبما تركت قال أى نبي تريد فى أى شىء تركت تريد ان ترجع
 لتجمع المال ونفس الفراس وتبنى البنين وتشقق الانهار قال لالى اعمل صالحا فبما تركت قال
 فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائمها أى يقول لها عند الموت وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه
 وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء وريح له فى قبره سبعون ذراعا ويضى حتى يكون كالقمر ليلته
 البدر هل تدرون فيماذا أترأت فان له معيشة ضحىكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر فى قبره
 يسلط عليه ثعبان تسعون تينا اهل تدرون ما التين تسعون حبة لكل حبة سبعة رؤس
 تحددشونه ويسمونهم ينفقون فى جسمه الى يوم يعثون ولا ينبت أى أن ينهب من هذا العدد على
 الخصوص فان أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلال الذى مومة من الكبر والرياء والحسد

والقل والحق وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تنشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها
 بأقسام وتلك الصفات بأعيانها هي الهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحبات فالقوى منها
 يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى ألياء الحية وأرباب الفلوب
 والبصائر يشاهدون نور البصيرة هذه الهلكات وانشعب فروعها إلا أن مقدار عدد هذا الوقف
 عليه لا ينور النبوة فأمثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولصحتها عند أرباب
 البصائر واضحة فمن لم يتكسف له حقاقتها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان
 التصديق والتسليم فان قلت فمن نشاهد الكافر في قبره مدة وزاقيه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما
 وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم أن تلك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا
 (احدها) وهو الاظهر والاصح والاسلم أن تصديق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت ولكذلك
 لا نشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكونية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم
 الملوكوت أما ترى الصحابة رضی الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه
 ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فصحيح أصل الايمان بالملائكة والوحي
 اهم عليك وان كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الامة فكيف لا تتصور هذا
 في الميت وكان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست
 من جنس حبات النابل هي جنس آخر وتدرج بحاسة أخرى في المقام الثاني أن تنذر كراماتنا ثم
 وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح في نومه ويعرق جبينه وقد يترجم من
 مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا
 ولا ترى حوالبه حية والحية موجودة في حقها والعذاب حاصل ولكنه في حقه غير مشاهد وإذا
 كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تعقيل أو تشاهد في المقام الثالث أنك تعلم أن الحية
 بنفسها لا تؤلم الذي يلقاها منها وهو السم ثم ليس هو الا لم يل عذابك في الاثر الذي يحصل
 فيك من السم فلوحصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد تفرق وكان لا يمكن تعريف ذلك
 النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يقضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة
 الوقوع مثلا من غير مباشرة صورة الوقوع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف
 بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه
 الصفات الهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ
 الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العلق مؤذيا عند موت
 المشوق فانه كان لذيذا فطرات حاله صارا للذيبة بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب
 ما يتنبه معناه لم يكن قد تنعم بالعلق والوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فانه قد سلط
 العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع
 ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا يرى يكون حاله ليس يعظم شقاؤه ويشد عذابه
 وينتحي ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا تأذي برفاقه فالوقت عبارة عن مفارقة
 المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة محال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد
 في حال من لا يفرض الا بالدين فاخذ منه الدنيا وتسلم الى أعدائه ثم يضاف الى هذا العذاب
 تنصيره على ما فاته من نعم الآخرة والنجاب عن الله عز وجل فان حب غير الله يحجب عنه لقاء الله
 والتمتع به فينوي عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرتة على ما فاته من نعم الآخرة أبدأ بالادوئل

الرز والجلاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذي يعذب به اذ لا يتبع نار القراق الانار جهنم كما قال
تعالى كل انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصا لوالحليم وأما من لم يأنس بالدين والى لم يحب الله
وكان مشافا الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقد علم على محبوه
وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفى عليه النعم مع الامن من الزوال ابد الآباد ولئن ذلك
فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يكسب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه
عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فاذا ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب وحببه للفرس
هو الذي يلدغه اذا أخذ منه فرسه فليست تعد هذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومزكبه
وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره
وأعضاءه ويأس من رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم
عليه من المقارب والحيات وكالوا أخذ ذلك منه وهو حي فمعظم عقابه فكذلك اذ مات انا قد بينا
أن المعنى الذي هو المدرك للآلام والذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لانه في الحياة يتسلى
بأسباب يشغل بها هواه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء الغرض منه
ولا سلة بعد الموت اذ قد انسد عليه طرق التسلى وحصل اليأس فاذا كل قيص له ومنديل قد أحبه
بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فاه يبقى متأسفا عليه ومعذابه فان كان تخفيا في الدنيا سلم وهو
المعنى بقوله ثم شغلهم شغل المحقون وان كان مثقلا عظم عذابه وكأ أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال
من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو
المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء
من الدنيا يخفف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت
فاستقل فان استكثر فلست بمستكثر الا من الحسرة وان استقلت فلست تخفف الا عن ظهر
وانما استكثر الحيات والمقارب في قبور الانبياء الذين استحبوا الحياء الدنيا على الآخرة وفرحوا بها
واطمأنوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقابه وفي سائر أنواع عذابه رأى أبو سعيد
العندري ابنه قد مات في المنام فقال له يا بني عظمي قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بني زنى
قال يا ابت لا تطيق قال قل لا تجعل بينك وبين الله قيضا فالبس قيضا ثلاثين سنة فان قلت لما
الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم أن في الناس من لم يثبت الا الاول وأنكر ما بهده ومنهم من
أنكر الاول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث ونما الحق الذي انكشف لنا بطريق
الاستبصار ان كل ذلك في حيز لا مكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلة ووجهه
بالتساع قدرة الله سبحانه وبحاجته تديره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به وبألفه وذلك جهل
وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بتوب
واحد من هذه الأنواع ورب عبد يجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة توبوا بالله من عذاب الله فقله وكثيره
هذا هو الحق فتصق به تقليدا فبعض على بسط الارض من يعرف ذلك تتحققا والذي وصيك به أن لا
تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشغل بمرقته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان فان
اهملت العمل والعبادة واشغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذ سلطانا وحبس له لقطع يده
ويجمع أنفه فأخذ طول الليل يفكر في انه هل يقطعه يسكن أو يسف أو يمسي وأهدل طريق
الحيلة فدفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد لا يتخلو بعد الموت
من عذاب عظيم أو نعيم فينبغي أن يحسب الاستعداد له فأما البحث عن تفصيل العقاب

والثواب ففضول وتضييع زمان

في بيان سؤال منكروني كبير وصورتها وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر
قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اناه ملكان أسودان أزرقان يقال
لأحدهما منكرو وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمناً قال هو عبد الله
ورسوله أنه قد ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فيقولان له ما كنت تعلم أنك تقول ذلك ثم يمدح له
في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً وينزل في قبره ثم يقال له نعم فيقول دعوني أرجع الى أهلي
فأخبرهم فيقال له نعم فيقام حكمومة العروس الذي لا يوقطه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من
مضجعه لك وان كان منافقاً قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئاً وكنت أقوله فيقولان ان
كانت تعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للارض التثني عليه فتلتم عليه حتى تختلف فيها أضلامه فلا يزال
معداً حتى يبعثه الله من مضجعه لك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر
ابن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك اذا أتت مت فاطلق بك قومك فقاموا لك ثلاثة أدرع
في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فسلوكك وكفولك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يملأ عليك
التراب ويدفنونك فاذا انصرفوا عنك أناك فنانا القبر منكروني كبيراً صواتهما كالرعد انصاف
وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويثان القبر بانيهما فقتللاك وترزلك كيف
بك عند ذلك يا عمر فقال عمرو يكون معي مثل عتي الآن قال نعم قال اذا اكفيكهما وهذا نص صريح
في أن العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت قاعلاً مدركاً عالماً بالآلام
والآفات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له
طول ولا عرض بل الذي لا يتغير في نفسه هو المدرك للأشياء ولو تشارت أعضاء الانسان كلها ولم
يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكامله قائماً باقياً وهو كذلك بعد
الموت فان ذلك الجزء لا يحل الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن النكدر بلغني أن الكافر
يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يد هاسوط من حديد في رأسه مثل قرب الجبل تضربه الى
يوم القيامة لا تراه فتتعبه ولا تسمع صوته فترحمه وقال أبو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله
الصالحة فاحتوشته فان اناه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وان اناه من قبل رجله جاء قيامه
وان اناه من قبل يديه قالت البدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لاسبيل لكم عليه وان
جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما اني لو رأيت خلا
لكنك أتانا ناحية قال سفيان نحاحش منه أعماله الصالحة كما يحاحش الرجل عن أخيه وأهله
وولده ثم قال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعتك فتمم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب أصحابك وعن
حذيفة قال كاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم
قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة ترد منها حائله وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان القبر وضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لتجاسعن معاذ وعن أنس قال توفيت زينب بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة تبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأنا
حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمتع وجهه صفرة فلما خرج أسفروا وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا
منك شيئاً فم ذلك قال ذكرت وضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فأبنت فأخبرت أن الله قد خفف عنها
ولقد وضغطت وضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

باب الثامن فيما عرفت من أحوال الموتي بالمكاشفة في المنام

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج
 الاعتبار من فننا حوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمر وبعينه
 فلا يتكشف بذلك أصلاً فإنا ان مؤلفنا على إيمان زيد وعمر فلا تدري على ماذا مات وكف ختم له
 وان مؤلفنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محلها القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف
 على غيره فلاحكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا
 يمكن معرفة حكم زيد وعمر والابشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه وادامات فقد تحول من عالم الملك
 والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين
 في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليه اغشاة كثيرة من شهواته واشغاله الدنيوية فصار
 لا يصرها ولا يتصور أن يصيرها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقش تلك الغشاة عن عين قلبه ولو
 كانت الغشاة منقشة عن عين الانبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا
 عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ضيقة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد اذ أخبره أن
 الله اقعد بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين
 تقرب درجتهم منهم وانما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة لانها أيضاً مشاهدة نبوية
 وأعيانها المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة
 جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وهو أيضاً انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاة عن القلب
 فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده
 ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالظاهرة عند النوم لئلا ينام طاهراً وهو إشارة الى طهارة الباطن أيضاً فهو الاصل وطهارة الظاهر
 بمنزلة التفتة والتكلمة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما سكن في المستقبل كما
 انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله
 رسوله الرؤيا بالحق وقلنا نخلو الانسان من منامات دلت على أمور فوجدناها صحيحة والرؤيا ومعرفة
 الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطره الآدمي وهو من أوضح الأدلة على عالم
 الملكوت والخلق فافلح من كفلاتهم من سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة
 الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره
 ههنا مثال يفهم المقصود وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تراهي فيها الصور وحقائق
 الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله
 تعالى بعينه تارة بالروح وتارة بالكتب البين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن لجميع ما جرى
 في العالم وما يجري مكتوب فيه ومنقوش عليه تشا لا يشاهد هذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح
 من خشب أو حديد أو عظم وان الكتاب من كأغدأ ورق بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه
 لوح الخلق وكتب الله لا يشبه كتاب الخلق كان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان
 كنت تطلب مثلاً يقربه الى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن
 وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرأه ينظر اليه ولو فنتشت
 دماغه جزأً لم تشاهده من ذلك الخط حرفاً وان كان ليس هناك خط يشاهده لا حرف ينظر في هذا
 الخط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه والروح في المثال كرامة

ظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرأة مرة أخرى لكانت صورة تلك المرأة تتراءى في هذه المرأة
 أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرة تقبل رسوم العلم والروح مرة رسوم العلوم كلها موجودة
 فيها واشغال القلب يشبه وانه مقتضى حواسه حجاب من سبل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو
 من عالم الملكوت فان هبت ريح صخر كت هذا الحجاب ورفقته تلا في مرة القلب شئ من عالم
 الملكوت كالبرق الخاطف وقد ثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو القلب وما دام متيقظا فهو مشغول
 بما تورد له الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم أن ترك
 الحواس عليه فلا تورد على القلب فإذا انقطع منته ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب
 بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شئ مما في اللوح كما تقع الصورة من مرة في مرة أخرى اذا
 ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله ومنه تحركه
 فما يقع في القلب يتبدر الخيال فيها كمنه مثال بقا به وتكون التمثيلات اثبت في الحفظ من غيرها
 فيبقى الخيال في الحفظ فإذا انتبه لم يترك الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر الى هذا الخيال كحكاية أى
 معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين الخيال والمعاني وأمثله ذلك ظاهرة عند من نظر
 في علم التعبير ويكتفيك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن بيدي خاتما اختبه به
 أفواه الرجال ونفوس النساء فقال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظروا أن
 روح الختم هو المنسج ولا جله براد الختم وانما يتكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو
 عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالختم فتمتله
 بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبق في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نسخة بسيرة
 من بحر علم الرؤيا الذي لا تنصر بحاته وكيف لا هو أخو الموت وانما الموت هو حجب من الجباب
 وهذا لانه يشبهه من وجهه ضعيف أن في كشف القطع من عالم الغيب حتى صار النائم يعرف
 ما سيكون في المستقبل فإذا تراءى في الموت الذي يحرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى
 الانسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه ما محفوفة بالانكال والخازي والفضائح فهو ذاب الله
 من ذلك وامامك فابنعم مقب ومالك كبير لا آخر له وعند هذا يقال لا شقاء وقد انكشف الغطاء
 لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال أفسر هذا أم أنتم
 لا تبصرون اصلوها فابصروا ولا تبصروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون والهمم الاشارة بقوله
 تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فأعلم العلماء وأحكم الحكماء يتكشف له عقيب الموت
 من الجباب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا يخطر به ضمه فلو لم يكن العاقل همت وغتم الا الفكرة
 في خطر تلك الحال ان الحجاب مما اذ يرتفع وما الذي يتكشف عنه الغطاء من شقاء لازمة أم
 سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا
 وأعجب من ذلك فرحنا بما مؤانوا أهلينا وأسياننا وذرنا نبال بأعضائنا وسمعنا وبصرنا مع أنا
 نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن ابن من يفت روح القدس في روعه فقول له ما قال لسيد
 النبيين أعجب من أعجب فأنك مفارقة وعش ماشئت فأنك ميت وامل ماشئت فأنك عجزى به
 فلا جرم لما كان ذلك مكشوفه له بعين اليقين كان في الدنيا كما راسيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة
 على قصبة ولم يخلف دينار ولا درهم ولم يخذ حبيبا ولا خيلا فلم قال لو كنت متخذ خيلا لا اتخذت
 أبا بكر خيلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فيمن أن خلة الرحمن تتخلت باطن قلبه وأن حبه تمكن
 من حبه قلبه فلم يترك فيه منسعا للخليل ولا حبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

الله فاما اتته من اتبعه وما اتبعه الا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه مادا الى الله
واليوم الآخر ما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما عرضت عن الدنيا وأقبلت
على الآخرة فقد سلك سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلك سبيله فقد اتبعه وبقدر ما اتبعه
قد صرت من اتبعه وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورضيت عن متابعتها والحق
بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وأثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من
مكمن الضرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلنا نك من حين تصبح الى حين نغشى
لا تسعي الا في الحظوظ العاجلة ولا تنصرف ولا تسكن الا للعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من
اتمه وأتباعه ما بعد ظنك وما أبرد طبعك أفجعل المسلمين كالجرمين ما لكم كيف تحكمون
ولترجع الى ما كافيه ويصده قد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولندكر الآن من المنامات
الكاشفة لاحوال الموتى ما اعظم الانتفاع به اذ ذهب النبوّة وبقيت المبررات وليس ذلك الا
في المنامات
حيث ان من مات تكشف عن احوال الموتى والاحمال النافعة في الآخرة
في ذلك يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من رأى في المنام فقد رأى حقا
فان الشيطان لا يتمثل في وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فرأيتنه لا يتمثل في فقلت يا رسول الله ما شأني فالتفت الي وقال ألسنت القبل وأنت صائم
قال والذي نفسي بيده لا أقبل امرأه وأنا صائم أبدا وقال العباس رضي الله عنه كنت وذا العمر
فاشبهت أن أراه في المنام فارأيتنه الا عند رأس الحول فرأيتنه يسبح العرق عن جبينه وهو يقول
هذا الوان فراغني ان كان مرشئ لهد لولائي لقتنه رؤفا رحما وقال الحسن بن علي قال في
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سخر الى الليلة في منام فقلت يا رسول الله ما لقت
من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم لي من هو شر لهم مني فخرج
فصر به ابن ملحوم وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
استغفر لي فأعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر
ابن عبد الله انك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فأقبل علي فقال فقرا الله لك وروى عن العباس بن عبد
المطلب قال كنت مواخيا لابي طيب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبرتني عليه
وأهمني امره فسألت الله تعالى حولا أن يريني اياه في المنام قال فرأيتنه يلتهب نارافسألتنه عن حاله
فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الايام والليالي قلت
وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني أمية فبشرتني بولادة أمته اياه
ففرحت به وأعمقت وليدة لي فرحابه فانا بنى الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين وقال
عبد الواحدين زيد خرجت حافضا صبي رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلي
على النبي صلى الله عليه وسلم فسألتنه عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة الى مكة ومعني
أبي فلما انصرفت نائمات في بعض المنازل فبينما أنا نائم اذا ناني أت فقال لي قم فقد مات الله اباك وسود
وجهه قال فقم مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت أسود الوجه فداخلتني من ذلك
وعب فبينما أنا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فقم فاذا على رأس أبي أربع سوادان معهم أعمدة حديد
اذا فسل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تعوا فسمع وجهه بيده ثم انا في فقال قم فقد
بيض الله وجهه أباك فقلت له من أنت بائي أنت وامي فقال لا أخمد قال فقلت فكشفت الثوب عن
وجهه أبي فاذا هو أبيض فاتركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن

عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم جالساً عنده فسئلت وجلست فيبيتنا أنا جالس إذا نبي بعلي ومعاوية فادخلنا وأجيب عليهم الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن أخرج عني رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن أخرج معاوية علي أنه وهو يقول فقري ورب الكعبة * واستيقظان عباس رضي الله عنهما مارة من نومة فاسترجع وقال قتل الحسين والمؤمنون ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال ألا تعلم ما صنعت أمتي يهدى قتلاوا ابني الحسين وهذا دم وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى فشاء الخبر بعد أربعين يوماً بقتله في اليوم الذي رآه * ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول أبدأ في لسانك هذا أو ردي في الموارد فافعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فأوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رحمحة الله عليهم أجمعين

قال بعض المشايخ رأيت متمماً الدورقي في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال قد برئ في الجنان فقيل لي يا متمم هل استحييت فيها شيئاً قلت لا يا سيدي فقال لو استحييت منها شيئاً لو كنتك اليه ولم أوصلك إلى * ورؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال عقري قيل بماذا قال ما خطبت جدّاً نهزل وعن منصور بن اسماعيل قال رأيت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفتي بين يديه فغفرت لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً فاني استحييت أن أقربه فأوقفتي في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحييته فاستحييت من الله أن أذكره وقال أبو جعفر الصديقي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقراء فيبيتنا نحن كذلك إذا انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما بيده طشت ويبدأ الآخر ينفق الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل بيده ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فإنه ليس منهم فقلت يا رسول الله ليس قدرى عنك انك قلت المزمع من أحب قال بني قلت يا رسول الله فاني احببت وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فإنه منهم وقال الجنيد رأيت في المنام كأنني أتكلم على الناس فوقف على ملك فقال أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي قولي الملك هو يقول كلام موفق والله وري بجمع في النوم فقيل له كيف رأيت الأمر فقال رأيت الزاهد في الدنيا ذهبوا بنجر الدنيا والآخرة وقال رجل من أهل الشام للعلماء زياراً بنك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمراً فصمت منه فأنخص رجلاً قتلني وقال محمد بن واسع الرؤيا تنسر المؤمن ولا تغره وقال صاحب بن بشر رأيت عطاء السلي في النوم فقلت له رحمتك الله لقد كنت طويلاً الحزن في الدنيا قال أما والله لقد أعفيتني ذلك راحة طويلة وفرحاً تاماً فقلت في أي الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الأية وسئل زواردة بن أبي أوفى في المنام أي الأعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذكور رأيت الأوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمر ودلني على عمل اتقرب به إلى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المخزومين قال وكان يزيد شيخاً كبيراً فلم يزل يسكي حتى اطلعت عيناه وقال ابن عيينة رأيت أخى في المنام فقلت يا أخى ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه عقري ومالم استغفر منه لم يغفرني وقال علي الطلمي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت

فقال حوراء قلت زوجتي نفسك قالت اخطيني الى سيدى وامهرنى قلت وما مهرك قالت حبس
نفسك عن آفاقها وقال ابراهيم بن اسحاق الحرى رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت
عقرى فقلت لها بما أفقت في طريق مكة قالت أما النفقات التي أفقتها رجعت أجورها الى أربابها
وعقرى لبنيى ولما مات سفيان الثوري رأى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت أول
قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال أحمد بن أبي الخوارى رأيت فيما يرى الناس جارية
مارأيت أحسن منها وكان بلاؤها وجهها نوراً فقلت لها ماذا وضعت وجهك قالت تذكرتك الله التي
بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمك فصبته بوجهي فمن ثم ضو وجهي كما ترى وقال الكافى
رأيت الجنيد في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات
وما حصلنا الا على ركعتين كأننا صلينا في الليل ورأيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك
قالت عقرى في هذه الكلمات الأربع لا اله الا الله أنى به امرى لا اله الا الله أدخل بها قبرى لا اله الا
الله أدخلها وحيدى لا اله الا الله التي بهارى وورى بشرى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحنى ربي
عز وجل وقال يا بشرى ما أسخيت منى كنت تخافنى كل ذلك الخوف ورؤى أبو سليمان في النوم فقيل
له ما فعل الله بك قال رحمنى وما كان شئ أضرت على من اشارات القوم الى وقال أبو بكر الكافى
رأيت في النوم شاباً لم أر أحسن منه فقلت له من أنت قال التقوى قلت فإن تسكن قال كل قلب
حزين ثم التفت فإذا امرأة سوداء فقلت من أنت قالت أنا السقم قلت فإن تسكنين قالت كل قلب
فرح صريح قال فانتبهت وتعمدت أن لا أضحك الا غلبه وقال أبو سعيد انخرأ رأيت في المنام كأن
ابليس ونسب على فأخذت الصلابة فله فلم يفرع منها فتهبى هاتفاً من هذا الانحاف من هذه
وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحى رأيت ابليس في النوم بمشى عربان فقلت الا
تسبحي من الناس فقال بالله هؤلاء أناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعبهم طرفى النهار كما يتلاعب
الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسفوا جسمي وشاربده الى أصحاب الصوفية
وقال أبو سعيد انخرأز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئاً
على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف على وأنا أقول شيئاً من الاصوات وأدق في صدرى
فقال شراً هذا أكثر من خبره وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة بطير
من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا أفليعمل العالمون فقلت له أوصنى قال أقلل من معرفتنا للناس
وروى أبو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربي كفا حاقه قال لي * هنيئاً رضائي منك يا ابن سعيد

قد كنت قوماً اذا أظلم الدجاء * بصيرة مشتاق وقلب حميد

فديونك فاخترأى قصر أردته * وزرني فاني منك غير بعيد

وروى الشيبى بعد مائة وثلاثة أيام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشني حتى أيت فلما رأى بأسى
تهدى برحمته ورؤى مجنون بنى عامر بعد مائة وثلاثة أيام فقيل له ما فعل الله بك قال عقرى وجعلني
حجة على المحبين ورؤى الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحنى فقيل له ما حال عبد الله بن
المبارك فقال هو من يطع ربه في كل يوم مرتين ورؤى بعضهم فسئل عن حاله فقال
حاسبوناً قد قفوا * ثم منوا فاعتقوا * ورؤى مالك بن أنس فقيل له ما فعل الله بك قال عقرى بكلمة
كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحانه الخى الذى لا يموت ورى
في الليلة التي مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة وكأن منادياً ينادى الا ان الحسن

البصري قدم على الله وهو عنه راض وريء الجاحظ فقبل له ما فعل الله بك فقال
ولا تكتب بخطك غير شيء * ليس لك في القيامة أن تراه

ورأى الجنيد البليس في المنام عريان فقال ألا تسحي من لباس فقال وهو لا ناس الناس أقوام
في مسجد الشونيزية قد أضنو أجسادى وأحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتهت عقودتى إلى المسجد
فأرت جماعة قد وضعو رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يفر منك حديث النجيب
ورؤى النصراني بمكة بعد وفاته في النوم فقبل له ما فعل الله بك قال عونت عتاب الأشراف
ثم نوبت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فأوضعت في البعد حتى لحقت
بربي ورأى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تفعل
من الأعمال شيئاً فيجاء بيتي وينك فقال عتبة طلقت الدنيا لئلا أرجع إلى عليا حتى ألقاك وقيل
رأى أيوب السخستاني جنازة عاص فدخل الدهليز ككلا صلي عليا فرأى الميت بعضهم في المنام
فقبل له ما فعل الله بك قال غفري وقال قل لأيوب قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا أئسستم
خشية الانفاق وقال بعضهم رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً ملائكة تزولوا ملائكة
صعدوا فقلت أي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرت الجنة بقدم روجهم وقال
أبو سعيد الشحام رأيت سهلاً الصعلوكي في المنام فقلت أيها الشيخ قال دع الشيخ فقلت تلك
الأحوال التي شاهدتها فقال لم تكن معنا فقلت ما فعل الله بك قال غفري بمسألة كان يسأل عنها
العزيز وقال أبو بكر الرشيدي رأيت محمد الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لأبي سعيد الصغار
وكناعلي أن لا نخول عن الهوى * فقد وحيه الحب حلم ومأخذاً

المؤتدب
قال فانتهت فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة فقال ابن راشد رأيت
ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قدمت قال بلى قلت فاصنع الله بك قال غفري مغفرة
أحاطت بكل ذنب قلت نفسيان الثوري قال يخرج من ذلك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي رحمه الله عليه بعد وفاته في المنام فقلت
يا أبا عبد الله ما صنع الله بك قال أجلسني على كرسي من ذهب ونزع عني اللؤلؤ والطرب ورأى رجل
من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن مناد ينادي أن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم
وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القاري المديني
رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا أويس القرني فأنته فقلت
أوصني رحلك الله فكلمني في وجهي فقلت مسترشد فأرشدني إلى أن الله قال قبل على وقال اتبع
رحمة ربك عند محبته وأحذر عقبه عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولي وتركتني
وقال أبو بكر بن أبي مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال غرت بعد كل جهد
قلت فأى الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن عامر هلكت جارية
في الطامون الجارف فقرأها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قد مننا
على أمر عظيم فعمل ولا تمل وتعملون ولا تعلمون والله لنسبنا أو نكسبنا أو ركة أو ركة عتات
في نسعة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام
فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى
بيتي فإذا خط عتبة الصلام في حائط البيت يا هادي المضيئ وبارا حرم المذنبين ويا مقبل عثرات
العائرين أرحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين

أثمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين وقال موسى بن
حامد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة قلت يا أبا عبد الله
يملك هذا قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى إلا كبري الكوكب ورأى
رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عني قال نعم من لم ينفق
التقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان قال موت خير له وقال الشافعي رحمه الله عليه ذهبي
في هذه الأيام أمر أمضى وألّني ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة أتاني آت في منامي
فقال لي يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا
استطيع أن اخذ الاما اعطينني ولا أنفي الاما وقيني اللهم فوقفتي لما تحب وترضى من القول
والعمل في فافية فلما أصبحت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهلي
الخلاص مما كنت فيه فطعتم هذه الدعوات لا تغفلوا عنها بهذه جملة من المكشفات قلل على
أحوال الموتى وعلى الأعمال المقتربة إلى الله زلني فلقد كر بعدها ما بين يدي الموتى من ابتداء نفثة
الصورة إلى آخر القرائم في الجنة أو في النار والمجد لله حمد الشاكرين

في الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفثة الصورة إلى آخر الاستقرار
في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأحوال والأخطاء وفيه بيان نفثة الصور وصفة أرض
المحشر وأهلها وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم التمام ودواهيها وأسامها
وصفة المسألة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة
وصفة الخوض وصفة جهنم وأهلها وأنكأها وحياها وعقارها وصفة الجنة وأوصاف نعمها
وعدد الجنان وأبوابها وصفة حيطانها وأمنارها وأشجارها وألباس أهلها وفرشهم وسرهم
وصفة طعامهم وصفة أخوار العين والولدان وصفة النظرة إلى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله
تعالى وبه ختم الكتاب ان شاء الله تعالى

صفة نفثة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة
القبر وديانته ثم تكبر وتكبر وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واطمأن من
ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفث الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال
عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم حواز الصراط مع دقة وحدته ثم انتظار النداء
عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه أحوال وأحوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان
بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبت من قلبك دواعي الاستعداد لها
وأكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويده أو أقنعتهم وبذل على
ذلك شدة تهمهم واستعدادهم لحرق الصبغ ورد الشاة وتهاونهم بجر جهنم وزموريرها مع
ما تنكثه من المصاعب والأحوال بل اذا استلوا من اليوم الآخر نطقته به أسنتهم ثم غفلت عنه
قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مضى
لتناوله كان مصدقا باسائه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتنى وكذبني وما ينبغي له أن
يكذبني أما شت ما يأي فيقول ان لي ولدا أو ما تنكذبني فقول له لن يهديني كذباتي وإنما قور البواطن
من قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم امثال تلك الامور ولولم يشاهد
الانسان نوال الحيات وان قيل له ان صانعا يصنع من النطفة البقرة مثل هذا الادعى المصور

العاقِل المتكلم المتصرف لا يشتد غمور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى أولم ير الانسان
أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى أحسب الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة
من منى ثم نحي ثم كان علقة مخلوق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ففي خلق الآدمي مع كثرة
مخاطبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تريد على الأعاجيب في بعته وإعاده فكيف ينكر
ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف ففوق
الايمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوي الايمان بها فاشعر
قلبك تلك المخاوف والاطخار وأكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار
فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر ألا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نزع الصور
فإنها صيحة واحدة تنفجر بها القبور عن رؤس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد
وثبت متغيرا وجهك مغبر أبديك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مهوتا من شدة الصعقة
شاخص العين نحو النداء وقد نارا الخلق ثورة واحدة من القصور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم
الفرع والرب مضافا إلى ما كان عندهم من المغموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم
قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نفخ في الصور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقال
تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون
قالوا يا ويلنا ما لبثنا من أمر قدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلولم يكن بين يدي الموتى
الاهول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بان تنفيقها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض
يعني يموتون بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
أنتم وصاحب الصور قد التقم القرن وحني الجهة وأصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل
الصور هو القرن وذلك أن اسرافيل عليه السلام وأضع فاه على القرن كهشة البوق ودائرة رأس
القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة
الأولى فاذا انفخ صفع من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفرع الا من شاء الله
وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح
ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ
أربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام
ينظرون على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين يبعث أتى صاحب الصور
فأهوى به إلى فيه وقد رم رحلا وأخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاقوا النفخة فتفكر في الخلائق
وذهم وانكسارهم واستكانتهم عند الابعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضي عليهم من
سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متعبر كبيرهم بل ان كنت في الدنيا من
الترقيين والاشياء المتعينين فلوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقهم
بوطون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها مختلطة
بالخلائق بعد توحيشها ذليلة ليوم التسور من غير خطيئة تدنس بها ولكن حشرهم شدة الصعقة
وهول النفخة وشغلهم ذلك من الحرب من الخلق والوحوش منهم وذلك قوله تعالى وإذا الوحوش
حشرت ثم أقبلت الشياطين المردة بعد عردها وعقوها وأدعت خاشعة من هيبة العرض على الله

تعالى تصديقاً لقوله تعالى: فوريك لعشرتهم والشياطين ثم لعشرتهم حول جهنم جنباً فنفسك
في حال روحك قلبك هناك

﴿وصفة أرض المحشر وأهلها﴾

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور خفاة عمراً غزيراً الى أرض المحشر أرض بيضاء قاع
مصفى لا ترى فيها عرجاً ولا أمتاً ولا ترى عليها روية يجتني الانسان وراءها ولا وهدية يفتن عن
الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمراً فاسعاً من جمع الخلائق على
اختلاف أصنافهم من اقطار الارض انساقيهم بالرافعة تنبعا الزادفة والرافعة هي النخلة الاولى
والزادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ ورافعة وتلك الابصار أن تكون خاشعة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عقرها كقرص النقي ليس
فيها معلم لا حد قال الراوي والعقرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والغزالة ومعلم
أي لبناء يسترو ولا تفاوت برز البصر ولا تظن أن تلك الارض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها الا في
الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات قال ابن عباس زاد فيها ونقص وتذهب
أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمتد الأديم العكاظي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها
دم ولم يبل عليها خطيئة والسماوات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك
اليوم وشدة فأنه اذا جمع الخلائق على هذا الصعيد تآثرت من فوقهم نجوم السماء ومطس الشمس
والقمر وأطلت الارض غلود سراجها فبينما هم كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانثقت
مع غلظها وشدة خضامتها خمسمائة عام والملائكة قيام على خافاتها وأرجائها فيها هول صوت انشقاقها
في سمعك وإهابة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدة نهارها وكسل الكففة المذابة
تخالطها صغرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالهلل وصارت الجبال كالهناء واشتد
الناس كالفرش المشوثر وهم خفاة عمراً مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس
خفاة عمراً غزيراً لقد أبلجهم العرق وبلغ شعور الأذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
رواية الحديث قلت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضهم الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم
لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم يوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر
والالفتات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم وجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال
أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف
ركبنا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم
على أقدامهم قادر على أن يمسيهم على وجوههم في طبع الأديم انكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد
الانسان الحبة وهي تمشي على يطنها كالبرق الخاطف لانكرهه والنسي على غير رجل والنسي
بالرجل أيضاً مستبعد عندهم لم يشاهد ذلك فأيالئ أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لخالفته
قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت
أشد انكاراً لها فاحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عارياً مكشوقاً ذليلاً محروماً متعبراً مهزواً
منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحمال فانها أعظم

﴿وصفة العرق﴾

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السماوات السبع والأرضين
السبع من ملك وجن وانس وشيطان وحش ورجل وطير فأشرفت عليهم الشمس وقد تضاعف
حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كتاب قوسين فلم يبق على

الارض ظل الاطل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستقلال به الا المقربون فمن بين مستظلي
بالعرش وبين مضي حر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وخنه من وهجها ثم تابعت الخلائق
ودفع بعضهم بعضا لشدة الحزام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخلة والحماة من الانصاح
والاختراع عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واختراق القلوب بنار
الحياة والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على ابدانهم
على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبته وبعضهم حقوبه وبعضهم الى شعبة اذنيه
وبعضهم كاذن يصب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين
حتى يغيب أجدهم في رشحه الى أنصاف اذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويلعق اذانهم كذا رواه
البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر قيا ما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم
العرق من شدة الكرب * وقال عقبه بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ندفو الشمس من
الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم
من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ نكته ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألمها
فاه ومنهم من يغطي العرق وضرب يده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر
وشدة كرمهم وفهم من ينادي فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولوالى النار وكل
ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فأنك واحد منهم ولا تدري الى أين يبلغ بك العرق واعلم أن كل عرق
لم يخرج من العتب في سبيل الله من هجو جهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة
في أمر معروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب
ولوسلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن عتب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً أو أقصر
زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيمة شدة طويلة مدته

﴿حصة طول يوم القيامة﴾

يوم تنف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا يتطرق في أمورهم يقفون
ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شرربة ولا يجيدون فيه روح نسيم قال كعب وقادة
يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبد الله بن عمر ونزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال كيف يكاد جمعكم الله كجميع النبل في الكائنة خمسين ألف
سنة لا ينظر إليكم وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة
لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شرربة حتى اذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أحوافهم
جوعاً انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لعمها فلما بلغ الجهود منهم ما لا
طاقة لهم به كمل بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاة ليسع في حقهم فلم يتفقوا بهي الادفهم
وقال دعوني نفسي نفسي شغلي أمرى عن أمر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال
قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشتم نبينا صلى الله عليه
وسلم لمن يؤذن له قبله لا يملكون الشفاعة الا لمن أدن له الرحمن ورضي له قولاً فتأمل في طول هذا
اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخفف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عرك المحصر واعلم أن من
طال انتظاره في الدنيا لثبوت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم
خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه

لنصف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلح في الدنيا فاجتهد أن تسكون من أولئك المؤمنين فإدام سقى لك نفس من محرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاحمل في أيام قصار ولا يام طوال ترجع رجلا منتهى لسروره واستخفر عرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فإني لك نصرت سبعة آلاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقدار خمسون ألفا كان رجلك كثيرا وتعبك يسيرا

وصفة يوم القيامة ودواهيها وأسماها

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب وإتاه يوم ترى السماء فيه قد انظرت والكواكب من هولاء قد انتثرت والبعوم الزواهر قد انكسرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والجار قد سيرت والنفوس إلى الأبدان قد رجت والحج قد سيرت والجنة قد أزلت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم ترى الارض قد زلزلت فيه زلاها وأخرجت الارض أنفاله يومئذ يصدر الناس أشعثا لميرا وأعمالهم يوم تحمل الارض والجبال فدكاكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانثقت السماء فهي يومئذ دواهيها والمالك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم نسي الجبال وتري الارض بارزة يوم ترج الارض فيه رجاء وتبس الجبال بساف كانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفرش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرسعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسعوات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنصف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا مصصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمما يوم ترى الجبال تحسبها جامة وهي تمر من السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسأل فيه عن الأجر ابل يؤخذ بالنواصي والأقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا يعيد يوم تقلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تحرس فيه اللسان وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصادق رضي الله عنه أراك قد شيبت يا رسول الله قال شيبتي هود وأخواني وهي الواقعة والمرسلات وعم ينسأ لون وإذا الشمس كورت فبايها القارئ العاجز انما حفظك من فراءك أن تشجع القرآن وتحرك فيه اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرأ لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعرك سيد المرسلين وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرم ثمرة القرآن فالقيامة أحدما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أسماها لتنف بكثره أسماها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثر الاسامي تكرير الاسامي والالقاء بل الغرض تنبيه أولى الباب فقت كل اسم من أسماء القيامة مفسر وفي كل نص من نصوصها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجعل لك أسماها وهي يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسألة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المناقشة ويوم الزلزلة ويوم المدممة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الرجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفرقا ويوم المسابق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم القرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحن ويوم المحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم

الخنزى ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير
ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرحمة ويوم الجزة ويوم السكرة ويوم القزع ويوم
الجزع ويوم المنهى ويوم المأوى ويوم الميثاق ويوم المعاد ويوم المصداق ويوم القلق ويوم
العرق ويوم الانتقار ويوم الانكسار ويوم الانقار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم
الخروج ويوم الخلود ويوم التغاير ويوم عيوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم
لا رب فيه ويوم تبنى السرائر ويوم لا تحزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الابصار ويوم
لا يغنى مولى عن مولى شيئا ويوم لا تغلك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم
يصبون في النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزى والمدن والدمع ويوم يفر
المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لا يرزقهم الله يومهم
بارزون يومهم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم العنة
ولهم سوء العذاب يوم زرد فيه المعاذير وتبنى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الستار يوم تنسخ
فيه الابصار وتنكس الاصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخفيات يوم يساق
العباد ومعهم الاشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت
الدواوين وبرزت الحجب وأغلى الحجب وزفرت النار وبألس الكفار وسعرت التيران وتغيرت
الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيأبها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث
أغلقت الابواب وأرخت الستور واستترت من الخلق قفارت الفيضور فاذ انقل وقد شهدت
عليك جوارحك فالويل كل الويل لسامعائر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه
الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرّفنا غفلتنا ويقول اقرب للناس
حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية
قلوبهم ثم يعرّفنا اقرب القيامة فيقول اقربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعد انزاه قريبا
وما يدرك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون أحسن احوالنا أن نخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا
تغير معانيه ولا تنطرفي كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا تستعجل لخلص من دواهيته فعوذ
بالله من هذه الغفلة ان لم يتدبرك الله واسع رحمة

﴿صفة المسألة﴾

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسأل
عن القليل والكثير والنقص والتكميل فينبينا أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظامتها انزلت
ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأخفاف خفاف غلاظ شداد أمر وإن يأخذوا نواصي
الجرم من الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ملكا ما بين
شفرى عينيه مسيرة مائة عام فاطنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا اليك
ليأخذوا الى مقام العرض وزاخرهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستعشرين بما بدا
من غضب الجبار على عباده وعند زورهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا يخرجون لانقامهم خوفا
من أن يكونوا هم الأخوين فهذا حال المقربين فاطنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يسأرون أقوام من
شدة الفرع فيقولون للملائكة أفيكم رشاؤك لعظم موكلهم وشدة هيبته فتفرع الملائكة من
سؤالهم اجلالا لخالقهم عن أن يكون فهم فنادوا بأصواتهم منزهين للملكهم عما توهمه أهل الارض
وقالوا اسعنا ربنا ما هو فينا ولكنك آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفحا محققين بالخلق من
الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيبة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصتق

الله تعالى قوله فلنسلأن الذين ارسل اليهم ولنسلأن المرسلين فلتقص عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله
 قوربك لنسلأنهم أجمعين عما كانوا يعملون فبعد أسجانه بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
 أجمعتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب فيالشفعة يوم تهل فيه عقول الانبياء وتنعى عليهم من
 شدة الهيبه اذ يقال لهم ماذا أجمعتم وقد ارسلتم الى الخلائق وكما نوافد علوا فندش عقولهم فلا
 يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبه لا علم لنا انك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت
 صادقون اذ طارت منهم العقول وانحت العلوم الى أن يقوهم الله تعالى فيدعي نوح عليه السلام
 فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لا تمته هل بلغكم فيقولون ما آتانا من نذير ويؤتى بعيسى عليه
 السلام فيقول الله تعالى له أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فينتفي متشعطا تحت
 هيبه هذا السؤال سنين فبالعظم يوم تقام فيه السياسة على الانبياء يمثل هذا السؤال ثم تقبل
 الملائكة فينادون واحدا واحدا بافلان ابن فلانة هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص
 وتضطرب الجوارح وتبنت العقول وتبني أقوام أن يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبايح أعمالهم
 على الجبار ولا يكتشف سترهم على ملائكة الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش وتشرق
 الارض بنور رهاواقن قلب كل حيد باقبال الجبار لسائلة العباد وتطن كل واحد أنه ما يراه أحد
 سواه وأنه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سمعته وتعالى عند ذلك باجريل
 اتنني بالنار فيجيء لها جبريل ويقول يا جهنم أجيبي خالقك وملئكتك فيصا د فها جبريل على غنظها
 وقضها فلم يلبث بعدئذ أنه أنارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تضطها
 وزفيرها وانتهضت خزنتها متوجهة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره
 فأخطريائلك وأحضرتي قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فرعا ورما فتساقطوا جثعا على الركب
 وولوا مدرس يوم ترى كل أمة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى العصاة والظالمون
 بالويل والثبور وينادى الصديقون نفسى نفسى فينبهاهم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية
 فتصاعف خوفهم وتجادلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على
 وجوههم وخصصوا بأبصارهم تطرون من طرف خفي خاشع وانهمضت منذ ذلك قلوب الطالبين
 فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى
 على الرسل وقال ماذا أجمعتم فاذا راوا ما قد أقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفرع على العصاة
 ففرأوا ولد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته وبقى كل واحد منتظرا لآخره ثم يؤخذ
 واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلائحته وعن جميع جوارحه
 وأعضائه قال أبو هريرة قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس
 في الظهيرة وليس دونها سحب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحب
 قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فليأتى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك
 وأزجرك وأسخر لك الخيل والابل وأدر لك ثرا س وربع فيقول العبد بلى فيقول أنت كنت ملائقي
 فيقول لا فيقول فأناتك كما تنسيتني فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بضديك
 وأنت واقف بين يدي الله تعالى بسألك شفاها فيقول لك ألم أقم عليك بالشباب فجميذا ألبسته
 ألم أمهل لك في العمر فجميذا أفنيتك ألم أرزقك المال في أين اكتسبته وجميذا أنفقته ألم أكرمك
 بالعلم فاذا علمت فجميذا فكيف ترى حيائك وتخلتك وهو بعد عليك انعامه ومعاصيك وآياديه
 ومساويك فان أنكرت شهدت عليك جوارحك * قال أنس رضى الله عنه كأمع رسول الله

صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اندرون ثم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه
يقول يا رب ألم تجزني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجزي نفسي الأشاهد امتني فيقول
كنى بنفسك اليوم عليك حسيبوا بالكرام الكائنين شهودا قال فيجتم على فيه ويقال لا ركانه انطق
قال فتنتطق بأعماله ثم يجئني بينه وبين الكلام فيقول لا عضائه بعدا لكن وسقا فتكن كنت أناضل
فعود بالله من الانقضاء على ملائخلك بشهادة الأعضاء إلا أن الله تعالى وعده المؤمن بأن يستريحه
ولا يطلع عليه غيره * سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
في الجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يذوق أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول
ملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول ملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها عليك في الدنيا واني
أغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته
يوم القيامة فهذا انما يرجي لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم
يجز ذلك لسانه بكذبا مساوهم ولم يذكرهم في غيبته بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازي بمثله
في القيامة وهب الله قدس سره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فكيف لك تلك الزوعة
جزا من ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفراغك مر بعدة
وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقد تنفسك وأنت بهذه
الصفة تغطي القاب وتغرق الصفوف وتقاد كاتقاد الفرس الجنوب وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم
فترهم نفسك انك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من
أيديهم ونادى الله سبحانه وتعالى يعظم كلامه يا ابن آدم اني قد نوت منه قلب خافق مخزون
وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يبادر بصغرة ولا كبيرة إلا
أحصاها فكم من فاحشة نسبتها فندرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فكشف لك من مساوئها
فكم لك من خجل ورجين وكم لك من حصر وعجز فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان
تجيب وبأي قلب تغفل ماتقول ثم تفكر في عظم جثائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها الذي يقول يا عبدي
ما استحييت مني فبارزني بالقبيح واستحييت من خلق فأظهرت لهم الجليل أكننت أهون عليك
من سائر عبادي استخفيت بنظري اليك فلم تسكرت واستغظمت نظري غيري ألم أنعم عليك فإذا
غررتني اظننت أني لا أراك وانتك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا
وسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أؤتك مالا
فيقول بلى فيقول ألم أرسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر من يمنة فلا يرى الا النارا ثم ينظر من
شماله فلا يرى الا النارا فليتك أحدكم النار ولو بشق تمره فان لم يجد فيك تمر طيبة وقال ابن مسعود
ما منكم من أحد الا سأله الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقرن ليل البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرتك في
يا ابن آدم ما علمت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أحببت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك
وأنت تنظرها الى المالا لعل لك ألم أكن رقيبا على أذنك وهكذا حتى عد سائر أعضائه وقال
بجاهد لا تزول قدمك يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره
فيما أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقته
فما أنفق ما يمكن بجثائك عند ذلك ويخطر بك فإنتك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا
أغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك وتبسطك الاقولون والآخرين واما أن يقال

للا تسكة خذوا هذا العبد السوء فقلوه ثم الحليم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والارض عليك
لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشدة حزنك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما ابت
أخرتك من دناءة نيتك لم تنق معك

• صفة الميزان •

ثم لا تنقل عن الفكر في الميزان وظاهر الكسب الى الايمان والشمالك فان الناس بعد السؤال ثلاث
فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عتق أسود قتلهم لقط الطير الحب ينطوي عليهم
ويلقهم في النار فتبتلهم النار وينادي عليهم شقاوة لا سعادة بعد ما وقسم آخر لا سبب لهم فينادي
مناذلة لهم الحادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل
ثم من لم تسغه تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذك الله تعالى وينادي عليهم سعادة لا شقاوة بعد ما وقسم
ثالث وهم الاكثرون خطوا واهل صالحا وآخرين وقد يخفي عليهم ولا يخفي على الله تعالى أن
الغالب حسنتهم أو سيئاتهم ولكن بأني الله لا أن يعرفهم ذلك لئيب فضلهم عند العفو وعده عند
العقاب فتطارد الحصف والكسب منظوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتخصص
الابصار الى الكسب اتفق في اليمين أو في الشمال ثم الى لسان الميزان أو يميل الى جانب السيئات أو الى
جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى الحسن أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فتعس قد كرت الآخرة فكبت حتى سال معها
فقط على خذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل
تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فان أحد الايدى كرا لانفسه اذا
وضعت الموازين ووزنت الامال حتى ينظر ان آدم يخفف ميزانه أم يتقل وعند الحصف حتى ينظر
أبيمينه يأخذ كتابه أو يشماله وعند الصراط وعن انس قال يؤتى بآدم يوم القيامة حتى يوقف بين
كفتي الميزان ويؤكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة
لا يبقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها
أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزانية توب يا أيدهم مقام من حديد عليهم ثياب من نار
فياخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم ينادي الله
تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعت النار فيقول ويكربعت النار فيقول من كل
ألف تسبائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أو نحوه أيضا حكة فلما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا أو بشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم
خلقين ما كنتم مع أحد قط الا كثرناهم مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول
الله قال باجوج وما جوج قال فسرتي عن القوم فقال اعملوا أو بشروا فوالذي نفس محمد بيده
ما أنتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب البعير أو كازقة في راح الهابة

• صفة الخصماء ورذا النظام •

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الاعين شاخصة الى لسان الميزان فنقل موازينه فهو في
عيشة راضية ومن خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما ههنا رحامة واعلم أنه لا يغوم من خطر
الميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها ميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولخطاته كما
قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وانما حاسبه لنفسه أن
يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة تصوحا وتندارك ما فرط من قصيره في فرائض الله تعالى ورذ
النظام حبة بعد حبة يستعمل كل من تعرض له بأسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى

يموت ولم يسبق عليه مظلة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد الظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جوارى وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول يا بعتني فبعتتني وأخفت عني عيب سلعتك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا فإطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وصككت قادرا على دفع الظلم عني فداهنت الظالم وما راعيتني فبيننا أنت كذلك وقد أنسب الخصماء فيك بخالهم واحكوا في تلابيك أيديهم وأنت مهتوت مخبر من كثيرهم حتى لم يبق في عرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلة بغية أو خيلة أو نظير بين استحقاقه وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم اذ فرغ سمعك نداء الجبار جل جلاله اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك يغلغ قلبك من الهبة وتوقن نفسك بالبور وتزدكر ما اندرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم واقتد بهم هواه وأندرك الناس فإشتد فرحك اليوم بقمصمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما اشتد حسراتك في ذلك اليوم اذا وقف ربك على بساط العدل وشوفت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا وتظهر عنذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عرك وتقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من امتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس بك حسنات من آفات الراء ومكاييد الشيطان فان سلئت حسنة واحدة في كل مدة طويلة انتسرها خصماؤك واخذوها ولك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلت أنه لا ينقص منك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك فكيف يبقية السيئات من أكل الحرام والشهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجوا خلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماع من القراءاء فقد روى أبو ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا ابا ذر أنتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة اليها ثم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماع من القراءاء ثم يقول كوني ترأيا فذلك حين يقول الكافر بالنبى كمت ترأيا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول ابن حسنا فيقال قل الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها انصبت واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما فارقتها فقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المأبأة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكر والمدارس وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قديس أن تعبد الا صنما بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون

ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فأتقوا الظلم ما استطعتم فان العدل لي بيوم القيامة بأمثال الجبال
من الطاعات فبى انهم سيخينه فيزال عبد يحيى فيقول رب ان فلانا ظالم بمظلة فيقول انهم
حسناته فيزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر تزولوا بغلة من الارض
ليس معهم حطب فتفرق القوم هطمو اثم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا اما ارادوا وكن ذلك
الذنوب والمآثر قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير
يا رسول الله ايكبر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤذوا
الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسمح فيه بخطوة ولا تجاوز
فيه عن لطة ولا عن كلمة حتى ينتقم للظلم من الظالم قال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الله العباد عراة فيما قال فلما قال ليس معهم شيء ثم انهم همهمهم تعالى بصوت
يسمعه من بعد كل سمعه من قرب انا الملك انا الذي لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة
ولا احدهم من اهل النار عليه مظلة حتى اقتصه منه ولا احدهم من اهل النار ان يدخل النار ولا احد
من اهل الجنة عنده مظلة حتى اقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما ناتي الله عز وجل عراة عراة
هم ما قال بالحسنات والسيئات فأتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض
لاعراضهم وتضييق قلوبهم وساءة الخلق في معاشرهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمفطرة
اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقذاب عنها وصبر عليه استحلل ارباب المظالم فليكره من
حسناته ليوم القصاص وليس يرعى الحسنات بينه وبين الله بكل الاخلاص بحيث لا يطلع عليه
الا الله فساه يقر به ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي اذخره لاجابه المؤمنين في دفع مظالم العباد
منهم كروى عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس اذ رآه يتأهب فحسك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يحسك يا رسول الله يا ابي انت وامى قال رجلا
من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يارب خذني مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط
اذاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع وللمقيم من
حسناته شيء قال يارب يعمل عني من اوزاري قال وفاضت صينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبسكاه ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله
للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب ارى مدائن من فضة من نعمة وقصورا
من ذهب مكللة بالؤلؤلأى بنى هذا اولاى صديق هذا اولاى شهيد هذا قال لمن اعطاني الثمن قال
يارب ومن يملك ثمنه قال انت غلصك قال وما هو قال عفوك عن اخيك قال يارب اني قد عفوت عنه
قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تبيينه على ان ذلك انما ينال بالخلق بأخلاق
الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الان في نفسك ان خلت بحقوقك من المظالم او
ناتظفك حتى ففاعتك واقتت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء
وقد خلعت عليك خلة الرضا وصدت بسعادة ليس بعد هاشقاء وينعم لا يدور بحواشيه الفناء وعند
ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار اُتقى كما شرقت القمر ليلية البدر فتوههم
تخترك بين الخلائق وانما رأسك خالبا عن الاوزار ظهر لك ونضرة نسيم ورد الرضا يتلا
من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويضبطونك في حسنك وبخالك
والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك ويتادون على رؤس الاشهاد هذا افلا ين فلان رضى الله

عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشق بعدها أبدا أقرى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تساهل في قلوب الخلق في الدينار بآئك ومداهنتك وتصنعك وترتك فان كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فان تترك ذلك الابيه وان تسكن الاخرى والعباد بالله بأن خرج من محبتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فتنتك لاجلها فقال عليك لعنني يا صيد البوء لا تقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ولسود وجهك ثم تنضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلاق اجمعين وعند ذلك تنال اليك الزبانية وقد غصبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بقطاطها وزعارها وصورها الشكرة فأخذوا بناصيتك بسحبونك على وجهك على ملائخا وهم ينظرون الى اسوداد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثورا واحدا وادع ثورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائجه وعجز به ولعنه بقاءه مساو به فسقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة في قلوبهم أو خوفا من الانقراض عندهم فاعظم جهلك اذ تحترض من الانقراض عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تحشى من الانقراض العظيم في ذلك الملاء العظيم مع التعرض لخط الله وعقابه الليم والسياق بأيدي الزبانية الى سواء الخجم فهذه احوالك وانت لم تحربا بخطر الاعظم وهو خطر الصراط **وصفة الصراط**

ثم تفكر بعدها هذه الاحوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق الجحيم الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الخجم وقفوههم انهم مسؤولون فالتاس بعده هذه الاحوال بساقون الى الصراط وهو حيسر ومدود على متن النار احدث من السيف وأدق من الشعر في استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأنتقل ظهره بالا وازار وعصى تعثر في أول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يجلي من الفرع بفؤادك اذ اربأت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحت ثم قمع سمعك شقيق النار وتضبطها وقد كلفت أن تنشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وتثقل ظهرك بالا وازار المنة لك عن المشي على سباط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فأحسست بجذته واضطرت الى أن ترفع القدم الثانية والخلاق بين يديك يزولون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلايب وانت تنظر اليهم كيف يتسكعون فتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلوا أرجلهم فياله من منظر ما فطعه ومررتي ما اصعبه وبما زار ما اضيقه فانظر الى حالك وانت ترحف عليه وتصد له وانت تمثل الظهور باوزارك تلقت يميناً وشمالاً الى الخلق وهم ينهاتون في النار والرسول عليه السلام يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من تعرجهم لكثرة من زل عن الصراط من الخلاق فكيف بك لو زلت قدمك ولم تنفعك تدمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت اخافه في البتني فدمت لحياقي بالبتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا بالبتني كنت تزايا بالبتني كنت نسا من سبابا لم تلم تلدن وعند ذلك تخطفك الثيران والعماذ باهقه ينادي المنادي اخسوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصباح والافان والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فاطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا والاستعداد له منها ونا

فما عظم خسرانك وطغيانك وماذا يفعل ايمانك اذا لم يفتك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلم يكن بين ذلك الا هول الصراط وارتياح قلبك من خطر الجواز عليه وان سلئت فناهيك به هولاً وقزعا وعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الصراط بين ظهري جنة فاكون اول من يخرج بامتة من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا بالرسول ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل وابتع شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تحتطف الناس باعمالهم فمنهم من يوقى بعمله ومنهم من يخرى ثم ينجو وقال اوسعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاب وخطاطيف تحتطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم في الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشى مشيا ومنهم من يجبو حبو ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما مناسفون خذون بذنوب وخطايا فيصرفون فيكونون فحما غم يؤذون في الشفاعة وذكري الى آخر الحديث وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاحصة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ان ذكر وقت صعود المؤمنين قال ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على اهام قدمه فيضي ميرة ويجبورة فاذا اضاء قدم قدمه فشي واذا اظلم قام ثم ذكر كرم ورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كاتفاس السكواب ومنهم من يمر كشدة الفرس ومنهم من يمر كشدة الرجل حتى يمر الذي اعلى نوره على اهام قدمه يجبو على وجهه ويديه ورجليه فيخرج منه بدو تعلق اخرى وتعلق رجل وتغير اخرى وتصبج جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله مالم يعط احدنا اذ نجاني منها بعد ادراكها فينطلق به الى غير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة يجرون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لاخذ بحجزى واى لا قول برب سلم سلم فازالون والازالات يومئذ كثيرة فهذه احوال الصراط وعظائمه فطول فيه ففكرت فان اسلم الناس من احوال يوم القيامة من طال فيها ففكرت في الدنيا فان الله لا يجمع بين خوفين على عبد فن خاف هذه الاحوال في الدنيا منها في الآخرة ولست اعنى بالخوف رقة كرفة النساء تدمع عينك وريق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى هلك ولعينك فاذا من الخوف في شئ بل من خاف شيئا هرب منه فهو من رجاش طلبة فلا ينيك الا خوف عينك من معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته واما بعد من رقة النساء خوف الحق اذا سمعوا الاحوال سبق الى اسنهم الاستعاذة فقال احدهم استنبت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصررون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضارقي سمحوا ورواه حصن فاذا رأى انياب السبع وصولته من بعد قال لسانه اعود هذا الحصن الحصين واستعين بشدة نيابه واحكام اركانه فيقول ذلك لسانه وهو قاعد في مكانه فاني يعني ذلك عنه من السبع

وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذها له هو ادهو فهو بعيد من الصدق في توحيد امره مخطرف في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكفر بحب الرسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا على تعظيم سنته ومشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من ائتمته ومتميزا بأكابار عبيتهم فصاعدا أن تنال من شفاعة أول شفاعتهم فتجوب بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة ﴿وصفة الشفاعة﴾
اعلم أنه اذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملته فان له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكن حرصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فان الله تعالى خيا ولا يشه في عباده فعمل الذي ترده عليك هو ولي الله ولا تستعصر معصية أصلا فان الله تعالى خيا غصبه في معاصيه فعمل مقت الله فيه ولا تستعصر أصلا طاعة فان الله تعالى خيا رضاه في طاعته فعمل رضاه فيه ولو لا الكلمة الطيبة أو التوبة أو التوبة الحسنة أو ما يجرى بحراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى روى عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن أضللن كثيرا من الناس في تعني فانه مني ومن عصاني فانك عفو رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فاعذبهم عبادك ثم رفع يديه وقال ابنى ابنى ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فسلمه ما يبكيك فأتاه جبريل فسأله فأخبره والله أعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له اناس رضيك في امتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطون أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحل لي القاتم ولم يحل لأحد قبلي وجعل لي الارض مسجد ووزارها طهورا فأتا عمار بن ياسر أن يبعث الى قومهم خاصة وبعث الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فقر وقال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الارض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع سيدي لواء الحمد تحت آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد أن اخبئي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويستقي منبري الى الجنة فأتا بئس مني من متصبا مخافة أن يبعثني الى الجنة وتبني أممي بعدى فأقول يا رب أممي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن اصنع بأمته فأقول يا رب عجل حسابهم فإزال اشفع حتى اعطى صكا كابر جال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالك الخازن النار يقول يا محمد ما ركت النار لقصير بك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيامة لا كثر ما على وجه الارض من حجر ومدرو قال أنور مرة أني رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرفع اليه الذراع وكانت فيه فتش منها فتشته ثم قال أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون من ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يجمعهم الداعي ويتقدمهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكره ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس لبعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أول البشر خلقك الله سيده وفتح فيك من روحه وأمر الملائكة فصعدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام ان ربي قد غضب اليوم

غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد نهانى عن الشجرة فصصته نفسى نفسى
 اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فأتون نوحاً عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل الى أهل
 الارض وقد سماك الله عبداً شكروا واشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب
 اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وأنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى
 نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم خليل الله فأتون ابراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون
 أنت نبي الله وخليفه من أهل الارض أشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد
 غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات
 ويزكرها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى فأتون موسى عليه السلام فيقولون
 يا موسى أنت رسول الله فضلك برسائلكم وبكلامه على الناس أشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه
 فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفساً
 أو امر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى عيسى عليه السلام فأتون عيسى فيقولون
 يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد أشفع لنا الى ربك
 ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولم
 يغضب بعده مثله ولم يدركنا نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
 فأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وعظم الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر أشفع
 لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنت نطق بآتى تحت العرش فأقع ساجداً ربي ثم يفتح الله لى من محامده
 وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفعله على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع
 فأرفع رأسى فأقول أمى أمى يا رب فقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب
 الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسى بيده ان
 بين المصرعين من مصارع الجنة كابين مكة ومكة أو كابين مكه وبصرى وفى حديث آخر هذا
 السباق بينه مع ذك خطا بالاراهيم وهو قوله فى الكوكب هذا ربي وقوله لاهتهم بل فعله كبيرهم
 هذا وقوله انى سقيم فهذه شفاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حاداً منه من العلماء والصالحين
 شفاعه أفاض حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعه رجل من أمتى أكثر من
 ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم بافلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة
 ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عملهم وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول بافلان
 هل تعرفنى فيقول لا والله ما اعرفك من أنت فيقول أنا الذى حررت ربي فى الدنيا فاستسقيت شربة
 ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لى به عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول انى اشرفت
 على أهل النار فنادانى رجل من أهلها فقال هل تعرفنى فقلت لا من أنت فقال أنا الذى استسقيت
 فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى عند ربك فشفعنى فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار ومن
 انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خظيم اذ وفدوا
 وأنا مبشرهم اذ انشؤا والوا الحمد يومئذ يمدى وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا غير وقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انى أقوم بين يدى ربي عز وجل فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن بين
 العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما جالس ناس
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فيخرج حتى اذا ناداهم سمعهم يتذاكرون فسمع

حدثهم فقال بعضهم عجا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلاً اتخذا ابراهيم خليلاً وقال آخر ما ذا يا عجب من كلام موسى كذا تكلموا وقال آخر فعيسى كذا الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم وسلم فقال قد سمعت كلامكم وتجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا تغروا انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا تغروا انا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا تغروا انا اول من يحرر لك خلق الجنة فيفتح الله لك قلوبهم ومعهم قراء المؤمنين ولا تغروا انا اكرم الاولين والآخرين ولا تغرو

وصفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يبرقنا الله تعالى في الدنيا عليه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم ينظم ابدا قال انس اعني رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاء فرقة رأسه متبسم فقالوا له يا رسول الله لم تحبكت فقال آية أنزلت علي أنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوز حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوز قالوا الله ورسوله أعلم قال انه نهرو عذبه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه اتمى يوم القيامة آتته عدد نجوم السماء قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحأ انا اسير في الجنة اذ انبرح فافتاه قباب اللؤلؤ المحجور قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوز الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذ فروا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء أو مثل ما بين المدينة ومكان وروى ابن عمر انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيتك الكوز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حانتاه من ذهب شرابه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ربحاً من المسك يجري على جناح اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم ينظم بعدها ابداً اقول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا اللئس ثيابا الذين لا يتكلمون بالمتحمت ولا تفتح لهم أبواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكت المتحمت فاطية بنت عبد الملك وقتحت لي أبواب السدد الا ان رحماني الله لا جرم لاداهن رأيي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ما آية الحوض قال والذي نفس محمد بيده آتية أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المحصية من شرب منه لم ينظم آخر ما عليه يشخب فيه من زباب من الجنة عرضة مثل طولها ما بين عمان وأيلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضاً وانهم يتباهون بهم أكثر واردة وإن لا رجوا أن يكونوا أكثرهم واردة فهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليجذر أن يكون متنبهاً ومغتراً وهو يظن انه راج فان الرابحي العصاد من يث البذر ونفي الارض وسقاها الماء ثم يجلس رجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد فأما من ترك الحرث أو الزراعة وتقية الارض وسقاها وأخذ رجوا من فضل الله أن يثبت له الحب والغنا كهة فهذه مغتر ومتمت وليس من الرابحين في شيء وهكذا جاء أكثر الخلق وهو غرور الحسني نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاعتبار بالله أعظم من الاعتبار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغتر بكم الحياة الدنيا ولا تغتر بكم بالله

الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها وانكاسها

يا أيها الغافل عن نفسه الغرور عما هو فيه من شواغل هذه الدنيا الشرففة على الانقضاء والزال دع
التفكير فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك أخبرت بأن النار مرد الجميع
اذ قيل وان منكم الاوارها كان على ريك حتما مقضيا ثم نجى الذين اتقوا واندرا الطالين فيها جثيا
فأنت من الورود على قين ومن الغاية في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فصالح تستعد للنجاة
منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا في الدنيا هم في كربها واهوالها
وقولا ينتظرون حقيقة انبائها وتشفيع شفعاها اذا حاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت
علمهم نار ذات طب وسعوا لها زفيرا وجريرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك اشن
المجرمون بالعطب وحشت الاعمى على الركب حتى اشفق البراءة من سوء المنقلب وخرج المنادى
من الزبانية قائلا بن فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل
فيبادرون به مقامهم من حديثو مستقبلونه يعطأهم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد يسكنونه
في قمار الجحيم ويقولون له ذاك انت العزيز الكريم فأستكون اذ ارضية ارجاء مظلمة المسالك
مهمة الهالك يخلد فيها الاسير ويرقد فيها السعير شرابهم فيها الخمر ومسقرهم فيها الخمر الزبانية تقعهم
والهاوي به تبعهم امانتهم فيها الهلاك وما لهم منها فكك قد شدت أقدامهم الى النواصي واسودت
وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها يصيحون في نواحها وأطرافها يا مالك قد حق علينا
الوعيد يا مالك قد اقلنا الحديد يا مالك قد نلخيت منا الجلود يا مالك أخرجنا منا فاننا لا نعود نقول
الزبانية هب لات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسروا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم
منها لكنتم الى ما نهيت عنه تعودون فعند ذلك ينفقون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا
يصبهم الندم ولا يتنبههم الاسف بل يكون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم
والناسوع انما بينهم والنار عن شمالهم فهم غرق في النار طارعا هم نار وشرابهم نار ولا يسلم نار
وه هادهم نارهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران وضرب المقامع وتقل السلاسل فهم
يتجلبون في مضايقاتها يتظلمون في دركاتنا يضطربون بين فواشها تغلبيهم النار كغلي القدور
ويهتقون بالويل والويل وهم حادعون بالثبور صب من فوق رؤسهم الخمر يصبهم به ما في بطونهم
والجلود وطم مقامهم من جديد تهم بها جباههم فيقع الصديد من أفواههم وتقطع من العطش
أكادهم وتسبل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتقطع من الأطراف شعورها
بل جلودها وكلما انفجحت جلودهم بدلو الجلود اقيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح
منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفتح تلك النيران وهم مع ذلك يمتنون الموت فلا يموتون
فكيف يلك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سودا من الخمر واعمت أصارهم وابكمت
السننهم وقصعت ظهورهم وكسرت عظامهم وجذعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى
اعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون حلك الحديد
بأقدامهم فلهيب النار سار في نواطينهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم
هذا بعض جملة آحوالهم وانظرا الان في تفصيل احوالهم وتفكر ايضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين ألف وادي وكل واحد من تلك شعبي في كل شعب
سبعون ألف شعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكثر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي
كرم وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعذروا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل

يا رسول الله وما وادى أو جب الخزن قال وادى جهنم تنعوز منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين في هذه سعة جهنم وانتهاب اوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشبهواتها وعدد أبوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطبة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في حق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعق شهورات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الى الهاوية اعمق منها قال أبو هريرة كأم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالنا الله ورسوله أعلم قال هذا جحر اربل في جهنم من سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدرجات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكم أن اجاب الناس على الدنيا يتفاوت في منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خاض فيها الى حد محدود فكذلك تتفاوت النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تتداف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حدة معلوم على قدر عصيانه وذنبيه الا أن اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بعد افرها لا تقديها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة يتنعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدة دعليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار تقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشتد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهبات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه ومن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسقت بسبعين مائة من مياه الرحمة حتى اطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال امر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احترت ثم وقدها ألف عام حتى ابيضت ثم وقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى رهاقة الت يارب كل يعصى بعضا فأذن طافى نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الصيف من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زهر رها وقال انس بن مالك يؤتى بألف الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار خمسة ثم يقال له هل رأيت نعيمة قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضررا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة خمسة ثم يقال له هل رأيت ضررا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أوزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لما تواو قد قال بعض العلماء في قوله تلحق وجوههم النار انما ألقتهم لقمعة واحدة فالبقت لمعا على عظم الا لقمته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أيدانهم حتى يغرقون فيه وهو الفساق قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلو من غساق جهنم ألقي في الدنيا لانت أهل الارض فهذا اثر ايسر اذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يغيرونه ولا يكاد يسيغه وبأنه الموت من كل مكان وما هو ميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم أنهار الضالون المكذبون لا كلون من شجر من زقوم فالتون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الحميم وقال تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لا كلون منها فالتون منها البطون ثم انهم عاصيا الشوبان من حميم ثم ان مرجهم لا الى الجحيم وقال تعالى تصلى نار حامية تسمى من عين آنية وقال تعالى ان الدنيا أنكالا وحجما وطعاما ذائعا وعذابا

اليها وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا
أفست على أهل الدنيا معاشهم فكيف من تكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارغبوا في عذابكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنه
لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طبيعتها الكحل لو كانت قطرة من النار معكم
في دنياكم التي أنتم فيها خبيثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باقى على أهل
النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيعاطون بطعام من ضرب
لا يسم ولا يلقى من جوع ويستغيثون بالطعام فيعاطون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيرون
الغصص في الدنيا بشرب فيستغيثون بشرب فيفرغ بهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من
وجوههم شوت وجوههم فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم
قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يومنا من العذاب فيقولون أولئك تأنيبكم رسولكم
بالبنات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكم فيدعون
فيقولون يا مالك لقمض علينا ربك قال فيجيهم انكم ما كنتم قالوا لا يا ربك أن بين دعائهم وبين
اجابة ما لك يا ربهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا
شقوتنا وكنا فوما ضلنا ربنا أخرجنا من ربنا أخرجنا من ربنا أخرجنا من ربنا أخرجنا من ربنا أخرجنا من ربنا
قال فعند ذلك يسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل وقال أبو امامة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وسيق من ماء صديد يخبره ولا يكاد يسهقه قال يقرب اليه
نبتك ربه فإذا ادنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره
يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
يشوى الوجوه فإذا اطعمهم وشربهم عند جوعهم وعطشهم فانتظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها
والى شدة معيها وعظمت اختصاصها وظفاظة منظرها وقد سلطت على أهلها واخربت بهم فهي
لا تفتر عن التشنج والدمع ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
آتاه الله ما لا يلزمه فذكر كانه مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان بطوقه يوم القيامة ثم يأخذ
بها زبانه يعنى اخذاه فيقول أنا مالك أنا كثر لك ثم تلا قوله تعالى ولا تحسبن الذين يقولون بما أتاهم
الله من فضله الآية وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل أعناق البعث يلسعن
اللسعة فيجد حمرتها أربعين خريفا وان فيها العقارب كالغزال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حمرتها
أربعين خريفا وهذا الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا اخل وسوء الخلق
وايذاء الناس ومن وفي ذلك وفي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم اجسام أهل
النار فان الله تعالى يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يتراب عذابهم بسببه فيحسون بلغ النار وبلغ
العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضرب من الكافر في النار مثل احد وعظمت جلده مسيرة ثلاث قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شفقتي السفلى ساقطة على صدره والعليا فالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام ان الكافر
يجبر لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطأ الناس ومعظم الاجسام كذلك تحرقهم النار ان
فجدة جلودهم ولحمهم قال الحسن في قوله تعالى كلما نضجت جلودهم تبدلناهم جلودا غير قال
نأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كل أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن
في بكاء أهل النار وشية هم ودعائهم بالويل والنور فان ذلك يسلط عليهم في أول القاهم في النار قال

خاق النار يا هو الهاو خاق لها اهلا لا يز يدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى وأندبرهم يوم الحسرة أدقضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ولعمري الاشارة به الى يوم القيامة بل في ازل الازل ولكن اظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالجيب منك حيث تفحصك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري ماذا موردى والى ماذا مالى ومرجى وما الذى سبق به القضاء في حقى فلك علامة تستأنس بها وتصديق رجائك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأحوالك فان كلاميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فانك معبد من النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شر الا وبسر لك أسبابه فاعلم انك مقضى عليك فان دلالة هذا على العقوبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الارار لى نعيم وان الغيار لى جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد صرفت مستقرتك من الدارين والله أعلم

القول فى صفة الجنة وأصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار اخرى فتأمل نعيمها وسورها فان من يعد من أحد هما استقر بالراحة فى الاخرى فاستأثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستأثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقبها بزمام الرجا الى الصراط المستقيم فذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نصره النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الاحمر فى خيام من اللؤلؤ والطيب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على أرائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخر والصل محفوفة بالفلان والولدان خريشة بالجور العين من الخبيرات الحسان كأنهم الياقوت والمرجان لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان عيشين فى درجات الجنان اذا اغتالت احداهم فى مشها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ماتخير فيه الابصار مكلات بالتيان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات فعبات عطرات أصناف من الحرم والبؤس مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان فاصرات الطرف عين غم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرفت فى وجوههم نصره النعيم لا يرهقهم قمر ولا ذل بل عباد مكرمون وبأنواع الخصف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشبهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من رب المنون آمنون فهم فيها يفتنمون وبأن يكون من اطعمها ويشربون من أنهارها النابوا وخر وعسلها فى انهارها راضها من فضة وحصباء واهم رجاء وعلى أرض ترابها مسك اذقرو نباتها زعفران ويمطرون من سحب فيها من ماء النسيين على كتبنا الكافور يؤتون بأكواب وأي أكواب باكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم مزوج به السلسيل العذب كوب يشرب نوره من صفاء جوهره سيدو الشراب من ورائه رفته وجرته لم يسمع آدمي فيقص فى تسوية صنيعته وتحسين صناعته فى كف خادم يحمي ضياء وجهه الشمس فى اشراقها ولكن من ان للشمس مثل جلالة صورته وحسن اصداغه وملاحة أحداقه فيما عجم الى يؤمن بدار هذه صفتها وروى بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع من زل بفتاتها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى أهلها كيف

يا ناس بدا رقد أذن الله في خرابها وبنينا يعيش دونها والله لو لم يكن فيها الاسلامه الاندانا مع الامن
 من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الخدثان لكان جدرياً بأن يهجر الدنيا بسببها وأن
 لا يؤثر عليها ما انتصرم والتغصن من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ومتعون
 لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون
 وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه الى سائر نعم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين
 أصناف هذه النعم بترددون وهم من زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ينادي مناد يا أهل الجنة ان لكم أن تتجوا فلا تسقوا أبدا وان لكم أن تتجوا فلا تموتوا أبدا وان
 لكم أن تشبوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تتجوا فلا تسقوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن
 تسلكوا الجنة اورثوها بما كنتم تعملون ومهما اردت أن تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس
 وراءه بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن
 واقرأ سورة الواقعة وغيرهما من السور وان اردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل
 الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على مجملها وتأمل أولا ﴿ عدد الجنان ﴾ قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة أنتبهما وما بينهما وجنتان
 من ذهب أنتبهما وما بينهما ما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه
 في جنة عدن ثم انظر الى ﴿ أبواب الجنة ﴾ فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كأن أبواب
 النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى زوجين
 من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها والجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من
 باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من
 باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد قال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على
 أحد من ضرورة من أمها دعى فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وارجو أن تكون منهم ومن عاصم
 ابن ضمرة عن علي كرم الله وجهه انه ذكر النار فظم امره اذ كرا لا يحفظه ثم قال وسبق الذين اتقوا
 ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى الباب من أبوابها وجدوا جنة شجرة يخرج من تحت ساقها
 عيينة تجريان فعدوا الى احدهما كما امروا به فشرىوا منها فأتاهم فأتاهم فأتاهم فأتاهم فأتاهم فأتاهم
 ثم عدوا الى الاخرى فطهروا منها فبهرت عليهم فصرة النعم فلم تغيرا شعارهم بعد ما أبدا ولا تشعث
 رؤسهم كما عهدوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين
 ثم ثلثاهم الولدان يطفون بهم كالتطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون
 له أشر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض أزواجه من
 الجوار العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيت فيقول أنا رأيت
 وهو بائري فيستخفها الفرح حتى تقوم الى اسكفة ياتها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا
 جندل الأوتار فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا مثل
 البرق ولولأن الله تعالى قدره لالأن يذهب بصره ثم يبطأ على رأسه فاذا ازواجه واكواب
 موضوعة وتمنار في مصوفة وزراني ماثوبة ثم انكأ فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا اوما كنا لنهتدي
 لولا أن هدانا الله ثم ينادي مناد تصحبون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تقعونون أبدا وتصحبون فلا
 تمضونون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول
 الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك امرت أن لافتح لاحد قبلك ثم تأمل الآن في ﴿ عرف

الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وكان بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهراً فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهراً فكن تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعابنة لا تقدم عليك أقرانك أو حيرانك بزيادة درهم أو بعلو شاة تقل عليك ذلك وضيق به صدرك وتتغص بسبب الحسد عندك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بل طاق لا توازيها الدنيا بعد أفيها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة لثراءون أهل الغرف فوقهم كثر ثراءون الكوكب الغائر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضاً أن أهل الدرجات التي لا يرامهم من تحتهم كاثرون النعم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبابكر وعمر بن الخطاب قال جابر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحد تكم تعرف الجنة قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه عليك يا نبينا أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرقاً من أصناف الجوهر كله يرى ظاهراً من باطنها وباطناً من ظاهرها وفيها من النعيم والذات والسرور ما لا عين رأت ولا أدق سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولين هذه الغرف قال لئن أشتى السلام وأطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطبق ذلك قال امتي تطبق ذلك وسأخبركم من ذلك من لقي أخاه فلم عليه أورد عليه فقد أشتى السلام ومن اطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد دام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وما كن طيبة في جنات عدن قال قصور ومن لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوت أحمر في كل دار سبعون بيتاً من زمر داخض في كل بيت سرر على كل سر سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش زوجة من الخور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع **وصفة حائط الجنة وأرضها وأبوابها وأنهارها** تأمل في صورة الجنة وتذكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرها القناعة بالدين أعوض عنها فقد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنته من ذهب تراها زعفران وطبقها مسك وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا التراب الجنة تتغير من تحت ثلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلة أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها انقرض إلا شتم وظل ممدود قال أبو أمامة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومساكنهم أقبل أعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤنثة وما كنت أدرى أن في الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فان

لها شوك قال فقال الله تعالى في سدر مخضوض بخضد الله شوكه فيجعل مسكان كل شوكه ثمرة ثم تنفتح الثمرة منها من اثنين وسبعين لونا من الطعام مما هنا لون يشبه الآخر وقال جرير بن عبد الله تزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تلبقه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فأطله فانطلق فأطله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأخبرته وسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما التطلبات يوم القيامة قلت لا أدري قال نلظ الناس بعضهم بعضا ثم أخذ عودا لا أكاد أراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجد فقلت يا ابا عبد الله فأين النخل والشجر قال اصولها الأول والثوب والذهب واعلاها الثمر

﴿صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وادائهم وخيامهم﴾

قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الاخبار وقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة يتم لباسا لثيبا وبياضا ولا غنى شابيه في الجنة ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة اخلق تخلق ام نسج تسنجد فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم يتحكون من جاهل سأل طالبا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القرية البدر لا يصقون فيها ولا يمتشطون ولا يتفوطون أنبيهم ومشاطهم من الذهب والفضة ورسهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى منساقهما من وراء القسم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباعد قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها فضى مابين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طوله في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها لؤلؤ من أهل لا يراهم الآخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة ترسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصرع من ذهب وقال أبو سعيد انخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش حر فوطة قال مابين القراشين كابين السماء والارض

﴿صفة طعام أهل الجنة﴾

بيان طعام أهل الجنة منذ كور في القرآن من القواكه والطيور السمان والخن والسلى والعسل والذين وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها وقد ذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبر من أخبار اليهود فذكر اسئلة الى أن قال في أول اجازة يعني على الصراط فقال قراء المهاجرين قال اليهودي فانتختم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبدا الحوت قال فاعذواهم على ائرها قال بعثهم ثورا الجنة الذي كان يأكل في اطرافها قال فاشربهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسيلا فقال صدقت وقال زيد ابن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القاسم ألسنت ترعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لا صحابه ان أقرئ بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي نفسي بيده ان احدهم يعطى قوة مائة رجل في المطعم والشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم

عرف بعضهم من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمروا قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهي ففجرت بين يديك مشوا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة طيرا أمثال البناقي قال أبو بكر رضي الله عنه أنها النعام يا رسول الله قال أنعم منها من يأكلها أو انت من يأكلها يا أبا بكر وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف قال يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة فيها لون ليس في الأخرى مثله وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومزاجه من تسنيم قال عرج لاصحاب الجين وشربه المفرجون صرفا وقال أبو الدرداء رضي الله عنه في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يمتصون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذور روح الا وجد ريح طيبها

﴿ صحيفة الحور العين والولدان ﴾

قد تكرر في القرآن وصفهم ووردت الاخبار زيادة شرح فيه روى انس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غدوة في سبيل الله وروحة خير من الدنيا وما فيها وألقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاعت ولأثارت ما بين يديها من الجنة ولتصفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها يعني الخمار وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهم في الباقوت والبرجان قال ينظر إلى وجهها في خدرها صبي من المرأة وإن أدنى أولوة عليها لقتلها ما بين الشرق والمغرب وأنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى خصاصتها من وراء ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم يدخل الجنة موضعها سمي اليد خ عليه خيام أو أو أو الزبرجد الأخضر والباقوت الأحمر فقل السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا الله قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذنن ربك في السلام عليك فآذنن لهن فطففن بقلن عن الراضيات فلا تسخط أبدا وعن الخالدات فلا تظعن أبدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى وأزواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والخضامة والمني والولد وقال الأوزاعي في شغل فاكهون قال شغلهم اقتصاص الأبنار وقال رجل يا رسول الله أيا ضاع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمران أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل من أهل الجنة ليرتقح خمسمائة حورا وأربعة آلاف بكر ومائة آلاف نيب يعانق كل واحدة منهم مقدار عمره في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها مجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها بقلن عن الخالدات فلا تظعن فلا تظعن فلا تظعن فطوبى لمن كان لتناوكله وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحور في الجنة تغتفرن عن الحور الحسن خبثنا لأزواج كرام وقال يحيى بن كسيرة في قوله تعالى في روضة يجرون قال السماع في الجنة وقال أبو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين فثباته بأحسن صوت سمعه الا نس والجن وليس بمنزلة الشيطان ولكن تصمد الله وتقديسه

﴿ بيان جبل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الاخبار ﴾

وروى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صحابة الا اهل مشير الجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلأل اوريجانة تهتر وقصر مشيدونه مطرد وفاكهة كثيرة فضجة وزوجة حسنة جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدان وضرة في دار عالية بهيمة سلمية قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل فانها تعجني قال ان اجبت ذلك اتيت بغرس من باقوتة حمراء فططير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل ان الابل تعجني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها ما اشئت نفسك ولدت عيناك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسر سر ربهذا الى سر ربهذا فيلقين وتعتنان ما كان بينهما في دار الدنيا يقول يا خي تدكر يوم كذا في مجلس كذا فعدونا الله عز وجل ففعلنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكدون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثلاثون وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد باقوت كابين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها تقضى ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة فاذا الرمان من رمانها تخلف البعر المقتب واذا طيرها كالحب واذا فيها جارية قتلت يا جارية لمن انت فقالت لا يدن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب بن مالك ان الله تعالى ادم عليه السلام بيده وكسب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم قلنا لها تفصيلا وقد كرا الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان اثمارها من ماء غير آسن وان اثمار من لبن لم يتغير طعمه وان اثمار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وان اثمار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا تصدع منها الرأس وان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مملوكة نامون ابناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد آمنوا العذاب واطمأنتهم الدار وان اثمارها العجري على رضراض من باقوت وزبرجد وان عروقها وتحتها وكرمها لؤلؤ وغمارها لا يعلم عليها الا الله تعالى وان ريحها لم يجد من مسيرة خمسمائة سنة وان لهم فيها خيلا وابلها هفافة رحالها وازمها وسروجها من باقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كأنهن قبيص مكنون وان المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حبة تلبسها فمري نوح ساقها من وراء تلك السبعين حبة قد طهر الله الاخلاق من السوء والا جساد من الموت لا يحفظون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسلكهم رزقهم فيها بكبرة وعشيا ماماته ليس ليل يكثر الغدق على ارواح والرواح على القدور وان اخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة لم يذوق في بصره وملسكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويسفع له في بصره حتى ينظر الى اقصادها كما ينظر الى ادناه يقضى عليهم سبعين ألف صحيفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحيفة لون ليس في الاخرى مثله ويجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دارة في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا تقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسرى في ملكه الف سنة يرى اقصادها كما يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالعداء والعشى وقال سعيد بن المسيب

ليس أحد من أهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان في الجنة حوراء يقال لها العينا اذا مشيت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول ابن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديدا فموت الجنة أشد وترك الدنيا مهربا قال أيضا في طلب الدنيا نال النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فباغيا لمن يختار المذلة في طلب ما بقي ويترك العز في طلب ما بقي ﴿صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى﴾

قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهذه هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقة كتاب الحجة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقد أهل البدعة قال جرير بن عبد الله الجلي - كان جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم تزرون ربكم كما تزرون هذا القمر الا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو يخرج في الصبحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينظركموه قالوا ما هذا الموعد أم يشغل موانينا ويبسط وجوهنا ويدخلنا الجنة ويمرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فيما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النجاة وكل ما فصلناه من التمتع عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لانسمة لشيء من لذات الجنة التي لا تالفها وقد أوجزنا في الكلام هنا ما فصلناه في كتاب الحجة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه الهبة المسرحة في المرعى ﴿نختم الكتاب بسبب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك﴾

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل وليس لنا من الأعمال ما يرجوه المغفرة فقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل وزجوا أن نختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بدكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغير أن يشرك به ويغير ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تهبطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحاما ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من أقوالنا التي لا نوافقها وأعمالنا ونستغفره مما أذنبناه وأظهرناه من العلم والبصيرة يدب الله تعالى مع القاصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعذابه من أنفسنا ثم نصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل نصريح وعرض بنقصنا ناقص ونقصه بقصر كرامته مصق به ونستغفره من كل خطرة دعنا الى تصنع وتكلف تربنا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أذنبناه أو استفدناه وزجروا بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولن طالع كتابنا هذا أو كتبنا أو سمعنا أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فان الكرم محم والمغفرة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض ونحن خائف من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا اليه

الافضل وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة
 بين الجن والانس والطير والبهائم والحوائم فيها يتعاطفون وبها ترحمون واخر تسع وتسعين رحمة
 يرحم بها عباده يوم القيامة ويروى انه اذا كان يوم القيامة اخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه
 ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلاً هل الجنة وقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ينبغي الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس
 منكم أحد الا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً ونصرياً وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشفع الله
 تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائه ألف ألف وعشرة آلاف ألف وقال صلى الله عليه
 وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للؤمنين هل احببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم
 فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول الله عز وجل يوم القيامة اخرجوا من النار من ذكرنى يوماً وخافنى في مقام وقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار المسلمين ألم
 تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم اذا نتم معاني النار فيقولون كانت لنا ذنوب
 فأخفنا فيها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بالخارج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فاذنا
 رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كالمسلمين فيخرج كما اخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما
 يؤذى المؤمن كفراً والوكلاء مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعد المومنين من الوالدة
 الشفيعه بولدها قال جابر بن عبد الله من زادت حسنة على سيئاته يوم القيامة فذلك الذى يدخل
 الجنة بغير حساب ومن استوت حسنة وسيئاته فذلك الذى يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة
 وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه أو ثقل ظهره وروى أن الله عز وجل قال
 لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك قارون فلم تقفه وعزنى وجلالى لو استغاثت بى لأغتنته
 وعفوت عنه وقال سعد بن بلال يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول اللذان بك وتعالى
 ذلك بما قدمت ايديكم وما أنا بظلام للعبيد ويأمر بردهما الى النار فيجدوا أحدهما في سلاسله
 حتى يقبضهما وبتلك الآخرة يؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذى عد الى النار قد حذرت
 من وبال المعصية فلم اكن لا تعرض لسخطك ثانية ويقول الذى تلكأ حسن ظنى بك كان يشعرنى
 أن لا تردنى اليها بعد ما اخرجتني منها فامرهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنادى
 مناد من تحت العرش يوم القيامة يا امة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهته لكم وبقيت التبعات
 فتواهبوا وادخلوا الجنة رحمتى ويروى أن اعرابياً سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من
 النار فألقوا فخذكم منها فقال الاعرابي والله ما ألقوا فخذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها فقال ابن عباس
 خذوها من غير قبعة وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت
 فقال مهلاً لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا
 حدثكمه الا احذواوا واحداً وسوف احذوكم اليوم وقد احبط بنفسى سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله
 ابن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلاً من امة على رؤس
 الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مثل مدا البصر ثم يقول اتكبر من
 هذا شيئاً أظلمت كنيته الخافطون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان
 لك عذراً حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً

رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تطعم قال فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة قال فاشتاشت السجلات وقلقت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط ان الله يقول
للائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم
يقولون يا رب ان شاءم نذر فيها أحدا من امرتاه ثم يقول أرجعوا فنجد في قلبه مثقال نصف دينار
من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا رب ان شاءم نذر فيها أحدا من امرتاه ثم يقول
أرجعوا فنجد في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا رب ان شاءم نذر
فيها أحدا من امرتاه فكان أو بعد يقول ان لم تصدقوني هذا الحديث فأقرؤا ان شئتم ان الله
لا يطعم مثقال ذرة وان تلك حسنة يصاعفها ويؤت من لدنه أجر عظيم قال فيقول الله تعالى شفعت
الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا رحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما
لم يعملوا خيرا قط فدعا واحدا منهم في نهري افواه الجنة فقال له نهرا الحياة فيخرجون منها كل يخرج
الحبة في حمل السبل الا ترونها تكون مما يلي الجروة الشجر ما يكون الى الشمس اصفر او ابيض وما
يكون منه الابل الطلل ابيض قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترى بالبادية قال فيخرجون كالؤلؤ
في رقايم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة فيقولون هؤلاء عقاء الرحمن الذين ادخلهم الجنة بغير عمل علوه
ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فارأيتم فهو لكم فيقولون ربنا اعطيننا ما نمط أحدنا من
العالمين فيقول الله تعالى ان لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون يا رب اني أشئ أفضل من هذا
فيقول رضائي عنكم فلا سط عليكم بعده أبدا رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وروى البخاري
أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال
عرضت على الامير النبي ومع الرجل والنبي ومع الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي
معته الرط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي
انظروا رأيت سوادا كثيرا فسدد الافق فقيل لي انظرو هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لي
هؤلاء اماتك ومع هؤلاء مسيون ألما يدخلون الجنة بغير حساب فيترق الناس ولم بين لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتدا كذلك الصحابة فقالوا ما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمننا بالله ورسوله
هؤلاء هم ابناؤنا فابع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يكتبون ولا يسترقون ولا
يطبرون وعلى رءسهم يتوكلون فقام عاكشة فقال ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال انت منهم
ثم قام آخر فقال مثل قول عاكشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها عاكشة وعن عمرو بن حزم
الأنصاري قال تعجب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يجزح الالصلاة مكتوبة ثم يرجع
فلما كان اليوم الرابع خرج اليافقنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث
قال لم يحدث الا خبر ان ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لحساب عالمهم
واني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزدف وحديث ربي ماجد واوجدا كريما فأعطاني مع كل واحد
من السبعين ألفا سبعين ألفا فقال قلت يا رب وسأع أمتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب وقال
ابودر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحجرة فقال بشر أميك اله من
مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى
قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان
شرب الخمر وقال أبو الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن خاف مقام ربه خشيا فقلت

وان سرق وان زنى يا رسول الله فقال ولن خاف مقام ربه جنتان قتلان سرق وان زنى فقال
ولن خاف مقام ربه جنتان قتلان سرق وان زنى يا رسول الله قال وان رغبنا في أبي الدرداء
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من أهل المثل فقبل
له هذا فداؤلك من النار وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن
أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله تعالى مكانه النار
يهوديا أو نصرانيا فاستخلفه عمر بن عبد العزيز باقائه الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اياه حدثه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف له وروى انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فبين
يزيد في يوم صائف شديد الحر فصبرت به امرأة في خيام القوم فأقبلت تستنقوا قبل اصحابها
خلفها حتى اخذت الصبي وألصقته الى صدرها ثم انفت ظهرها على البطءاء وجعلته
على بطنها فقبه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وترصعوا ما هم فيه فأقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسررحتهم ثم بشرهم
فقال أعجبتم من رحمة هذه لاني انا نعم قال صلى الله عليه وسلم فان الله
تبارك وتعالى أرحم بكم جميعا من هذه لاني انا نعم قال صلى الله عليه وسلم فان الله
أفضل السرور وأعظم البشارة فهذه الاحاديث
وما أوردناه في كتاب الرجا يشرنا بسعة رحمة الله
تعالى فترجو من الله تعالى أن لا يعاملنا
بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو
أهل به بمنة وسعة جوده
ورحمته

حمد الم من علينا بالنعامة الوافر ووفقنا لطبع هذا الكتاب الباهر الذاهر والصلاة والسلام على
سيد ولد عدنان وعلى آله واصحابه الذين حازوا قصب السبق وان جاؤا في آخر الزمان * (وبعد) *
فيقول العبد العاجز الضعيف مصطفى وهى المستمند من مواهب المولى الطيف انى لما شرعت
في طبع كتاب احكام علوم الدين * الفنى فضله ونفعه عن الكشف والتبيين * ظهر لى بعض وقفات
في نسخة المطبوعة منعت مقدمة المراد من الانتاج وصبرتني مضطرا الى البحث عما يكون به
العلاج فاحضرت ما يلزم لذلك من نسخ الخط * واستنبطت منها احسن ما يستنبط * وبذلت
جهدى في حسن طبعه ونشره وتنقيحه مما وقع من القلطات في غيره * فجاءت هذه النسخة صحيحة
تجيب النظر * وبنتهج بقائسها اولو الابصار * جديرة بان يتقها خايطوها باحسن القبول * اذ
نحتت بحماس الصحة وتخلت عن الفضول * ويميز لوالها المهر * ويشكر وايد الدهر * فكل بفضاء
شعنه * ولا كل كلمة حكمه * واياك أن تغتر بما ولعت به الناس قريبا وبعدا * من مدح المتقدم وذم
المتأخر وان كان مصدبا مجيدا * فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
هذا وكان تمام طبعه بالمطبعة الوهية . الكتبة بمصر المحمية بخط ياب الشعرية في أوائل ذى الحجة
من سنة ألف ومائتين واثنين وثمانين من هجرة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وعلى
آله واصحابه المنتهين اليه كمال الاحب بدر تمام وفاح مسك ختام

Bibliotheca Alexandrina



0407979